



وَكَيْه لَسْتَعَيْن



جامعة أم القرى  
بمكة المكرمة  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
الدراسات العليا التاريخية

# الحمد لله الذي هدانا لهذا

في عصر الأسرة الزنكية

٤٩١ - ٥٦٩ هـ / ١٠٩٧ - ١١٧٣ م

رسالة مقدمة لتبيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد المعيد

مسفر سامي الغامدي

بإشراف الأستاذ الدكتور حسني محمد ربيع



١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ

١٩٨٢ - ١٩٨٣ م

قال تعالى :-

” انْقِرُوا خِيفًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا  
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ “

سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةُ "٤"

المحتوياتالصفحةالموضوع

٣٢ - ١ : نقد لأهم مصادر البحث .....

١٢٢ - ٣٣ : فصل الاول : القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة قبل قيام

الاسرة الزنكية (٤٨٥-٥٢١هـ/١٠٩٢-١١٢٧م) .

- انهيار النفوذ السلجوقي وانحسار النفوذ الفاطمي في بلاد الشام .

- النزاع بين رضوان ودقاق ابني تتش ونتائجه .

- فرقة الاسماعيلية وأثرها السياسي في بلاد الشام .

- نهاية الامارات العربية في بلاد الشام والعراق والجزيرة .

\* المرداسيون في حلب .

\* بنو عقيل في الموصل .

\* امارة بنو مزيد في الحلة .

\* امارة بنو عمار في طرابلس .

\* امارة بنو منقذ في شيزر .

فصل الثاني : الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين حتى قيام الاسرة

الزنكية (٤٩١-٥٢١هـ/١٠٩٧-١١٢٧م) .

- موقف الخلافة العباسية من حركة الجهاد ضد الصليبيين .

- موقف الخلافة الفاطمية من الغزو الصليبي لبلاد الشام .

- بحث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قبل عماد الدين

زنكي .



(ب)

الصفحة

الموضوع

الفصل الثالث : الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر

- عماد الدين زنكي ( ٥٢١-٥٤١هـ / ١١٢٧-١١٤٦م ) ٣٠٤-٢١٤
- عماد الدين زنكي حتى ولايته الموصل سنة ٥٢١هـ / ١١٢٧م
- عماد الدين زنكي وبعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين .
- عماد الدين زنكي والصليبيون حتى قبيل سقوط الرها ( ٥٢١-٥٣٨هـ / ١١٢٧-١١٤٣م ) .
- استيلاء عماد الدين على إمارة الرها الصليبية سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م

الفصل الرابع : الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر نورالدين

- محمود ( ٥٤١-٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٣م ) ٤١٨-٣٠٥
- تربية ونشأة نورالدين محمود في انروعضوالجهاد الاسلامي .
- نورالدين محمود والحملة الصليبية الثانية ٥٤٣هـ / ١١٤٨م
- جهاد نورالدين محمود ضد الصليبيين بعد فشل الحملة الصليبية الثانية ( ٥٤٣-٥٦٥هـ / ١١٤٨ - ١١٦٩م ) .
- نورالدين محمود وتوحيد القوى الاسلامية في الشام والجزيرة .
- استيلاء نورالدين محمود على مصر ووضع الصليبيين بين شقي الرمح ( ٥٥٩-٥٦٩هـ / ١١٦٣-١١٧٣م ) .

٤٢٦-٤١٩ ..... الخاتمة

٤٤٣-٤٢٧ ..... الملاحق

٤٦٢-٤٤٥ ..... المصادر والمراجع

المقدمة

## المقدمة

### دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وبعد . فان الامة الاسلامية قد ابتليت بكثير من الاعداء منذ ظهور الدعوة الاسلامية الى يومنا هذا ، ففى أوائل القرن الخامس الهجرى أو آخر القرن الحادى عشر الميلادى تيسر لجحافل الصليبيين الذين خرجوا من اورها غزوبلاد الشام والجزيرة ، وتأسيس أرمـع امارات صليبية فى قلب العالم الاسلامى فى غمرة الضعف والتفكك الذى أصاب المسلمين نتيجة انصرافهم عن واجب الجهاد الاسلامى ، ودخولهم فى منازعات طائفية ومذهبية . وعلى الرغم من هذا فقد رفع المسلمون - بعد فوات الاوان - راية الجهاد عالية لتطهير البلاد الاسلامية من دنس هؤلاء الصليبيين .

ولما كانت البلاد الاسلامية قد انقسمت وقتذاك الى عدد من الامارات والديلات الصغيرة ، والتي كانت تستظل بظل الخلافتين العباسية فى بغداد والفاطمية فى القاهرة ، فقد مرت الدعوة الى الجهاد الاسلامى بعد قمر احل ، بدأت سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م بمحاولة كربوقا صاحب الموصل منع سقوط أنطاكية بيـد الصليبيين ثم تلتها محاولات من زعماء منطقة الجزيرة وبلاد الشام ، حتى تمكن عماد الدين زنكى سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م من استرداد الرها أولى الامارات الصليبية فى المشرق الاسلامى ، بعد مرور أكثر من تسعة وأربعين عاما على استيلاء الصليبيين عليها .

وقد جاءت أهمية موضوع الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى عصر الاسرة الزنكية من ناحيتين : الاولى انها تلقى الاضواء على الجهود الجبارة التى بذلها مؤسس الاسرة الزنكية عماد الدين فى سبيل توحيد قوى الشام والجزيرة للوقوف فى وجه الصليبيين ، تلك الجهود التى أثمرت عن استرداد الرها من الصليبيين ،

وكذلك اجهود ابنه نور الدين محمود الذى نجح فى تضيق الخناق على الصليبيين وحصرهم فى المنطقة الجبلية الواقعة الى الغرب من الاردن بعد فشل الحملة الصليبية الثانية ، ثم ما صاحب ذلك من اثاره الحاس فى نفوس المسلمين لقتال الصليبيين والتمكن منهم . ومن ناحية ثانية جاءت أهمية موضوع الرسالة من أن العالم الاسلامي يمر فى الوقت الحاضر بما يشبه الفترة التى أعقبت دخول الصليبيين الى بلاد الشام والجزيرة من تعدد للقوى واختلاف فى الاراء والاهداف . فما أوج الامة الاسلامية الى احياء فكرة الجهاد الاسلامي ضد صليبي القرن العشرين الذين طردوا العرب من فلسطين وسيطروا على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وقد اعتمدت الرسالة على مصادر أصلية منها كتاب ذيل تاريخ دمشق لمؤلفه أبى يعلى حمزة بن على بن أسد التميمي المعروف بابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٠ هـ / ١١٦٠ م . وينتسب ابن القلانسي الى احدى الاسر العربية فى دمشق وكمعظم معاصريه تلقى ابن القلانسي تعليما جيدا فى الأدب والفقه والشريعة (١) . وشغل ابن القلانسي العديد من الاعمال الادارية فى دولة ظهير الدين طغتكين وخلقائه بدمشق ، حتى أصبح مسئولاً بديوان الرسائل . وقد أتاح له هذا المنصب الاطلاع على كثير من أسرار السياسة عن طريق الوثائق المحفوظة بهذا الديوان . (٢)

جعل ابن القلانسي كتابه ذيل تاريخ دمشق ، ذيل على كتاب المؤرخ المشهور

( ١ ) Gibb, Damascus Chronicle of the Crusades, p.p. 7-8.

( ٢ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٣ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

هلال الصابى الذى ينتهى بحوادث سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ، ومن الملاحظ  
أن تاريخ ابن القلانسى لم يقتصر على تاريخ مدينة دمشق بل عالج فيه كثيرا من  
الحوادث السياسية التى وقعت فى الشام والعراق والجزيرة ومصر ، ولكنه  
عالجها بصورة مقتضبة (١) . هذا فضلا عن اهتمامه بأحوال الامارات الصليبية  
فى بلاد الشام وما كان بينها وبين القوى الاسلامية فى الموصل وحلب من نزاع  
مستمر (٢) . وقد أفاد البحث من كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى عند  
دراسة تفكك وحدة السلاجقة فى الشام عقب وفاة تاج الدولة تتش سنة ٤٨٨ هـ /  
١٠٩٥ م ، وقيام النزاع بين ولديه رضوان فى حلب ودقاق فى دمشق ذلك  
النزاع الذى لم يقف عند حد الخصومة الشخصية بينهما ، وانما تعداها الى  
أن هذا النزاع اصبح نزاعا بين حلب ودمشق وما سببه هذا النزاع من أثر فى نجاح  
الحملة الصليبية الاولى (٣) . واستفاد البحث من تاريخ ابن القلانسى ايضا  
عند الحديث عن بعث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين والجهود التى  
بذلها طغتكين فى الانضمام الى زعماء منطقة الجزيرة كمودود سنة ٥٠٧ هـ /  
١١١٣ م ، ونجم الدين ايلغازى سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م (٤) .

ولم تنف فائدة ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى عند هذا الحد بل أمدنا  
بمعلومات قيمة عن الجهود التى بذلها فخر الملك بن عمار صاحب  
طرابلس فى الدفاع عنها ومنعها من السقوط بيد الصليبيين ، وما قام به من

( ١ ) انظر ابن القلانسى ، ص ٨٦ ، ٢٦٣ .

( ٢ ) Gibb, op.cit, p.p. 10-11.

( ٣ ) انظر ابن القلانسى ، ص ١٣٠-١٣٢ .

( ٤ ) انظر مايلي ، ص

محاولة الاستعانة بالقوى الاسلامية كطلب المساعدة من ظهير الدين طفتكين صاحب دمشق ، وذهابه الى بغداد عاصمة الخلافة العباسية السنية لطلب المساعدة منها (١) . كما أمدا ابن القلانسي بمعلومات قيمة ونادرة عن فرقة الاسماعيلية والدور الذي قامت به في بلاد الشام وما أحدثته من فرقة بين صفوف المسلمين ، والعلاقات الوطيدة التي كانت بين زعماء هذه الفرقة والصليبيين (٢) .

وعند دراسة موضوع الجهاد الاسلامي في عصر عماد الدين زنكي أمدا ابن القلانسي بمعلومات قيمة عن الدور الكبير الذي قام به عماد الدين زنكي في سبيل توحيد القوى الاسلامية في بلاد الشام ، وما بذله من جهود جبارة في سبيل ضم دمشق الى حكمه (٣) . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فقد أمدا ابن القلانسي بمعلومات قيمة عن جهود عماد الدين ونائبه في حلب سواربن ايتكين ضد الصليبيين تلك الجهود التي أثمرت عن استرداد الرها من الصليبيين سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م وقد أفاد ابن القلانسي في الحديث عن هذا الحدث الهام ، وما ترتب عليه من نتائج هامة كان لها الاثر الكبير على الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين وكذلك عن الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م وفشلها في استرجاع الرها .

وأمدا ابن القلانسي البحث ايضا بمعلومات وافية عن جهود نور الدين محمود في سبيل توحيد بلاد الشام وضمها تحت لوائه مثل استيلائه على دمشق سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م (٤) .

- 
- ( ١ ) انظر ابن القلانسي ، ص ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦١ .  
 ( ٢ ) المصدر السابق ، ص ٢٢٠ - ٢٢٦ .  
 ( ٣ ) المصدر السابق ، ص ٢٧٠ - ٢٧٣ .  
 ( ٤ ) المصدر السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٩٩ .

ومن المصادر الاصلية التي أفاد منها البحث تاريخ العظيبي لمؤلفه  
 أبو عبد الله محمد الرئيس أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد التنوخي المعروف  
 بابن العظيبي الحلبي ، ولد سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م ومات بعد سنة  
 ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م (١) . وينتسب العظيبي الى أسرة تنوخية شاركة معظم  
 أفرادها في حوادث حلب السياسية ، بينما تولى هو التدريس في إحدى  
 المدارس بحلب ، في الوقت الذي لم يشغله ذلك عن طلب العلم . ولما أنس  
 العظيبي في نفسه القدرة على قرغ الشعر سافر الى دمشق وتعرف بها على  
 ابن عساكر صاحب كتاب تاريخ مدينة دمشق ، ثم سافر الى بغداد وتعرف  
 على السمعاني . وكان العظيبي من شعراء الارائقة ان أعجب بجهود بعض  
 زعماء هذه الاسرة وما بذلوه في جهاد الصليبيين ، كما مدح آقسنقر البرسقي  
 صاحب الموصل وحلب . ولم يقف العظيبي عند هذا الحد بل اتصل بعماد  
 الدين زنكي ومدحه بأشعار كثيرة (٢) .

وتاريخ العظيبي تاريخ عام مختصر سار فيه مؤلفه على طريقة الحوليات (٣) .

---

(١) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

(٢) انظر العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥١٣ هـ وسنة ٥٢٧ هـ ،  
 ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٥٥ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ،  
 ج ٦ ص ٨٠ .

(٣) نشر المستشرق كلود كاهن C. Cahen ، القسم الاخير  
 من كتاب العظيبي وهو يشمل حوادث السنوات ٤٥٥ - ٥٣٨ هـ في  
 المجلة الاسيوية Journal Asiatique Tome, cc XXX(1738)  
 p.p. 353-448.

، الحربي ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ١٩٤ ، شاكر مصطفى ، التاريخ  
 العربي والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

ورغم الاختصار الذى سلكه مؤلفه فقد احتوى على معلومات قيمة أفادت البحث فى بعض فصوله كالدور الذى قام به كل من جكرمش وسقمان بن أرتق سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م وهزيمتها للصليبيين فى حران ، وما قام به نجم الدين يلغازى سنة ٥١٣ هـ / ١١٩ م من هزيمة للصليبيين فى دانيت بالقرب من حلب (١) . كما أمد تاريخ العظمى البحث بمعلومات قيمة عند دراسة الدور الذى قام به عماد الدين زنكى فى بعث حركة الجهاد الاسلامى وقيامه بتوحيد الجبهة الاسلامية ، وعند دراسة العلاقات البيزنطية الصليبية زمن عماد الدين زنكى وما قام به عماد الدين زنكى ونائبه فى حلب سوار بن ايتكين من جهود جبارة فى صد الصليبيين عن شيزر سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م (٢) .

ولم تقتصر فائدة كتاب العظمى عند هذا الحد بل أمدنا بمعلومات طيبة عند الحديث عن جهاد نور الدين محمود ضد الصليبيين واستيلائه على دمشق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م (٣) . وعلى الرغم من فائدة تاريخ العظمى للبحث ، الا أن الاختصار الشديد فى المعلومات التى أوردها لا تنفى أحيانا بما يحتاجه البحث من التفصيل مما يضطر الباحث معه الى الرجوع الى مصادر اخرى قد يكون أصحابها قد اعتمدوا على تاريخ العظمى كابن العديم وابن الاثير . وإذا كان الحال هكذا فلا يستبعد ان يكون العظمى قد اختصر كتابه الذى بين أيدينا عن كتاب آخر مفقود هو اكبر حجما وأغزر مادة (٤) .

( ١ ) انظر مايلي ص

( ٢ ) انظر مايلي ص

( ٣ ) انظر مايلي ص

( ٤ ) انظر العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث السنوات ٥٣٣-٥٣٤ ، وعن اعتماد ابن العديم وابن الاثير على تاريخ العظمى ، انظر: ابن العديم ، بغية الطلب ج ٣ ، ورقة ٢٧١ ب ، ٢٩٠ أ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٥٥ .



ومن أهم المصادر التي أفاد منها البحث كتاب الاعتبار لمؤلفه أبوالمظفر مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الشيزرى . ولد سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م وتوفى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م . وكانت لاسامه اليد الطولى فى الادب والكتابة والشعر والفروسية . جمع اسامه الى الفروسيه حب المغامرة والصيد بالاضافة الى حبه فى العمل بالسياسة (١) .

عاش أسامة فى كنف اسرته العربية التي استطاعت الحفاظ على شيزر من السقوط بيد الصليبيين ، وصرف اسامه معظم ايام شبابه بشيزر خلال ايامه ابوالعساكر سلطان حيث جرت معظم الحوادث التي دونها اسامة بن منقذ فى مذكراته وهوشا هدى عيان (٢) . وفى سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م استوحش اسامة من عمه ابوالعساكر سلطان فغادر شيزر الى دمشق ومكث بها عدة سنوات فى كنف اسرة طفتكين والقائم على امر هذه الاسرة - وقتذاك - معين الدين أنر . ولما اشتهر به اسامة بن منقذ من البراعة فقد استطاع خلال اقامته بدمشق الاشتراك فى كثير من حوادث دمشق ، الا أن اقامته بدمشق لم تطل فقد غادرها فى سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م الى مصر حيث مكث بها فترة من الزمن

---

( ١ ) ابن ابيك الدوادارى ، درر التيجان و غرر تواريخ الزمان ، ورقة ١٦٥ ب ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ص ١٩٥ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠٧ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٢ ص ١٨٧-١٩٦ ، الاصفهاني ، خريدة القصر و جريد القصر ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ٤٩٧ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، مقدمة المحقق ، ص ر - ز .

( ٢ ) انظر اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٠٠ ، ١٢٦ .

استطلاع خلالها أن يكسب عطف حكام القاهرة الفاطميين ، الا أنه لم يلبس أن  
حاتت حوله الشبهات ففادر مصر الى الشام خوفا من القتل (١) .

وكتاب الاعتبار قل ان تجد ما يشبهه من كتب التاريخ في العصور الوسطى  
ان يتضمن خلاصة تجارب اسامة ، وكل ما صادفه في حياته من حوادث سواء منها  
ما كان في الصيد او السياسة أو النكتة مع تصوير رائع للحياة الاجتماعية والاقتصادية  
والعلمية وهي معلومات قل ان توجد في كتب التاريخ (٢) . وترجع أهمية  
كتاب الاعتبار لموضوع الرسالة ان مؤلفه كان شاهد عيان لكثير من حوادث بلاد  
الشام في الفترة التي تضمنها موضوع البحث بالاضافة الى أن مؤلفه كان قد  
اشترك في صنع كثير من الحوادث السياسية سواء منها ما حدث في بلاد الشام  
او الجزيرة او مصر (٣) .

وقد أفاد البحث من كتاب الاعتبار عند دراسة علاقة امارة شيزر ببقية  
القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة . وأمدنا اسامة بن منقذ ايضا بمعلومات  
كان لها الفائدة في معرفة ما كان بين أمراء شيزر وبين الصليبيين من علاقات حملت  
زعما بني منقذ على القيام بدور الوساطة بشأن اطلاق سراح بلدوين الثاني ملك  
بيت المقدس من أسر زعماء حلب سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م (٤) .

- 
- (١) انظر اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٤ ، ٦ ، ٣٥ ، العريني ، مؤرخو  
الحروب الصليبية ، ص ١٩٦ .  
(٢) انظر العريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ١٩٦ ، شاركر مصطفى  
التاريخ العربي والمؤرخون ، ج ٢ ص ٢٤٤ .  
(٣) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٠ - ٣٠ .  
(٤) انظر ابن العديم ، زبدة الحاد ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، انظر طيلو ص

وعند الحديث عن بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قيسل  
 عماد الدين زنكي فقد زودنا اسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار بمعلومات في غاية  
 الاهمية عن دوره مع ابوالعساكر سلطان بن منقذ في الوقوف الى جانب شرف الدولة  
 مودود صاحب الموصل وظهير الدين طغتكين صاحب دمشق سنة ( ٥٠٦-٥٠٧ هـ  
 / ١١١٢-١١١٣ م ) (١) . ولم تقتصر فائدة كتاب اسامة بن منقذ عند هذا الحد  
 بل أمدنا بمعلومات عن محاولات عماد الدين في الاستيلاء على دمشق وضمها  
 الى حوزته ، ولم يقف أسامة عند حد ذكر ذلك بل كان له دور بارز في الوقوف  
 الى جانب حكام دمشق لمنع عماد الدين من الاستيلاء على دمشق (٢) .

وعند دراسة موضوع الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر نور الدين  
 محمود وما صاحب تلك الفترة من تقلب للاوضاع السياسية في مصر ، أمدنا أسامة  
 ابن منقذ بمعلومات ذات أهمية في معرفة ضعف الخلافة الفاطمية ، وبصورة عفوية  
 أوضح أسامة دوره في تلك الحوادث التي أدت الى خروج عسقلان آخر المعادل  
 الفاطمية في بلاد الشام الى الصليبيين سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م (٣) .

أما أوجه القصور في كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ فهو عدم مراعاة مؤلفه  
 للترتيب الزمني وعدم اخضاع معلوماته لاي ضابط او سلطان ، بالإضافة الى أنه  
 من الصعب على الباحث استخراج المادة التاريخية دون عناء ومشقة ، وهذا راجع  
 الى أن أسامة لم يدون هذه المذكرات للتأريخ في حد ذاته (٤) .

---

( ١ ) انظر مايلي ص

( ٢ ) انظر مايلي ص

( ٣ ) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٠-١٦ ، وانظر مايلي ص

( ٤ ) انظر اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٩٠ ، ٩٣ ، العريني ، مؤرخو الحروب  
 الصليبية ، ص ١٩٦ .

ومن المصادر الهامة لموضوع الرسالة كتاب المنتظم في تواريخ الملوك والامم لابن الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد المشهور بابن الجوزي . ولد ببغداد سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م وتوفي سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م . ويعتبر ابن الجوزي من كبار العلماء المسلمين ، صنف تصانيف كثيرة في شتى انواع العلوم كالتفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد ، والطب ، والفلك ، والتاريخ وغير ذلك ، وتصانيفه في التاريخ تعد بالعشرات من المؤلفات (١) .

وكتاب المنتظم في تواريخ الملوك والامم كتاب تاريخ اسلامي عام على نظام الحوليات ، يقع في عشرة مجلدات النصف الاول منها لا يزال مخطوط ، بينما طبع النصف الاخير الذي يتناول التاريخ العباسي . ولا تظهر في كتاب ابن الجوزي علامات الشمولية لتاريخ البلاد الاسلامية ، بل تظهر جهوده واضحة في تاريخ بغداد وكل ماله صلة بالخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية (٢) .

ولما كانت عناية ابن الجوزي قد تركزت على تاريخ بغداد ، فقد اُمدنا بمعلومات قيمة عند الحديث عن الخلافة العباسية ودورها في جهاد الصليبيين حيث أفاد البحث ما ذكره ابن الجوزي عن السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية ، وانشغال الخلافة العباسية بفتنة ديبس بن صدقة سنتي ٥١٤ - ٥١٧ هـ / ١١٢٠ - ١١٢٣ م ما أدى الى اضعاف الخلافة العباسية والحيلولة دون قيام الخلافة بواجبها في جهاد الصليبيين (٣) . واستفاد البحث أيضا

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ص ١٤٠-١٤٣ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ١٧٤-١٧٥ ، شاکر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون

ج ٢ ص ١٠٨ .

(٢) انظر شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج ٢ ص ١٠٨-١٠٩ .

(٣) انظر مايلي ص

من كتاب المنتظم عند دراسة دور الخليفة المسترشد بالله في النهوض بأمر الخلافة العباسية ومحاولة التخلص من سيطرة السلاجقة الى أن راح ضحية طموحاته سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م (١) . وعند دراسة موضوع بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قبل عماد الدين زنكي أمدا ابن الجوزي بمعلومات هامة عن علاقة بعض زعماء منطقة الجزيرة بالسلطنة السلجوقية وما كان لها من أثر كبير في تشجيع هؤلاء الزعماء كشرف الدولة مودود وأقسنقر البرسقي (٢) . وأفاد البحث أيضا من كتاب المنتظم لابن الجوزي عند تتبع خطوات عماد الدين زنكي قبل وصوله الى ولاية الموصل (٣) .

ومن المصادر الهامة التي أفادت البحث مؤلفات العماد الاصفهاني وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله الاصفهاني المعروف بالعماد الكتاب ، ولد العماد الكاتب سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م بأصبهان ونشأ بها في أسرة عريقة ، ولى أكثر أفرادها وظائف هامة في الدولة السلجوقية والخلافة العباسية . قدم الى بغداد سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ودرس في المدرسة النظامية على أساتذتها حتى بدع في نظم الشعر والادب وصناعة الكتابة ، ثم عمل في بعض وظائف الخلافة العباسية كالنظر في واسط والبصرة سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م (٤) ثم مالبت العماد أن ينتقل الى دمشق زمن نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م ، وهناك تعرف على صلاح الدين الايوبي ومكث بدمشق حتى وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ، عاد بعدها الى بغداد .

( ١ ) انظر مايلي ص

( ٢ ) انظر مايلي ، ص

( ٣ ) انظر مايلي ، ص

( ٤ ) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٤٨ ، السبكي ، طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٧٨ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ص ١٧٨ ، العريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٣٧ .

ولكنه لم يطل المقام بها حيث عاد الى الشام حين سمع بقدم صلاح الدين اليها من مصر سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م . وفي دمشق التقى بالقاضي الفاضل ، فقدّمه لصلاح الدين وظل ملازماً له في سفره وحضره حتى توفي صلاح الدين الايوبي ، ثم استقر بدمشق حتى وفاته سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م (١) .

وللعلماء مؤلفات تاريخية منها البرق الشامى وقد اختصره الفتح بن على البندارى من مؤرخى القرن السابع الهجرى وسماه سنا البرق الشامى ، استهل العمام حديثه في هذا الكتاب بالحديث عن نفسه وتاريخ حياته ونشأته وشىء من سيرة نور الدين محمود بن زنكى واتصاله به (٢) . ومن مؤلفات العمام الاصفهانى تاريخ دولة آل سلجوق اختصار الفتح بن على البندارى ، وهو المصدر الذى استفاد منه البحث رغم اعتماد الاصفهانى فيه على الكثير من المحسنات البدعية واللفظية . وهذا الكتاب عن تاريخ دولة آل سلجوق ووزرائها ابتداءً العمام بالحديث عن أصل السلاجقة ، ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ثم تعرض للكثير من تواريخ السلاجقة وعلاقتهم بالخلافة العباسية ، بالاضافة الى الحديث عن وزراء دولة السلاجقة (٣) . وتتركز اهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه عاصر جزءاً من الفترة التاريخية التى يشملها البحث مع التركيز على تاريخ السلاجقة

- 
- ( ١ ) العمرى ، مسالك الابصار ، ج ٧ ، ورقة ٣٧٢ أ ب ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ٨ ق ١ ص ٣٢٩ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٤٩ ، العرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٣٧-٢٤٠ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى ، والمؤرخون ، ج ٢ ص ٢٤٦-٢٤٧ .
- ( ٢ ) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٥٠ ، العرينى ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٤٣ .
- ( ٣ ) انظر العمام الاصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ٥ ، ٧ ، ١٢ ، ٨٢ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى ، والمؤرخون ج ٢ ص ٢٤٦-٢٤٧ .

الذين لعبوا دورا بارزا في عصر الحروب الصليبية . وأمد هذا الكتاب البحث بمعلومات قيمة عند الحديث عن الخلافة العباسية والدولة السلجوقية ، إذ أوضح العماد مدى سيطرة السلاجقة على الخلافة العباسية ودور إمارة بني مزيد في الحلة في تعزيز صفو الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية (١) . ومن أوجه القصور في هذا الكتاب أن العماد ركز اهتمامه على تاريخ السلاجقة ، ولم يسهب فيه بمزيد من التفصيل عن الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين مثلما فعل في كتابيه الفتح القسي في الفتح القدسي ، والبرق الشامي .

ويأتى كتاب الكامل في التاريخ ، وكتاب التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية لابن الاثير الجزري ( ٥٥٥ - ٦٣٠ هـ / ١١٦٠ - ١٢٣٢ م ) في مقدمة المصادر الاصلية من حيث أهميتها لموضوع الرسالة . وابن الاثير هو عمز الدين ابوالحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر الواقعة في شمال العراق . نشأ ابن الاثير في كنف الزنكيين حيث كان يعمل والده في خدمة عماد الدين زنكي ، حظى بمكانة سامية بالموصل طرف الزنكيين . وقد تتلمذ ابن الاثير على أشهر علماء عصره ورحل كثيرا في طلب العلم . وقد شغف بحب التاريخ وكتب فيه كتباً عديدة جعلته يقف في مصاف كبار المؤرخين المسلمين (٢) .

---

( ١ ) انظر مايلي ، ص

( ٢ ) انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٣٤٨ - ٣٥٠ ، السبكسي ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ٢٩٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ ، سعيد عاشور ، دراسة حول الكامل لابن الاثير في كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٣٩٣ - ٣٩٤ .

وكتاب الكامل في التاريخ يعتبر بحق من أهم كتب التاريخ الاسلامي العام ألفه ابن الاثير على طريقة الحوليات . ابتدأ فيه بأول الزمان وانتهى عند آخر سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م . وقد اوضح ابن الاثير في مقدمة كتابه الكامل الحاضر الذي دفعه الى تأليفه ، وهو أنه تفحص معظم مؤلفات المؤرخين المسلمين فوجدها غير متناسقة فهي اما ان تكون تاريخا محليا مع اهمال اخبار البلاد الاخرى ، واما ان تكون تاريخا عاما ، بيد ان اصحابها شغلوا بتوافه الامور عن كثير من الحوادث الهامة ، او قيام المؤرخ اذا كان شرقيا بالتركيز على اخبار المشرق والاختصار المخل عند الحديث عن اخبار الغرب والعكس بالعكس (١) .

تحرى ابن الاثير في كتابه الكامل الدقة والحقيقة فيط كتب فضلا عن التزامه بتماسك المعلومات وسلامة الاسلوب ، وقد تجنب الاسهاب وكثرة الروايات والاسانيد . كما راعى في كتابه الكامل التوازن في اخبار اقاليم العالم الاسلامي فلم يدع اخبار اقليم تطغى على اقليم آخر . ولم تقف اهمية كتاب الكامل لابن الاثير عند هذا الحد بل تتضح اهمية الكتاب في ان مؤلفه قد اعتمد في جمع مادة كتابه على اصدق المصادر وأوثق الكتب كالطبري وابن القلانسي والعثيمين والعماد الكاتب وغيرهم من المؤرخين ، بالاضافة الى انه قد توافر لابن الاثير كثيرا من المادة التاريخية التي أفاد منها في كتابيه الكامل والباهر ، بفضل صلته الوثيقة بالادارة في الموصل ، ومفضل اسفاره العديدة في طلب العلم والاضطلاع بمهام سياسية رسمية من قبل الزنكيين في الموصل ، يضاف الى ذلك ما كان لاخويته

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ، ص ٢-٥ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، العربي ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ص ٢٠٦ .



مجد الدين ونبياء الدين من مكانة في الموصل ودمشق (١) .

وقد استفاد البحث من كتاب الكامل لابن الاثير في دراسة القوى الاسلامية في بلاد الشرق الاسلامي قبل قيام الاسرة الزنكية ، ان أمدا ابن الاثير بمعلومات في غاية الاهمية وخاصة فيما يتعلق بتفكك وحدة السلاجقة والخلاف الذي د ب بين افراد البيت السلجوقي في اعقاب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، ثم في دراسة النزاع الذي قام بين ابناء تاج الدولة تتشعقب وفاته سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م واثرت ذلك النزاع على نجاح الحملة الصليبية الاولى (٢) . وعند الحديث عن بحث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قبيل قيام الاسرة الزنكية أمدا ابن الاثير بكثير من المعلومات عن ضعف الخلافة العباسية الامر الذي جعلها غير قادرة على الاستجابة لصرخات الاستغاثة التي انطلقت تنادى من حكام بلاد الشام خصوصا بعد سقوط بيت المقدس في ايدي الصليبيين سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ، واثناء حصار الصليبيين لطرابلس سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م ومضايقتهم لحلب سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م وسنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م (٣) . كما أمدا ابن الاثير بمعلومات هامة عن الجهود التي بذلها زعماء اقليم الجزيرة امثال كربوقا وجكرمش وسقمان بن ارتق وما بذلوه في سبيل صد الصليبيين ومنعهم من التوسع على حساب المسلمين سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م ، وسنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م والمحاولات التي قام بها شرف الدولة مودود صاحب الموصل للاستيلاء على الرها ومقارعة للصليبيين في وسط بلاد الشام ، والتحالف الذي تم بينه وبين ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق . وانفرد ابن الاثير

(١) الحريزي ، مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، سعيد عاشور ، دراسة

حول كتاب الكامل لابن الاثير ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

(٢) انظر مايلي ، ص

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، حوادث السنوات ٤٩٢ هـ ، ٥٠١ هـ ، ٥٠٤ هـ

٥١٣ هـ . وانظر مايلي ص

بمعلومات وافية أفادت البحث عند دراسة جهود نجم الدين ايلغازى فى مارد بين وحلب وآسنقر البرسقى فى الموصل وحلب ، وملك بن بهرام فى الجهاد ضد الصليبيين قبيل قيام الاسرة الزنكية (١) .

أما عن عماد الدين زنكى وجهاده ضد الصليبيين فيعتبر كتاب الكامل لابن الاثير المصدر الاساسى الذى اعتمد عليه معظم المؤرخين المسلمين عند الحديث عن عماد الدين نظرا لان ابن الاثير اعتمد على والده الذى كان مرافقا لعماد الدين زنكى . وقد استفاد البحث من معلومات ابن الاثير عند دراسة عماد الدين زنكى وعلاقته بزعماء اقليم الجزيرة قبل تأسيس امارته فى الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، وجهوده فى سبيل توحيد الجبهة الاسلامية سواء فى بلاد الشام والجزيرة ، وما قام به من جهود فى جهاد الصليبيين وتتويج تلك الجهود والاعمال البطولية باسترداد اول امارة صليبية تأسست فى المشرق الاسلامى ، ألا وهى امارة الرها سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م .<sup>(٢)</sup> وورد ابن الاثير فى كتابه الكامل معلومات هامة أفادت البحث عند دراسة جهود نور الدين محمود فى سبيل استكمال توحيد الجبهة الاسلامية وحمل راية الجهاد ضد الصليبيين فى بلاد الشام والجزيرة وفى المحاولات التى انتهت باستيلائه على مصر من الفاطميين سنة ٥٦٢ هـ / ١١٧١ م ووضع الصليبيين بين شقى الرعى (٣) .

أما كتاب التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية لابن الاثير فلا يقل أهمية عن تاريخ الكامل ، غير أن مؤلفه قد خصصه لتاريخ الاسرة الزنكية ، وذكر ابن الاثير انه استقى معظم مادة هذا الكتاب عن والده حيث يقول " ونقلت

( ١ ) انظر ما يلى ، ص

( ٢ ) انظر ما يلى ، ص

( ٣ ) انظر ما يلى ، ص

أكثره عن والدي رحمه الله تعالى ، فانه كان راوية حسناتهم وعين الخبر  
بحركاتهم وسكناتهم " (١) . وقد قدم ابن الاثير كتابه الباهر بمقدمة اوضح  
فيها علاقة اسرته الوثيقة بالاسرة الزنكية ، ثم ذكر سبب تأليفه الكتاب ، وسرد  
أخبار قسيم الدولة آقسنقر والد عماد الدين حتى مقتله سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ،  
وانتقل بعد ذلك الى شرح دور عماد الدين زنكي وجهاده ضد الصليبيين حتى  
وفاته سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م ، والانقسام الذي حدث بين ولديه سيف الدين  
غازي ونور الدين محمود ، واستيلاء الاخير على حلب وجهاده ضد الصليبيين ،  
ثم تناول بعد ذلك بعض أخبار بقية الاسرة الزنكية في الموصول (٢) .

ومما يؤخذ على ابن الاثير في كتابه التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية  
انه لم يلتزم بالموضوعية في تناوله لأخبار الزنكيين ، مثلما فعله في كتابه الكامل  
فهو يحابي امراء الزنكيين ويحايلهم بالكثير من المدح والاطراء ، ولا يلزم جانب  
الحياة . وقد أفاد البحث من كتاب التاريخ الباهر لابن الاثير عند دراسة  
تفكك وحدة السلاجقة في بلاد الشام عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ /  
١٠٩٢م ، والنزاع الذي قام بين تاج الدولة ولفقتش واقسنقر قسيم الدولة والدة عماد الدين  
زنكي ذلك النزاع الذي انتهى باستشهاد آقسنقر سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م (٣) .  
كما أفاد البحث من كتاب التاريخ الباهر عند دراسة جهاد عماد الدين  
زنكي ضد الصليبيين ، وتربيته العسكرية في كنف زعماء بحث فكرة الجهاد  
الاسلامي ضد الصليبيين في اقليم الجزيرة ، وعلاقته بالخلافة العباسية والسلطنة  
السلجوقية وفي جهوده لتوحيد الجبهة الاسلامية (٤) . وأمد التاريخ الباهر

(١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣ .

(٢) انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، مقدمة المحقق ، ص ١٥-١٦ .

(٣) انظر طايلى ، ص

(٤) انظر طايلى ، ص

البحث بمعلومات تاريخية قيمة عند دراسة جهود نور الدين محمود زنكى فى استكمال توحيد الجبهة الاسلاميه واستيلائه على دمشق سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م وما بذله من جهود فى محاولة منع الصليبيين من الاستيلاء على مصر تلك الجهود التى اثمرت عن دخول مصر فى طاعة نور الدين محمود سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، فقطع بذلك الامل على الصليبيين فى الوصول اليها بعد القضاء على خلافة الفاطميين بها (١) .

ومن المصادر التاريخية الاساسية لموضوع الرسالة كتاب زبدة الحلب فى تاريخ حلب لمؤلفه المؤرخ المشهور ابوالقاسم كمال الدين عمر بن احمد بن هبة الله المعروف باسم ابن العديم من بنى ابي جراد العقيليين . ولد سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م وتوفى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م ، وابن العديم من اسرة مشهورة فى حلب اشتغل اكثر افرادها بالعلم والفقه والقضاء ، وكان قد نشأ وتعلم فى حلب على يد والده وكثير من علماء حلب ، وصحب والده الى دمشق وميقت المقدس والعراق والحجاز وغيرها من البلاد الاسلامية ، التقى خلال رحلاته بالعديد من علماء عصره ، مثل ياقوت الحموى ، وابن خلكان ، والقفطى ، وابن شداد (٢) .

كتب ابن العديم العديد من المؤلفات التاريخية يأتى فى مقدمتها كتاب بغية الطلب فى تاريخ حلب ، ترجم فيه للعديد من الاشخاص الذين كانت لهم

---

( ١ ) انظر مايلى ، ص

( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، مقدمة المحقق ، ص ٣٠٨-٣٠٩ ، شاکر

٥ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ ، شاکر

مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

علاقة بحلب من الساسة والعلماء والقادة وغيرهم (١) . أما كتاب زبدة الحلب في تاريخ حلب فيقع في ثلاثة أجزاء ، اختصره ابن العديم عن كتابه بغية الألب ورتبه على حوادث السنين ، وجعله ابن العديم خاصا بالتاريخ السياسي لحلب ، حيث بدأه بالحديث عن تسمية حلب وتاريخ بنائها منذ زمن الرومان حتى ظهور الاسلام ودخولها في طاعة المسلمين ، وتتبع تاريخ حلب منذ ذلك الحين حتى سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م (٢) .

وكتاب زيد قال حلب في تاريخ حلب لابن العديم مصدر أساس لموضوع الرسالة خصوصا عند دراسة الحوادث ذات الصلة بتاريخ حلب وشمال الشام كالنزاع الذي قام بين رضوان ودقاق ابني تتش ، وما نتج عنه من تنازع بين قادة الأتراك السلاجقة وظهور فرقة الاسماعيلية واستيطانهم بحلب في زمن رضوان (٣) . كما امدنا ابن العديم بمعلومات قيمة عن دور كل من نجم الدين ايلغازي وآقسنقر البرسقي وهلك بن بهرام في جهاد الصليبيين (٤) .

كما استفاد البحث فائدة كبيرة من المعلومات التاريخية التي ذكرها ابن العديم في كتابه زبدة الحلب عن سياسة عماد الدين زنكي في بلاد الشام والجزيرة منذ استيلائه على حلب سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م (٥) .

( ١ ) لا يزال كتابه بغية الألب مخطوطا ، يوجد منه عشرة مجلدات محفوظة في مكتبات استامبول ثمانى مجلدات منه في مكتبة حمد الثالث تحت الرقم

٠ ٢٩٢٥

( ٢ ) انظر شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ج ٢ ص ٢٦٦ .

( ٣ ) انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٢٧ ، انظر طايلى ص

( ٤ ) انظر طايلى ، ص

( ٥ ) انظر على سبيل المثال طايلى ، ص

وهناك مجموعة من المؤلفات التاريخية المتأخرة ، أفاد منها الباحث في بعض جوانبه مثل كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لمؤلفه شهاب الدين عبدالرحمن بن ابراهيم المقدسى المسمى المشقى المعروف بابن شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م . ويعتبر ابوشامة من كبار الفقهاء والمحدثين ، له باع طويل في علم القراءة والنحو واللغة والخط . بالإضافة الى التاريخ (١) ، وخصص أبوشامة كتابه لدراسة اخبار الدولتين ، دولة نورالدين محمود ، وصلاح الدين الايوبي . وقد جمع ابوشامة في كتابه هذا مجموعة كبيرة من النصوص التي أخذها من مصادر موثوق بها بعضها فقد مثل مؤلفات ابن ابي طي وأبى شداد والعماد الاصفهاني وابن الاثير وغيرهم (٢) .

وقد أمدنا كتاب الروضتين لابن شامة بمعلومات قيمة عند دراسة دور عماد الدين زنكي في الجهاد ضد الصليبيين ومحاولة توحيد قوى الشام والجزيرة بالإضافة الى معلومات غاية في الاهمية عن استيلاء نورالدين محمود على دمشق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ، وقضائه على الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م (٣) .

ومن المصادر المتأخرة التي أفاد منها البحث كتاب مرآة الزمان لابن المنظر شمس الدين يوسف بن قزاوغلو بن عبدالله البغدادي المعروف بسبسط ابن الجوزي ، ولد سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م وتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م ، وهو سبط الحافظ ابن الجوزي صاحب المنتظم . نشأ سبط ابن الجوزي فسطحاً

( ١ ) انظر السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٨ ، ص ١٦٧-١٦٨ ، ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٢٤ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ج ٢ ص ٢٦٦-٢٦٧ ، احمد احمد بدوي ، الحياة العقلية في عصر العروب الصليبية بمصر والشام ، ص ٢٧٥-٢٧٦ .

( ٢ ) انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤٦٥ ، ٤٧١ ، ٤٨٨ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

( ٣ ) انظر مايلي ، ص

بغداد وتنقل في العديد من البلاد بعد وفاة جده الجافظ سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م حيث رحل الى الموصل ثم الى دمشق حيث استقر بها مع القيسام بزيارات قصيرة لبعض البلدان كصر والحجاز . وفي دمشق اشتغل بالوعظ والارشاد فتبحر في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ (١) .

وكتاب مرآة الزمان في تاريخ الاعيان لسبط ابن الجوزي تاريخ عام ترتيبه مؤلفه على نظام الحوليات (٢) . وقد أفاد البحث من كتاب مرآة الزمان عند دراسة نهاية الامارات العربية في بلاد الشام والجزيرة ، وفي معرفة العلاقات بين امارة بنى مزيد في الحلة والخلافة العباسية (٣) . كما أمدنا سبط ابن الجوزي بمعلومات طيبة عند دراسة النزاع بين رضوان ودقاق ابنى تنش، وعن فرقة الاسماعيلية ودورها في اضعاف الجبهة الاسلامية التي قامت لمواجهة الصليبيين في اقليم الجزيرة وبلاد الشام . ولم تتوقف فائدة كتاب مرآة الزمان عند هذا الحد بل أمدنا بمعلومات هامة عن عماد الدين زنكى وعلاقته بالاراتقة في ماردين وحصن كيفا (٤) .

أما كتاب مفرج الحروب في اخبار بنى ايوب لمؤلفه جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن واصل الجموى الشافعى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ / ٢٩٨ م فقد بدأه ابن واصل بالحديث عن نسب بنى أيوب ثم دولتهم الدين

( ١ ) انظر ابوالمحاسن ، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، ج ٨ ، ورقة ١٤٤٢ .

( ٢ ) توجد نسخة كاملة من كتاب سبط ابن الجوزي في مكتبة احمد الثالث باستانبول تحت رقم ٢٩٠٧ . وقد طبع الجزء الثامن من هذا الكتاب في قسمين ، بحيدر اباد بالهند سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

( ٣ ) انظر مايلي ، ص

( ٤ ) انظر مايلي ، ص

زنكى وابنه نورالدين محمود ، وجهودهما فى توحيد الجبهة الاسلاميـــــة  
 وجهادهما ضد الصليبيين فى بلاد الشام والجزيرة ومصر (١) . وتتضح أهمية  
 كتاب مفرج الكروب فى تاريخ بنى ايوب لموضوع الرسالة فى ان ابن واصل أفرد  
 معظم الجزء الاول من كتابه للحديث عن الاسرة الزنكية ، حيث مهد للدولة  
 الاتاكية بالحديث عن قسيم الدولة آقسنقر والد عماد الدين زنكى واقطاعه فى  
 بلاد الشام زمنى السلطان ملكشاه . ثم سرد الحديث مفصلا عن عماد الدين  
 زنكى وابنيه نورالدين محمود فى حلب وبلاد الشام وسيف الدين غازى فى  
 الموصل واقليم الجزيرة .

وقد استفاد البحث من كتاب مفرج الكروب عند الحديث عن تفكك وحدة  
 السلاجقة ودور عماد الدين زنكى فى النزاع الذى قاهىن الخلافة العباسيـــــة  
 والسلطنة السلجوقية قبل ولاية عماد الدين زنكى للموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م (٢)  
 واستمد البحث من هذا الكتاب معلومات طيبة وجزيرة عن عماد الدين زنكى  
 وجهوده فى سبيل توحيد الجبهة الاسلامية وجهاده ضد الصليبيين . وعند  
 الحديث عن نورالدين محمود ودوره فى استكمال توحيد الجبهة الاسلاميـــــة  
 وجهاده ضد الصليبيين امدنا كتاب مفرج الكروب بمعلومات مستفيضة عن  
 التسابق بين نورالدين محمود والصليبيين للاستيلاء على مصر والذى انتهى  
 بنجاح نورالدين محمود فى الاستيلاء على مصر والقضاء على خلافة الفاطميـــــين  
 بالقاهرة .

---

( ١ ) انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١ ، ١١٢ ، واحمد بدوى ،  
 الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ص ٢٨١ .  
 ( ٢ ) انظر مايلى ، ص



ومن المصادر المتأخرة التي اعتمد عليها البحث مؤلفات المؤرخ الكبير احمد بن علي المقریزی ( ٧٦٦-٨٤٥ هـ / ١٣٦٤-١٤٤٢ م ) . ولد المقریزی بحارة برجوان بالقاهرة ولقب بالمقریزی لانه ينتمى الى أسرة بعلبكیة كانت تعيش فى حارة المقارزة بمدينة بعلبك . وانصرف المقریزی منذ نعومة اظفاره الى دراسة علوم الدين وحفظ القرآن والنحو والفقه والتفسير والحديث والتاريخ وتتلذذ لبضع سنوات على يد المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون الذى وصل الى القاهرة سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م . اشتغل المقریزی بالتدريس وتدرج فى الوظائف حتى عينه السلطان برقوق سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م محتسبا للقاهرة (١) . وأهم كتب المقریزی التي أفاد منها البحث كتاب اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطمية الخلفاء ، وقد خصص المؤلف هذا الكتاب لتاريخ الدولة الفاطمية . وتتضح أهمية هذا الكتاب فى كون المقریزی أتى بخلاصة ما أورده المؤرخون الذين أرخوا للفاطميين ، ومعظم هذه الكتب ضاع مع الزمن ، ولم يصلنا منها شيئا الا بعض الاقتباسات التي أجهتها المقریزی فى كتابه هذا او فى كتبه الاخرى مثل الخطط ، ولم يكن المقریزی فى كتابه اتعاظ الحنفا ناقلا للنصوص بل كان يعتمد الى المقارنة والتحليل والنقد لاطهار الحقيقة (٢) .

وقد استفاد البحث من كتاب اتعاظ الحنفا عند معالجة موضوع ضعف النفوذ الفاطمى فى مصر وبلاد الشام ، وانحسار نفوذهم فى بلاد الشام عامة وبنو فلسطين خاصة ، وجهود الافضل بن بدر الجمالى فى صد خطر

---

( ١ ) السخاوى ، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ص ٢١-٢٢ .  
 ( ٢ ) انظر المقریزی ، اتعاظ الحنفا ، الجزء الاول ، مقدمة المحقق جمال الدين الشيال ، ص ٢٥-٣٠ .

الصلبيين عن معاقل الدولة الفاطمية في موانئ سواحل بلاد الشام وجنوب فلسطين (١) . كما أمدنا الكتاب بمعلومات قيمة عن انهيار النفوذ الفاطمي في مصر بسبب اشتداد النزاع بين الوزراء الفاطميين ، الامر الذي مكّن نور الدين محمود بن زنكي من استغلال هذا النزاع ، وسط نفوذه على مصر وإزالة الخلافة الفاطمية من مصر على يد قائده صلاح الدين الأيوبي . كما استفاد البحث من كتب المقرئى الأخرى كالخطط والسلوك في معرفة دول الملوك ، واثارة الامة بكشف الغمة ، والبيان والاعراب مما بأرض مصر من الأعراب .

وتتوى الرسالة على مقدمة وأربعة فصول ، وخاتمة . واقتصرت المقدمة على دراسة نقدية لاهم مصادر البحث . اما الفصل الاول وعنوانه القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة قبل قيام الاسرة الزنكية ، فقد ناقش في البداية تفكك وحدة السلاجقة ، عقب وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، عندما نشب النزاع بين امراء البيت السلجوقي ، مثل النزاع الذي نشب بين تاج الدولة تتش وابن أخيه بركياروق بن ملكشاه ، والذي كان من نتائجه تمزق وحدة السلاجقة في بلاد الشام وتفككها ، ودخول قادة السلاجقة في بلاد الشام في منازعات أدت الى ظهور قوى جديدة كان لها الاثر الكبير في نجاح الحملة الصليبية الاولى بما أحدثته من اشغال نار الفتنة بين سكان بلاد الشام . كما تحدث الفصل عن فرقة الاسماعيلية ودورها السياسي في عرقله زعماء المسلمين ، الذين اخذوا على عاتقهم مسئولية بحث فكرة حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين .

كما عالج الفصل الاول موضوع نهاية الامارات العربية في بلاد الشام والجزيرة والعراق . وبرهنت الدراسة على ان بعض هذه الامارات كانت على وشك السقوط على يد السلاجقة ، ان لم يكن بعضها قد سقط قبل وصول الصليبيين الى بلاد الشام كالمرداسيين في حلب ، ومنى عقيل في الموصل ، الامر الذى أدى الى احتدام الصراع بين امارة بنى مزيد في الحلة والسلاجقة ، بسبب السيطرة السلجوقية التى فرضت على العنصر العربى فى ذلك الوقت . والى هذا الفصل اضواء جديدة على هذه الامارة وخاصة المحاولات التى قام بها زعماء بنى مزيد للتخلص من السيطرة السلجوقية . ولما فشل السلاجقة فى التخلص من قوة بنى مزيد فى الحلة بذروا بذور الشك والريبة بين الخلافة العباسية وهذه الامارة مستغلين فى ذلك اختلاف المذهب بينهما . ونتيجة لذلك فقد دخل الطرفان فى نزاع شديد حال - على ما يبدو - دون قيام الخلافة العباسية بدورها المطلوب فى جهاد الصليبيين .

كما درس الفصل الاول ايضا احوال امارة بنى عمار فى طرابلس والدور الذى لعبته هذه الامارة فى تاريخ بلاد الشام السياسى والاجتماعى ، وخاصة وقوفها بفردىها فى وجه هجمات الصليبيين لمدة سبع سنوات حتى خرجت طرابلس الشام من حكم فخر الملك بن عمار سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م الى الفاطميين ، الامر الذى سهل سقوطها بيد الصليبيين سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م . وشرح الفصل الاول دور امارة بنى منقذ فى شيزر ، تلك الامارة التى استطاعت المحافظة على كيانها زمنا طويلا لا بسبب قوتها العسكرية فحسب ، وانما بسبب موقعها المنيح واتباع زعماء هذه الامارة المداينة مع الصليبيين والقوى الاسلامية الاخرى ، وعلى اية حال فقد قامت هذه الامارة بدور بارز فى حماية شيزر من الوقوع فى يد الصليبيين بالاضافة الى مد يد العون لبقية القوى الاسلامية التى تزعمت حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، كشراف الدولة مودود صاحب الموصل ، ونجم الدين

إيلغازى صاحب حلب وماردين .

أما الفصل الثانى وعنوانه الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين حتى قيام الاسرة الزنكية فى الموصل من ( ٤٩١ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٧ - ١١٢٧ م ) فتناول اول الحديث عن موقف الخلافة العباسية من حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وألقى الفصل الاضواء على ضعف الخلافة العباسية ووقوعها تحت سيطرة السلاجقة ودخولها فى نزاع حاد مع بنى مزيد فى الحلة ، الامر الذى انعكس على موقفها من سقوط بيت المقدس وعجزها عن الاستجابة لاستغاثات المسلمين الذين كانوا يأملون منها مد يد العون لهم فى بلاد الشام . ودرس الفصل أيضا محاولة الخليفة العباسى المسترشد بالله ( ٥١٢ هـ - ٥٢٩ هـ / ١١١٨ - ١١٣٤ م ) النهوض بأمر الخلافة العباسية وبعث حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين . وناقش الفصل الثانى ايضا موقف الخلافة الفاطمية من الغزو الصليبي لبلاد الشام وكيف ان الفاطميين لم يدركوا حقيقة نوايا الصليبيين ، الامر الذى دفع الوزير الافضل بن بدر الجمالى الى الاتصال بالصليبيين . ثم الدور الكبير والمشرف الذى بذله الافضل والمصريين للوقوف فى وجه الصليبيين ، عندما ارسل عدة حملات عسكرية حاول بها انقاذ ما يمكن انقاذه من معاقل الفاطميين فى بلاد الشام ، تلك المعاقل التى سقطت بيد الصليبيين . وهرنت الدراسة فى النهاية على عجز الافضل عن كبح جماح الصليبيين الذين جردوا الخلافة الفاطمية من معظم معاقلها فى بلاد الشام ، وعجز الخلافة الفاطمية عن مواجهة الصليبيين وحماية ماتبقى من معاقلها بالشام ، الامر الذى أدى الى سقوط صور بيد الصليبيين سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، وعسقلان سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م .

وعالج الفصل الثانى أيضا موضوع بعث حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين قبل قيام الاسرة الزنكية ، تلك الحركة التى انبعثت من منطقة الجزيرة ، وشرح

الفصل العوامل التي أدت الى انبعثت فكرة . حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين من منطقة الجزيرة ، كما أسهب في دراسة الادوار التي قام بها بعض زعماء منطقة الجزيرة في بعث حركة الجهاد . وكان على رأس أولئك الزعماء قوام الدولة كركوك صاحب الموصل الذي حاول سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م نجدة ياغى سيان في أنطاكية لمنع سقوطها بيد الصليبيين . غير ان الخلافات بين زعماء المسلمين وعدم وعيهم بحقيقة الحركة الصليبية أدت الى فشلهم في انقاذ أنطاكية من السقوط بيد الصليبيين .

وناقش الفصل الثاني أيضا الخطورة التي شكلتها امارة الرها الصليبية ومحاولة من بها من الصليبيين الاستعانة باخوانهم في بيت المقدس وانطاكية والاستيلاء على حران ، للانطلاق منها الى بقية منطقة الجزيرة والسيطرة على وادي الفرات . وقد شعر بهذا الخطر حاكم حران صاحب الموصل ، وسقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا ، فحشد الزعيمان التركمان قواتهما وانزلا بالصليبيين هزيمة ساحقة عند حران سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م . وتطرق الحديث في هذا الفصل عن شرف الدولة مودود بن التونتكين الذي خلف جكرمش في حكم الموصل ومحاولاته الطيبة في سبيل توحيد الجبهة الاسلامية في الشام والجزيرة فيما بين سنة ٥٠٣ - ٥٠٧ هـ ، حيث قام مودود بثلاث حملات الى بلاد الشام ، ألحق في احداها الهزيمة بالصليبيين في طبرية سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م . وحصل راية الجهاد من بعد مودود اثنان من زعماء منطقة الجزيرة ، هما نجم الدين ايلغازي ، وآقسنقر البرسقي . اما نجم الدين ايلغازي فقد استعان بظهير الدين طفتكين صاحب دمشق ، وانزل بالصليبيين هزيمة كبيرة قرب حلب سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م . وشرح الفصل الثاني أيضا دور آقسنقر البرسقي في حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، وأوضح الفصل انه على الرغم من انشغاله

بالنزع الذى نشب بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية من جهة ، وامارة بنى مزيد فى الحلة من جهة اخرى فانه قام بدور لا ينكر فى جهاد الصليبيين عند ما حاصروا مدينة حلب حصارا شديدا سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، وكادت أن تسقط فى ايديهم لولا خروج آقسنقر البرسقى على رأس قواته من الموصل لنجدة حلب ، مما جعل الصليبيين يتخلون عن حصارها وسهل لآقسنقر دخولها والاستيلاء عليها . فوحد بذلك قوات الجزيرة بالموصل مع قوات حلب وشمال الشام .

كما ألقى الفصل الثانى الضوء على الدور الذى لعبه بلك بن بهرام بن أرئق فى جهاد الصليبيين ان حاصر الرها وانزل بالصليبيين هزيمة عند سروج بالاضافة الى أسر ثلاثة من زعماء الصليبيين وما احدثه ذلك من خيبة أمل فى صفوف الصليبيين . وتعرض هذا الفصل ايضا لدور ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق ودوره فى انقاذ دمشق من السقوط بيد الصليبيين سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م والمساعدات التى قدمها للقوى الاسلامية فى بلاد الشام لمواجهة هجمات الصليبيين العنيفة ، ومد يد العون لزعماء منطقة الجزيرة بالاضافة الى وقوفه بجانب الفاطميين فى محاولة منع الصليبيين من الاستيلاء على مزيد من المعاقل الفاطمية على ساحل بلاد الشام وجنوب فلسطين .

أما الفصل الثالث وعنوانه الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى عصر عماد الدين زنكى ، فقد ألقى اولا الضوء على تربية عماد الدين زنكى العسكرية وملازمته لزعماء منطقة الجزيرة ابتداء بـ كرونا ، وجكرمش ، ومودود ، وآقسنقر البرسقى صاحب الموصل . ثم ناقش الفصل موضوع علاقة عماد الدين زنكى بالسلطنة السلجوقية والخلافة العباسية واشتراكه فى النزاع الذى قام بين الخليفة العباسى المسترشد

بالله والسلطان السلجوقى محمود بن محمد . وأوضحت الدراسة فى هذا الفصل وقوف عماد الدين زنكى الى جانب السلطان السلجوقى محمود بن محمد ضد ديبس بن صدقة ، وبرز شخصيته عماد الدين كقائد عسكرى يمكن الاعتماد عليه ، مما حدى بالسلطان السلجوقى محمود بن محمد الى تولية عماد الدين أمروا وسط والبصرة بالإضافة الى كونه شحنة لبغداد . وأفاد هذا الفصل فى الحديث عن مهارة عماد الدين زنكى وحنكته السياسية وبخاصة فى توطيد علاقته بالخليفة العباسى المسترشد بالله ، مما جعل الخليفة يقف الى جانب عماد الدين زنكى حتى تولى امر الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م .

كما درس الفصل الثالث الظروف التى كانت تحيط بالمسلمين فى بلاد الشام والجزيرة فى بداية عصر عماد الدين زنكى . وأسهب الفصل فى شرح جهود عماد الدين زنكى فى توحيد الجبهة الاسلامية قبل انغمسه فى حرب الصليبيين . وهرن هذا الفصل على أهمية المهادنة التى عقدها عماد الدين زنكى مع جوسلين الثانى صاحب الرها سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م وما ترتب عليها من نتائج ايجابية فى صالح المسلمين ، ان استولى عماد الدين فى السنة التالية ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م على حلب ومعنى مدن وقلاع بلاد الشام ، واتخذ حلب قاعدة انطلاق عسكرية لا فى مواجهة الصليبيين فحسب بل وفى سبيل استكمال توحيد الجبهة الاسلامية . كما برهنت الدراسة فى هذا الفصل على ادراك عماد الدين زنكى لاهمية دمشق وما تشكله من خطر جسيم على الصليبيين فى مملكة بيت المقدس اذا تم له الاستيلاء عليها .

وحدث الفصل الثالث ايضا الجهود التى بذلها عماد الدين زنكى فى جهاد الصليبيين حتى استرداده الرها سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م . وفى سنة

٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م استولى عماد الدين زنكى على حصن الاثارب ———  
 الصليبيين واسر سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م صاحب طرابلس ، واستولى فى سنة  
 ٥٣١ هـ / ١١١٧ م على حصن بعيرين من الصليبيين . وناقش الفصل أيضا  
 حملة الامبراطور البيزنطى حناكرمنين على شمال الشام سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ،  
 بغية الضغط على ممتلكات عماد الدين فى شمال الشام وفشل هذه الحملة .  
 واخيرا تعرض الفصل بشئ من التفصيل الى تطلع عماد الدين زنكى لتخليص  
 منطقة الجزيرة من خطر امارة الرها الصليبية وتم له ذلك سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م .  
 وبذلك قضى على اول امارة صليبية تأسست فى بلاد المشرق الاسلامى .

أما الفصل الرابع والاخير وعنوانه الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى  
 عصر نور الدين محمود بن زنكى ، فقد القى أضواء على تربية ونشأة نور الدين  
 محمود فى ذروة عصر الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ايام والده عماد الدين  
 زنكى ، ثم عالج هذا الفصل انقسام مملكة عماد الدين زنكى بين ولديه سيف  
 الدين غازى الذى حكم الموصل والبلاد الشرقية ، ونور الدين محمود الذى  
 حكم حلب والبلاد الغربية من بلاد الشام . وقد برهنت الدراسة فى هذا  
 الفصل على انقسام مملكة عماد الدين زنكى بين ولديه ولم يؤد الى انهيار هذه  
 المملكة كما حدث للسلاجقة عقب وفاة تاج الدولة وتشاتانق وانقسام مملكته بين ولديه  
 رضوان فى حلب ، ودقاق فى دمشق سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، بل أدى ذلك  
 الى تفرغ كل من سيف الدين غازى ونور الدين محمود الى الحفاظ على ماتحت  
 يده من البلاد .

وفى هذا الفصل برهنت الدراسة على يقظة نور الدين محمود فى الوقوف  
 فى وجه الصليبيين وخاصة الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، تلك



الحملة التي كانت تهدف الى استعادة الرها والقضاء على قوة الزنكيين بالشام والجزيرة . وقد وقف نورالدين محمود مع أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل الى جانب حكام دمشق من أسرة طغتكين لصد الصليبيين ومنعهم من الاستيلاء على دمشق . ثم شرح الفصل الرابع جهود نورالدين محمود في سبيل توحيد القوى الاسلامية منذ ان قام بتوطيد علاقته باخيه سيف الدين غازي تمهيدا للاستيلاء على الموصل ، اضافة الى توطيد علاقته بالاراتقة في حصن كيفا وماردين بقصد الاستعانة بهم في جهاد ضد الصليبيين . وفي هذا الصدد ناقش الفصل المحاولات المتكررة التي بذلها نورالدين محمود في الاستيلاء على دمشق . تلك المحاولات التي أثمرت سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م بالاستيلاء عليها وما نتج عن ذلك من اهمية بالغة في قصة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، اضافة الى استيلاء نورالدين محمود على شيزر سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م وتحقيق حلم والده بالاستيلاء على قلعة جعبر سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م .

وألقى الفصل الرابع اضاءا جديدة على موقف الخلافة العباسية من جهود نورالدين محمود في سبيل توحيد القوى الاسلامية في الشام والجزيرة لجهاد الصليبيين ، وكذلك شرح هذا الفصل الجهود التي بذلها نورالدين محمود في جهاد الصليبيين في بلاد الشام وانتزاع الكثير من البلاد الاسلامية التي كانت تحت ايديهم ، والمحاولات اليائسة التي قام بها الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م بقصد التحالف مع بلدوين الثاني ملك بيت المقدس للوقوف في وجه نورالدين محمود . وشرح هذا الفصل موضوع استمرار ضعف الخلافة الفاطمية في مصر وانحسار نفوذها عن بلاد الشام ففى عصر نورالدين محمود . كما اوضحت الدراسة تطالع نورالدين محمود ورغبته في الاستيلاء عليها ، ونجح نورالدين محمود في استغلال الاوضاع المتردية

للفاطميين ، وأرسل حملات متتالية الى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الايوبي أسفرت عن عدة نتائج كان اهمها القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر وقطع الامل على الصليبيين في الوصول الى مصر ، وظهور قوة اسلامية جديدة اتخذت من مصر والشام مركزاً لنطلاق لتصفية الوجود الصليبي في الشرق الاسلامي . واخيراً تضمنت الرسالة خاتمة توضح اهم النتائج التي توصل اليها البحث ومجموعة من الملاحق التي تفسر بعض الحوادث الواردة في فصول الرسالة .

ولا يفوتني أن أسجل خالص الشكر وعظيم التقدير والامتنان لاستاذي الدكتور حسنين محمد ربيع ، المشرف على هذه الرسالة لما بذله من جهود مضمينة طيلة مراحل البحث ولما أبداه من توجيهات سديدة وارشادات علمية قيمة كان لها اكبر الاثر في اخراج الرسالة على هذا الشكل ، فجزاه الله عنى وعن طلابه غير الجزاء . كما أتقدم بالشكر الى عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية والى المسؤولين في مكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ومكتبة الحرم المكي الشريف ، ومكتبة وزارة المعارف بجدة ، ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ، ومكتبة مدارس الفلاح بجدة ، وللمسؤولين في دار الكتب المصرية ومكتبة جامعة القاهرة ، ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، لما قدموه لي من مساعدات قيمة .

والله أسأل العون والسداد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على هديهم الى يوم الدين . . .

# الفصل الأول

الفؤى الإسلامفة فى بلاد الشام والجزيرة قبل  
قيام الأسرة الزنكية (٤١٥-٥٥١هـ/١٠٩٢-١١٢٧م)

- انهيار النفوذ السلجوقى وانحسار النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام .
- النزاع بين رضوان ودقاق ابنى نئش ونشأجـه .
- فرقة الإسماعيلية وأثرهـا السياسى فى بلاد الشام .
- نهاية الإمارات العربية فى بلاد الشام والعراق والجزيرة
- المرداسيون فى حلب .
- بنو عقيل فى الموصل .
- إمارة بنى مزيد فى الحلة بالعراق .
- إمارة بنى عمار فى طرابلس .
- إمارة بنى منقذ فى شيرز .

## (( الفصل الاول ))

القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة قبل قيام الاسيرة  
الزنكية ( ٤٨٥ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٢ - ١١٢٧ م ) .

- انهيار النفوذ السلجوقي وانحسار النفوذ الفاطمي في بلاد الشام .
- النزاع بين رضوان ودقاق ابني تتش ونتائجه .
- فرقة الاسماعيلية وأثرها السياسي في بلاد الشام .
- نهاية الامارات العربية في بلاد الشام والعراق والجزيرة .
- \* المرداسيون في حلب .
- \* بنوعقيل في الموصل .
- \* امارة بني مزيد في الحلة .
- \* امارة بني عمار في طرابلس .
- \* امارة بني منقذ في شيزر .

## (( الفصل الأول ))

القوى الإسلامية في بلاد الشام والجزيرة قبل قيام

الأسرة الزنكية ( ٤٨٥-٥٢١هـ / ١٠٩٢-١٢٧١م )

انهيار النفوذ السلجوقي وانحسار النفوذ الفاطمي في بلاد الشام:

خلف السلطان ألب أرسلان السلجوقي عند وفاته سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢ م دولة متحدة الأركان قوية الجانب يحكمها ولداه السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان الأكبر في المشرق والعراق ، وتاج الدولة تتش بن ألب أرسلان الأصغر في بلاد الشام كتابع لأخيه الأكبر . واستمر هذا الاستقرار زمن السلطان ملكشاه ( ٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م ) لاتباعه سياسة والده ووزيره نظام الملك الذي توفي سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ثم تبعه ملكشاه في نفس السنة (١) .

وفي الحقيقة فان وفاة السلطان ملكشاه ووزيره في السنة المذكورة قد أدى الى خلق أزمة سياسية في صفوف العالم الاسلامي عامة والسلاجقة خاصة وكانت سببا حقيقيا في تفكك وحدة السلاجقة الذين اصبحوا ثلاث قوى تتصارع فيما بينها ، قوة السلاجقة في آسيا الصغرى ، وقوة سلاجقة الشام بزعامة تتش الدولة تتش ، وقوة سلاجقة فارس والعراق بزعامة السلطان بركياروق بن ملكشاه

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٠٦ ، ١٢١ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٨ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ج ٩ ، ص ٦٨ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٤ - ١٣٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

ومن يئازعه من اخوته (١) .

ولا يتسع مجال البحث لتتبع ما جرى من الحوادث بين السلاجقة عامسة بعد وفاة السلطان ملكشاه ، لذا فان الحديث سوف يقتصر على النزاع الذى جرى بين السلطان يوكياروق بن ملكشاه وحمه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، وما أعقبه من نزاع حاد بين أبناء تاج الدولة تتش فى بلاد الشام لما لذلك من أثر كبير على اضعاف الجبهة الاسلامية قبيل الغزو الصليبي لبلاد الشام . فقد خلف السلطان ملكشاه بعد وفاته سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م أربعة من الابناء هم : بركياروق الاكبر ، ومحمود ، سنجو ، ومحمد ، وكان محمود أصغرهم سناً فسعت والدته ترکان خاتون الجلالية ذات النفوذ الواسع فى الدولة السلجوقية الى أخذ السلطنة لابنها محمود بموافقة الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله ، ولقب محمود باسم ناصر الدين والدنيا وكان عمره - وقتذاك - أربع سنين وشهر (٢) . ولما كان بركياروق وهو الابن الاكبر لملكشاه بعيداً عن بغداد بأصفهان ، فقد حاولت ترکان خاتون القبض عليه ولكن أنصاره استطاعوا الوقوف الى جانبه وتوليته أمراً بأصفهان ، وتشجيعه على الوقوف فى وجه ترکان خاتون (٣) .

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢١٠ ، الاصفهاني ، دولة آل سلجوق

ص ٨٠ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ص ١٤٥-١٤٧ ، انظر :  
The Cambridge Medieval History, Vol. IV, p. 653.

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢١٠-٢١٤ ، الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ، ص ٨١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٠٦ ، ابوالفدا المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، ابن العطار الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢١٤-٢١٦ ، الراوندي ، راحة الصدر ، ص ٢١٥ ، عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ٨٣ .

ولم يقف النزاع بين السلاجقة عند حد مطالبته من محمود وركنباروق بالسلطنة بل تعداه الى انقسام قادة السلاجقة الى قسمين يناصر كل منهما أحد الاخوان في سبيل فرض سيطرته على السلاجقة ، ودخل تاج الدولة تتش ههنا النزاع كطرف ثالث مطالباً بأحقية في السلطنة السلجوقية معتمداً في ذلك على قادة الاتراك السلاجقة في بلاد الشام ،

وكان تاج الدولة تتش قد بلغه خبر وفاة أخيه ملكشاه سنة ٤٨٥ / ٢ / ١٠٩٢م عند هيت وهو في طريقه الى بغداد لمقابلة أخيه ملكشاه ليشرح له حالة بلاد الشام وما يعانيه من بعض القادة الاتراك الا أن خبر الوفاة قلل حاله ووصله الى بغداد فاستولى على هيت وعاد الى دمشق (١) .

ومن دمشق اتصل تاج الدولة تتش بكبار قادة السلاجقة خاصة آقسنقر في حلب ويزان في الرها وحران وياغي سيان في أنطاكية وطلب منهم الدخول في طاعته وحشهم على الوقوف الى جانبه " ليسيروا الى بلاد أخيه ( ملكشاه ) ليفتحها ويأخذ المملكة ، فأجابوه وخطبوا له في بلادهم " ، على الرغم من التوتر الذي كان يشوب علاقة تتش بالقائد السلجوقي آقسنقر البرسقي لتفضيل تتش شخصية ياغي سيان صاحب أنطاكية على غيره من قادة الاتراك في الشام وعدم توليتهم شيئاً من البلاد (٢) .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢١٨-٢١٩ ، ابن القلانسي ، ص ١٢٢ ، وهيت بلدة على الفرات من ناحية بغداد فوق الأنبار ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ، انظر ابن القلانسي ، ص ١٣٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٢-٢٣ ، القرطبي ، احوال الفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ، أخبار الدول وآثار الاول ، ص ٢٧٧ ، وحران ، مدينة من اعظم وأشهر مدن الجزيرة تقع بين الرها والرقعة على طريق الموصل والشام . انظر ياقوت ، معجم البلدان . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١٩-٢٢٠ .

ولعل تاج الدولة تتش قد أدرك استياء آسنقر من سياسته فأراد أن  
يتمحن نواياه فوجه اليه رسالة خاصة طلب منه فيها أن يقوم آسنقر بمراسلة  
بوزان صاحب الرها وحران وياغى سيان صاحب أنطاكية وأن يطلب منهما طاعة  
تتش . ولما لم يكن في مقدور آسنقر معارضة تتش لاسيما وأن ملامح النزاع بين  
ولدى ملكشاه لم تتضح بعد حتى ينضم الى صاحب الكفة الراجحة ، فلبس  
آسنقر رغبة تاج الدولة تتش وأرسل الى ياغى سيان ، وبوزان يشير عليهما بطاعة  
تتش " حتى يروا ما يكون من أولاد ملكشاه ففعلوا " (١) . من هنا قوى أمر  
تاج الدولة تتش بمن اجتمع اليه من قادة السلاجقة ، فبدأ في اعداد خططه  
للاستيلاء على مزيد من الاقاليم ، فقرر الاستيلاء على الرحبة لما تشله من موقع  
عسكري هام ، فسار تتش بمن معه من قادة السلاجقة الى الرحبة واستولى عليها في  
المحرم سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م واتخذها قاعدة لبسط نفوذه على منطقة  
الجزيرة (٢) .

ومن الرحبة سار تاج الدولة تتش الى نصيبين في شمال الجزيرة واستولى  
عليها وسلمها الى الامير العربي محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي  
ومنها توجه الى الموصل وسها ابراهيم بن قريش بن بدران ، فراسله تاج الدولة  
تتش وطلب منه أن يخطب له في بلاده وأن يمنحه طريقا الى بغداد لطلب  
السلطنة من الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله (٣) . ولكن ابراهيم بن قريش

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٠ ، انظر ابن القلانسي ، ص ١٢٢ .  
(٢) ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٣ B ، ورقة ١٠٤ ب - ١٠٥ أ ، ابن  
القلانسي ، ص ١٢٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٠ .  
- و الرحبة : مدينة تقع على الفرات بين الرقة ومغداد وكانت محط القوافل  
بين العراق والشام ، انظر ابوالفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ١ ، ص ٢٣ .



رفض مطالب تتش وتأهب للقاءه وحشد جيشا من العرب والأكراد لمواجهة  
تتش . وتم اللقاء بينهما في شهر ربيع الاول سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م في مكان  
يسمى المصنيج على نهر الهرماس شرق مدينة نصيبين ، وانكشفت الواقعة عن  
هزيمة وقتل ابراهيم بن قريش وكثير من زعماء العرب وسقطت الموصل بيد تتش  
الذي ولي عليها من قبله علي بن مسلم بن قريش وأمه صفية عمة تاج الدولة  
تتش (١) . وكان لهذه الواقعة أثر كبير فقد قضت على بني عقيل في الموصل ،  
وحطمت آمال العرب في الموصل والجزيرة ، حتى أن كثيرا من نساء العرب قتلن  
أنفسهن اشفاقا من الهتيكة والسبي (٢) .

عظمت هيبة تاج الدولة تتش بعد هزيمة العرب في الموصل فقصد  
ديار بكر ونزل على آمد وضايقها وملكها ، وتسلم مياقارقين من أعيانها وجزيرة  
ابن عمر من أبي الحسن فخر الدولة بن جهير وأرسل من قبله رسولا الى الخليفة  
العباسي المقتدى بأمر الله سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م يطلب منه أن يخطب له  
بالسلطنة في بغداد ، ولكن الخليفة العباسي لم يستجب لطلبه ورد عليه  
قائلا " انما تصلح للخطبة اذا حصلت الدنيا بحكمك والخزائن التي بأصبعها  
وتكون صاحب المشرق وخراسان ، ولم يبق من أولاد أخيك ملكشا ، ممن  
يخالفك " (٣) .

- 
- ( ١ ) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ورقة ١١٣ أ ، ابن  
القلانسي ، ص ١٢٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٧-١٠٨ .  
( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢١ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ ،  
Zakar, The Emirate of Aleppo: p.p. 229-230.  
( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ١ ، ص ٢٥ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٧ ، الفارقي ،  
Zakkar, op.cit., p.230. تاريخ مياقارقين ، ص ٢٣٦ ،  
وآمد ومياقارقين : من أشهر مدن ديار بكر بمنطقة الجزيرة . وجزيرة ابن  
عمر : بلدة فوق المحصل تحيط بها مياه دجلة الا من ناحية واحدة ، انظر  
ياقوت ، معجم البلدان .

ولعل سبب رفض الخليفة العباسي مطلب تاج الدولة تتش هو عدم حصوله على ما كان يتوقعه من الاموال من تتش ، وأأن أولاد ملكشاه في نظر الخليفة هم أحق بالسلطنة من عمهم تتش بصرف النظر عن من سيكون الفائز منهما ، وأأن الخليفة رأى أنه قد قطع على نفسه عهدا بإعلان الخطبة باسم محمود ابن ملكشاه ، فلا يمكن الرجوع عن ذلك .

ومهما يكن الامر الذي استند عليه الخليفة العباسي في الرفض ، فانه قد حمل تاج الدولة تتش على الاستمرار في الحروب ومحاولة القضاء على أبنسأ أخيه . ولم يحاول تتش حث الخليفة على الاعتراف به سلطانا قبل تحقيق ما يريه ، فتوجه الى خراسان بهدف القضاء على أبنسأ أخيه ، وشجعه على ذلك مراسلة والده السلطان محمود بن ملكشاه له طالبة منه القدوم اليها ووعدته بالزواج منها . فسار تتش الى خراسان سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م ولكنه حصل لتاج الدولة تتش ما لم يكن في الحسبان ، اذ انفصل عنه في تبريز في السنة المذكورة كل من آقسنقر صاحب حلب وموزان صاحب الرها وحران وانضموا الى صفوف بركياروق بالرى " ليكونا في خدمته " (١) .

ولعل من أسباب انفصال كل من آقسنقر وموزان عن تتش سوء معاملته لهما ، اضافة الى أنه لم يمنحهما شيئا من البلاد التي فتحها ، وأخيرًا اقتناعهما بعدم أحقيته في السلطنة السلجوقية . وقد أفصح آقسنقر البرسقي صاحب حلب عن ذلك بقوله " انما أطمنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا ( ملكشاه ) ولان فقد ظهرا بنه ( بركياروق ) ونريد أن نكون معه " (٢) .

- 
- ( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٧٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، Gibb, The Damascus Chronicle of the crusades, p. 22 .  
وتبريز : مدينة من اشهر مدن اذربيجان في خراسان . ان انرياقوت ، معجم البلدان .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

ولم يبقا عند حد الانضمام الى بركياروق ، بل حرصا على معالجة تنش قبسل  
اعضال خطبه ، وتمكنه من الغلبة على السلطنة والاستيلاء على أعمال المملكة  
على حد قول ابن القلانسي (١) .

من هنا أدرك تاج الدولة تنش أنه لن يستطع الوقوف أمام بركياروق ومن  
انضم اليه من قادة الاتراك بالشام بعد أن خذلوه ، فرجع الى ديار بكر  
ومنها سار الى سروج فاستولى عليها وولى فيها بعض ثقاته ، ومنها واصل  
مسيره الى الشام حتى وصل أنطاكية ، وأقام بها مدة من الزمن ، غير أن سوء  
الوضع الاقتصادي بها قد أجبرته على مغادرتها الى دمشق فوصلها ففى  
نوى القعدة من سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م (٢) .

أما السلطان بركياروق فقد استقامت أموره وعلا شأنه بعد رحيل ~~خسرو~~  
تاج الدولة تنش الى الشام ، وخرج مع آقسنقر قسيم الدولة وموزان وسار معهما  
الى الرحبة من أعمال الموصل وعقد بينهما وبين علي بن شرف الدولة مسلم بين  
قريش حلفا الموقوف في وجه تاج الدولة تنش . ومن الرحبة عاد آقسنقر وموزان كل  
منهما الى بلده في شوال من السنة نفسها ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م ، بينما سار  
بركياروق الى بغداد فدخلها في أول سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م حيث أقيمت  
الدعوة في الخطبة باسمه (٣) .

(١) ابن القلانسي ، ص ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٠٩ -

١١٠ .

- وسروج : مدينة قريبة من حران في إقليم الجزيرة ، انظرياقوت ، معجم  
البلدان .

(٣) ابن القلانسي ، ص ١٢٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ابن

الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٨٠ - ٨١ ، خاشع المعاضدي ، الحياة

السياسية في بلاد الشام ، ص ١٠١ .

غير أن أوضاع السلاجقة لم تستقر فتاج الدولة تتش لم يتخل عن فكرة الاستيلاء على ما كان بيد أخيه ملكشاه ، ولم ينس ذلك الموقف الذي تخلى فيه آقسنقر بوزان عنه في تبريز وانضمامهما إلى بركياروق ، لهذا أخذ في جمع الجيوش وحشد القوى " فكثر جمعه وعظم حشده وسارع دمشق إلى حلب " بقصد القضاء على آقسنقر وبوزان ، ومن ثم السير لقتال السلطان بركياروق . فما أن سمع آقسنقر بأخبار تتش واستعداداته حتى شرع في الجمع والاحتشاد والتأهب للقاء ، وطالب النجدة من السلطان بركياروق فأمدّه بكرهوقا صاحب الموصل فيما بعد ، ووصله بوزان صاحب الرها وحران ويوسف بن آبق صاحب الرحبة ، وجمعا من العرب بقيادة شبل بن جامع ومبارك بن شبل من زعماء بني كلاب ، فبلغت عدة قسنوات آقسنقر نحو من عشرين ألفا في أحسن زى وأتم آلة هدة (١) .

ولما استكمل آقسنقر استعداداته خرج بقواته للقاء تتش وسارت تتش حتى نزل على تل منسي قرب معرة النعمان ، وتم اللقاء بينهما في العشر الأول من شهر جمادى الأولى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م عند نهر سبيع على مسافة ستة فراسخ شرق حلب . وأسفر اللقاء عن هزيمة قسيم الدولة آقسنقر ووقوعه في أسر تتش بينما عاد بوزان وكرهوقا إلى حلب بقصد الاحتياط بها ، ولكن تتش تعقبهما حتى أسرها أيضا فقتل تاج الدولة تتش آقسنقر قسيم الدولة وبوزان واستبقى كرهوقا في الأسر (٢) .

وهكذا تم لتتش القضاء على أكبر المناوئين له في بلاد الشام واستولى على حلب وحران والرها فتم له بذلك احكام السيطرة على شمال الشام ومضى أجزاء من

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥ ، انظر ابن القلانسي ، ص ١٢٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١١ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٩ ، ص ٣٠٩ .

( ٢ ) ابن العديم ، بغيقة لطلب ، ج ٣ ، ورقة ٢٦٩ أ ، ابن ابى الدم الحموي ، التاريخ المظفر ، ورقة ١٥٦ أ ، ابن الشحنة ، روض المناظر ، ورقة ٦٢ ب ، البطيبي ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٤٨٧ ، ابن القلانسي ، ص ١٢٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٠ .

منطقة الجبهة (١) . وتوجه نحو ديار بكر ولكنه عدل عن طريق السلطان  
بركياروق الذي كان نازلا بأرض الموصل ، وسار نحو خراسان للمرة الثانية سنة  
٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م وقصد الري حيث انضم اليه خلق كثير من التركمان وعساكر  
ابن أخيه بركياروق الذي عاد على وجه السرعة الى أصفهان للاحتفاء بها من  
تتش (٦) .

رأى تاج الدولة تتش أنه حقق كثيرا من الانتصارات على خصومه  
وسيطر على كثير من معاقل الدولة السلجوقية مما يخوله أن يطلب السلطنة  
فأرسل رسله الى الخليفة العباسي المستظهر بالله يطلب منه اعلان الدعوة  
في الخطبة له ببغداد فأجيب الى ذلك ، ودعى له على منابر بغداد (٣) .

شجعت هذه الانتصارات تاج الدولة تتش فواصل مسيره الى الري حيث  
استولى عليها في المحرم سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م فامتد نفوذه من الشام غربا  
الى الري شرقا . ولم يكف بهذا بل جهز جيشا من الاتراك والعرب الموالين  
له ، وأغار بهم على الاراضي التي كانت لبني عقيل ، بقصد تشييط الاراضى  
التي أصبحت تحت حوزته . وأرسل الى ولده رضوان بدمشق يستدعيه " فتوجه  
رضوان اليه ومعه بقية من تخلف من اصحابه بالشام " بقصد الاستعانة بهم  
على السلطان بركياروق الذي كان بأصفهان (٤) .

---

( ١ ) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ورقة ١١٣ ب ، ابن  
العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١٧ - ١١٨ ، Gibb, op.cit.p.23.

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١٨ ، انظر ابن القلانسي ، ص ١٢٧ ،

ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٨٤ - ٨٥ ، ابن العمري ، تاريخ مختصر

الاول ، ص ٢٠٠ ، القلقشندي ، مآثر الانافة ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

( ٤ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ ، انظر : ابن القلانسي ،

ص ١٢٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٣٤ .

وعلى الرغم من المرض الذى ألم ببركياروق فقد برز من أصبهان فى جموع كثيرة من أصحابه ومن انضم اليه من أنصار أخيه محمود بعد وفاة أمه تركان خاتون تلك السنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م وقصد جهة عمه تاج الدولة تتش الذى نزل على بعد أربعة فراسخ من الرى . وتم اللقاء بين الطائفتين فى اليوم السابع عشر من شهر صفر من سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ف وقعت الهزيمة على تاج الدولة تتش وتفرق أصحابه ، وشهب سواده ، وأسر كثيرا من أصحابه وقتل منهم الخلق الكثير ، وقُتل تاج الدولة تتش نفسه وحمل رأسه إلى بغداد وطُيف به هناك (١) .

ويمكن القول أن الانتصارات السريعة الخاطفة التى حققها تتش فيما بين سنتى ٤٨٦ - ٤٨٧ هـ لم تكن قائمة على قاعدة صلبة من ولاء الرعية والقادة وهذا على ما يبدو سبب الهزيمة التى حلت به أمام ابن أخيه ببركياروق بعد أن غدر به بعض أصحابه الذين اصطنعهم لنفسه (٢) ، بالإضافة إلى أن تاج الدولة تتش لم يترك لجيشه فرصة لاخذ قسط من الراحة بعد أن قطع مسافة طويلة من الشام إلى الرى .

ولم تقف آثار وفاة تاج الدولة تتش عند حد قيام النزاع بين ولديه رضوان ودقاق ، بل تعدتها إلى أن القوى البشرية والمادية التى كان تاج الدولة تتش قد عبأها ذهبت أدراج الرياح ، فأدى ذلك إلى انعدام الروابط فيما بين القوى الإسلامية فى بلاد الشام . ولذلك يمكن القول بأنه لو قدر للصليبيين

- 
- ( ١ ) ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار ، ج ١٦ ، ورقة ١١٤ ب ، ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٤٨٨ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٢٩ - ١٣٠ ، العظمي ، حوادث سنة ٤٨٨ هـ ، الاصفهاني تاريخ دولة آل سلجوق ص ٨٣ ، العيني ، السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، ص ١٧٧ ، الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، Gibb, op.cit., p. 23 .
- ( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١١٨ - ١١٩ .

أن يواجهوا كل ماعبأته المملكة التى حاول تاج الدولة تتش اقامتها من موارد بشرية ومادية لتغير تاريخ الشام ، وأمكن القضاء على الحركة الصليبية ففى سنواتها الاولى . فالذى حدث فعلا أن ممتلكات تتش بالشام تفككت ، بسبب ما وقع من النزاع بين ولديه رضوان ودقاق ، فضلا عما اشتهر به القادة الاتراك من الحسد وانتهاز الفرص للعمل لحسابهم الخاص (١) .

### النزاع بين رضوان ودقاق ونتائجه :

استطاع تاج الدولة تتش توحيد معظم بلاد الشام والجزيرة تحت لوائه بعد موت أخيه ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢ م ، غير أن أطماعه فى السلطنة السلجوقية أودت بحياته ، الامر الذى انعكست نتائجه على بلاد الشام والجزيرة فانقسمت بلاد الشام بين ولديه رضوان بحلب ودقاق فى دمشق ، اضافة الى دخول قادة بلاد الشام من الاتراك فى نزاع مستمر ، وهذا ما أدى الى نجاح الصليبيين فى الاستيلاء على بلاد الشام .

أما بالنسبة للصراع أو النزاع الذى قام بين أبناء تتش فى بلاد الشام فيمكن أن نقسمه الى مرحلتين ، المرحلة الاولى من النزاع وهى مرحلة ما قبل الغزو الصليبي لبلاد الشام وتمتد من (٤٨٨ الى ٤٩١هـ / ١٠٩٥ - ١٠٩٨ م) ، والمرحلة الثانية وهى مرحلة ما بعد الغزو الصليبي لبلاد الشام والجزيرة ، وهى المرحلة التى برز فيها دور السلاجقة السليبي ففى مجابهة الصليبيين وتفكك وحدتهم ، وما ترتب على ذلك من سقوط الكثير من مدن وقلاع بلاد الشام فى أيدي الصليبيين .

---

(١) انظر: العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ١٨ ،

وتبدأ المرحلة الاولى من قصة النزاع بين ولدي تتش سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م عندما طلب تاج الدولة تتش المساعدة من ابنه رضوان الذي كان في دمشق ضد بركياروق بن ملكشاه ، فخرج رضوان ومصحبه عساكر دمشق والعديد من الامراء الترك والعرب ، فلما وصل رضوان الى عانة على الفرات بلغه خبر مقتل والده فعاد مسرعاً في بعض خاصته الى حلب ومعه والدته ~~وزوجها~~ جناح الدولة حسين بن ايتكين . وفي حلب تمكن رضوان بمساعدة زوج والدته جناح الدولة حسين من الاستيلاء على قلعة حلب من وزير والده أبو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي في ربيع الثاني سنة ٤٨٨ / ١٠٩٥ م ونودي بشعار رضوان في حلب وتولى جناح الدولة حسين تدبير شئون رضوان بحلب (١) .

أما شمس الملوك دقاق بن تتش فقد كان قبل وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م موجوداً في بغداد ولكنه غادرها بعد وفاة عمه ملكشاه بصحبة ترکان خاتون وابنها محمود بن ملكشاه . غير أنه لم يطل المقام بصحبتهما ، بعد ان سمع أن والده خرج من بلاد الشام بقصد النيل من السلطان بركياروق - كما سبق ذكره - فلقى والده عند الري وشهد معه المعركة التي قتل فيها والده تتش سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م . وبعد معركة الري عاد دقاق الى حلب وأقام في كنف أخيه رضوان بن تتش فترة زمنية قصيرة (٢) .

---

( ١ ) ابن العديم ، بغية الطلب ، ج ٦ ، ورقة ٨٩ أ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٣ B ، ورقة ١١٣ ب ، المعينى ، عقد الجمان ، ج ١٦ ، ورقة ١١٤ ب ، ابن القلانسي ، ص ١٣٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٤٦ ، Gibb, op.cit., p.p. 30-31.

- وعانة : بلدة مشهورة على الفرات بين الرقة وهيت من اعمال الجزيرة الفراتية ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، ٤٤٠ - ٤٥٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ٢٩٦ ، القرطبي ، أخبار الدول واثار الاول ، ص ٢٨٠ .



وفى حلب استهل رضوان سياسته بقتل أخويه أبا طالب ومهرام فى نفس السنة التى قتل فيها والدهما ليخلوله الجوم من المنافسة فى حكم بلاد الشام . وأجرى اتصالاته مع السلطان بركياروق بشأن تبادل الاسرى بين الطرفين ، فتم اطلاق قوام الدولة كربوقا حيث كان مسجوناً بحمص ، وعاد الى السلطان بركياروق ، فى الوقت الذى وافق فيه بركياروق على اطلاق سراح طففتكين (١) ، وكان طففتكين قد حظى بمعطف وتقدير تتش حتى أسند اليه منصب الاسفهمسلارية (٢) على جيشه وولاية دمشق وسلمه ابنه دقاق وهب اليه بتربيته ، وأخيراً عينه تتش والياً على ميافارقين ، فقام طففتكين بواجباته خير قيام . وعندما وقعت معركة الرى بين تتش وبركياروق كان طففتكين بصحبة تتش ووقع أسيراً فى يد بركياروق، وظل فى الاسر حتى تم الاتفاق بين رضوان وبركياروق على تبادل الاسرى وعاد طففتكين الى دمشق مع من كان فى اعتقال بركياروق من خواص تاج الدولة تتش (٣) . وكان لهذه الخطوة - أى خطوة تبادل الاسرى - بين بركياروق ورضوان أثرها ان أن كلا منهما انصرف عن التفكير فى التدخل فى شئون الآخر، حتى ان رضوان لم يعد يفكر فى الاخذ بثأر والده من السلطان بركياروق ، بل انصرف رضوان الى محاولة الانفراد بحكم بلاد الشام ، ومحاولة اخضاع القوى الاسلامية الاخرى لسيطرته . فخرج الى ديار بكر فى سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م ،

- 
- ( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٣١ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢١ - ١٢٢ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ .  
 ( ٢ ) اسفهمسلار: كلمة مكونة من لفظين احدهما فارسى وهو (اسفه) ومعناه المقدم والثانى تركى وهو (سلار) ومعناه العسكر والتالى الاسفهمسلار هو مقدم العسكر. انظر القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٤٨٣ ، حسن الباشا ، الالقب الاسلامية ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .  
 ( ٣ ) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٧٣ ب - ١٧٤ أ ، العيني ، عقد الجمان ، ج ١١ ، ورقة ١١٤ ب ، ١١٥ أ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

ومعه اتابكه جناح الدولة حسين ، وياغى سيان صاحب أنطاكية ، ويوسف بن ابق صاحب الرحبه وقصدوا سروج فلم يتمكنوا من الاستيلاء عليها من سقطان بن أرتق ، فرحلوا عنها الى الرها فى السنة نفسها فاستولوا عليها (١) .

وعند الرها حصل الاختلاف بين القادة الاترك ان حاول يوسف بن أبق وياغى سيان صاحب انطاكية الفتك بجناح الدولة حسين ليتفردا بأمر رضوان ، ولكن جناح الدولة حسين استطاع الهرب والعودة الى حلب فى الوقت الذى استوحش فيه رضوان من محاولة ياغى سيان ويوسف بن أبق الفتك بجناح الدولة حسين ولاسها على هذا التصرف ففارقاها وادا الى أنطاكية (٢) .

ولما كان شمس الملوك دقاق بن تتش قد عاد الى حلب بعد مقتل والده فى الرى وأقام فى كنف رضوان مدة قصيرة ، فانه قد خاف أن يحل به ما حل بأخويه بهرام وأبى طالب على يد أخيه رضوان ، لذلك استغل مراسلة نائب والده فى دمشق ، ويدعى ساوتكين الخادم ، ومعرضه على دقاق بالقدم الى دمشق ، وتعهد فى نفس الوقت بتسليم دمشق اليه . ويد وأن ساوتكين الخادم لم يكن كارها فى السيطرة على دمشق والتفرد بحكمها ، ولكنه كان

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٤٧ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ،

ص ٢٠٧ .

- وأتابك : كلمة تركية تتألف من لفظين ( أتا ) بمعنى أب و ( بك ) بمعنى أمير أو مربى وهى من القاب الوظائف التى أستعملت فى الدولة السلجوقية وكانت مهمة الاتابك رعاية وتربية أبناء السلاطين السلجوقية الا ان نظام الاتابكة ادى فى نهاية الامر الى انقسام الدولة السلجوقية الى عدة دويلات استقل بحكمها الاتابكة وأسرهم كطفتكين فى دمشق وغيره . انظر القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٨٠ . وانظر :

حسن الباشا ، الالقب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والاثار ص ٢٢٢-٢٤١

كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٢-٢٤٦ .

( ٢ ) العيني ، عقد الجمان ، ج ١١ ، ورقة ١١٥ أ ، ابن الاثير ، الكامل ،

ج ١ ، ص ٢٤٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

يرى الى اصفاء طابع الشرعية على حكمه ، بوجود أحد أمراء البيت السلجوقي  
 فى دمشق . لذلك تظاهر بالاخلاص لدقاق فى الظاهر بينما أراد على ما يبدو  
 الاستبداد بحكم دمشق (١) . وعلى أية حال فقد وجد دقاق فى مراسلة  
 ساوتكين له فى السرفرة للنجاة من غدر رضوان ، بصرف النظر عن التامع الى  
 حكم دمشق ، فهرب من حلب وتوجه الى دمشق سنة ٤٨٨ / ١٠٩٥ م من غير  
 أن يعلم به أحد . ولما علم رضوان بهرب أخيه أرسل فرقة من الخيالة لمطارده  
 فلم تدركه . ولما وصل دقاق الى دمشق أجلسه ساوتكين فى منصب والده .  
 " وأخذ له العهد على الاجناد والعسكرية واستقام له الامر واستمرت على  
 السداد الا حوال (٢) .

وفى دمشق استقبل شمس الملوك دقاق أتابكه ظهير الدين طفتكين  
 الذى كان رضوان صاحب حلب قد طلب من بركياروق اطلاق سراحه مقابل  
 اطلاق سراح كربوqa ، وأطمأن دقاق بوصول أتابكه ، وأسند اليه جميع الامور  
 فى تدبير المملكة . وما استهل به طفتكين من الاعمال تدبير مؤامرة للاطاحة  
 بساوتكين الخادم ، الذى كان قد سعى الى اعادة دقاق الى دمشق ، ثم  
 تزوج طفتكين من صفوة الملك والدة دقاق ليصبح ذلك أتابكا له (٣) .

(١) ابن القلانسي ، ص ١٣٠ ، انظر: على محمد الفامدى ، بلاد الشام

قبل الغزو الصليبي ، رسالة ماجستير لم تطبع ، ص ٢٧٢ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ١٣٠ ، انظر: ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص

٢٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

(٣) ابن واصل ، التاريخ الصالحى ، ورقة ١٧٣ ب - ١٧٤ أ ، ابن شاكر

الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٤٨٨ هـ ، الذهبى ، تاريخ

الاسلام ، ج ٩ ، ورقة ٤٨ أ ، الصفدى ، تحفة ذوى الالباب ، ورقة

١٣٧ أ ، ابن القلانسي ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،

ج ٥ ، ص ٢٤٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

وهكذا عاد التمزق السياسى مرة ثانية الى بلاد الشام ، نتيجة لسوء سياسة رضوان ، ولشدة اطماع القادة الاتراك فى التفرد بالسيطرة على أبناء تتش . مما أدى الى انقسام مملكة تاج الدولة تتش بين ولديه رضوان فى حلب ودقاق فى دمشق ، وانشغال رضوان باعادة السيطرة على دمشق والتالى صرف الكثير من جهده ووقته وطاقات دولته لهذا الغرض<sup>(١)</sup> وبالتالى لم تحل سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م الا وكانت دولة السلاجقة قد انقسمت الى خمس ممالك متنافسة فيما بينها وهى : سلطنة اصبهان وعلى رأسها السلطان بركياروق الذى كانت له السيطرة على بغداد ، ومملكة خراسان وما وراء النهر وعلى رأسها سنجر بن ملكشاه ، ومملكة حلب وعلى رأسها رضوان بن تتش ، ومملكة دمشق وعلى رأسها دقاق بن تتش ، واخيرا سلطنة سلاجقة الروم وعلى رأسها قلع أرسلان بن قطلمش<sup>(٢)</sup> .

ولم يقتصر النزاع فى بلاد الشام بين رضوان ودقاق ابنى تتش ، بل تعداه حتى شمل قادة الاتراك فى أنطاكية وحمص والرحبة وسروج وغيرها لشدة اطماع هؤلاء القادة وما كانوا يسرغون فى تحقيقه لحسابهم الخاص ، مستغلين فى ذلك النزاع بين الاخوين رضوان ودقاق حول دمشق . ففى سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م دار النزاع بين رضوان ودقاق حول السيطرة على دمشق ، فقد طمح رضوان فى الاستيلاء عليها واعادتها الى سيطرته فاستنجد بسقمان بن أرتق ، صاحب حصن كيفا<sup>(٣)</sup> وكان موجودا بسروج ، فتوجه

- 
- ( ١ ) زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٢٣٣ .  
 ( ٢ ) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ص ٧٠ .  
 ( ٣ ) حصن كيفا : بلدة وقلعة عظيمة كانت مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، القرماني ، أخبار الدول واثار الاول ص ٣٣٦ .

الى دمشق مستغلين في ذلك غيبة دقاق وطفكتين عنها ، الا ان رضوان لم يستطع الاستيلاء على دمشق ، فعاد الى حلب خائبا فوالا مر الذي طلب ، بسبب استبسال المدافعين عنها ، ثم عودة دقاق اليها حين سمع بحصار رضوان لها بالاضافة الى انفصال سقمان بن أرتق عن رضوان ورحيله الى بيت المقدس اقطاع أخيه نجم الدين ايلغازي بين أرتق الذي كان متحالفا مع دقاق ضد رضوان (١) .

ولما يئس رضوان من حملته على دمشق سنة ٤٨٩ / ١٠٩٦ م أخذ فسي توسيع نفوذه على حساب قادة الاترك السلاجقة فسعى في السنة نفسها ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م الى قتل يوسف بن أبق صاحب الرحبة ، واستولى على ممتلكاته في بزاغة ومنبج (٢) ، وأغار على أنطاكية بمشورة من أتابكه جناح الدولة حسين لما كان بينه وبين ياغي سيان من نفور مستحكم . الا أن رضوان لم يكن له هم سوى الاستيلاء على دمشق " لمعرفته بمحاسنها وترعرعه فيها " فعاد للمرة الثانية الى محاولة الاستيلاء عليها في شهر رمضان من السنة نفسها ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م ، ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها للخطة المحكمة التي وضعها دقاق بالتعاون مع ياغي سيان صاحب أنطاكية . ولم يقف رضوان عند حد عجزه عن الاستيلاء على دمشق ، بل انه عجز عن العودة الى حلب فسار الى بيت المقدس ومنها الى حلب بعد أن تفرق أكثر رجاله (٣) .

ويبدو أن عودة رضوان الى حلب بعد ان تفرق أكثر رجاله دون النيل من دمشق ، قد أدى الى ترجيح كفة أخيه دقاق ، اذ استطاع دقاق وحليفه

(١) ابن القلانسي ، ص ١٣٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ -

١٢٤ .

(٢) بزاغة : بلدة كانت من أعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب ، ومنبج : كانت مدينة كبيرة بين الفرات وحلب في فضاء من الارض ، انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٢٤ .

(٣) ابن القلانسي ، ص ١٣٢ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ،

ص ١٢٣ - ١٢٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٦٩ .

الجديد ياغي سيان صاحب أنطاكية من استعادة بعض ما كان قد استولى عليه رضوان من املك أنطاكية كالمعرة التي كانت بيد سقمان بن أرتق حليف رضوان سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م . وذلك أصبح رضوان في موقف المدافع بمسند أن كان في موقف المهاجم ، وهذا تمكن دقاق من نقل ميادين المعارك من دمشق الى حلب (١) .

ظل كل من رضوان ودقاق يتحين الفرص للانقضاض على الآخر والنيل منه ، حتى كان ربيع الاول سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م حيث التقى كل من رضوان ودقاق في معركة بحاضر قنسرين ، أجبرت رضوان على الاستعانة بسليمان بن ايلغازي صاحب سميساط وجمع من العرب والترك في الوقت الذي كان مع دقاق أتاكبه ظهير الدين طغتكين ، وياغي سيان صاحب أنطاكية . وعند ما التقى الجمعان صد رجال رضوان واستطاعوا اجبار دقاق ومن معه على التراجع حيث عاد ياغي سيان الى أنطاكية وعاد دقاق وطغتكين الى دمشق (٢) .

وعقب هذه المعركة حصل بين رضوان وأتابكه جناح الدولة حسين ثغور خاف معه جناح الدولة حسين على نفسه من رضوان وفارق حلب متوجها الى اقطاعه في حمص في شعبان من سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م ، فاستغل ذلك ياغي سيان صاحب أنطاكية فتقرب من رضوان ، ودخل حلب وشرع في تدبير شئون ملكة رضوان والامر والنهي في عسكريتها واهلها (٣) . ولكن ياغي سيان

---

(١) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٢٥ . والمعرة هي معركة النعمان نسبة الى الصحابي النعمان بن بشير الذي دفن بها وهي مدينة قديمة وكبيرة من اعمال حمص بين حلب وحماة . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٢) العمري ، مسالك الابصار ، ج٦ ، ورقة ١٠٧ ب ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٢٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج٢ ، ص ٢١٠ ،

وقنسرين بلدة بالشام بين حلب وحمص ، وسميساط مدينة على شا طوس الفرات الغربي في طرف بلاد الروم ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٣) ابن العديم ، بغية الطلب ، ج٦ ، ورقة ٩٠ أ ، ابن القلانسي ، ص ١٣٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٢٦-١٢٧ ، الذهبي ، العبر ، ج٣ ، ص ٣٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٧٠ .

ورضوان في حلب لم ينصرفا الى الاهتمام بشئون حلب والعمل على تقريب شقوة الخلاف بين حلب ودمشق ، بل على العكس سعى ياغي سيان ورضوان الى تجهيز حملة عسكرية بقصد الاستيلاء على دمشق من دقاق وأتابكه طغتكين ، فخرجوا في السنة نفسها ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م وقصدوا حمص التي بها جناح الدولة حسين بهدف القضاء عليه ولكنهما فشلا فتوجهوا الى شيزر التي كانت بيد بنسى منقذ وحاصرها مدة بقصد الاستيلاء عليها واتخاذها نقطة ارتكاز للهجوم على دمشق وحمص ، الا انهما لم يستطيعا النيل منها ، فعاد الطك رضوان الى حلب بينما توجه ياغي سيان الى انطاكية بسبب الاضطراب الذي وقع فـسـى صفوفهم نتيجة وصول طلائع الصليبيين الى شمال الشام (١) ،

وهكذا لم يستطع رضوان استرداد دمشق من أخيه دقاق ، فضلا عن فشله في توطيد نفوذه في شمال الشام ، كما أن سياسته في حلب قد أصابها الاضطراب نتيجة للذي لعمه بركات بن فارس الفوهي الطقب بالمجسـن الفوهي رئيس أحداث (٢) حلب الذي كان له دور بارز في إثارة الشكوك والريبة بين رضوان وأتابكه جناح الدولة حسين وغيره من القادة الأتراك ، الا أن رضوان

---

(١) ابن القلانسي ، ص ١٣٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٣٥٢ ،

(٢) تكونت جماعة الأحداث في بلاد الشام لمقاومة الحكم الفاطمي في بلاد الشام منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، القرن العاشر الميلادي ، وهم جماعة من القوات المدنية وكان الأحداث يقومون بحفظ النظام ومكافحة النيران واثارة المنكوبين بالاضافة الى انضامهم الى القوات النظامية لمحاربة الأعداء وقت الحاجة اليهم .

انظر: سعيد عاشور ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، في كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٣٠-

٣١ ، Zakkar op.cit., p.p. 255-256. ،

The Encyclopaedia of Islam, Vol.I. p.256.

استطاع التخلص من المجن الفوضى بأن صادر أمواله وأمر بقتله سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م (١) .

ولم يقتصر انهيار وتفكك وحدة السلاجقة في بلاد الشام على النزاع الذي قام بين رضوان ودقاق ابني تتش ، فقد وجد في هذا النزاع بعض العناصر المعادية للسلاجقة متنفسا لهم للخروج من دائرة نفوذهم ، وعلى سبيل المثال فقد وجد سكان أفسامية وأغلبهم من الشيعة في الحوادث التي جرت بين رضوان ودقاق الفرصة مناسبة فأعلنوا العصيان على الحاكم الساجوقى وسيروا جماعة منهم الى مصر سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م يستدعون واليا فاطميا لهم ، فاهتيل الوزير الفاطمى الفضل بن بدر الجمالى هذه الفرصة وسير خلفه بن ملاعب الى أفسامية في السنة التالية ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م ليحكمها باسم الفاطميين فظل حاكما لها حتى وافته منيته سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م ، وسقطت أفسامية بيد الصليبيين سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م (٢) .

وبالإضافة الى ذلك فقد وجد الفاطميون في النزاع القائم بين رضوان ودقاق متنفسا لهم في استعادة مكانتهم في بلاد الشام - والتي كانوا قد فقدوها ابان عهد قوة السلاجقة أيام السلطان ملكشاه وأخوه تاج الدولة تتش - فشجع الفاطميون الفتن والثورات ضد الأتراك السلاجقة في بعض مدن الشام ، وقد موا المساعدات لزعماء الحركات الانفصالية في مقابل إعادة الدعوة لهم ، وهذا جل ما يتحونه في سبيل نشر مذهبهم (٣) .

( ١ ) ابن القلانسي ص ١٣٥ ، العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٤٩٠ هـ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

( ٢ ) ابن ابوالدم الحموى ، التاريخ المظفرى ، ورقة ٥٧ أ ، ابن العديم ، بغية الطلب ، ج ٥ ، ورقة ٢٢١ أ . ابن القلانسي ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٠٨ ، المقرئ ، تعاظ الحنفا ، ج ٣ ص ١٨ ، ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ص ٣٧ .

وأفسامية : مدينة حصينة على سواحل الشام وكورة من كورة حمص ، انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان .

( ٣ ) انظر المقرئ ، تعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٨ .



وفى ظل تفكك وحدة السلاجقة فى بلاد الشام نجح الفاطميون فى إعادة صور الى طاعتهم سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م بعد تمرد واليهم عليهم المسمى كتيله ، نتيجة عدم استطاعة السلاجقة فى بلاد الشام مد يد العون لهذا المتمرد ، وتقديم المساعدة له للوقوف فى وجه الفاطميين (١) .

ولم يقف الفاطميون عند هذا الحد من استغلال النزاع بين رضوان ودقاق وتفكك وحدة السلاجقة وانهيار نفوذهم فى بلاد الشام ، فواستعادة مكانتهم ببلاد الشام ، بل سعوا الى ترغيب رضوان فى تقديم المساعدة له ضد خصومه فى دمشق وحمص فى مقابل اقامة الدعوة لهم فى حلب والبلاد التى تحت حكمه فوافق رضوان على هذا المطلب وأعلن الدعوة فى الخطبة للفاطميين ١٠٩٧/٤٩٠ م على سائر منابر مدن الشام التى فى يده . وعند ما لم يتلق رضوان من الفاطميين ما كان قد تم الاتفاق عليه من المساعدات العسكرية ضد خصومه فى حمص ودمشق وتحت الضغط الشديد من القادة الاثراك فى بلاد الشام مثل ياغى سيان صاحب انطاكية ، فقد قطع الخطبة باسم الفاطميين من بلادهم بعد مرور أربع جمع من السنة المذكورة (٢) .

---

( ١ ) المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٠ ، ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ص ٣٨ .

( ٢ ) العينى ، عقد الجمان ، ج ١ ، ورقة ١١٩ أ ، العياشى ، تاريخ العظامى ، حوادث سنة ٤٩٠ هـ ، ابن القلانسى ، ص ١٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٠ ، ابن العديم ، زبدة الطلب ، ج ٢ ص ١٢٧-١٢٩ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٠-٢١ ، ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، الذهبى ، المعبر ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ ، اليافعى ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .

وفى ظل الظروف المتردية للاتراك السلاجقة فى بلاد الشام ، ففسد  
خرج الافضل بن بدر الجمالى فى شعبان من سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م على  
رأس قوة عسكرية لاسترداد بيت المقدس - الذى كان بيد نجم الدين ايلخارس  
وأخوه سقمان بن أرتق اللذين كانا تابعين لحكام دمشق السلاجقة - وحاصر  
الافضل بيت المقدس ولم يستطع الاراتقة الصمود أمام الفاطميين بسبب عدم  
قدرة السلاجقة فى دمشق وحلب على مد يد العون للاراتقة ، بالإضافة الى  
انشغال السلاجقة بالصليبيين الذين استولوا على أنطاكية تلك السنة . وبعد  
حصار ضربه الافضل على بيت المقدس لمدة أربعين يوما استسلم ايلغازى وسقمان  
ابنى أرتق للفاطميين ، فسمح لهما الافضل بالخروج من بيت المقدس وتسلمه  
هو وحاد الى مصر ، بعد ان ولى عليه واليا من قبله هو افتخار الدولة (١) .

ومن النتائج التى ترتبت على النزاع بين رضوان ودقاق فى هذه المرحلة  
هى حصول فرقة الاسماعيلية فى حلب على مكانة مرموقة بفضل ما كانوا يحصلون  
عليه من رضوان من مساعدة وتشجيع لرائهم ، وكانت هذه الفرقة برئاسة الحكيم  
المنجم الباطنى ، وخليفته أبا طاهر الصائغ العجى (٢) . ويد وأن هدف  
رضوان من وراء تشجيع هذه الفرقة هو الاستعانة ببعض أفرادها فى اغتيال  
المعارضين له فى سبيل تنفيذ سياسته ، وبعد أن عجز عن استعادة دمشق

(١) ابن القلانسي ، ص ١٣٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨٢ -  
٢٨٣ ، ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٨ ، المقريزى ، اتعاط  
الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، ابن الصيرفى ، الاشارة الى من نال الوزارة ،

ص ٦٠ ، The Cambridge History of Islam, Vol. IA. ,  
p.p. 195-196.

(٢) العنلى ، حوادث سنة ٤٩٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢

وحمص ، واعادتها تحت سيطرته . وفي الوقت الذي كان فيه الصليبيون قد أحرزوا عدة انتصارات متتالية في آسيا الصغرى على السلاجقة ، لم يعبأ رضوان بذلك ، بل ظل يفكر جدياً في الاستيلاء على دمشق . ولم يتسدارك رضوان ودقائق الموقف المتدهور في بلاد الشام ولم يعمل على رأب الصدع الذي أحدثته سياستهما الهوجاء لتوحيد قواهم ضد الصليبيين الذين أخذوا يدرون حصون أنطاكية في شهر رجب من سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م ، وأنهبوا بذلك حكم السلاجقة فيها . ولم يبقا عند هذا الحد بل ان رضوان قد أحدث الفرقة بين صفوف المسلمين الذين كانوا يحاولون استعادة أنطاكية من الصليبيين بقيادة كربوقا صاحب الموصل ، اغافة الى الموقف الطخاذل الذي سلكه دقاق صاحب دمشق تجاه حملة كربوقا (١) .

ومن هنا يمكن القول بأن النزاع الذي قام بين رضوان ودقاق قد ترتب عليه ضعف الجبهة الاسلامية ، وأدى الى عدم استقرار الامور في بلاد الشام وأتاح لكثير من الامراء المحليين بالشام والجزيرة لان يستقل كل واحد منهم ، بما تحت يده ، والعمل على توسيع نفوذه على حساب الآخرين ، فتوزعت بلاد الشام والجزيرة الى امارات عدة ، تركزت حول الموصل وحلب ودمشق وطرابلس وأنطاكية وشيزر والرها ، ولا يجمع بينها ولا واحد مما أتاح للصليبيين الاستيلاء على كثير من مدن الشام في يسر وسهولة . فبعد استيلاء الصليبيين

---

(١) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٦-١٣٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ، ابراهيم خليل ، كربوقا ودهره في مقاومة الصليبيين ، مقال بمجلة المؤرخ العربي ، العدد الخامس ، ص ١٠٩ .

على أنطاكية توجهوا الى البارة واستولوا عليها بعد أن غدروا بأهلها ففى  
أواخر سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م (١) . ومع بداية سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م  
توجه الصليبيون صوب معرة النعمان فضربوا حولها حصارا شديدا اضطـر  
أهلها الى التسليم ، بعد أن أيسوا من مساعدة رضوان صاحب حلب  
وجناح الدولة حسين صاحب حمص ودقاق صاحب دمشق (٢) . ومن المعرة  
توجه الصليبيون الى كفر طاب واستطاعوا الاستيلاء عليها فى السابع عشر  
من شهر صفر سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ففعلوا بأهلها كما فعلوا بأهل المعرة  
والبارة من الغدر والمكيدة (٣) . ثم رحل الصليبيون الى جبل لبنان  
فقتلوا من به من المسلمين وواصلوا سيرهم حتى بلغوا عرقه فحاصروها أربعة  
أشهر من سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م فلم يقدروا عليها ، ونزلوا على حمص فهاـنهم  
جناح الدولة حسين على مال يدفعه لهم ، ثم انصرفوا الى عكا التى بيد  
الفاطميين ومنها توجهوا الى الرملة حيث استولوا عليها من الفاطميين ففى  
ربيع الآخر من السنة نفسها (٤) . ولم يحل شهر رجب من سنة ٤٩٢ هـ  
حتى استطاع الصليبيون تأسيس ثالث إمارة لهم بعد إمارة الرها وأنطاكية

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٢ ، ابن العديم ، زبدة  
الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، العظمى ، حوادث سنة ٤٩١ هـ ، ج ١ ، ص ١٠ .  
حبش ، نور الدين محمود والصليبيون ص ١٠ .
- ( ٢ ) ابن القلانسى ، ص ١٣٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ،  
العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٤٩٢ هـ .
- ( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ١٣٦ ، العظمى ، تاريخ العظمى . حوادث سنة  
٤٩٢ هـ .
- وكفر طاب : بلدة مشهورة بين المعرة ومدينة حلب ، انظر يا قوت الحموى  
معجم البلدان .
- ( ٤ ) ابن القلانسى ، ص ١٣٦ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٣ .  
هرقة : بلدة مشهورة الى الشرق من أربلس الشام على سفح جبل ، انظر  
ياقوت ، معجم البلدان .

تلك هي مملكة بيت المقدس بعد أن عجز الفاطميون عن صد الصليبيين عن بيت المقدس (١) .

ولاشك أن اجتياح الصليبيين لبلاد الشام في مدة قصيرة يعود بالدرجة الأولى إلى عدم إدراك القوى الإسلامية لمغزى الحروب الصليبية ، وأهداف الصليبيين ، ولم يعطوا على توحيد قواهم ضد الصليبيين ، ولم يعمل رضوان رضوان ودقاق على التحالف مع القوى الإسلامية للوقوف في وجه الصليبيين ، بل سعى كل واحد منهما إلى تحقيق أطماعه وتوسيع ممتلكاته على حساب القوى الإسلامية الأخرى ، فدقاق بن تتش توجه في بداية سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م إلى ديار بكر وميفارقين بقصد توطيد نفوذه بها والعمل على توسيع ممتلكاته ، هناك ، في الوقت الذي كان فيه رضوان محاصرا بحلب من قبل الصليبيين (٢) .

ولم يستغل رضوان ودقاق وغيرهما من القوى الإسلامية بالشام وقوع يومئذ صاحب أنطاكية في أسر سلاجقة الروم سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م (٣) من أجل لم شعشهم وشتاتهم والوقوف صفا واحدا في وجه الصليبيين ، بل حاول كل واحد منهم الحصول على أكبر قدر من الممتلكات والسعى في تدبير المؤامرات ضد خصومهم من المسلمين ، فرضوان حين عجز عن إصلاح ما بينه وبين جناح الدولة حسين صاحب حمص سعى في أمر اغتياله على يد الباطنية الذين دبروا اغتياله والتخلص منه وذلك في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م (٤) .

- 
- (١) عن سقوط بيت المقدس بيد الصليبيين ، انظر: ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٥ ، وابن القلانسي ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
  - (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٢ - ٢٨٣ ، ابن القلانسي ، ص ١٣٧ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، الفارقي ، تاريخ الفارقي ، ص ٢٦٩ ، العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٤٩٣ هـ .
  - (٣) العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٤٩٣ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٣٨ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ١٥٥ .
  - (٤) ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ، ابن القلانسي ، ص ١٤٢ .

ولسوء سياسة رضوان التي اتبعتها تجاه القوى الاسلامية في بلاد الشام فانه لم ير في نفسه من الكفاية والقدرة على سد الثلثة التي حدثت ففسى حمص عقب اغتيال جناح الدولة حسين ، فأصبحت حمص محل نزاع بين دقاق صاحب دمشق والصليبيين في بيت المقدس . وأخيرا استطاع دقاق الاستيلاء على حمص في نفس السنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م وسلمها الى اتابكه ظهير الدين طغتكين ، فقطع بذلك الطريق على الصليبيين من الوصول اليها " فحين عرفوا ذلك أحجموا عن القرب اليها والدنو منها<sup>(١)</sup> " كما يقول ابن القلانسي.

ولم يقف رضوان عند هذا الحد من تدبير المؤامرات والاغتيالات لزعماء المسلمين ، وطعنهم من الخلف ، بل سعى في سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م الى التصدي لزعيم سلاجقة الروم قلع أرسلان وهزمه أثناء محاولة قلع أرسلان قتال الصليبيين حول الرها<sup>(٢)</sup> ، ولم يكف رضوان بهذا فقد انضم الى الصليبيين نجدة لتانكر وصاحب انطاكية ضد جاولي سقاوه صاحب الموصل في سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م بسبب خلاف وقع بين رضوان وجاولي<sup>(٣)</sup> . ولم يقدر الصليبيون هذا الموقف من رضوان ، فقد حاصروا حلب نفسها سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م وضيقوا على من بها من المسلمين حتى أكلوا الميتات وورق الشجر ، ولم يكتفوا بهذا بل فرضوا على رضوان مبلغا كبيرا من المال يحمله اليهم ، ولعل هذا هو ما دفع بعض سكان حلب الى الخروج منها الى بغداد لطلب النجدة

(١) ابن القلانسي ، ص ١٤٢ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٧ ، العظمي تاريخ العظمي حوادث سنة ٤٩٦ هـ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ١٥٧ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٣ ، وكان جالي سقاوة قائد السلطان محمد بن ملكشاه ، اقطعه الموصل سنة ٥٠٠ هـ ، ولكنه أساء السيرة في الرغبة ما دعى السلطان الى تنحيته عن الموصل سنة ٥٠٢ هـ وعين بدلا منه شرف الدولة مودود ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٧١٧ - ٤٥٨ .

من السلطان محمد بن ملكشاه والخليفة العباسي المستظهر بالله (١) .

وهذه السياسة العشوائية ألحق رضوان الضرر بأهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين حتى أن النجدة التي أرسلها السلطان محمد بن ملكشاه بقيادة شرف الدولة مودود سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م قد وقف رضوان في وجهها وحمل على عرقلتها ، ولم يكتف بهذا بل عمد الى بث الحرامية من اتباعه يتخطفون من يذفرون به من عساكر مودود ، وأخيرا سعى الى افساد ما بين مودود وحليفه ظهير الدين طختكين صاحب دمشق (٢) .

أما عن موقف دقاق صاحب دمشق من الهجوم الصليبي على بلاد الشام فانه لم يكن بأحسن حال من موقف رضوان بحلب ، فبالإضافة الى موقفه المتخاذل تجاه ما يجري على ارض الشام ما هو بيد غيره ، فانه لم يستطع العمل على رأب الصدع الحاصل بينه وبين أخيه رضوان بحلب ، ولم يستطع تقديم المساعدة الجدية للقوى الاسلامية في بلاد الشام للوقوف في وجه الصليبيين ، وعمد دقاق ومعه أتايكه طختكين الى الاستيلاء على بعض المدن التي كانا يخشيان عليها من السقوط بيد الصليبيين بعد خلوها من حكامها ، مثل استيلائهما على حمص فقب اغتيال جناح الدولة حسين سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م ثم قيامهما بالاستيلاء على الرحبة بعد وفاة صاحبها المسمى قايمز التركي في نفس السنة (٣) . غير ان الاجل قد احاط بدقاق حيث توفي في السنة التالية

(١) ابن القلانسي ، ص ١٧٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٨٥-٤٨٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٥٠٤ هـ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ١٧٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦٠ ، العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٥٠٥ هـ .

(٣) انظر: ابن القلانسي ، ص ١٤٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٧٣-٣٧٥ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م بعد ان أوصى بالامر من بعده لاتبكة ظهير الدين طغتكين ، وموفاة دقاق هذه السنة انتهى حكم السلاجقة من دمشق ، وانتقل الى أسرة ظهير الدين طغتكين التي غلت تحكم دمشق حتى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م (١) .

ولم يقتصر النزاع بين رضوان ودقاق في بلاد الشام وما ترتب عليه من تفكك وحدة السلاجقة عند حد اجتياح الصليبيين لبلاد الشام في يسر وسهولة ، بل أدى الى تنازع القادة العسكريين السلاجقة ، الامر الذي أدى في النهاية الى بروز قوى جديدة في بلاد الشام على أنقاض السلاجقة ، كان لها دور أيضا في تفكك وحدتهم لا في بلاد الشام فحسب بل وفي اقليم الجزيرة . ومن أشهر القادة العسكريين الذين أسسوا لهم امارات مستقلة عقب تمزق وحدة السلاجقة في الشام والجزيرة ولعبوا دورا بارزا في مجريات الاحداث السياسية في الفترة الاخيرة ، نجم الدين ايلغازي ابن أرتق واخوه سقمان بن أرتق . كان والدهما أرتق بن أگسك التركمانسى أحد ممالك السلطان ملكشاه (٢) واشتهر أرتق بالشجاعة وحسن التدبير حتى نال مرتبة عالية لدى السلطان ملكشاه ، غير أن العلاقات بينه وبين السلطان ملكشاه قد ساءت منذ عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م فتوجه أرتق أثر ذلك الى بلاد الشام وانضوى تحت لواء تاج الدولة تتش وشاركه في فتوحاته ببلاد الشام ، فكافأه على حسن بلائه وخدماته بأن أقطعه بيت المقدس سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م فظل بها حتى وفاته سنة

---

(١) ابن القلانسی ، ص ١٤٤ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ،  
ابوالمحسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٨٩ .

(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٩٩ ، ابن خلكان ، وفيات  
الاعيان ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية  
في الشام والجزيرة ، ص ٥٧ ، حاشية رقم (١) .



٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م<sup>(١)</sup> ، وخلفه على اقطاعه في بيت المقدس ابنه نجم الدين ايلغازي وأخوه سقمان بن أرتق ، ولعب الاراتقة دورا بارزا في حوادث النزاع الذي نشب بين أبناء تتش كغيرهم من قادة السلاجقة في بلاد الشام<sup>(٢)</sup>.

ولما انتزع الفاطميون بيت المقدس من بني أرتق سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ، اتجه بنو أرتق جميعا الى منطقة الجزيرة والعراق . ومن اتجه منهم الى العراق نجم الدين ايلغازي بن أرتق حيث لزم جانب السلطان محمد بن ملكشاه ، وأسند اليه شحنة بغداد سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م ، ولعب دورا بارزا في النزاع الذي كان قائما بين السلطان محمد بن ملكشاه وأخوه بركياروق بن ملكشاه<sup>(٣)</sup> . أما سقمان بن أرتق فقد اتجه بعد خروجه من بيت المقدس الى سروج واتخذها مركزا له في محاولة فاشلة للاستيلاء على الرها . وظل بسروج حتى استطاع سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م من الاستيلاء على حصن كيفا عقب وفاة قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل<sup>(٤)</sup> ، واستطاع سقمان ابن ارتق أن يؤسس له بحصن كيفا امارة مستقلة ، واستولى نجم الدين ايلغازي الذي كان شحنة للسلطان محمد بن ملكشاه ببغداد على ماردین واستقل بحكمها وترك في حصن كيفا ابن اخيه داود بن سقمان بن أرتق<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٧ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ١٩٧ - ٢١١ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٩١ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .  
( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٩١ ، ابن ابيك ، كنز الدرر ، ج ٢ ، ص ٤٢٨ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٣ ، ٣٤١ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٥٦ ، والشحنة : هو المسئول عن حفظ الامن في المدينة وممثل السلطان امام الرعية عند غيبة السلطان عن المدينة والشحنة اسم الوظيفة التي يتولاها الشحنة . انظر : المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٥ - ٣٦ ، حاشية ، نظير حسان سعداوى ، جيش مصر ، ص ٣٢ حاشية رقم ١ ، حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٠١ .

( ٤ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٤٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، Gibb, op. cit., p.p. 26-27.

( ٥ ) ابن القلائس ، ص ١٤٦ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٥١ =

وهكذا استطاع سقمان بن أرتق ونجم الدين ايلغازى أن يؤسسوا  
للاراتقة امارتين بد ياربكر ، احدهما فى ماردين والاخرى فى حصن كيف ، ولعب  
زعما هاتين الامارتين دورا بارزا فى بعث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين  
قبل قيام الاسرة الزنكية سنة ٥٢١ هـ . (١)

### - فرقة الاسماعيليه وأثرها السياسى فى بلاد الشام :

والاضافة الى مقام به قادة الاتراك السلاجقة من دور بارز فى زيادة  
تفكك وحدة السلاجقة فى بلاد الشام والجزيرة ، فقد شهدت بلاد الشام  
ظهور فرقة الاسماعيليه أو الباطنية التى أدت الى زيادة تفكك القوى الاسلامية فى  
بلاد الشام والجزيرة . وتنسب هذه الطائفة الى اسماعيل بن جعفر  
الصادق المتوفى سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٥ هـ (٢) . وقد أسس حركة الباطنية  
التي تعرف أحيانا باسم الحشيشية الحسن بن محمد الصباح الذى سافر من  
ايران الى مصر وقابل الخليفة الفاطمى المستنصر وتلقى منه اصول الدعوة  
الاسماعيلية ، ثم عاد الى بلاد فارس . وفى سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٨٨ م استولى  
الحسن الصباح على قلعة الموت التى عرفت باسم عش العقاب لمناعتها وارتفاعها  
وحصانتها . وفضل ما اشتهر به الحسن بن الصباح من الدهاء والمكر وضع  
لاتباعه تنظيما دقيقا وقسمهم الى خمس مراتب ، وألف كتابا من اربعة فصول

- 
- == اباالمحاضن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩١ . احمد السعيد سليمان ،  
تاريخ الدول الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ .  
وماردين : قلعة عظيمة على قمة جبل الجزيرة ، كان لها رضى عظيم واسواق  
كثيرة وحانات . انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان .  
( ١ ) ولمزيد من التفصيل عن الاراتقة انظر كتاب عماد الدين خليل ، الامارات  
الارتقية فى الجزيرة وبلاد الشام ، طبعة بيروت ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م  
( ٢ ) الشهرستانى ، المثل والنحل ، ص ١٩٨-٢٠٧ ، انظر المقرئى : اتعاظ  
الحنفاء ، ج ٢ ، ص ١٥ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٣٦ ،  
برنارطويس ، الدعوة الاسماعيليه ، ص ٥٢-٨٤ ، كلود كاهن ، تاريخ  
الحرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .

ضمنه أهم مبادئ دعوته ، وجند فئة من أتباعه تميزت بقوة الابدان وطاعتها العمياء لتنفيذ ما يطلب منها في اغتيال خصومهم بالخناجر مهما كانت النتائج وكثر جمعه فملك القلاع الكثيرة ، وأخذ أمره في الانتشار وساعده في ذلك تفكك وحدة السلاجقة عقب وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢ م وضعف الخلافة العباسية (١) .

وكان من أبرز نشاطات هذه الفرقة في بلاد فارس والعراق وبلاد الشام الفتك بزعماء أهل السنة وكانت أولى ضحاياهم - ابرز شخصية في الدولة السلجوقية - وهى شخصية نظام الملوك ووزير السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م (٢) . ولم يقتصر نشاط هذه الفرقة عند حد الفتك بزعماء السنة ، بل تعداه الى التعرض لحجاج المسلمين القادمين من الهند وبلاد ما وراء النهر . غير أن أمر هذه الفرقة بفارس والعراق أخذ في الضعف والتدهور بعد سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م حين أقدم السلطان محمد بن ملكشاه على تخريب قلاعهم وتشريد بعض زعماء هذه الفرقة من بلاد فارس (٣) .

---

( ١ ) الشهرستانى ، الطل والنحل ، ص ٢٠٣ - ٢٠٧ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ ، ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص ٣٢٢ ، الذهبى ، دول الاسلام ج ٢ ، ص ٢٣ ، فيليب حتى ، تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

( ٢ ) ابن القلانسى ، ص ١٢١ ، الاصفهانى ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٨ .

( ٣ ) العظيمى ، تاريخ العظيمى ، حوادث سنة ٥٥٠ هـ ، ابن شاكركتبى ، عيون القوارىخ ج ١ ، حوادث سنة ٥٥٠ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١ ، ص ٣٩٣ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ١٩ ، ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٨ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٤١٠ .

أما عن هذه الفرقة ببلاد الشام ، فقد استغل زعماء الباطنية الانقسام الذى ساد بلاد الشام عقب وفاة تاج الدولة تتش سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٦ م ، وقيام النزاع بين رضوان ودقاق فى حلب ودمشق وازدياد مطامع القيادة الاتراك فى بلاد الشام فتيسر لهم التغلغل فى صفوف المسلمين وتثبيت أقدامهم فى بلاد كل منهم بقدر استطاعتهم . ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل ساعدوا على اخراج بعض ممتلكات السلاجقة الى الفاطميين حلفائهم فى العقيدة ، كما حصل فى أقاليم سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٧ م (١) .

ولما لم يكن للاسماعيلية مركز فى بلاد الشام ، فقد سعى الحسن بن محمد الصباح الى أن تكون حلب تحت سيطرته ، فأخذ فى بث رجاله ودعاته فنجح فى هذا الامر . واستطاع أحد دعاته ويعرف باسم الحكيم المنجم الباطنى التقرب من الملك فخر الملوك رضوان سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م ، وبدأ باظهار مذهب الباطنية فى حلب ، فاعتبر بذلك أول داعية للاسماعيلية ببلاد الشام بفضل المؤازرة والمساعدة التى حصل عليها من رضوان صاحب حلب ، حيث سمح رضوان للحكيم المنجم باقامة دار لدعوة الاسماعيلية بحلب ، ولم يسقف عند هذا الحد بل شمل اصحابها بعطفه ورعايته (٢) .

ومفضل ما حصل عليه رجال الاسماعيلية بحلب من عطف ورعاية رضوان ، فقد استغلوا ذلك فى الفتك بزعماء المسلمين الذين كانوا يعارضون رضوان . وهذا على ما يبدو سر تقرب رضوان لهذه الفرقة ، وقد افتحوا أعمالهم الاجرامية فى بلاد الشام بقتل جناح الدولة حسين أتابك رضوان ، بعد أن توترت العلاقات بينهما فى شهر رجب ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م . ولم تطل أيام

(١) انظر ما سبق ، ص

(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٦-١٤٧ ، ١٦٨ ، ابن

القلائس ، ص ١٤١-١٤٣ ، ابن سبط الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ،

فى ١ ، ص ١٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٦٨ .

زعيم هذه الفرقة في حلب - الحكيم المنجم - بعد مقتل جناح الدولة حسين فتولى أمر الاسماعيلية بها ابوطاهر الصائغ ، الذي سار على نهج سلفه ففى الفتك بزعماء المسلمين حيث دبر من قبله بعض رجاله ففتكوا بخلف بن ملاعب صاحب أقاميه سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٦ م بالتعاون مع ابى الفتح السرمينسى الذى اتخذ من سرمين مقرا له ولاعوانه (١) .

وهكذا يمكن القول أن توطيد الاسماعيلية بحلب واتساع نفوذهم فى بلاد الشام قد أدى الى ظهور عامل جديد من عوامل تفكك وحدة المسلمين عامة والسلاجقة خاصة ، ذلك التفكك الذى تعرضت له بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، الامر الذى أدى بهذه الفرقة الى مساعدة الصليبيين فى الاستيلاء على بعض معاقل المسلمين ، أو تهئية المناخ المناسب لسقوطها بيد الصليبيين كما حصل فى أقامية سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٧ م .

ولم تقف الاسماعيلية عند هذا الحد من طعن المسلمين من الخلف باغتيال الشخصيات الكبيرة ، بل تعداه الى انهم حاولوا الاستيلاء على قلعة شيزر من بنى منقذ سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٩ م بقصد اتخاذها معقلا لهم فى بلاد الشام بدلا من حلب ، ولكنهم أخفقوا فى هذا الامر (٢) . على أن ما قام به زعماء فرقة الاسماعيلية من اثاره روح الكراهية بين السكان تجاه أمراء وقادة السلاجقة ومن نشر الرعب والفرع فى بلاد الشام مما أسهم الى حد كبير فى وضع المراقيل أمام توحيد الجبهة الاسلامية (٣) . فقد سعوا - على سبيل المثال - سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م الى فض الحلف الاسلامى الذى حصل بين

---

(١) ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ابن القلانسى ص ١٤٩ - ١٥٠ ، ابروالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٢ ، ابن ميسرة ، اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

وسرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب ، وأغلب سكانها من الشيعة ، انظر يا قوت ، معجم البلدان .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٧٢ .

(٣) الحرينى ، الشرق الاوسط ، ج ١ ، ص ٢٧ .

مودود صاحب الموصل وظهر الدين طغتكين صاحب دمشق ، وذلك الحلف الذى كان نواة حقيقية فى توحيد الجبهة الاسلامية ضد الصليبيين ، حينما أقدم الباطنية على الفتك بمودود فى دمشق فى السنة المذكورة . الامر الذى أدى بظهر الدين طغتكين الى اتباع سياسة اللين مع الصليبيين فى السنة التالية ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م (١) .

ولكن أمر الاسماعيليه فى حلب خاصة وبلاد الشام عامة ، أخذ فى الضعف عقب وفاة رضوان بن تتش سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ان أن خليفة رضوان المسمى ألب أرسلان بن رضوان قد أقدم على الفتك بهذه الفرقة المارقة بطلب من السلطان محمد بن ملكشاه ، حيث قبض على ابي طاهر الصائغ وقتله ، وقتل زعماء هذه الفرقة " وقبض على زهاء مائتى نفس منهم " ، وذلك قضى على نفوذهم بحلب وشرذ من بقى منهم ببلاد الشام (٢) . غير أن من بقى منهم على قيد الحياة قد تجمعوا وحاولوا مرة أخرى الاستيلاء على شيزر من بنى منقذ سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ، ولكنهم فشلوا فى تحقيق مقصدهم مرة أخرى (٣) . وحدث فلول الباطنية الى حلب مستغلين فى ذلك وفاة ألب أرسلان بن رضوان سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م ، الا أن أمرهم فى حلب لم يمد كما كان عليه فى زمن رضوان ، فظلوا على حال من الضعف والاستتار بحلب حتى كان حكم بلك بن بهرام لها سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ان أمر باخراج الباطنية من حلب " فباعوا أموالهم ورجالهم وخرجوا منها " (٤) .

- 
- (١) انظر مايلو ، الفصل الثانى ، ص  
 (٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٦٨-١٦٩ ، انظر ابن القلانسي ، ص ١٩٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٩٩ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٤٧ ، العظيى ، حوادث سنة ٥٠٧ هـ .  
 (٣) العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥٠٧ هـ .  
 (٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، انظر : احمد رمضان ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام ص ٧١ .

ولكن أمر الاسماعيليه في بلاد الشام لم يضعف بما حل بهم على يد بلك ابن بهرام بن أرتق سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، فقد تزعم أمرهم أحد الرجال المعروفين وهو بهرام الاستراباذي ، وتجمع معه الكثير من جهلة الناس ورعاهم وهو على غاية من الاستتار والاختفاء ، حتى ظهر أمره في دمشق سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، فتقرب منه ظهير الدين طفتكين اتقاء لشره ، وتنازل له عن ثغر بانياس في السنة نفسها فعدت بانياس حصنا للاسماعيلية ، وبدلاً من حلب (١) . وكان لهذا العمل من قبل طفتكين اثره في نفوس الكثيرين من الفقهاء ورجال الدين من أهل السنة ، وهذا ذلك سيئة من سيئات طفتكين في حق الاسلام والمسلمين ، خصوصاً وان بهرام قد اتخذ من بانياس قاعدة انطلاق للاستيلاء على مزيد من الحصون والقلاع ، ففي سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م استولى بهرام على حصن القدموسى غير أن منيته قد وافته في السنة التالية ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ، وهو في طريقه للاستيلاء على مزيد من الحصون ، بعد أن استخلف على بانياس رجلاً من اصحابه ، اسمه اسماعيل المعجمي (٢) .

ولم يقنع زعماء الاسماعيليه بما حصلوا عليه من ظهير الدين طفتكين ، بل انهم استغلوا وفاته في أول سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م وسموا الى الاتفاق مع

- 
- (١) العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٥٢٠ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٣٢ ، ابن القلانسي ، ص ٢١٠ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١١٧ - ١١٨ ،  
 - وانياس : بلدة صغيرة قريباً من جبل لبنان ، وتعد من اعمال دمشق ، انظر : ابوالفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
- (٢) العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٥٢١ هـ - ٥٢٢ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢١٦ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٤٣ .  
 وحصن القدموسى : حصن من حصون وادي التيم ، من أعمال بعلبك شمال الشام ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٥٦ .

الوزير أبوعلى طاهر بن سعد المزدقانى وزير تاج الملوك يورى بن طغتكين ، على تسليم دمشق للصليبيين فى مقابل حصول الوزير على صور التى كان الصليبيون قد استولوا عليها من الفاطميين سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م . ولم تاج الملوك يورى بهذا الامر قبل تنفيذه فقبض على وزيره المزدقانى ، وقتله وفك بالاسماعيلية ، وأحدث فى صفوفهم مذبحه شنيعة ، اذ بلغ عدد قتلاهم نحو من ستة آلاف نفس (١) . الامر الذى أدى بمن ببانياس من الاسماعيليين الى القيام بتسليمها الى الصليبيين فى السنة التالية ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م (٢) . وعلى الرغم مما حل بفرقة الاسماعيليين من دمار وتشريد على يد قادة بلاد الشام فان نشاطهم العدائى للمسلمين عامة وأهل السنة خاصة لم ينقطع فى بلاد الشام ، بل ظل عائقا أساسيا فى سبيل توحيد الجبهة الاسلامية فضلا عن تفكك وحدة السلاجقة فى بلاد الشام .

### نهاية الامارات العربية فى بلاد الشام والعراق والجزيرة :

واكب انهيار النفوذ السلجوقى وتفكك وحدتهم نهاية للامارات العربية التى كانت قد اتخذت من الموصل وحلب والجزيرة وادية الشام سرحا لها . وتمتعت هذه الامارات فى هذه المناطق بنفوذ واسع النطاق قبل الحكم السلجوقى ، حين كان الفاطميون يسيطرون على معظم مدن بلاد الشام ويتفقون مع كثير من القبائل العربية فى المذهب الشيعى خاصة قبائل كلاب وحقيل ، ومنى مزيد فى الحلة . ولكن السلاجقة الاتراك حينما وصلوا الى بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م أخذوا على عاتقهم حماية الخلافة العباسية والعمل على توسيع نفوذها فى بلاد الشام ، وذلك بهدف القضاء على النفوذ الشيعى

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٢١-٢٢٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، المعظمى ، تاريخ المعظمى ، حوادث سنة ٥٢٢ هـ ، سبط

ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٤٣ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢٢٥ ، المعظمى ، تاريخ المعظمى ، حوادث سنة

٥٢٣ هـ .



الفاطمى ، فاصطدموا بالامارات العربية فى الموصل وحلب ، وأخضعوها  
لنفوذهم وقضوا على معظمها .

فالمرداسيون فى حلب الذين يعود نسبهم الى قبيلة كلاب العربية ،  
المدنانية (١) وقفوا فى وجه السلاجقة وهاولوا منهم من السيطرة على حلب  
والبلاد التابعة لها فى شمال الشام . وقد تجلّى موقفهم هذا فى عهد الامير  
محمود بن نصر بن صالح بن مرداس أثناء حملة السلطان ألب أرسلان على  
ديار بكر وبلاد الشام سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م حيث رفض محمود تسليم حلب  
لمندوب السلطان . ولكن ادراكا من محمود بعدم قدرته العسكرية على مواجهة  
السلاجقة ، فقد قابل السلطان ألب أرسلان وشرح له عن أعماله فى حلب  
وجهاده ضد البيزنطيين ، فعفى عنه ألب أرسلان وأقره على بلاده (٢) . وكان  
محمود قد لعب دورا كبيرا فى جهاد الروم البيزنطيين فى منطقة أنطاكية والثغور  
الاسلامية ، ان كانت هذه البلاد بين مد وجزر فيما بين المرداسيين  
والبيزنطيين (٣) .

ظل محمود بن نصر فى حكم حلب حتى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م ان وافته  
منيته على أثر مرض حل به ، وخلفه ولده الامير نصر بن محمود (٤) . وقد تعرض  
نصر هذا لضغوط من الاتراك السلاجقة سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م ولكنهم فشلوا

- 
- ( ١ ) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠٥ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١  
ص ٣٠٤ .
- ( ٢ ) الميمنى ، عقد الجمان ، ج ١١ ورقة ١٥٧ أ ، ص ٥٩ ، ابن القلانسي ،  
ص ٩٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٤ ، ابن العديم ، زبدة  
الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١-٢٢ .
- ( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحب ، ج ٢ ، ص ٤١-٤٢ .
- ( ٤ ) ابن القلانسي ، ص ١٠٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠٠-١٠٦  
ابن العديم ، زبدة الحب ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات  
الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٢٩ .

فى الاستيلاء على حلب . غير أن نصرا لم تطل حياته ، فقد قتله بعض زعماء السلاجقة فى شهر شوال من نفس السنة ، فتولى امر حلب بعده أخوه سابق ابن محمود (١) .

دخل سابق بن محمود فى نزاع مع أخيه وثاب بن محمود الذى اجتمعت عليه بنو كلاب فاستعان سابق بن محمود بالأتراك السلاجقة ، واستطاع هزيمة خصومه فى نهاية سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٧ م <sup>(٢)</sup> وأخذت أحوال البيت المرداسى فى الانحلال والتدهور ان لجأ وثاب بن محمود وجماعة من العرب الى السلطان ملكشاه وطلبوا منه المساعدة ضد سابق بن محمود ، ودلا من ان يقدم السلطان ملكشاه لهم المساعدة فقد أقطع بلاد الشام كلها لأخيه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، وأمرهم بالمسير الى بلاد الشام قساروا وانضموا الى صفوف تتش الذى أخذ فى حصار حلب سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها فعاد الى دمشق واستولى عليها فى السنة التالية من أحد قادة السلطان ملكشاه (٣) .

من هنا شعر سابق بن محمود بخطر تتش والسلاجقة فطلب المساعدة من مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل فى الوقت الذى كان فيه أهل حلب قد بعثوا برسلمهم اليه لطلب الاستغاثة منه وانجاهم من سوء الاوضاع بحلب . وقرر مسلم المسير الى حلب لانجدة سابق بن محمود وانما للاستيلاء على حلب فوصلها فى شهر الحجة سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م ومعه جمع من العرب .

---

(١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٢ ، ورقة ٢٥٣ أ ب ، ابن العديم بغية الطلب ، ج ٢ ، ورقة ١٦٥ ب ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٤٧-٤٩ .

(٢) ابن العديم ، بغية الطلب ، ج ٢ ، ورقة ١٦٦ أ ب ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٣) ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ١٣ ، ورقة ٤٧ أ ، ابن القلانسي ، ص ١١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٥٦ ، The Cambridge History of Islam, Vol.IA, p.195.

وراسل سابق بن محمود الذى تحصن بقلعة حلب ، وهرغ مسلم بن قريش على سابق بن محمود تسليم حلب ، فرفض سابق بن محمود ، وكاد اليأس أن يندب الى نفس مسلم بن قريش ، غير ان الفرج قد أتاه بوقوع الخلافات مجدداً بين الامراء المرداسيون ، فتوسط على بن المقلد بن منقذ بين سابق بن محمود ومسلم بن قريش ، وأشار على سابق بن محمود وأمرأى بنى مرداس بتسليم حلب الى مسلم بن قريش ورجعهم فى قبول التعويضات المالية والاقطاعات السنوية لكل واحد منهم ، فنزل الامراء المرداسيون عند هذه المشورة وتسلمها مسلم بن قريش فى شهر ربيع الاخر من سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م (١) . وتسلم مسلم بن قريش لحلب زالت دولة بنى مرداس وأصبحت حلب تحت حكم مسلم بن قريش حتى وفاته سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٤ م عندما استولى عليها تاج الدولة تتش من القائمين عليها من قبل مسلم بن قريش (٢) . وهكذا يمكن القول أن نهاية امارة بنى مرداس فى حلب جاءت فى فترة قوة السلاجقة واتساع نفوذهم ، مما أحدثه من اثارة المنازعات بين الامراء المرداسيين بعضهم ضد بعض حتى تمكن مسلم بن قريش بمساعدة السلاجقة من القضاء على هذه الامارة المريبة الغتية سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م .

أما عن امارة بنى عقيل فى الموصل وشمال الشام (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م - ٤٧٨ هـ / ١٠٨٤ م) فلم تكن بأحسن حظ من امارة بنى مرداس فى حلب وذلك للجهود الجبارة التى بذلها السلاجقة للاطاحة بهذه الامارة نظراً لاختلافها فى المذهب عن مذهب الخلافة العباسية والسلاجقة وموالاة زعماء هذه الامارة للخلافة الفاطمية فى القاهرة . فقريش بن بدران زعيم بنى عقيل

(١) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ١٣ ، B ، ورقة ٥١ أ ب ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٥٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) المصرى ، مسالك الابصار ج ١٦ ، ورقة ١٠٦ أ ، ابن القلانسي ص ١١٨ - ١١٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٥ ، ١٤٨ - ١٤٩ ،

في الموصل شحر كغيره من أمراء العرب بخطورة السلاجقة ، فأخذ في تشجيع الحركات المناوئة لهم . غير ان حياة قریش لم تطل حيث توفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م فخلفه في حكم الموصل ابنه شرف الدولة مسلم بن قریش ، فأخذ في توطيد علاقاته بالسلطنة السلاجقية وتقرب من السلطان ألب أرسلان ، فزاد السلطان في اقطاعه سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م (١) .

وفي ظل هذه العلاقة الطيبة مع السلاجقة استطاع مسلم بن قریش الاستيلاء على حلب سنة ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م والقضاء على إمارة بني مرداس فيسط نفوذه على الموصل وشمال بلاد الشام . وتطلع الى الاستيلاء على دمشق من تاج الدولة تتش سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ، ولكنه فشل في الامر ، بسبب قوة السلاجقة وعدم وصول النجدة التي طلبها من الفاطميين بمصر ، فأفسد بذلك علاقاته مع السلاجقة (٢) .

لم يقف مسلم بن قریش عند هذا الحد من معاداة السلاجقة ، بل انضم الى بني مروان بديار بكر لمساعدتهم ضد الحملة التي أرسلها السلطان ملكشاه سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م للقضاء على الإمارة المروانية

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٣ ، ورقة ٢٤٨ أ ، ابن الاثير ، الكامل ج ٩ ، ص ٦٤٠-٦٤٧ ، الاصفهاني ، دولة السلجوق ، ص ٣٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٦٧-٢٦٨ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، الازدي ، اخبار الدولة المنقطة ، ص ٦٨ ، سيرة المؤيد في الدين ، داعي الدعاة ، ص ٩٢-١٤٢ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ١١٤-١١٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢٧ .

بد ياربكر . وانهزم مسلم بن قريش امام السلاجقة ، وكاد ان يقع اسيرا  
فوايديهم ، الا انه استطاع الافلات بمساعدة أرتق بن أكسك جد ملوك  
الاراتقة في ماردين وحصن كيفا ، وقرر مهالبة السلطان ملكشاه ، وقسندم  
للسلطان اموالا وهدايا بما فيها فرسه الخاص ، فعفى عنه وقره على بلاده (١) .

غير أن طموح شرف الدولة مسلم بن قريش وكرهه للسلاجقة السنيين كانتا  
سببا في حتفه سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٤ م على مقربة من انطاكية في لقاء له مع  
زعيم سلاجقة الروم بآسيا الصغرى سليمان بن قطلمش (٢) . ومقتل مسلم بن  
قريش تولى أمر بني عقيل في الموصل أخوه ابراهيم بن قريش بن بدران ، ولما كان  
مسلم بن قريش تابعا للسلاجقة ، فقد قام السلطان ملكشاه سنة ٤٨٢ هـ /  
١٠٨٩ م باستدعاء ابراهيم بن قريش الى بغداد لمحاسبته ، فاعتقله ملكشاه  
وظل معتقلا حتى توفي ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م فأطلقت تركان حاتون  
زوجة السلطان ملكشاه . وهاه ابراهيم بن قريش الى الموصل ومها زوجته  
صفية وابنها على بن شرف الدولة مسلم بن قريش ، وكان ابراهيم قد تزوجها  
بعد وفاة أخيه مسلم بن قريش . فلما عاد ابراهيم من الاعتقال رحبت به زوجته  
وسلمت اليه الموصل فبقى حاكما لها حتى أتاه تاج الدولة تقش سنة ٤٨٦ هـ /  
١٠٩٣ م وهزمه وقتله ، ومقتله اضمحل <sup>أمر</sup> بني عقيل في الموصل وشمال الشام (٣)

( ١ ) العمري ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ص ١٦٦ ، ورقة ١٠٧ أ ، النويري ، نهاية  
الارب ، ج ٢ ، ورقة ١٢٤ أ ، ابن القلانسي ، ص ١١٧ ، ابن الاثير ،  
الكامل ، ج ١ ، ص ١٣٤-١٣٧ .

( ٢ ) سبط ابن الجوزي ، امرأة الزمان ج ٣ ، ورقة ٧١ أ ب ، ابن القلانسي ،  
ص ١١٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٩١ ، ابن الاثير ، الكامل  
، ج ١ ، ص ١٣٩-١٤٠ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ،  
ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ .

ومن أهم القوى الإسلامية في بلاد الشام والعراق قبل قيام الاسرة  
 الزنكية امارة بنى مزيد في الحلة بالعراق (٤٩٥-٥٢١هـ / ١١٠١-١٢٧م)  
 وامارة بنى عمار في طرابلس (٤٦٢هـ-٥٠٣هـ / ١٠٧٠-١٠٩٠م) واطارة بنى  
 صفد في شيزر (٤٧٤-٥٥٢ / ١٠٨١-١١٥٧م) .  
 فأما عن امارة بنى مزيد فوالحلة بالعراق (٤٩٥ / ١١٠١هـ - ٥٢١ /  
 ١١٢٧م ) فتنسب الى مضر وهم بطن من بطون أسد بن خزيمه ، تركزت  
 زعامتهم فو بنى مزيد الناشرى (١) . علا شأن بنى مزيد بالعراق بيـــــن  
 واسط والبصرة ، بما انضم اليهم من الاكراد حتى صار خلفاء بنى بويهية  
 وسلاطينهم يتقربون الى زعماء هذه الامارة تفاديا للاضطدام بها ، ان أن  
 بنى مزيد كانوا يمثلون الانتفاضة العربية ضد السيطرة البويهية على الخلافة  
 العباسية ، بالرغم من اشتراك البويهيين والمزيديين فى مذهبــــــــــــــ  
 التشيع (٢) .

وعندما سقطت حكومة البويهيين سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م وتولى أمر  
 الخلافة العباسية سلاطين السلاجقة ، سعى بنو مزيد الى عرقلة التوسع  
 السلجوقي فى العراق وبلاد الجزيرة وحاولوا مساعدة القوى المعارضة لهم

- 
- ( ١ ) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ص ،  
 والحلة : المقصود بها حلة بنى مزيد ، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد  
 الى الغرب من الفرات ، وكانت تسمى الجامعين قبل ان ينزلهمــــــــــــــ  
 ويحمرها سيف الدولة صدقة سنة ٤٩٥ هـ . وكانت اجمة تأوى اليها المساجع  
 انظر ياقوت ، معجم البلدان .  
 ( ٢ ) الحلى ، تاريخ الحلة ، ص ٢٢ .

كالبساسيرى ، حتى اضطر السلطان السلجوقى طغرل بك الى التقرب من زعيم بنى مزيد نور الدولة ديبس ، وخلع عليه بما يناسب مقامه . وقد ظل فى الامارة حتى توفي فى سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م فتولى الامر من بعده ابنه بهاء الدولة منصور (١) .

تقرب بهاء الدولة منصور من سلاطين السلاجقة ، وحضر الى جانبهم الوقعة التى جرت بين السلاجقة من جانب ومنى مروان ومسلم بن قريش من جانب آخر فى آمد سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م وكان لبهاء الدولة منصور على ما يبدو - دور بارز فى الافراج عن مسلم بن قريش الذى كان يقع أسيرا فى يد السلاجقة . وقد تحلى بهاء الدولة منصور بصفات حميدة ، وظل فى الامارة حتى وفاته سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م فتولى الامر من بعده ابنه سيف الدولة صدقة ، فى عهد السلطان السلجوقى ملكشاه (٢) . وكان السلطان ملكشاه حين سمع بوفاة بهاء الدولة منصور قد طلب احضار ابنه سيف الدولة صدقة ، فلما حضر بحضرته خلع عليه وولاه ما كان لابيهِ ، فظل سيف الدولة صدقة على علاقة طيبة بالسلاجقة ولزم جانب الطاعة ، واشترك

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٢١ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٠٠ ، سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعوة ، ص ١٢٤ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٦ ، ١٥١ ، ابن الجوزى ، المنتظم ج ٩ ، ص ١٣-١٦ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٢ الفارقى ، تاريخ الفارقى ، ص ٢١١ - ٢٢٠ .

مع رجال السلطان في اصلاح ماخر به العرب بالبصرة سنة ٤٨٣ هـ /  
١٠٩٠ م (١) .

وعند ما توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م استفل سيف  
الدولة صدقة النزاع الذي قام بين أبنائه من جهة وبين عمهم تاج الدولة  
تتش من جهة أخرى ، وما حصل عليه القادة الاتراك من الاقطاعات في  
العراق ، اضافة الى اختلافه عنهم في المذهب . فالسلاجقة سنيين  
متعصبين بينما سيف الدولة صدقة ومقية بنى مزيد شيعة رافضة (٢) .

من هنا وجد سيف الدولة صدقة الفرصة سانحة في الاستقلال بما  
تحت يده من الاملاك ، فقطع الخطبة باسم السلطان بركياروق بن ملكشاه  
وأعلنها باسم اخيه محمد بن ملكشاه سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م . ولم يقف  
عند هذا الحد بل عمد في السنة التالية ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م الى اتخاذه  
الحلة مقر له وانتقل اليها فسميت بالحلة السيفية نسبة الى سيف الدولة  
صدقة ، وأخضع القبائل الفراتية وأخذ في توسيع امارته على حساب  
السلاجقة والخلافة العباسية ، فشملت امارته البصرة والبطيحة ، وهيت  
وحانة ، والكوفة (٣) .

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ١٥١ ، ١٨٣ - ١٨٤ .  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ١٨٤ ، ابوالمحسن ، النجوم الزاهرة  
ج ٥ ص ١٢٢ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١١٢ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٣٠٨ ، الاصفهاني ، دولة  
آل سلجوق ، ص ١١٥ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ص ٤٩٠ ،  
الحسيني ، أختيار الدولة السلجوقية ص ٨٠ ، سعيد عاشور ،  
الحركة الصليبية ، ج ١ ص ١١٢ .  
- والبطيحة : ارض متسعة بين واسط والبصرة . انظر ياقوت : معجم  
البلدان .



وتحاديًا في سياسة العداوة للسلطان بركياروق ، فقد رفض سيف الدولة صدقة مقابلة السلطان بركياروق سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م حين قدومه الى بغداد ، وانضم في السنة التالية ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م الى نجم الدين ايلغازي وأخيه سقمان بن أرتق للوقوف في وجه السلطان بركياروق ومساعدة السلطان محمد بن ملكشاه . ثم أقدم سيف الدولة صدقة في السنة نفسها ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م على الاستيلاء على هيت التابعة لبركياروق واستخلف عليها سيف الدولة صدقة ابن عمه ثابت بن كامل ، ومقيت تحت سيطرته حتى وفاته سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م (١) . وفي نفس السنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م استغل سيف الدولة صدقة خروج كشتكين القيصري - شحنة بغداد من قبل السلطان بركياروق - من بغداد فأعاد الخطبة بها باسم السلطان محمد بن ملكشاه ، فذاع صيت سيف الدولة صدقة وعدله بين الناس ، حتى أن أهل عانة من بني يعيش بن عيسى بن خلاط قد تقدموا في أول سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م الى سيف الدولة صدقة وسلموا اليه بلدهم عانة ، وفي نفس السنة استولى سيف الدولة على واسط وولى عليها من قبله أحد أصحابه بينما عاد هو الى عاصمته الحلة (٢) .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، الحلبي ، تاريخ الحلة ، ص ٢٤ .

(٢) ابن شاكر ، عيون التواريخ ، حوادث سنة ٤٩٧ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ ، ٣٦٨ - ٣٧٧ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٦٣ ، الحلبي ، تاريخ الحلة ، ص ٢٤ .

وفى ربيع الاخر من سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م عقد الصلح بين السلطان  
بركياروق وأخيه محمد بن ملكشاه ، فما كان من سيف الدولة صدقة الا أن  
رفض هذا الصلح جملة وتفصيلا ، وأعلن رفضه بقبول اعلان الدعوة فى الخطبة  
لبركياروق على منابر بغداد ، وأبلغ الخليفة العباسى المستظهر بالله  
بأنه سوف يقوم باخراج شحنة بغداد نجم الدين ايلغازى اذا وافق على  
اعلان الدعوة فى الخطبة لبركياروق . ونجح سيف الدولة صدقة بطرضه  
من مطالب وأفسد ماتم بين الاخوين بركياروق ومحمد<sup>(١)</sup> غير ان السلطان بركياروق  
لم يعمر طويلا بعد هذا الاتفاق ، فقد توفى فى السنة التالية ٤٩٨ هـ /  
١١٠٤ م ، بعد ان استخلف فى منصبه ابنه ملكشاه بن بركياروق الذى  
حاول منازعة عمه محمد بن ملكشاه الا أنه لم ينجح (٢) .

أما سيف الدولة صدقة ، فانه بعد وفاة السلطان بركياروق أمـد  
حليفه السلطان محمد بن ملكشاه بقوة عسكرية جعل عليها اولاده بدران  
ودبيس لمساعدته ضد خصومه من أنصار ملكشاه بن بركياروق ، فتوثقت عرى  
الصداقة بين سيف الدولة صدقة والسلطان محمد بن ملكشاه ، لادراك

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٧٠ - ٣٧٢ ، ابوالفداء ، المختصر  
ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٣ ،  
احمد كمال الدين حلمى ، السلاجقة فى التاريخ والحضارة ،  
ص ٥١ ، عبدالنعميم حسنين ، دولة السلاجقة ، ص ٨٣ .

( ٢ ) العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٤٩٨ هـ ، ابن الاثير ،  
الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٨٠ - ٣٨٨ ، ابن الجوزى ، المنتظم ،  
ج ٩ ص ٨٠ - ٩٦ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩١ .

كل منهما بحاجة الى الآخر ، خصوصا وأن سيف الدولة صدقة كان مسموع الكلمة عند القبائل العربية في العراق التي كانت سببا في اثاره الفتن ضد السلاجقة الاتراك (١) .

وفي ظل الصداقة المتبادلة بين سيف الدولة صدقة والسلطان محمد بن ملكشاه أغار سيف الدولة صدقة في سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م على البصرة واستولى عليها ، وولى عليها من قبله أحد أصحابه ، الا أن ذلك أزعج السلطان محمد بن ملكشاه . فاستردها من سيف الدولة صدقة ، ولكن سيف الدولة صدقة عد ذلك اعتداء على حرمة ووجد الفرصة سانحة للاستيلاء على تكريت فاستولى عليها في السنة التالية ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م — من صاحبها كيقباز الديلمي الموالى للسلطان محمد بن ملكشاه ، وولى عليها من قبله هرام بن ابي فراس بن هرام (٢) .

من هنا بدأت العلاقات بين سيف الدولة صدقة والسلطان محمد بن ملكشاه ، تأخذ شكلا مغايرا عما كانت عليه ، بسبب تطرف سيف الدولة صدقة في علاقاته مع الخلافة العباسية ، وطعن الكثيرين من رجال

( ١ ) الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ، ص ٨٧ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٦٨ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ، عبدالنسيم حسنين ، دولة السلاجقة ص ٨٣ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٠٤-٤٠٥ ، ٤١١ ، ابن شاكر عيون التواريخ ، ج ٣ ، حوادث سنة ٥٠٠ هـ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، الحلبي ، تاريخ الحلة ص ٢٥ ، - وتكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، كان لها قلعة حصينة غرب دجلة ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

السلطان محمد بن ملكشاه والخليفة العباسي المستظهر بالله في عقيده سيف الدولة صدقة (٨) .

ومما قيل عن سبب العداوة بين سيف الدولة صدقة والسلطان محمد بن ملكشاه فانها لاتخرج عن كونها الرغبة من السلطان السلجوقي في تحطيم هذه الامارة العربية الفتية التي أصبحت ملجأً يستجير بها صغار الناس وكبارهم من ظلم الحكام ، خصوصا وأن زعماء هذه الامارة يختلفون عن العباسيين وسلاطين السلاجقة في المذهب . ولذلك وجد السلطان محمد بن ملكشاه الفرصة سانحة للقضاء على سيف الدولة صدقة ، مستغلا في ذلك منح سيف الدولة صدقة حق اللجوء لابن دلف سرخاب ابن كيخسرو الديلمي صاحب ساوه وآبه (٩) ، ورفض سيف الدولة صدقه اعادته الى السلطان ، الامر الذي استدعى السلطان محمد بن ملكشاه الى القدوم الى بغداد سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م بقصد التباحث مع سيف الدولة صدقة في أمراي دلف سرخاب وغيره من الامور ، غير أن سيف الدولة صدقة عقد العزم على محاربة السلطان . فلما سمع الخليفة العباسي المستظهر بالله بموقف سيف الدولة صدقة تجاه السلطان محمد بن ملكشاه أرسل اليه رسولا لتطبيب قلبه ، وإزالة مخاوفه ، ويعرفه ان قدوم السلطان الى بغداد

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٨٢ ، ٤٤٠ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

( ٢ ) ساوه : مدينة حسنة بين الري وهمدان تبعد عن كل منها ثلاثون فرسخا ، وآبه : قرية من قرى اصبهان ، تقابل ساوه ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

هو من أجل الاستعداد لمحاربة الصليبيين ، الا ان سيف الدولة صدقة لم يثق بهذا كله ، خصوصا وان بعض رجال السلطان محمد بن ملكشاه بدأوا يتحرشون باملاك سيف الدولة صدقة (١) .

انزعج الخليفة العباسي المستظهر بالله لهذا الموقف المتأزم بين السلطان محمد بن ملكشاه وسيف الدولة صدقة فأرسل من قبله مندوبا الى السلطان محمد بن ملكشاه ، يأمره بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من سفك الدماء ، فأجاب السلطان محمد بن ملكشاه . وأرسل الخليفة مرة أخرى الى سيف الدولة صدقة من ينهاء عن المخالفة ويأمره بطاعة السلطان فأجاب سيف الدولة صدقة وأرسل رسله الى الخليفة لتقديم اعتذاره عما بدر منه في الوقت الذي جهز فيه ابنه دبيس للمسير الى السلطان محمد بن ملكشاه . غير ان رجال السلطان محمد بن ملكشاه انتهزوا قدوم رجال سيف الدولة صدقة وهجموا عليهم ، الا ان رجال سيف الدولة ظفروا بالاتراك ، وركبوا ظهورهم بالقتل والنهب والسلب (٢) . ومرة أخرى أزعجت هذه الحوادث الخليفة العباسي المستظهر بالله وكرر مساعيه بين الطرفين ، الا انه لم يفلح في التوفيق بينهما ، الامر الذي أدى في نهاية الامر بأن أمر السلطان رجاله بعبور دجلة ، فساروا حتى

- 
- ( ١ ) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٥٠١ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٥٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٤١-٤٤٣ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٩-٣٠ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ٢٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٩ .
- ( ٢ ) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٤٤-٤٤٥ .

أصبحوا مع جيش سيف الدولة صدقة على أرض واحدة بالنعمانية ففى شهر رجب من سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٦ م . وتقابل الفريقان وحمى الوطيس وترجل الأتراك عن خيلهم ، وأطلقوا سهامهم على العرب ، فوالوقت السذى وقعت فيه خيل العرب فى الوحل الذى تميزت به أرض المعركة . ففتكت سهام الأتراك بالعرب ، وقتل سيف الدولة صدقة ومعه وجوه أصحابه ولم ينج منهم الا اليسير من حماه الاجل ، ووقع ابنه ديبىس ابن صدقة ووالدته فى الاسر (١) .

ومقتل سيف الدولة صدقة لم يعد للعرب بعده مثله فى العدل والانصاف واحسان السيرة فيهم وجزيل العطاء لهم ، وحسن الوفاء ، والتجاوز عن الجرائم والكبائر ، والتعفف عن أموال الناس (٢) . وفى الحقيقة فان اماره بنى مزيد وعلى رأسها سيف الدولة صدقة ، قد استغلت الظروف التى أحاطت بالسلاجقة عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م فاستقلت عن سلطانهم . ولم تقف اماره بنى مزيد عند هذا الحد بل ساعدت على اشغال نار الفتنة بين السلطان بركياروق وأخيه محمد بن ملكشاه

---

( ١ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠١ هـ ، ابن القلانسى ، ص ١٥٩-١٦٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٤٧-٤٤٨ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٥٦ ، الفارقى ، تاريخ الفارقى ، ص ٢٧٤ ، ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٧ ، الحلى ، تاريخ الحلة ، ص ٣٠-٣١ .

والنعمانية : بليدة صغيرة بين واسط وهمدان على ضفة دجلة ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) انظر : ابن شاكرا الكتبى ، عيون التواريخ ج ١٣ ، حوادث سنة ٥٠١ هـ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ٢ ، ص ٤٩٠ ، ابن العبرانى ، الانبياء فى تاريخ الخلفاء ص ٢٠٧ ، الحسينى ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٨١ ، الحلى ، تاريخ الحلة ، ج ٣٢ ، حاشية رقم ١ .

بما اتبعه سيف الدولة من الميل ناحية السلطان محمد بن ملكشاه ضد أخيه  
بركياروق ، والتي كانت على ما يبدو بهدف إضعاف جانب السلطان بركياروق  
ثم الميل أخيرا على السلطان محمد بن ملكشاه والتخلص منه ، لأن السلطان  
محمد كان أقل قوة من أخيه بركياروق . غير أن آمال سيف الدولة صدقة لم  
تتحقق إذ ذهب ضحية طموحه ونزواته وتطرفه (١) .

أما نور الدولة دبيس بن صدقة ، الذي وقع هو ووالدته في أسر  
السلطان محمد بن ملكشاه فقد أحسن إليه السلطان محمد بن ملكشاه ،  
وأطلق سراحه من الأسر ، بعد أن أخذ عليه المواثيق الفليضة ، بعدم  
الافساد أو العودة إلى الحلة ، فبقى دبيس قريبا من السلطان محمد ،  
وحصل على الاقطاعات الكثيرة حتى ظن الكثير من الناس أنه قد نسي ملك  
والده كما وصف ذلك الأصفهاني " وقد سلا عن بلده وقنع بما في يده ،  
ورضى من السلطان بالرضى ، وانقضى طمعه في ملك أبيه الذي انقضى " (٢) .

ظل دبيس بن صدقة على هذه الحال إلى أن أتاه الفرج بموت  
السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م ، وقيام ابنه محمود بن  
محمد مقامه وهو لم يبلغ سن الحلم واجتماع كثير من حاشيته حوله مع  
ما كانت عاياه من الفساد وسوء التدبير ، فحسنوا للسلطان الصغير السماح  
لدبيس بن صدقة بالعودة إلى الحلة بعد أن أخذوا منه مالا على سبيل الرشوة (٣)

( ١ ) انظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١١٢ .

( ٢ ) الأصفهاني ، تاريخ دول آل سلجوق ، ص ١١٤-١١٨ ، انظر ابن الجوزي

المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٩٣ .

( ٣ ) الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١١٩ ، انظر ابن الأثير ، ج ١ ،

ص ٤٤٩ ، ٥٢٥ ، ٥٣٣ ، الفارقي ، تاريخ الفارقي ، ص ٢٨٦ ، العظيمي ،

تاريخ العظيمي حوادث سنة ٥١١ هـ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ،

ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، الحلبي ، تاريخ الحلة ، ص ٣٣ .

وما أن عاد ديبس بن صدقة الى الحلة بالعراق حتى اجتمع حوله كثير من العرب والاكراذ وغيرهم فعظم شأنه وارتفع ، ونظر اليه العرب والاكراذ على انه محط آمالهم في الخلاص مما يعانونه من سلب الحرية على يد الاتراك السلاجقة ، خصوصا وانهم قد عرفوا فيه بعض الصفات الحميدة كالجود والكرم وحب الفزوات ، مع ما تمتع به من معرفة في الادب والشعر (١) .

أخذ ديبس يحدث نفسه بالخروج عن طاعة السلاجقة ، واستمارة ما كان لوالده من البلاد ، فبدأ بمراسلة جيوش بك اتابك الملك مسعود بن محمد شقيق السلطان محمود بن محمد والذي كان قد استولى على الموصل بعد وفاة والده السلطان محمد بن ملكشاه ، وحسن لجيوش بك والملك مسعود بن محمد العميان على السلطان محمود بن محمد لعلم ديبس بصغر سن السلطان ، وفساد حاشيته فلبيا دعوة ديبس وخرجا نحو العراق ، وصحبتهم عدد من الامراء منهم عماد الدين زنكي . غير ان آقسنقر البرسقي شحنة بغداد من قبل السلطان محمود بن محمد قد نجح في صد هط عن دخول بغداد ونهاها عن المواجهة العسكرية مع السلطان محمود بن محمد ، فعاد الى الموصل سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م . وفشل نور الدولة ديبس بن صدقة في ما كان يصبوا اليه من اثارة الفتن بين الاخوين السلطان محمود بن محمد والملك مسعود بن محمد (٢) .

- 
- ( ١ ) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٥١٢ هـ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ص ١٥٥ ، ابن طباطبا ، الفخرى في الاداب السلطانية ، ص ٣٠٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٨٢ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٢ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٢٠ .



ومن جهة أخرى فان فشل جيوش بك والملك مسعود بن محمد قد غير وجهة نظر دبيس بن صدقة في النيل من سلاطين السلاجقة ، وعرف ان استعادة ما كان لوالده من مجد لن يتم الا بالتقرب من السلطان محمود ابن محمد ، فمال الى جانبه ضد خصومه من افراد البيت السلجوقي مستغلا في ذلك النزاع القائم بين السلطان محمود بن محمد وعمه سنجر بن ملكشاه . فشجع دبيس بن صدقة السلطان محمود بن محمد على لقاء عمه سنجر ، وزوده بفرقة عسكرية بقيادة أخيه منصور بن صدقة حينما خرج السلطان محمود لملاقاة عمه بهمدان . غير أن الهزيمة قد حلت بالسلطان محمود ومن معه وانتهى اللقاء بينهما بعقد صلح أصبح محمود بموجبه وليا لعهد سنجر سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م (١) .

لم يرق هذا الصلح لدبيس بن صدقة ، ولذلك عاد الى سياسته السابقة في الاتصال بجيوش بك والملك مسعود بن محمد في السنة التالية ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ووعدهما بالمساعدة العسكرية اذا خرجا بجيوشهما الى بغداد لطلب السلطنة لمسعود من الخليفة العباسي المسترشد بالله بدلا من أخيه محمود بن محمد وحشما على القاء القبض على آقسنقر البرسقي شحنة بغداد ، الا أن آقسنقر استطاع الهرب والانضمام الى السلطان محمود بن محمد بهمدان وأخبره بحقيقة الامر الذي دبر ضده فاستمعد للموقف ، وخرج لملاقاة أخيه مسعود بن محمد ، فالتقى الاخوان سنة ٥١٤ هـ عند عقبة أسدابان ، ف وقعت الهزيمة على الملك مسعود بن محمد

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٥١ ، ٥٦٠ ، الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ، ص ١١٥ .

وأصحابه نتيجة للخطة المحكمة التي وضعها آقسنقر البرسقى ، وهرب مسعود وجيوش بك إلا أن البرسقى استطاع اللحاق بهما وأعادهما إلى السلطان محمود ، فعفا عنهما وجردهما من حكم الموصل ومنعهما لا قسنقر البرسقى (١) .

أما دبيس بن صدقة فانه حين سمع بعفو السلطان محمود بن محمد عن جيوش بك والملك مسعود بن محمد ، وما عزم عليه السلطان من القدوم إلى بغداد سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ثارت ثائرتة وسار من الحلة إلى بغداد ونصب خيمته بأزاء خيمة الخليفة العباسى المسترشد بالله ، وهدده وتوعده إذا لم يسع إلى محاولة منع السلطان من القدوم إلى بغداد . وحاول الخليفة أن يهدى من روعه ، ووعد به أنه سيسعى فى اصلاح ما بينه وبين السلطان محمود بن محمد ، إلا أنه قد وعد الخليفة بالتهديد والوعيد ، إذا دخل السلطان محمود بغداد بالرغم من أن السلطان محمود نفسه قد بعث إلى دبيس بن صدقة من يطيب قلبه ، ويخبره بأن هدف السلطان من دخول بغداد إنما هو لتفقد احوال الرعية ، ومد يد العون للمسلمين فى بلاد الشام للوقوف فى وجه الصليبيين (٢) .

---

(١) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٤ هـ ، سبط ابن الجوزى مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٩٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٩ ، أبوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٧٣ ، - وأسابان : بلدة قريبة من همدان كان قد عمرها اسد بن ذى السرو الحميدى ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٥١ ، ٥٥٨ ، ٥٣١ ، ابن شاکر الكتبى ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٥١٤ هـ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٥ ، سعيده عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٣٤ .

وعلى أية حال فقد وصل السلطان محمود بن محمد فى رجب سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م الى بغداد ودخلها ، الامر الذى أجبر ديبس بن صدقة على العودة الى الحلة ، لعلمه بعدم قدرته على الوقوف فى وجه السلطان محمود بن محمد وجيوشه . ودلا من ان يتخذ موقفا معاديا من السلطان فقد لجأ الى المسالمة فبعث من الحلة بهديه سنوية الى السلطان محمود بن محمد ، وأعتذر عما بدر منه تجاه الخليفة العباسى المسترشد بالله ، فمنحه السلطان محمود الامان على نفسه . غير ان بعض رجال ديبس ابن صدقة لم يرق لهم هذا ، فأخذوا يتحرشون ببعض ممتلكات السلطان محمود بن محمد بالمراق ، فلما تيقن السلطان من أن ديبس ورجاله لم يفوا بما وعد به ديبس بن صدقة من حسن الطاعة سارع عن بغداد فى سؤال من السنة نفسها ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م وقصد ديبس بن صدقة بالحلة بهدف القضاء عليه ، الا أن ديبس بن صدقة استطاع الهرب الى ديار بكر ، وانضم الى نجم الدين ايلغازى والد زوجته واقام عنده مدة من الزمن بماردين (١) .

ومن ماردین حاول ديبس بن صدقة الرجوع الى الحلة وحث هذا الموضوع مع شحنة بغداد یرنقش الزکوى الذى تولى هذا المنصب عقب دخول السلطان محمود بن محمد الى بغداد ، ولكن ديبس بن صدقة لم يفلح فى الامر فأوثر الى صهره نجم الدين ايلغازى بالتدخل لدى السلطان محمود ابن محمد فى السماح له بالعودة الى الحلة . فأرسل نجم الدين ايلغازى

---

(١) ابن القلانسی ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ابن الجوزی ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢١٦ ، ابن کثیر ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٨٥ .

ابن حسام الدين تمرناش البالغ من العمر سبعة عشر عاماً الى السلطان محمود بن محمد شفيهاً في ديبس بن صدقة ، وتعهد للسلطان كل يوم ألف دينار وفرنس مقابل الحلة الا أن هذه الوساطة لم تنجح أيضاً ، فقرر ديبس بن صدقة بعدها العودة الى الحلة مهما كانت الصعاب ، فعاد الى الحلة في السنة التالية ٥١٥ هـ / ١١٢١ م (١) . ولا شك ففى أن عودة ديبس بن صدقة الى الحلة على الرغم من معارضة السلطان محمود بن محمد قد أثارت في نفسه الشكوك والريبة ، لذلك فقد بادر بارسال مندوبين من قبله الى السلطان محمود بن محمد والخليفة العباسي المسترشد بالله يمتذر عما يسدر منه ويعدهما بالطاعة والاستقامة ، الا انهما لم يثقا بكلامه وسير السلطان محمود بن محمد اليه بعض عساكره ففارق الحلة ، غير ان يرنقش الزكوى شحنة بغداد سعى بالصلح بين ديبس بن صدقة والسلطان محمود بن محمد فنجح في الامر واشترط على ديبس ان يرسل اخاه منصور مع بعض رجاله رهينة عند السلطان محمود مقابل وفاء ديبس بن صدقة بالطاعة ، ففعل ديبس وهات الامور الى نصابها ، وهاد ديبس بن صدقة الى الحلة للمرة الثانية في نفس السنة ٥١٥ هـ / ١٠٢١ م (٢) .

ويبدو أن هذا الصلح الذي تم بين السلطان محمود بن محمد من جهة وديبس بن صدقة من جهة أخرى لم يرق للخليفة العباسي المسترشد بالله ، الامر الذي دعاه الى مطالبة السلطان محمود بن محمد في سنة

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٦ - ٥٩٢ ، سبط ابن الجوزي  
مرآة الزمان ج ٨ ، ق ١ ، ص ٩١ .  
( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٦ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة  
الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٩١ ، الحلى ، تاريخ الحلة ، ص ٣٦ .

٥١٦ هـ / ١١٢٢ م بابعاد عرييس بن صدقة عن الحلة ، غير ان السلطان محمود بن محمد لم يصغ الى مطلب الخليفة العباسى المسترشد ، والتزم بما وعد به يرتقى الزكوى شحنة بغداد تجاه دبيس . ولكن السلطان اراد تلبية رغبة الخليفة العباسى وهذه بان يجعل على بغداد شحنة قوية يستطيع الوقوف فى وجه دبيس بن صدقة فيما لو حدثت له نفسه بالخروج عن الطاعة . فطلب من آقسنقر البرسقى الذى كان قد ولاه الموصل العودة الى بغداد ، وجعله شحنة لها ، وأوصاه بالوقوف فى وجه دبيس بن صدقة وائناس وحشة الخليفة العباسى المسترشد بالله (١) .

استغل آقسنقر هذا المنصب الذى تولاه للانتقام من دبيس بن صدقة ، وخصمها ، وانه عرف بوجود منصور بن صدقة رهينة طرف السلطان محمود بن محمد ، فأخذ يتحرش بدبيس بن صدقة على يظفر به من ناحية ومن ناحية أخرى للايقاع بينه وبين السلطان محمود بن محمد . ولا يستبعد أن يكون دبيس بن صدقة قد أدرك نوايا آقسنقر البرسقى ، الامر الذى دعاه الى أخذ اليقظة والحيلة ، حتى ان دبيس بن صدقة استطاع ان ينزل هزيمة ساحقة بآقسنقر البرسقى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م عند نهر بشير شرقى الفرات (٢) . ولكن هذه الهزيمة للبرسقى كانت فى باطن الامر نجاحا له ، اذ ان السلطان محمود بن محمد ما ان سمع بخبر

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩٩ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٩٦ ، ابن واصل مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٩-٣٠ ، الحلوى تاريخ الحلة ص ٣٦ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩٩ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٠ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٦ هـ .

هذه الواقعة حتى أصدر أوامره بالتشديد في حق منصور بن صدقة أخى  
دبيس بن صدقة ، وهذا نجح آقسنقر البرسقى في الايقاع بين السلطان  
محمود ودبيس بن صدقة مرة أخرى . وما ان سمع دبيس بن صدقة بما حل  
بأخيه منصور لدى السلطان حتى جهز بعض رجاله سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م  
وامرهم بالمسير الى واسط لتهريبها وتخريبها ، غير ان عماد الدين زنكى  
الذى كان قاطع شحنة البصرة واسط استطاع الوقوف في وجه دبيس  
ابن صدقة ورجاله وصدّهم عن تحقيق هدفهم في الاضرار بواسط (١) .

أخذ دبيس بن صدقة في الجمع والاحتشاد وهم بقصد بغداد ، فخرج  
اليه الخليفة العباسى المسترشد بالله واحقه شحنة بغداد آقسنقر البرسقى  
مع من اجتمع اليه من الاجناد وحملوا على دبيس بن صدقة وهزموه في أواخر  
سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م فعاد الى الحلة بينما عاد الخليفة الى بغداد  
ودخلها في أواخر المحرم من السنة التالية ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م (٢) .

أما عن العلاقات الودية بين زعيم بنى مزيد دبيس بن صدقة والصليبيين  
في بلاد الشام فترجع في الحقيقة الى ما بعد هزيمة دبيس بن صدقة أمام  
الخليفة العباسى المسترشد بالله وآقسنقر البرسقى شحنة بغداد . فبعد  
الهزيمة التي منى بها دبيس بن صدقة أواخر سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ،

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٩٩ - ٦٠١ ، ابن الاثير ، التاريخ  
الباهر ، ص ٢٤ - ٢٥ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ،  
ج ٨ ، ص ١٠ ، ابن واصل ، فوج الكروب ، ج ١ ،  
ص ٣٠ .

( ٢ ) انظر مايلو ، الفصل الثانى ص

ووقع الكثير من نساءه واصحابه في الاسر ، اختفى خبره وانتشر بين الناس خبر وفاته ، الامر الذي أدى الى رحيل ديبس بن صدقة الى غزيرة لطلب النجدة من عربها الا ان من بها من العرب امتنعوا من التحالف مع ديبس بن صدقة لخوفهم من السلطان السلجوقي والخليفة العباسي (١) . ولما فشل ديبس بن صدقة في الحصول على نجدة عرب غزيرة اتجه نحو المنتفق بالعراق وتحالف مع عربها بقصد الاستيلاء على البصرة ، فساروا معه اليها ، ودخلها بعد ان جلى اكثر سكانها ، الا ان خوف ديبس بن صدقة من آقسنقر البرسقي وعماد الدين زنكي قد أجبره على تركها ، والرحيل الى قلعة جعبر (٢) .

وفي قلعة جعبر استقبله الامير شهاب الدين طالك بن سالم صاحب القلعة ، وحسن له التحالف مع الصليبيين الذين كانوا يودون الاستيلاء على حلب من حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي خليفة بلك بن بهرام الذي قتل في شهر ربيع الاول من سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م (٣) . وقد ساعدت الظروف السياسية في حلب ديبس بن صدقة على التحالف مع

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦١٠ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١١١ ، وغزيرة : موضع قرب فيد الواقعة في نصف الطريق بين مكة والكوفة ، انظر ياقوت ، معجم البلدان . وعرب غزيرة : بطن من هوازن من العدنانية ينتسبون الى غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومنازلهم بالسروات بين تهامة ونجد . انظر القلقشندي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦١٠ ، وقلعة جعبر : قلعة مشهورة على الفرات مقابل صفين وكان يقال لها قلعة دوسر . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٣ ) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦١٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

الصليبيين ، فحسام الدين تمرناش كما وصفه ابن الاثير ، كان رجلا يحسب الدعة والرفاهية ما دعاه الى مفادرة حلب الى ماردين بعيدا عن مشاكل الصليبيين وحروبهم . ولم يقف عند هذا الحد بل وافق على اطلاق سراح بلدوين الثانى ملك بيت المقدس الذى كان فى أسرى بك بن بهرام . بعد أن تعهد بلدوين الثانى لحسام الدين تمرناش بمساعدة ضد خصمه ديبس بن صدقة الذى كان يود الاستيلاء على حلب (١) . غير ان بلدوين الثانى تنكر للشروط التى شرطها على نفسه لحسام الدين تمرناش بمسند الافراج عنه . ورأى ان أنجح وسيلة لضعاف حسام الدين تمرناش هو التحالف مع ديبس بن صدقة للاستيلاء على حلب . وكان ديبس بن صدقة قد كاتب قوما من أهل حلب وعضاهم وطلب منهم تسليم حلب اليه ، وذلك لهم أموالا كثيرة فى هذا الشأن ، غير أن حسام الدين تمرناش قد اكتشف هذه المؤامرة فالتقى القبض على كل من كانت له يد فيها وقتله (٢) .

ولما كانت اقامة حسام الدين تمرناش الرئيسية فى ماردين بعيدا عن حلب فان هذا قد ساعد كلا من بلدوين الثانى ملك بيت المقدس وديبس بن صدقة فى تحقيق مآربهما ، اذ قام ديبس بن صدقة بحث الصليبيين على الاستيلاء على حلب وقال لهم ان أغلب اهلها شيعة وسيميلون اليه لاجل المذهب . وقد أورد ابن العديم صيغة الاتفاق الذى تم بين الصليبيين وديبس بن صدقة بقوله " وافق ديبس والفرنج على قواعد تعاهدوا

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦١٩ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٠-٢٢١ ، العظيمى ، حوادث سنة ٥١٨ هـ .  
 ( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، اسامة بن منقذ الاعتبار ، ص ١٠٣ ، الطباخ الحلبى ، اعلام النبلاء ، ج ١ ، ص ٤٥٥-٤٥٦ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٠٨ .



عليها ، منها أن تكون حلب لدبيس بن صدقة ، والا موال والارواح للفرنج مع مواضع من بلد حلب تكون للفرنج " بالاضافة الى ما بذله دبيس بن صدقة للصليبيين من الاموال مع تعهده لهم بأن يكون تابعا ومطيعا لهم اذا نجحوا في الاستيلاء على حلب (١) .

لم يكف بلدوين الثاني ملك بيت المقدس بانضمام دبيس بن صدقة اليه ضد حلب ، بل عمل على تشكيل قوة من المسلمين اشترك فيها سلطان شاه بن رضوان وعيسى بن سالم بن مالك صاحب قلعة جمبر وباغى سيان ابن عبد الجبار صاحب بالس ، وبدأوا هجومهم على حلب ومعهم جوسلين دى كورتناى صاحب الرها فى شعبان سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م مستغلين فى ذلك غياب حسام الدين تمرتاش عن حلب بماردين (٢) . غير أن الصليبيين بزعامه بلدوين الثاني ملك بيت المقدس ودبيس بن صدقة ومن انضم اليهم من المسلمين قد فشلوا فى الاستيلاء على حلب بسبب استبسال اهلها فى الدفاع عنها ولجؤ أهلها الى طلب النجدة من آقسنقر البرسقى صاحب الموصل الذى بادى فى التوجه اليهم فى بمساكره ووصله فى ذى الحجة من نفس السنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، الامر الذى أجبر الصليبيين ودبيس ابن صدقة على الرحيل عن حلب ورفع الحصار المضروب عليها . (٣) .

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، انظر ايضا : ابن الاثير الكامل ، ج ١ ، ص ٦٢٣ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ،

ص ١١١-١١٢ .

( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٤-٢٢٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٢٣ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥١٠ . - والبس : بلدة صغيرة بالشام بين حلب والرقه غرب الفرات ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ٢١١-٢١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ص ٦٢٣-٦٢٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٨ .

وهكذا لعب دبيس بن صدقة ومن انضم اليه من الامراء المسلمين الى احداث فرقة بين صفوف المسلمين وحقق رغبة الصليبيين في ضرب المسلمين بعضهم ببعض والى ايجاد نوع من التوتر في حلب ادى الى خروجها من حكم الاراتقة الى حكم آقسنقر البرسقى صاحب الموصل في سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م وما ترتب على ذلك من حدوث مجاعة حلت بالحلبيين الى حد أنهم أكلوا الكلاب وأوراق الشجر (١) .

واذا كانت سياسة دبيس بن صدقة زعيم بني مزيد قد أحدثت الفرقة بين صفوف المسلمين ، فان هذا يعود بالدرجة الاولى الى عدم حسن تصرف سلاطين السلاجقة والخلافة العباسية تجاه هذا الزعيم العربي وامارته الفتية في الحلة ، اذ أن علاقته بالصليبيين تتضح من سياق علاقته بالسلطنة السلجوقية والخلافة العباسية ، ففي الوقت الذي زادت فيه سيطرة السلاجقة على الخلافة العباسية وضعفت فيه مكانة القبائل العربية في الشام والجزيرة والعراق ، برز أمراء بني مزيد في الحلة ، وحاولوا القيام بنفس الدور الذي لعبته الامارة المرداسية في حلب من قبل للحيلولة دون خضوع القبائل العربية لسيطرة السلاجقة ، فبدأت العداوة بين السلاجقة وزعماء بني مزيد في الحلة وتقلب زما طويلا بين المد والجذر حسب قوة وضعف الطرفين ، حتى ان دبيس بن صدقة عندما انهزم سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م امام السلاجقة والخلافة العباسية كان عليه ان يولى وجهه تجاه قوة تساعده لاستعادة مكانته فاتجه ناحية الصليبيين ، خاصة وأن

---

(١) العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢١٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

بعض القوى الاسلامية في بلاد الشام وغيرها لم تدرك حقيقة الحركة الصليبية واهداف الصليبيين التوسعية .

أما عن نهاية ديبس بن صدقة فانه بعد أن فشل في الاستيلاء على حلب بمعونة الصليبيين سار من الشام سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م وقصد الملك طغرل بن محمد أخا السلطان محمود بن محمد ، وكان طغرل عاصيا على أخيه بالمشرق ، فلما وصله بهذان استقبله أحسن استقبال وجعله من أعيان خواصه (١) . وحسن ديبس بن صدقة للملك طغرل بن محمد قصد العراق وهون عليه أمر الاستيلاء عليه وإقامة الدعوة له في بغداد بدلا من أخيه محمود بن محمد . واقتنع الملك طغرل بن محمد بهذه المشورة وقرر المسير الى العراق ، فتجهز معه ديبس بن صدقة وسارا حتى وصلا قريبا من العراق فتصدى لهما الخليفة العباسي المسترشد بالله ، واستطاع اجبارهما على التراجع الى الوراء في نفس السنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ، فقصد السلطان سنجر بن ملكشاه بخراسان (٢) . وظل ديبس بن صدقة ملازما للسلطان سنجر حتى عزم السلطان على القدوم الى بغداد سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م بقصد انتزاع العراق جميعه من السلطان محمود بن محمد والخليفة العباسي المسترشد بالله ، الا أن السلطان سنجر قد عدل عن مشروعه وسعى الى اصلاح شقة الخلاف بين ديبس بن صدقة والسلطان محمود بين

( ١ ) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٤٥ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٢٣ ، ٦٢٦ ، ٦٥١ ، ابن

الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٥٢ و ج ١٠ ص ٣ .

محمد في أواخر سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م فنجح السلطان سنجر في مسعاه هذا ، إلا أن أمر دبيس بن صدقة لم يستقم بالعراق نتيجة للموقف العدائي الذي وقفته الخلافة تجاهه ، وقتل سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م (١) .

أما عن إمارة بني عمار في طرابلس ( ٤٦٢-٥٠٣ هـ / ١٠٧٠-١١٠٩ م ) فان قيامها ببلاد الشام قد جاء نتيجة لاستيلاء السلاجقة على معظم بلاد الشام من الفاطميين في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وهو من الإمارات العربية التي استطاعت الصمود في وجه السلاجقة ودسائس الفاطميين ولعبت دورا بارزا في مجريات الحوادث السياسية في بلاد الشام وفي مواجهة الصليبيين بعد تفكك السلاجقة قبل قيام الاسرة الزنكية في الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م .

وقد أسس إمارة بني عمار العربية في طرابلس القاضي أمين الدولة ابوطالب عبدالله بن محمد بن عمار الطائي سنة ٤٦٢ / ١٠٧٠ م على أثر الضعف الذي انتاب الفاطميين في عهد المستنصر بالله واستيلاء السلاجقة الاتراك على معظم بلاد الشام ، وظل أمين الدولة ابوطالب في حكم طرابلس حتى وفاته بها سنة ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م (٢) . وتولى الامر بعده في طرابلس ابن عمه جلال الملك ابوالحسن بن عمار في نفس السنة " فضبط البلد

#### ( ١ ) انظر الفصل الثالث فيما يلي ص

( ٢ ) ابن القلانسي ص ١١٢ ، ابن جيمس ديوان ابن حيوس ، ج ١ ص ١٣٢ ، المقريزي اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٣٠٢ ، الازدي ، الدول المنقطعة ، قسم الفاطميين ، ص ٦٠ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ١٨٧ .

أحسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه أثر لكفايته " (١) . وعلى الرغم من استقلال  
 بنى عمار عن الخلافة الفاطمية فى القاهرة فان زعماء هذه الإمارة قد  
 لزموا جانب الاعتدال مع حكومة القاهرة ، ولم يجاهروها بالعداء مراعاة  
 للفتنة الحثيئة من سكان طرابلس الذين كانوا يتبعون المذهب الشيعى .  
 وما يدل على ذلك ان العملة التى كانت متداولة فى طرابلس سنة ٤٦٥ هـ /  
 ١٠٧٣ م كانت تحمل اسم الفاطميين (٢) . الا ان هذه الإمارة لم تسلم  
 من دسائس ومؤامرات الفاطميين بالقاهرة مما اضطر جلال الملك بن عمار  
 فى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م الى الحيلولة دون تمام المصاهرة بين تاج  
 الدولة تتش والوزير الفاطمى بدر الجمالى خوفا من ان يقع بين شقى الرعى ،  
 بين الفاطميين والسلاجقة (٣) .

ولم يكن الفاطميون وحدهم هم الذين اختصوا بالرغبة فى الاستيلاء  
 على طرابلس من بنى عمار فقد حرص تاج الدولة تتش على الاستيلاء عليها  
 ان قام فى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م بحملة عسكرية يرافقه آقسنقر البرسقى  
 والد عماد الدين زنكى صاحب حلب وبعض قادة السلاجقة فى بلاد الشام  
 فى محاولة منهم للاستيلاء على طرابلس . غير ان جلال الملك بن عمار نجح

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٧١ ، انظر ابوالفدا ، المختصر  
 ج ٢ ص ١٨٧ .

( ٢ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١١١ ،  
 La Catalogue des Mannaies , Musulmanes , Vol. III,  
 p.p. 130-133.

( ٣ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزغان ، ج ١٣ ، ورقة ٦٥ ب ،  
 ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١١٦ .

فى استمالة آقسنقر صاحب حلب وثنى عزمه عن مواصلة حصار طرابلس ، مما اضطر تاج الدولة تتش الى رفع الحصار عنها والعودة الى دمشق (١) .

ومفضل ما تميز به جلال الملك بن عمار من الحنكة والدهاء فقد تميزت فترة حكمة التى دامت اكثر من ثلاثين عاما بسياسة المهادنة التى اتبعها حيال السلاجقة والخلافة الفاطمية فى القاهرة ، بالإضافة الى ما تمتعت به طرابلس فى عهد جلال الملك بن عمار من رخاء اقتصادى وتجارى وصناعى وزراعى وعمرانى والاهتمام بتشجيع العلم والادب ، حتى ان المكتبة التى أنشأها ابوطالب بن عمار فى طرابلس قد عنى بها جلال الملك من بعده حتى اصبحت تحوى اكثر من مائة الف كتاب يهتم اكثرها بنشر مذهب التشيع فى بلاد الشام . وأصبحت طرابلس فى عهد جلال الملك بن عمار محط أنظار الرحالة ورجال العلم والادب (٢) . وقد استمر جلال الملك بن عمار فى حكم هذه الامارة حتى وفاته سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م وخلفه فى حكمها اخوه فخر الملك بن عمار (٣) .

تولى فخر الملك بن عمار حكم طرابلس عقب وفاة اخيه فوقع على عاتقه مهمة الدفاع عن طرابلس والبلاد التابعة لها كمرقة وانطرسوس من الغزو

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٢٠٣ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٢-١٣٣ .

( ٢ ) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٤٧-٤٨ ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، فى كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ٣٠ ، احمد رمضان المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ص ٤٠ - ٤١ .

( ٣ ) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ص ١٠٨ ، العظمى ، تاريخ العظمى حوادث سنة ٤٩٢ هـ ، السيد عبدالعزيز سالم ، طرابلس الشام ص ٧٥-٧٦ .

الصليبي ، الذي اجتاحت بلاد الشام ، وما تجدر الإشارة اليه ان فخر الملك ابن عمار قد اتبع نفس السياسة التي سار عليها جناح الدولة حسين وهزالدين سلطان بن منقذ في مسالمة الصليبيين حتى لا يعرض نفسه وامارته للابادة على يد الصليبيين (١) . ولا يستبعد أن يكون فخر الملك ابوعلی بن عمار قد لجأ الى هذه السياسة تجاه الصليبيين بسبب تدهور العلاقات بينه وبين الفاطميين اضافة الى انهيار النفوذ السلجوقي في بلاد الشام . ومعبارة صريحة فان اتباع فخر الملك بن عمار وغيره من الامراء المسلمين سياسة المسالمة تجاه الصليبيين يرجع الى عدم وجود قوة اسلامية كبيرة تستطيع الوقوف في وجهه الصليبيين خصوصا بعد هزيمة السلاجقة بانطاكية سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م ، ومراسلة الفاطميين للصليبيين ومحاولة عقد صلح معهم لاقتسام بلاد الشام سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م (٢) .

فبعد استيلاء الصليبيين على حصن الاكراد سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م ، شعر فخر الملك بن عمار بخطورة الموقف فبعث برسله الى الصليبيين يسألهم الموادعة والمسالمة ويعرض عليهم استعدادهم لمساعدتهم في الوصول الى بيت المقدس . ولم يكتف بهذا ، بل زود رسله الذين أرسلهم الى الصليبيين بهدايا لزعماء الصليبيين عبارة عن أربعة بغال وشرة جياذ ، مع صلح من المال ، ولكن ريموند الصنجيلي أحد زعماء الصليبيين صرح لرسول ابن عمار

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٨ ، وحرقة: بلد في شرق طرابلس على سفح أحد الجبال المطلة على البحر ، وانطرسوس: بلدة في سواحل بنسلاک الشام وهي من اعمال طرابلس وهي الى الشرق من عرقة وتطل على البحر المتوسط . انظر : ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) انظر مايلي : الفصل الثاني ، ص

أنه لا يقبل المسالمة والمودعة مع فخر الملك بن عمار إلا إذا اعتسق النصرانية (١) .

ولكن ريموندى تراجع عن مطلبه هذا وحث إلى ابن عمار برسل مسن قبله للاتفاق معه . وفى طرابلس استرعى انتباه رسل ريموند ثروة طرابلس وفناها وطمعوا فى زيادة الجزية على ابن عمار بدليل ما أشاروا به على ريموند بعد عودتهم إليه من زيادة الجزية على ابن عمار والأسراع فى محاصرة عرقه التابعة لابن عمار حتى يضطر إلى دفع مزيد من المال للصليبيين ، قبل ريموند الصنجلى ما أشار به رسله إلى ابن عمار وهاجم عرقه ، غير أنه عجز عن الاستيلاء عليها مما اضطره إلى رفع الحصار عنها فى سنة ٩٢٢هـ / ١٠٩٩م على الرغم من أنه استولى على انطربوس التابعة لابن عمار ، وفى نفس السنة . ولم يكتف الصليبيون بهذا بل فرضوا على قاضى جبلة جزية من المال والخيول يسوقها اليهم (٢) .

ولما عجز الصليبيون عن الاستيلاء على عرقه زحفوا على طرابلس فمحاولة منهم للاستيلاء عليها من ابن عمار . وكعادته فى مسالمة الصليبيين فقد قدم لهم خمسة عشر ألف قطعة ذهبية ومثلها من الهدايا الثالية القيمة بالإضافة إلى ما زودهم به من الذخيرة والمؤن وأطلق سراح ثلاثمائة من

( ١ ) أعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشى ، ص ١٠٩ ، انظر المقرئى ، اتعاظ العفأ ، ج ٣ ، ص ٢٨ حاشية رقم ١ . وحصن الاكراد : هو حصن منيع وحصين على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب ، ويقع بين بعلبك وحمص ، انظر : ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ، أعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشى ، ص ١١٠-١١١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ، - وجبل : قلعة مشهورة من قلاع بلاد الشام الساحلية وتعد من اعمال حلب قرب اللاذقية . انظر : ياقوت ، معجم البلدان .



المسيحيين كانوا في أسره بطرابلس . ولم يقف عند هذا الحد بل وهدد الصليبيين بالقتل ، اذا هم استطاعوا الاستيلاء على بيت المقدس من الفاطميين (١) .

حاول فخر الطك بن عمار استعادة ما استولى عليه الصليبيون من أملاكه بعد رحيلهم الى بيت المقدس فاستطاع في سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م استعادة انطربوس من الصليبيين ، واستعادة جبله التي كان الصليبيون قد فرضوا عليها في السنة السابقة جزية باهظة (٢) . ولا يستبعد ان تكون انتفاضة ابن عمار هذه قد جاءت نتيجة للخلافات التي حصلت بين زعماء الصليبيين في بيت المقدس حول مستقبل المدينة ، وما آل اليه أمر بوهمند صاحب أنطاكية ووقعه في أسر سلاجقة الروم في نفس السنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م (٣) .

هلى أية حال فان فخر الطك بن عمار لم يحاول استغلال التوتر الذي نشب بين قادة الصليبيين في اتخاذ موقفا أكثر شدة وصلابة تجاه الصليبيين بل سعى الى مساعدة البلديين صاحب الرها ، وأنقذه من الكمين الذي نصبه لداق بن تتش صاحب دمشق في سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م ، حين كان بلدوين ناهبا الى بيت المقدس لتولي أمورها بعد وفاة أخيه جودفري ملك بيت المقدس (٤) . ولم تقتصر اهمية مساعدة ابن عمار لبلدوين الاول على

---

( ١ ) اعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشى ، ص ١١٢-١١٣ ، حسن حبشى ، الحرب الصليبية الاولى ، ص ١٧٠ ، العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج ١ ، ص ٢٦٥ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٢ ، ص ٢١٣ .

( ٣ ) العظمى ، حوادث سنة ٤٩٣ هـ .

( ٤ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ، العظمى ، تاريخ العظمى ،

حوادث سنة ٤٩٤ هـ ، ابن القلائس ، ص ١٣٨ .

سلامة وصوله الى بيت المقدس ، بل كانت سببا مباشرا في سقوط معظم مدن الساحل الفاطمية بيد الصليبيين في السنة نفسها ( ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م ) كأرسوف وقيسارية وحيفا (١) .

وهكذا فان سياسة فخر الملك بن عمار السلبية تجاه الصليبيين لم تؤهله الى حمايته من أطماع الصليبيين الذين سيطروا على معظم بلاد الشام . ولم يرحّب الصليبيون لابن عمار لما قدمه لهم من خدمات ، بل ان ريموند الصنجيلى بعد ان أيس من حصوله على منصب كبير في مملكة بيت المقدس طمع فى الاستيلاء على طرابلس ليؤسس له بها امارة مستقلة على غرار ما فعل بوهمند بأنطاكية ، ووجود فرى ببيت المقدس ، ولدوين فى الرها ، عندها جمع كثيرا من الصليبيين وسار بهم صوب طرابلس وفرض عليها حصارا شديدا بقصد الاستيلاء عليها مما اضطر فخر الملك بن عمار الى طلب المساعدة من السلاجقة ، حيث استنجد بجناح الدولة حسين صاحب حمص ، ودقاق ابن تتش صاحب دمشق . غير أن هذه المساعدة لم تأت بطائل ان انهزمت أمام الصليبيين سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م ، مما اضطر فخر الملك بن عمار الى

---

(١) ابن القلانسي ، ص ١٣٩ ، العظيمى ، تاريخ العظيمى ، حوادث سنة ٤٩٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٣٢٥ ، المقرئى ، اتعاض الحنفا ج ٣ ص ٢٦ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٧٥-٢٧٦ . رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٢٠-١٢١ . - وأرسوف : مدينة على ساحل البحر المتوسط بين يافا وقيساريه ، وقيسارية : مدينة على ساحل البحر المتوسط وتبعد من اعمال فلسطين بينها وبين طبرية مسيرة ثلاثة ايام على الاقدام ، وحيفا : بلدة على ساحل البحر المتوسط . انظر : ياقوت ، معجم البلدان .

الدفاع عن بلدهم ، قد كلف اهل طرابلس الكثير من المال والجهود  
مع ما بذله فخر الملك بن عمار من صبر عظيم وشجاعة نادرة . واضطر فخر الملك  
ابن عمار الى الاستنجاد بسقمان بن أرتق صاحب مارد بن وحصن كيفا سنة  
٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م (١) .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها فخر الملك بن عمار واهل طرابلس  
والتى أدت الى هدم قلعة صنجيل الغربية من طرابلس ووفاة صنجيل نفسه  
على أثر حروق اصابته أثناء حريق القلعة فى سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م ، فإن  
وضع طرابلس الداخلى قد انكشف للصليبيين بسبب طلب النجدة التى طلبها  
فخر الملك بن عمار من سقمان بن أرتق والتى لم تصل الى طرابلس بسبب وفاة  
سقمان بن أرتق وهوى طريقه الى طرابلس . أما السبب الثانى الذى كشف  
للصليبيين عن ضعف طرابلس فهو أن ابن عمار قد لجأ الى بعض الاغنياء من  
سكان طرابلس ، وأخذ منهم أموالا كثيرة وزعها على المجاهدين ، فما كان  
من هؤلاء إلا أن هربوا الى الصليبيين بأنطاكية ، فكشفوا بذلك ضعف  
طرابلس اقتصاديا . ولم يكتف هؤلاء الخونة الذين هربوا من طرابلس الى  
أنطاكية بهذا ، بل انهم وعدوا الصليبيين بالمساعدة فى الاستيلاء على  
طرابلس (٢) .

استغل فخر الملك بن عمار وفاة ريموند الصنجيلى وما حل بأهل  
طرابلس من الضائقة المالية وارتفاع فى الاسعار ، وما تلى ذلك من هجرة  
أغلب سكان طرابلس ، واستقرار الأوضاع السياسية للسلطان محمد بن ملكشاه

( ١ ) ابن القلانسى ، ص ١٤٦-١٤٧ .

( ٢ ) العظمى ، تاريخ المغلبي ، حوادث سنة ٤٩٨ هـ ، ابن القلانسى ،

ص ١٤٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤١٢-٤١٣ ، ابن

خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

الى مهادنة الصليبيين على مال وخيل فرحلوا عن طرابلس الى انظرطوس  
بقيادة ريموند الصنجيلى حيث استعادوها من ابن عمار (١) .

رأى ريموند الصنجيلى انه من الصعبه بمكان الاستيلاء على طرابلس  
قبل ان يتخذ له قاعدة قريبة منها يشن منها غاراته عليها . لذلك لجأ  
ريموند الى بناء قلعة بالقرب من طرابلس عرفت باسم قلعة صنجيل فأحكم  
بذلك القبضة على طرابلس (٢) . وذلك أصبح ابن عمار معزولا عن المدد  
المجاورة خصوصا وان ريموند جرد طرابلس من جميع المدن التابعة لها ،  
مما اضطر فخر الملك ابن عمار الى مهادنة ريموند فى سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م  
" على ان يكون ظاهر طرابلس لصنجيل بحيث لا يقطع عنها الميمنة ، ولا  
يمنع المسافرين منها " (٣) .

وعلى الرغم من الهدنة التى عقدها فخر الملك بن عمار مع الصليبيين  
فقد ازداد حماسا وقوة لمواجهة الصليبيين والعمل على هدم القلعة التى  
بناها الصليبيون قريبا من طرابلس ، ويعود هذا على ما يبدوا الى العناد  
والمؤن التى عطيها الاسطول المصرى هذه السنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م الى  
مدن الساحل الشامى (٤) . ولكن ما قام به ابن عمار واهل طرابلس فى سبيل

( ١ ) ابن القلانسى ، ص ١٤٠-١٤١ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث  
سنة ٤٩٥ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٤٣-٣٤٤ ، سحيد  
عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٤٥ ،

( ٢ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ ، ابن الاثير ،  
الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤١١-٤١٢ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ،  
سحيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٤٩ .

( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ١٤٧ .

( ٤ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٤٩٧ هـ .

عقب وفاة منافسه في السلطنة بركياروق بن ملكشاه سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م ،  
 فرأى ابن عمار لنفسه وللمسلمين قصد السلطان محمد بن ملكشاه والخليفة  
 العباسي المستظهر بالله للاستعانة بهما في رفع الحصار الذي فرضه وليم  
 جوردان خليفة ريموند على طرابلس خاصة وأن فخر الملك بن عمار أيسر من  
 أي نجدة تصله من القوى الإسلامية الأخرى في بلاد الشام ، ولعلمه — من  
 ضعف الفاطميين في مصر وعجزهم عن تقديم أي مساعدة له (١) . ولكن فخر  
 الملك بن عمار أعاد النظر في هذا الموضوع إلى ظهير الدين طفتكين صاحب  
 دمشق واستشاره في هذا الأمر ، فرد ظهير الدين طفتكين على فخر الملك  
 ابن عمار وطلب منه القدوم إلى دمشق للتشاور في هذا الأمر ، فاستنـ<sup>اب</sup>  
 فخر الملك بن عمار بطرابلس أبا المناقب ومعه وجوه أصحاب فخر الملك وغلطائه  
 وأعطى الجند المكلفين بالدفاع عن طرابلس إعطياتهم لمدة ستة شهور ، حتى  
 لا يكلف ابن عمه مشقة في ذلك ، وتوجه إلى دمشق فوصلها في شهر شعبان  
 سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م (٢) . وتم الاتفاق بين فخر الملك بن عمار وظهير  
 الدين طفتكين على خروج تاج الملوك يورى بن طفتكين بصحبة فخر الملك  
 ابن عمار إلى بغداد ، فتوجهوا من دمشق صوب بغداد فوصلها في شهر  
 رمضان من السنة المذكورة ، واستقبلا أحسن استقبال من قبل السلطان  
 محمد بن ملكشاه والخليفة العباسي المستظهر بالله ، وقدم فخر الملك بن  
 عمار ما حمله من الهدايا إلى السلطان والخليفة ، وطلب منهما امتداد  
 بقوة عسكرية لمداومة الصليبيين عن طرابلس . ووعدهما فخر الملك بن عمار  
 بأنه سوف يتكفل بكل ما يتحمله الجيش الذي سيخرج لنجدته بكل ما يلزمه

- 
- ( ١ ) انظر ابن القلانسي ، ص ١٦٢ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ،  
 ج ١ ص ٣٥٢ .  
 ( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٦٠-١٦١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ،  
 ص ٤٥٢-٤٥٣ ، المعظم ، تاريخ المعظم ، حوادث سنة ٥٠١ هـ ،  
 المقرئزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ص ٣٨ .

من المعتاد والمؤن . غير ان ذلك لم يجد قبولا لدى حكومة بغداد ، التي لم تقدم لابن عمار غير معسول الكلام ، فعاد منكفئا الى دمشق حيث وصلها في المحرم من السنة التالية ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م (١) . ولا يستبعد أن تكون عودة فخر الملك بن عمار الى دمشق بخفى حنين انما كانت بسبب انشغال السلطان السلجوقي بامر سيف الدولة صدقه سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م بالاضافة الى الخلاف المذهبي بين فخر الملك بن عمار والسلاجقة ، ففخر الملك بن عمار شيعي والسلاجقة سنيون ، وهذا الخلاف المذهبي كان من الاسباب التي أدت الى تفكك وحدة المسلمين في بلاد الشام قبل قدوم الصليبيين اليها .

أما الاوضاع بطرابلس فانها قد تغيرت قبل وصول فخر الملك بن عمار الى بغداد لا بسبب شدة حصار الصليبيين الذين يحاصرونها وانما بسبب عصيان ابي المناقب عم فخر الملك بن عمار على فخر الملك ابي علي بن عمار ، ومناذاته بشعار الافضل بن بدر الجمالي وزير الفاطميين (٢) . ويرجع ابن الاثير سبب عصيان ابي المناقب بطرابلس الى ان ابا المناقب قد عرف ان بعض الشخصيات في طرابلس قامت بمراسلة الافضل بمصر يلتصون منه واليا يكون عندهم ممن قبله فبادر هو الى قطع الطريق عليهم وحمل زمام المبادرة ونادى بشعار الفاطميين (٣) .

ومهما يكن من امر فان هذا الحادث بطرابلس لا يخرج عن كونه استنكار بعض شخصيات طرابلس الشيعية على ذهاب فخر الملك بن عمار الى بغداد

(١) العنظمي ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠٢ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٦١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٥٣-٤٥٤ ، ابن شداد ، العلاقات الخطيرة ، ج ٣ ، ص ١٠٩-١١١ ، عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ، ص ٩٣ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ١٦١ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٨ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .

مركز أهل السنة لطلب المساعدة ضد الصليبيين . ورأوا في شخصية  
أبي المناقب ما يحقق رغبتهم في الاطاحة بفخر الملك بن عمار والمناداة بشعار  
الفاطحيين في مصر ، ففعلوا ، ولكن فخر الملك بن عمار استطاع ان يكتسب  
لبعض اصحابه بطرابلس يأمرهم بالقاء القبض على أبي المناقب ففعلوا ذلك  
وحملوه الى أحد الحصون القريبة من طرابلس حيث اعتقل هناك في سنة  
٥٠١ هـ / ١١٠٢ م وتولى الأمر بطرابلس اصحاب فخر الملك بن عمار (١) .  
ولما كان الوزير الفاطمي الافضل بن بدر الجمالي يتطلع الى فرض سيطرته  
على طرابلس فقد اهتبل هذه الفرصة السانحة وسير من قبله حملة بحرية  
في نفس السنة ( ٥٠١ هـ / ١١٠٢ م ) جعل على رأسها شرف الدولة بن  
أبي الطيب (٢) ، الى طرابلس ، وأمره بالقبض على أهل فخر الملك فدخل  
طرابلس في السنة المذكورة وألقى القبض على أهل فخر الملك بن عمار وحريمه  
ونقلهم الى مصر (٣) .

وقبل معرفة ما آل اليه أمر طرابلس لابد من الاشارة الى أن رحلة  
فخر الملك بن عمار الى بغداد قد ترتب عليها عدة أمور منها ، عودته خائباً من  
الحصول على مساعدة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي محمد بن  
ملكشاه ، ثانياً : توثق عرى الصداقة والمودة بين فخر الملك بن عمار وظهرير  
الدين طختكين صاحب دمشق على الرغم من اختلاف المذهب بينهما ، ثالثاً  
خروج طرابلس من حكم أسرة بني عمار الطائيين الى حكم الفاطمية في مصر

( ١ ) العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٥٠١ هـ ، ابن القلانسي ،  
ص ١٦١ .

( ٢ ) ويلقبه المقرئ بالامير مشير الدولة ، انظر المقرئ ، اتماظ الحنفا ،  
ج ٣ ، ص ٣٨ ، اما ابن القلانسي وابن الاثير فيلقبانه باسم شرف الدولة  
انظر ابن القلانسي ، ص ١٦١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٥٤ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ١٦١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٥٤ ، ابن  
شداد ، العلاقات الخطيرة ، ج ٣ ، ص ١٠٩ - ١١١ ، المقرئ ، اتماظ  
الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤٣ .

سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م .

أما عن مصير طرابلس بعد انتقالها الى الفاطميين ، فانهم لم يستطيعوا حمايتها من السقوط بيد الصليبيين الذين فرضوا عليها حصارا شديدا ابتداء من شهر شعبان ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م اشترك فيه على حد قول ابن الاثير تانكرد ( طنكريد ) صاحب انطاكية ، وبلدوين ( بغدادوين ) صاحب القدس ، بالإضافة الى ابن أخت صنجيل المعروف باسم السرداني وابن صنجيل (١) . ولم يستطيع الفاطميون واهل البلد الصمود امام الصليبيين ، بسبب تأخر المعونات الفاطمية عن طريق البحر ، مما ادى الى سقوط طرابلس بيده الصليبيين في ذي الحجة سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م (٢) .

أما مصير فخر الملك بن عمار بعد خروج طرابلس من يده الى الفاطميين ثم سقوطها بيد الصليبيين ، فقد استقر به المقام في دمشق ، فأكرمته طغتكين وأنزله في دار تايق بمقامه ، ولم يكف بهذا بل أقطعهم الزبداني وأعمالها سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م (٣) . وظل فخر الملك بن عمار في دمشق

( ١ ) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٤٧٥-٤٧٦ ، وابن صنجيل هذا هو المعروف بابن ريموند الصنجيلي واسمه Bertram Son of Raymond انظر المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ص ٤٣ ، حاشية رقم ٣ - اما السرداني الذي ذكره ابن الاثير فان اسمه وليم جوردان Willame Gordan انظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٥٥ .

( ٢ ) ابن القلانسي ص ١٦٣ ، العظيى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠٢ هـ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ص ٤٣ ، اما ابن الاثير فيذكر ان سقوط طرابلس بيد الصليبيين سنة ٥٠٣ هـ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٤٧٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ص ٢٢٤ .

( ٣ ) العظيى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠٢ هـ ، ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ج ١٣ ، حوادث سنة ٥٠٣ هـ ، ابن القلانسي ص ١٦٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ، ص ٢٧ ، الذهبى ، دول الاسلام ج ٢ ، ص ٣٢ ، والزبداني : كورة مشهورة معروفة بين دمشق ومعلبك ومنها يسير نهر دمشق . انظر ياقوت ، معجم البلدان .



بصحبة ظهير الدين طغتكين حتى خرج من دمشق سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م متوجها الى القاهرة حيث تقيم اسرته هناك منذ ان نقلهم شرف الدولة بسن أبي الهيثب سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م (١) .

وهكذا يمكن القول أن اسرة بنى عمار الطائفة فى طرابلس استطاعت الاستمرار فى حكم طرابلس منذ سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م حتى سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م ، وان يتصدى زعماء هذه الامارة للاطماع السلجوقية والفاطمية ، حتى كان الغزو الصليبي لبلاد الشام فى العقد الاخير من القرن الخامس الهجرى حيث تضعف حكم بنى عمار فى طرابلس نتيجة للحصار الذى فرضه عليهم الصليبيون والذى دام اكثر من سبع سنين متواصلة ، استطاعوا خلالها الصمود فى وجه الصليبيين تارة بالسلم وتارة بالحرب . وتجدر الاشارة الى القول انه لو لم تخرج طرابلس من يد ابن عمار واسرته سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م الى الفاطميين لاستطاع فخر الطك ابن عمار واصحابه الدفاع عنها ومنعها من السقوط بيد الصليبيين أو على الاقل تاخير سقوطها فترة من الزمن ان أن فخر الطك بن عمار كان من المرونة وحسن المعاملة مع القوى الاسلامية فى بلاد الشام وخصوصا السلاجقة ما يجعل هذا كفيلا بان يمدوا له يد الصون ضد الصليبيين بعكس الفاطميين الذين كانوا يتخرجون على ما يبدو الى الاستعانة بالسلاجقة بالاضافة الى انهيار القوة البحرية للفاطميين ، بمقد ان سيطر الصليبيون على اغلب المدن الساحلية التى كانت مركزا حيويا للاستيلاء البحرى الفاطمى .

أما عن إمارة بنى منقذ فى شيزر (١) فهى الإمارة العربية التى استلمت المسمود والبقا حتى مابعد قيام الاسرة الزنكية ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م فلم يصيبها ما أصاب إمارة المرداسيين فى حلب ولا إمارة مسلم بن قريش فى الموصل وذلك بسبب اعتصامها بقلعة شيزر ، إضافة الى عدم دخول زعماء هذه الإمارة فى النزاع الذى قام بين السلاجقة عقب وفاة السلطان ملكشاه .

ونو منقذ يرجع نسبهم الى قبيلة كنانة العربية القحطانية ، والتقى لم تكن تضاهى كلاب وهقيل وطى فى الكثرة ، وانما اشتهرت قبيلة بنى منقذ الكنانية بعدة صفات كالكرم والشجاعة والشهامة مع اهتمامهم بالعلم والادب ، وقرغى الشعر (٢) . ويعود ذكر بنى منقذ الى ما قبل سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م فقد كان لهم دور فى النزاع الذى لعبته القبائل العربية ابان سيطرة الفاطميين على بلاد الشام قبل وصول السلاجقة اليها (٣) .

أما شيزر فكانت بيد البيزنطيين ، حينما قام زعيم بنى منقذ ابو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى ببنا حصن على تل الجسر غربى شيزر سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م بقصد انتزاعها من يد البيزنطيين . ولما تم له بناء الحصن نقل اليه أهله وعشيرته وبدأ التخطيط للاستيلاء على شيزر (٤) .

( ١ ) شيزر : هضبة صخرية منتصبة على ضفة نهر العاصى الغربية الى الشمال من مدينة حماة والنهر يحيط بها من ثلاث جهات ، بحيث أصبحت شبه جزيرة مرتفعة ، وما زاد فى مناعتها وحصانتها وقوت الحرب وجود خندق محفور فى الصخر يصل شبه الجزيرة بالبر ، انظر ياقوت معجم البلدان ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، مقدمة المحقق ، ص ٥٠٤ .

( ٢ ) العطار الاصفهانى ، خريدة القصر ، ج ١ ص ٤٩٧ ، ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٢ ص ١٨٧ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ص ٢٧٠ .

( ٣ ) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ص ٥٠١ ، الصدى ، الوافى بالوفيات ، ج ٩ ص ٤٢٥ .

( ٤ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ١٣ B ، ورقة ٥٦ ب ، ابوالمحسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١١٣ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ص ٢٧٠ .

استغل سديد الملك ابو الحسن على بن منقذ الكنانى انشغال البيزنطيين بالفز والسجوق لاسيا الصغرى وبلاد الشام وبدأ يخطط للاستيلاء على شيزر ، غير انه ادرك صعوبة الاستيلاء على شيزر بسبب شدة حصانتها الطبيعية ، فقام بالاستيلاء على أحد الحصون القريبة منها وكانت شيزر خاضعة لاسقف البارة (١) المسمى دمتري ، الذى كان مقره فى شيزر . ولما تم لعلى بن مقلد الحصول على مركز قريب من شيزر تقرب الى العديد من الشخصيات البيزنطية بالهبات والعطايا بالاضافة الى احسانه للمسيحيين الذين كانوا فى الحصن الذى استولى عليه فلم يكلفهم مالا يطيقون عطه . وبهذه السياسة اطمأن أهل شيزر لجواره ووفدوا عليه ولم يقف عند هذا الحد بل وقف الى جانبهم عند ما يحل بهم مكروه وهذا على ما يبدو كان السبب وراء تقدم أهل شيزر الى على بن مقلد بن منقذ وعرضوا عليه تسليم شيزر اليه عند ما توقرت العلاقات بينهم وبين الاسقف دمتري . ولكن ابن منقذ تظاهر بالرفض فبدأ الامر حتى اتفق مع الاسقف دمتري على تسليم شيزر اليه مقابل مال يدفعه ابن منقذ الى الاسقف بالاضافة الى دفع راتب ستة اشهر للحامية البيزنطية داخل قلعة شيزر وعدم المساس باملاك الاسقف نفسه . وبهذا تسلم ابن منقذ شيزر فى شهر رجب سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ونقل اليها اهله وعشيرته . ولم تقف سياسة التسامح التى بذلها ابن منقذ للبيزنطيين عند هذا الحد بل قام أهل عين تاب وبقية الحصون الخاضعة للبيزنطيين بتسليمها اليه والدخول فى طاعته ، ولما اطمأن ابن منقذ الى مكانته فى شيزر سمح للحامية البيزنطية بخفادرة القلعة وكتب بذلك البشائر الى بغداد تعبيراً عن

---

( ١ ) البارة : بليدة وكورة من نواحي حلب . انظر : يا قوت ، معجم البلدان .

### الفرقة بطرد البيزنطيين من شيزر (١) .

ولما كانت شيزر تتمتع بموقع استراتيجي هام يسيطر على معظم قلاع  
وحصون وادي الحاصي فقد تعرض ابا الحسن على بن مقلد بن منقذ لاطماع  
مسلم بن قريش صاحب الموصل ولا طماع سليمان بن قطلمش سلطان سلاجقة  
الروم الا ان ابا الحسن بن منقذ استطاع ان يسلك مع هؤلاء الخصوم سياسة  
حكيمية جنبت امارته السقوط في يد اى من هذه القوى تارة بالحرب وتارة  
بالمال (٢) .

ولكن ابا الحسن على بن مقلد بن منقذ الكنانى لم يلبث طويلا ففى  
الامارة ان توفى فى بداية سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، وكان محبوبا عند رعاياه  
لاتباعه سياسة التسامح مع المسلمين والمسيحيين على حد سواء . وخلفه  
فى حكم امارة شيزر ابنه ابا المرفف نصر بن على (٣) . وقد استطاع ابا المرفف  
نصر بن على المحافظة على امارته من السقوط ، فاستغل النزاع الذى قام بين  
تاج الدولة تتش وسليمان بن قطلمش ، واستعاد ما فقده والده من الحصون  
مثل كفر طاب واقامية . ولم يقف عند هذا الحد بل استغل مقدم ملكشاه  
الى حلب سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م فراسله ودخل فى طاعته ، وسلمه

- 
- ( ١ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ١٣ ، ورقة ٥٧ أ ، ابن القلانسي ،  
ص ١١٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٧٧ ، ابوالفدا ، المختصر  
ج ٢ ، ص ٣٢ ، ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٠٩ ، اسامة بن  
منقذ ، الاعتبار ، مقدمة المحقق ج - ح ، العرينى ، الشرق الاوسط ج ١ ،  
ص ٦١ - . وعين ثابت : قلعة حصينة بين حلب وانطاكية ، وتعد من  
اعمال حلب . انظر ياقوت ، معجم البلدان .  
( ٢ ) انظر اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٢١٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ،  
ص ٩٤ ، على محمد الغامدى ، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي ، رسالة  
ماجستير ، ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .  
( ٣ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ١٣ ، ورقة ٨٤ ب ، العرينى ، الشرق  
الاوسط ج ١ ، ص ١٦ .

اللاذقية وكفر طاب واقامية فأقره السلطان ملكشاه على امارته في شيزر (١) .

وعلى الرغم من سياسة ابن المرهف نصر بن على التي سار عليها تجاه القوى الاسلامية فانه قد تعرض سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م لمحاولة من آقسنقر قسيم الدولة والد عماد الدين زنكي للاستيلاء على شيزر ولكن ابوالمرهف نصر بن على استطاع مصالحة آقسنقر واقنعه بالعدول عن شيزر (٢) . حافظ نصر بن على على امارته ، اضافة الى ماضمه اليها من قلاع وحصون . ولم يقف ابوالمرهف بن نصر عند هذا الحد بل استطاع الاعتماد عن الزج بنفسه في النزاع الذي حدث بين قادة السلاجقة في بلاد الشام عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، واستمر في حكم امارته حتى وفاته سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م عند قدوم الحملة الصليبية الاولى . والى جانب محافظته على امارته فقد برع في الشعر والادب ، وتولى الامارة من بعده أخوه مجد الدين ابوسلامه مرشد بمن على والد اسامة بن منقذ مؤلف كتاب الاعتبار ، غير انه تنازل عن الامارة لاختيه عز الدين ابوالعساكر سلطان بن منقذ الكنانى (٣) .

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ١٤٩ ، ابوشامة ، البروضتين ج ١ ص ١٠١ ، ابن الجوزي ، سبط ابن الجوزي ، امرأة الزمان ج ١٣ ص ١٢٥ ، ورقة أ ، ابن الاثير ، ج ١١ ص ٢٤٠ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٢٤ .
- (٢) العيني ، عقد الجمان ج ١١ ، حوادث سنة ٤٨١ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ١٦٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ١٠٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ١٩ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٢ ص ١٩٩ ، الدواداري ، الدرة المهيئة في اخبار الدولة الفاطمية ص ٤٢١ .
- (٣) سبط ابن الجوزي ، امرأة الزمان ج ١٣ ص ١٢٥ ، ورقة أ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٢١٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٦٣ ، احمد رمضان ، المجتمع الاسلامي في عصر الحروب الصليبية ص ٤٦ .

أما موقف هذه الامارة من الغزو الصليبي لبلاد الشام ، فقد تمثل لنا في الموقف السلبي الذي وقفه زعيم هذه الامارة ابو العساكر سلطان بن منقذ من القوى الاسلامية التي حاولت منع انطاكية من السقوط بيد الصليبيين ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م فلم تشر المصادر التاريخية الى قيام امارة بنى منقذ بتقديم اى مساعدة لمنع سقوط انطاكية فى ايدى الصليبيين . ولا يستبعد أن يكون ابو العساكر قد ظن كغيره من القوى الاسلامية الى ان الصليبيين لن يتقدموا الى وسط بلاد الشام بعد استيلائهم على أنطاكية ، غير ان موقف ابو العساكر السابق ظهر بعد استيلاء الصليبيين على معرة النعمان سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م بقيادة ريموند الصنجيلى فمجرد سماع ابن منقذ بما فعل بأهل المعرة خشى ان يحل بامارته ما حل بمعرة النعمان من الخراب والدمار ، ولذلك فلم يتخذ من الاحتياطات العسكرية ما يكفل له ولا مارتته الوقوف فى وجه الصليبيين ، بل أرسل الى ريموند الصنجيلى فى السنسنة المذكورة رسلا يحملون اعلان الطاعة للصليبيين ، ويؤكدون لريموند الموادة والمسالمة والتعهد بتقديم كل ما يحتاجه الجيش الصليبي من تسهيلات عند مروره بارضهم ( عن طيب خاطر ) ، وأرسل ابو العساكر سلطان للصليبيين دليلا ليرشدا الجيش الصليبي أثناء عبوره اقليم العاصي (١) .

غير أن اطماع الصليبيين فى بلاد الشام لم تقف عند حد معين ، بل كانت نظرتهم أوسع وأشمل مما كان يتصوره قادة المسلمين فى ذلك العصر . ففي سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م تعرضت شيزر لهجوم عنيف من تانكرد صاحب

---

( ١ ) اعمال الفرنجة ، ترجمة حسن حبشى ، ص ١٠٧ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٨ ، حسن حبشى ، الحرب الصليبية الاولى ، ص ١٦٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

أنطاكية ، بقصد السيطرة على وادي العاصي ، فلجأ ابن منقذ الى عقد صلح مع تانكر لمدة سنتين . ثم بموجبه تقديم مبلغ خمسة عشر ألف دينار يدفعها ابن منقذ للصليبيين . ويبدو ان ما قدمه ابن منقذ من مبلغ كبير لتانكر قد اطمح ولهم جوردان خليفة ريموند الصنجيلي فقام بمحاولة منه في نفس السنة للاستيلاء على شيزر ، ولكن ابا العساكر سلطان بن منقذ تصدى له وحاول الامساك به اسيرا ولكنه لم يستطع . ولما انتهت مدة الصلح الذي عقد بين تانكر صاحب انطاكية وابي العساكر سلطان عاد تانكر لحصار شيزر سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م <sup>(١)</sup> .

وقد أورد لنا أسامة بن منقذ وصفا حيا عن استبسال اهالي شيزر في الدفاع عنها كما اوضح بانه قد اشترك في هذه الحرب وكان عمره وقتذاك قد جاوز الخامسة عشر سنة <sup>(٢)</sup> . ولم يقف ابا العساكر سلطان بن منقذ عند حد الدفاع عن شيزر ، بل كتب الى شرف الدولة مودود صاحب الموصل وقائد قوات السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م يخبره بما فعله تانكر في حصاره لشيزر ، وفي نفس الوقت يستحثه على الوصول اليه بأسرع ما يمكن " ويحثهم على الوصول الى جهته " <sup>(٣)</sup> . ولم يكف أبو العساكر سلطان بن منقذ بما بعث به الى قوات السلطان محمد بن ملكشاه من طلب الاستغاثة وسرعة الوصول اليه سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م ، بل اشترك

(١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٥٠ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ابن القلانسي ص ١٦٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ، ص ٣١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٣٥ ، ٤٠٩ ، وتانكر Tancred هو الذي خلف بوهمند الاول في حكم انطاكية ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م . وقد ظل في حكم انطاكية حتى وفاته سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م . انظر أسامة بن منقذ الاعتبار ، ص ٦٥ حاشية رقم ١٢٧ .

(٢) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٦٦ .

(٣) ابن القلانسي ، ص ١٧٤ ، انظر سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ٣٥ .

هو وبقية أسرة بنى منقذ مع مودود فى قتال الصليبيين فى السنة التالية  
فى السنة التالية ٥٠٥ هـ / ١١١١ م . وقد لعب سلطان بن منقذ دورا  
ناجحا فى حرب الصليبيين فى تلك السنة بطاقته من حسن المشورة لمودود  
والقوات الاسلامية فى اختيار لمواقع الاماكن الهامة ، مما زاد المسلمين  
عطاسا واقداما " وقويت نفس مودود بهذه المشورة " (١) .

وفى سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م اشترك ابوالعساكر سلطان بن منقذ  
مع قوات السلطان محمد بن ملكشاه ضد الصليبيين والمعارضين لحكمه فى بلاد  
الشام من القوى الاسلامية . وكانت هذه القوات التى ارسلها السلطان  
بقيادة برسق بن برسق التركمانى . وقد اوضح اسامه بن منقذ فى كتابه  
الاعتبار بانه قد اشترك فى حرب الصليبيين الى جانب هذه القوات الاسلامية  
التي استطاعت دفع الصليبيين الذين حاولوا الاستيلاء على شيزر بالرغم  
من اشتراك زعماء الصليبيين فى تلك المحاولة كروجر (٢) صاحب أنطاكية  
ويلدوين الاول ملك بيت المقدس . (٣)

---

( ١ ) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٦٨-٦٩ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ،  
ج ١٠ ، ص ٤٨٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٦١ ،  
سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

( ٢ ) روجر المقلّى صاحب أنطاكية ، كان قد خلف عمه تانكرد فى حكم  
أنطاكية بعد وفاة تانكرد سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م واستمر روجر فى  
حكم أنطاكية حتى مصرعه سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م ، انظر سعيد  
عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣١١ .

( ٣ ) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٩٠ ، انظر ابن العديم  
زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٠٩  
سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤١٨ .



وفى سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م حاول سلطان بن منقذ استغلال الهزيمة التى حلت بالصليبيين فى معركة دانيث ومقتل روجر صاحب انطاكية وحاول استعادة اقامية من الصليبيين ، غير ان الهزيمة قد حلت ببني منقذ بقيادة أسامة فى اقامية فعادوا الى شيزر دون تحقيق أملهم ، ولكن الصليبيين فى السنة التالية ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م استغلوا رحيل نجم الدين ايلغازى عن شيزر الى حلب وقاموا بحصار شيزر حتى أرغموا صاحبها على دفع مبلغ من المال اليهم مقابل رفع الحصار عن شيزر (١) .

وهكذا خضع ابن منقذ لمطالب الصليبيين التعسفية ولم يكفوا بما فرضون من مال على شيزر بل حاولوا مرة اخرى فى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م الاستيلاء على شيزر ولكنهم فشلوا ، مما شجع بنى منقذ على القيام بخبرات مضادة على املاك الصليبيين فى اقامية وغيرها سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م (٢) .

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد أن علاقة بنى منقذ بالصليبيين قد طرأ عليها تحسن فى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م بعد اطلاق سراح بلدوين الثانى ملك بيت المقدس من أسر حسام الدين ترناش بفضل المساعى الحميدة التى بذلها زعماء بنى منقذ لدى حسام الدين ترناش لاطلاق سراح بلدوين الثانى . ولما كانت ابلدوين السيطرة على بيت المقدس وانطاكية

---

( ١ ) ابن القلائس ، ص ٢٠١ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٤٠ ، ١١٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٥٥ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٣-١٩٧ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٩٠-٤٩٢ .

( ٢ ) انظر اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٥٦-٥٧ .

فقد اتبع سياسة طيبة تجاه بنى منقذ فى شيزر ، فأعفاهم من دفع القطيعة التى كانوا يدفعونها لحكام أنطاكية . وزيادة على ذلك فقد اورد لنا أسامة ابن منقذ وصفا عن هذه العلاقات الطيبة بقوله " صار امرنا فى انطاكية نافذا " ، وقد استمرت العلاقات حسنة بين بنى منقذ والصليبيين حتى سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م وهى السنة التى قدم فيها بوهمند الثانى ابن روجر من ايطاليا عن طريق ميناء السويدية والذى يطلق عليه اسامة بن منقذ اسم " ابن ميمون " ويصفه بأنه شيطان ابتلى به الشرق ، فسلمه بلدوين امارة انطاكية وما ان تولى حكم انطاكية حتى فكر فى استعادة ما فقدته امارة انطاكية من املك ، خصوصا وان آقسنقر البرسقى صاحب الموصل وحلب قد توفى فى تلك السنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م غداً بالغارة على شيزر فى محاولة منه للاستيلاء عليها ولكنه عجز عن ذلك (١) .

وهكذا لعبت امارة بنى منقذ فى شيزر دورا هاما فى فترة حكم زعيمها ابا العساكر سلطان بن على بن منقذ فى الفترة التى سبقت قيام الاسرة الزنكية ، بين السلب والايجاب تجاه الصليبيين فى بلاد الشام . ويمكن القول ان زعيم بنى منقذ ابا العساكر سلطان قد استطاع ان يجنب امارته خطر السقوط بين الصليبيين فى فترة اجتياحهم لبلاد الشام بما اتبعه معهم من سياسة المصالحة والمواعدة ، وكانت لابي العساكر سلطان بن منقذ

---

(١) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٢٠-١٢١ .

علاقات ودية مع الصليبيين أوضحها لنا اسامة بن منقذ في معرض حديثه عن مضامراته وطولاته التي دونها في كتابه الاعتبار .

أما عن علاقات بنى منقذ في شيزربحكام حمص وحماة واقامية ودمشق وغيرها فان المصادر التاريخية لم تذكر شيئاً عنها ذاك بال الا ما ذكره اسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار من مقتطفات اوردتها اسامة بن منقذ في معرض حديثه عن مضامراته وحروبه ، فعلاقة بنى منقذ بخلف بن ملاعب الاشهبى صاحب اقامية كانت علاقات غير ودية ، ان ان خلف بن ملاعب الاشهبى كان كثير الغدر والخيانة بالمسلمين لتألفه في التشيع ، فقامت بينه وبين ابي العساكر سلطان ابن منقذ عدة حروب كان اخرها سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م اشترك فيها والد اسامة بن منقذ ، وقد اسفرت هذه الحروب عن عقد صلح بين الطرفين استمر حتى وفاة خلف بن ملاعب سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م (١) .

أما عن علاقة بنى منقذ بامارة بنى عمار في طرابلس فلم تذكر المصادر المتداولة ما يدل على اشتراك بنى منقذ في مساعدة بنى عمار في طرابلس ضد الصليبيين على الرغم من الحصار الذي فرض عليهم مدة سبع سنوات متوالية (٤٩٥ هـ / ٥٠٢ هـ ، وذكر مؤرخ دمشق ابن القلانسي من انه بعد

---

(١) ابن الحديد ، بغية الطلب ، ج ٥ ، ورقة ٢٢١ أ ، اسامة بن منقذ الاعتبار ، ص ٥٢ ، ابن القلانسي ، ص ١٤٩-١٥٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٠٩ .

٥٠٢ / ١١٠٨ م

سقوط طرابلس سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م بيد الصليبيين ، عرج فخر الملك بن عمار على شيزر فاستقبله ابو العساكر سلطان بن منقذ وعرض عليه المقام عنده بشيزر الا أن فخر الملك بن عمار لم يقبل وتوجه الى دمشق (١) .

أما عن علاقة ابي العساكر سلطان بن منقذ الكنانى زعيم بنى منقذ فى شيزر بصاحب حماة شهاب الدين محمود بن قراجه ، فقد كانت فى جملتها عدائية نظرا لاشتراكها فى كثير من مناطق النفوذ . ونشبت بين الطرفين عدة حروب كانت احداها فى سنة ٥١٣ هـ / ١١٢٠ م عندما قام صاحب حماة بهجوم على شيزر ، فتصدى له بنو منقذ واستطاعوا اجباره على التراجع . وقد شارك أسامة بن منقذ فى هذه الحرب الى جانب أسرته دفاعا عن شيزر . ويذكر أسامة ان صاحب حماة قد استعان بصاحب حمص خيبر خان بن قراجا فى الهجوم على شيزر (٢) .

أما عن علاقة بنى منقذ بالسلاجقة فى حلب ودمشق ، فقد التزم زعماء بنى منقذ جانب الحيات اثناء النزاع الذى قام بين رضوان بحلب ودقاق فى دمشق ، والذى أسفر عن قيام عدة امارات مستقلة عن السلاجقة كالارائقة فى ماردين وأسرة طختكين فى دمشق . وأورد أسامة بن منقذ فى كتابه الاعتبار

(١) ابن القلانسى ، ص ١٦٤-١٦٥ .

(٢) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٥٦ ، ٩٧ ، ١٠٠-١٠١ .

أن عمه أبا العساكر سلطان بن منقذ قد تزوج إحدى بنات رضوان بن تتشش  
ولكن أسامة لم يذكر تاريخ هذا الزواج ولا عن طبيعة العلاقات بين أمير  
بنى منقذ ورضوان . وذكر أسامة بن منقذ أيضا في كتابه الاعتبار أن عمه  
أبا العساكر قد أرسل رسولا إلى الملك رضوان بن تاج الدولة تتشش ولم يوضح  
لنا أسامة عن زمان ومضمون الرسالة التي خطبها من شيزراحد موالى أبا العساكر  
سلطان يدعى موفق الدولة شمعون (١) .

وهكذا يمكن القول بأن الصليبيين انتهزوا فرصة التمزق السياسى للقوى  
الإسلامية فى بلاد الشام والجزيرة نتيجة انهيار النفوذ السلجوقى وانحسار  
النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ونهاية الإمارات العربية ونجحوا فى تأسيس  
ثلاث إمارات صليبية فى الرها وأنطاكية وطرابلس ومملكة صليبية فى بيت المقدس  
وكان على قادة المسلمين أن يبعثوا فكرة الجهاد ضد الصليبيين ، وهو موضوع  
الفصل الثانى .

—•—

---

( ١ ) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٥٣ ، ١٤٨ .

# الفصل الثاني

الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين قبل قيام الأسرة  
الزنكية ( ٤٩١ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٧ - ١١٢٧ م )

- موقف الخلافة العباسية من حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين
- موقف الخلافة الفاطمية من الغزو الصليبي لبلاد الشام
- بعث فكرة الجهاد الإسلامية ضد الصليبيين قبل عماد الدين  
زنكي .

## (( الفصل الثاني ))

الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين حتى قيام الاسرة الزنكية

( ٤٩١ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٧ - ١١٢٧ م )

---

- \* موقف الخلافة العباسية من حركة الجهاد ضد الصليبيين .
- \* موقف الخلافة الفاطمية من الغزو الصليبي لبلاد الشام .
- \* بحث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قبل عماد الدين زنكي .

## الفصل الثاني

### الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قبل قيام الأسرة الزنكية

( ٤٩١ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٧ - ١١٢٧ م )

#### - موقف الخلافة العباسية من حركة الجهاد ضد الصليبيين :

كانت الخلافة العباسية في بغداد قبل قدوم الصليبيين الى بلاد الشام غاضعة لنفوذ السلاجقة الذين كانوا قد سيطروا قبل منتصف القرن الخامس الهجري على ايران واقليم ماوراء النهر . وقد استطاع السلاجقة انقاذ الخلافة من تزايد النفوذ الفاطمي في بغداد وغيرها من الاقاليم العباسية (١) ، وظلت الخلافة العباسية في ظل سلاطين السلاجقة العظام كطفرل بك ، وألب ارسلان وملكشاه - كما كانت عليه زمن البويهيين - محكوما عليها بالبقاء بحيداً عن الحوض في الامور السياسية او التدخل في شئون الحكم ، فانشدت سلطنة الخلفاء العباسيين في ذكر اسمائهم في خطبة الجمعة ونقشها على السكة ، وعاش الخلفاء على ماتدره الاقطاعات الخاصة بهم ، وهذا ما لم يكن له سابقة زمن البويهيين (٢) .

ولم يستطع الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن يتخذ موقفاً حازماً للنهوض بأمر الخلافة العباسية عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ونشوب الخلاف بين أبنائه ، بسبب تجريده من أي قوة عسكرية يستطيع بها الوقوف في

( ١ ) انظر سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، ص ٤ - ٥٤ .

The Cambridge Medieval History, Vol. IV, p. 655.

( ٢ ) ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ٩١-٩٢ ، فاضل مهدي بياري ، السياسة السلجوقية في العراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن عشر،

١٩٨١ م ، ص ٩٧ - ١٠١ .



في وجه غصومه ، ولذلك فقد وقف موقفا سلبيا أثناء النزاع بين ابناء ملكشاه ،  
 لدرجة أنه أعلن السلطنة لاثنتين من ابناء ملكشاه هما بركياروف ولقبه ركن الدين  
 ومحمد ولقبه ناصر الدين (١) . وقد ظل الخليفة العباسي القائم بأمر الله  
 الحوية في يد السلاجقة حتى وافته منيته في بغداد سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م .  
 فخلفه في الحكم ابنه المستظهر بالله ( ٤٨٧-٥١٢ هـ / ١٠٩٤-١١١٨ م )  
 الذي لم يكن بأحسن حالا من والده ، فلم تذكر المصادر المتداولة ما يوضح  
 قيامه بأية محاولة للإفادة من النزاع القائم بين السلاجقة ، بل ظل كما كان عليه  
 والده من الاستكانة للسلاجقة (٢) ، لهذا لم تنهض الخلافة العباسية بدور  
 فعال في الدفاع عن مدن الشام والجزيرة التي اخذت تنهار واحدة تلو الاخرى  
 تحت ضربات الصليبيين (٣) . أما عن سبب عدم قيام الخلافة العباسية بالدور  
 الفعال في معركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين فلا يخرج عن كون الخلافة  
 العباسية كانت في مرحلة الشيخوخة بالاضافة الى ما قام به سلاطين السلاجقة  
 من تجريد الخلافة من أية قوة عسكرية ، ليظهروا هم على أنهم حماة الخلافة من  
 السقوط بيده أعدائها . على أنه ليس معنى ذلك أن الخلافة العباسية وقفت  
 موقف المتفرج من الحركة الصليبية وسقوط بيت المقدس ، بل قامت بالقدر بالكيفية  
 التي سمحت بها ظروفها وامكانياتها وطاقاتها ، وان لم يكن مباشرة . وبما أن  
 الخلافة العباسية لم تكن تمتلك قوة عسكرية تستطيع التحرك بها ضد الصليبيين

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٩ ، ابوالفدا ، المختصر في أخبار  
 البشر ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، الراوندي ، الصدور وآية السرور ، ص ٢١٥ .  
 ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٩-٢٣١ ، ابن الجوزي ، الانباء  
 في تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٥ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ،  
 ص ١٣٩ ، حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٧٩ .  
 ( ٣ ) سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ، بحوث ودراسات  
 في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٥٥ .

ولذلك فان الدور الذى قامت به انما جاء نتيجة لاستنجد المسلمين بها  
عند ما كانت تحل بهم كارثة على أيدي الصليبيين (١) . ففي سنة ٤٩١ هـ /  
١٠٩٧ م استولى الصليبيون على أنطاكية وخرج المستنفرون الى بغداد  
لطلب المساعدة من الخليفة العباسى المستظهر بالله ، فما كان من الخليفة  
المستظهر الا احالة المستنفرين الى السلطان السلجوقى بركياروق الذى  
كان منشغلا بنزاع أخيه محمد بن ملكشاه (٢) . وعند ما استولى الصليبيون  
على بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، اضطروا أهل  
الشام وبيت المقدس الى الخروج للمرة الثانية الى بغداد لشرح الموقف  
المتدهور فى بلاد الشام للخليفة العباسى المستظهر بالله ، وانزعج  
الخليفة العباسى من الموقف وتأثر بما سمعه من الفقهاء ورجال الدين  
والشعراء ، ولم تكن عنده قوة عسكرية يستطيع بها نجدة المسلمين بالشام  
ولذلك لم يجد بدا من عرض الامر على السلطان السلجوقى بركياروق ابن  
ملكشاه ، فأرسل الخليفة اليه وفدا من خيرة رجال بغداد تقوى وديانة ،  
فساروا الى السلطان يستصرخونه على ما حل باخوانهم فى الشام ، ولكنه  
لم يستطع دفع الخطر ولا حتى ارسال نجدة الى الشام فتمكن الصليبيون  
منها (٣) .

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ، سعيد عاشور ، ظل  
الخلافة العباسية فى الحركة الصليبية ، فى كتاب بحوث ودراسات فى  
تاريخ العصور الوسطى ، ص ٥٧ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ،  
ج ٥ ص ١٦١ .

( ٣ ) ابن شاكر الكتبى ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٤٩٢ هـ ، ابن  
الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٤ ، الذهبى ، دول الاسلام ، ج ٢ ،  
ص ٢٠ .

وقد صور لنا ابن الاثير ، وابن الجوزى ، صورة الحال في ديوان الخليفة حينما تحدث قاضى دمشق ابوسعيد الهروى (١) الذى أبكى الحاضرين فسق مجلس الخليفة بما شرعه من تدهور اوضاع المسلمين بالشام ، حتى ان بعض المسلمين قد أقطروا في ذلك اليوم من شدة البكاء والنحيب حزنا على ما أصاب اخوانهم بالشام . وقد انصب اللوم على الخلافة العباسية ، وسكان بغداد وقد عبر عن هذا الشعور الشاعر الأموى أبو المظفر البيرودى فسق أبيات من الشعر نظمها في مجلس الخليفة العباس المستظهر بالله (٢) .

وعاد المستنفرون من بغداد ، دون الحصول على أدنى ما كانوا يرغبون فيه ، في الوقت الذى ظلت فيه الخلافة العباسية في بغداد في موقف حرج بين نزاع السلاجقة من ناحية وبين مايجرى في بلاد الشام من انتهاك لحرمات المسلمين على أيدي الصليبيين من ناحية أخرى . ففي سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م

---

( ١ ) القاضى أسوسعيد الهروى هو أحمد بن نصير بن منصور أحد مشاهير الفقهاء وسادة الكبراء ، قتلته الباطنية بهمدان سنة ٥١٩ هـ ، انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩٥ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٤-٢٨٦ ، ابن الجوزى ، المنتظم ج ٩ ص ١٠٨-١٠٩ . وما قاله البيرودى في مجلس الخليفة العباسى المستظهر بالله :

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| مزجنا دماء بالدموع السواجم   | فلم يبق منا عرضة للمراحم    |
| وكيف تنام العين ملء جفونها   | على هفوات أيقظت كل نائم     |
| واخوانكم بالشام أضحى قليلهم  | ظهور المذاكى اوبطون القشاعم |
| تسومهم الروم الهوان وأنتم    | تجرون ذيل الخفض فعل المسالم |
| أرى أمتى لا يشرعون الى العدى | رماهم والدين واهى الدعائم   |
| ويجتنبون النار خوفا من الردى | ولا يحسبون العار ضربة لازم  |

والبيرودى الشاعر المشهور ابوالمظفر محمد بن ابي العباس احمد بن محمد بن ابي العباس احمد بن اسحاق القرشى الاموى المعاوى البيرودى كان من الادباء ، راوية نسابه ، شاعرا ظريفا ، توفي سنة ٥٠٧ هـ ، انظر الفارقى ، تاريخ الفارقى ص ٢٨٥ ، حاشية رقم ٦ .

قدم الى بغداد فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس ، لطلب النجدة  
 ضد الصليبيين الذين يحاصرون طرابلس ، الا انه لم يجد من الخليفة  
 العباسي المستظهر بالله والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه غير معسول  
 الكلام والوعود الكاذبة . ان أن الخليفة العباسي المستظهر بالله والسلطان  
 السلجوقي ملكشاه كانا مشغولين بأمر سيف الدولة بن صدقة صاحب الحلة  
 والاسماعيلية في بلاد فارس (١) .

وعلى الرغم من هذا الموقف السلبي الذي وقفته الخلافة العباسية  
 تجاه الغزو الصليبي فقد ظلت بغداد محط أنظار المسلمين في بلاد الشام  
 حينما يحل بهم مكروه . ففي سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م خرج اهل حلب  
 - حين ضاق عليهم الامر بحصار الصليبيين - لطلب النجدة من الخليفة  
 العباسي المستظهر بالله والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه (واستغاثوا  
 في ايام الجمع ، ومنعوا الخطباء من الخطبة ، مستصرخين بالعساكر الاسلامية  
 على الفرنج " (٢) .

وعلى الرغم من ان سكان بلاد الشام لم يجدوا في الخلافة العباسية  
 ما يمنهم على صد الصليبيين عن بلادهم فان حكام بلاد الشام كانوا ينظرون  
 الى هذه الخلافة المنهارة على انها الظل الذي يستظلون به في الدفاع  
 عن بلادهم ، فهم يتقربون اليها لينالوا رضى الخليفة العباسي على انه خليفة  
 الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم المسلمين ، مثلما فعل طفتكين صاحب  
 دمشق حين قام برحلته المشهورة الى بغداد سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م وما حصل

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٥٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٥٢ ،  
 المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، ابوالمحاسن ، النجوم  
 الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٩٦ .

( ٢ ) ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، انظر : ابن القلانسي ،  
 ص ١٧٣ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ١٦٥ ، ابن الاثير ، الكامل  
 ج ١٠ ، ص ٤٨٣ .

عليه من رضى الخليفة العباسى المستظهر بالله لما يقوم به فى جهاد الصليبيين والتمسك بالمذهب السنى (١) .

لم تقف الخلافة العباسية على هذا الحال من السلبية تجاه الحوادث السياسية فى بلاد الشام والعراق ، فقد مرت الخلافة بدور جديد من الصحوة بعد وفاة الخليفة العباسى المستظهر بالله الذى وافته منيته سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، فقامت فى بغداد حركة انتعاش ومحاولة لاسترداد هبة الخلافة مع بداية عهد المسترشد بالله ، فقد كان ذا همة عالية وشهامة زائدة ، ضبط أمور الخلافة ورتبها احسن ترتيب (٢) . ولعل شدة حماسه فى اخراج الخلافة مما هى فيه قد جاءت نتيجة معرفته بما كان عليه اسلافه من الذل والهوان اللذين فرضهما عليهم سلاطين السلاجقة .

وقد استغل المسترشد بالله حالة الضيق التى حلت بالناس فى بغداد من ارتفاع فى الاسعار ونقص الغلال وانتشار الفساد ، بالاضافة الى ما ابتليت به السلطنة السلجوقية من منازعات ، ليقوم بدوره فى استرداد هبة الخلافة ويبحث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين (٣) .

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٩٢-١٩٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٥١٤ ، ابوالفدا ، المختصر فى اخبار البشر ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية فى الحركة الصليبية ، بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ٥٥ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٥٣٦ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣١ ، حسين امين ، تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص ١٤٠ .

( ٣ ) انظر ، سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية فى الحركة الصليبية فسى كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ٦١ .

وأدرك الخليفة العباسي المسترشد بالله أن النزاع بين السلاجقة  
 لن يكون الطريق الوحيد في استرداد هبة الخلافة العباسية ، ومن ثم القيام  
 بواجبها تجاه المسلمين في بلاد الشام الذين تعرضوا للغزو الصليبي .  
 ورأى أن الإصلاحات الداخلية والقيام بها سيحبه في قلوب رعاياه وبخاصة  
 الفقهاء والحنابلة ورجال الدين ، وأن هذه الناحية أولى بالاهتمام ، لما عرفه  
 من انتشار الفساد ، فعمل على تطهير المجتمع من المفسد - على سبيل  
 المثال - حيث أمر براقعة الخمر التي كانت تباع علناً في سوق السلطان  
 ببغداد سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م (١) .

وعلى الرغم مما بذله الخليفة المسترشد بالله في سبيل الإصلاح وما كان  
 يتوق إليه من رغبة في تحقيق ذلك ، فقد تعرضت بغداد وغيرها من  
 الأقاليم لكوارث طبيعية ، وفتن داخلية أعاقته عن تحقيق طموحاته . ففى  
 السنة الأولى من حكمه انقطع الفيث فانهضت القوات وقلت الاسعار ، فعظم  
 على المسترشد بالله وأهل بغداد ما كانوا يلاقونه من شحنة بغداد عمسا  
 الدين منكوبوس . وأسقط الخليفة المكوس والضرائب عن أهل بغداد ، ولكن  
 هذا لم يكن كافياً ، فقد تعرضت بغداد عقب ذلك لفتنة العيارين (٢) ففى

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦١٥ - ٦١٦ ، ٦٥٢ ، ابن الجوزى ،  
 المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٤٣ ، ابن الصرائى ، الأنباء فى تاريخ الخلفاء ،  
 ص ٢١٦ .

- العيارون : جمع عيار والعرب تمدح بالعيار وتذم به . فيقال غلام  
 عيار نشيط فى المعاصى ، وغلام عيار ، نشيط فى طاعة الله . حركة العيارون  
 وليدة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت سائدة  
 فى ذلك العصر . وقد اتصف العيارون بصفات حميدة ، كالصدق ، وحفظ  
 الاعراض بالإضافة الى ما اتصف به بعضهم من الفساد والاكتار من الفوضى  
 وهذه الجماعة شبيهة الى حد ما بجماعات الاحداث فى بلاد الشام والجزيرة  
 انظر : حسن أمين ، تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، ص ٣٢ - ٣٣ .  
 The Encyclopaedia of Islam, Vol.I p.794 .

غرب بغداد ، وما أخذوه من أموال الناس جهارا نهارا ، كان له الأثر على سياسة المسترشد بالله ، وما كان يصبو اليه من استرداد هبة الخلافة ومحت فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين (١) .

وفي سبيل استرداد هبة الخلافة والنهوض بها ، حاول الخليفة المسترشد بالله استغلال النزاع القائم بين السلاجقة ، فوقف في وجه آقسنقر البرسقي وعاد الدين منكوش شحنة بغداد ومنعهما من دخول بغداد سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، أثناء النزاع الذي كان قائما بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وخصومه من البيت السلجوقي ، من أجل ان تبقى بغداد بعيدة عن طمع الطامعين (٢) . كما حاول الخليفة المسترشد بالله أن يستغل خروج الملك مسعود بن محمد ضد أخيه السلطان محمود بن محمد سنة ٥١٤ هـ / ١٢٢٠ م ، فوقف الى جانب السلطان محمود بن محمد لايهدف تقويته على خصمه ، وانما بهدف تجنب بغداد النهب والسلب والفساد ، الذي سيترتب اذا دخل بغداد (٣) . ولكن الخليفة المسترشد بالله لم ينجح في الامر ، ان أن دبس بن صدقة الذي كان متروطا فسي خروج الملك مسعود بن محمد ضد أخيه السلطان محمود بن محمد ، قام في السنة نفسها ٥١٤ هـ / ١٢٢٠ م بتهديد الخليفة ، ولم يكف بالتهديد

(١) ابن شاكر ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنة ٥١٢ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٤٢ ، ٥٥٦ ، ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٤١ - ٥٥٣ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ ، ابن الجوزي ، المحقق ، ج ٩ ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، محمد القزاز ، الحياة السياسية في العراق ، ص ٤٢ .

بل سار الى بغداد وضرب سراده بازاء دار الخلافة ، مما اضطر المسترشد الى طلب النجدة من السلطان محمود بن محمد وبعض أمراء الاطراف الذين لبوا دعوة الخليفة المسترشد بالله وقد موا الى بغداد . ولما كان دبيس بن صدقة لا يقوى على الوقوف في وجه جيوش السلطان محمود بن محمد ، فقد انسحب من بغداد الى الحلة ومنها واصل سيره قاصدا حمية الامير نجم الدين ايلغازي بن أرتق صاحب حلب وماردين (١) .

وفي صفر سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م نجح الخليفة العباسي المسترشد بالله في اقناع السلطان محمود بن محمد في الخروج من بغداد . ولكن ذلك لم يؤد الى نتيجة لصالح الخليفة فقد استغل دبيس بن صدقة خروج السلطان من بغداد فتقدم الى الخليفة في نفس السنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ببعض المطالبات التعسفية ، فما كان من الخليفة الا ان طلب من شحنة بغداد آقسنقر البرسقي الخروج لقتال دبيس بن صدقة ، ولكن دبيس استطاع هزيمة البرسقي (٢) . ولما لم تكن مع الخليفة قوة عسكرية يستطيع بها مواجهة دبيس بن صدقة ، الذي لم يكف بما حققه من نصر على آقسنقر البرسقي ، بل أرسل رسالة الى الخليفة العباسي يهدده فيها اذا لم يلبي مطالبه . وطلب الخليفة من اصحاب الاطراف الذين كانوا تحت سيطرته

---

(١) العنبري ، تاريخ العنبري ، حوادث سنة ٥١٤ هـ ، ابن القلانسي

ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٦ ،

ابن العنبري ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٩٨ - ٦٠٠ ، ابن الاثير ، التاريخ

الباهر ، ص ٢٤ - ٢٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٣٣ ، ابن

الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٠٠ .



السلاجقة المساعدة ضد ديبس بن صدقة فاجتمع عنده عدد من الامراء فيهمهم شحنة بغداد آقسنقر البرسقى وحماد الدين زنكى ، وسليمان بن مهارش العقيلي والامير كرباوى بن خراسان ، فاستحلفهم على المناصحة فى الحرب ضد ديبس بن صدقة فحلفوا للخليفة على المناصحة واستطاعوا أن ينزلوا به هزيمة ساحقة سنة ٥١٢ هـ / ١١٢٣ م وقع على اثرها كثير من رجاله فى الاسر ، بينما هرب هو الى الشام (١) .

وعلى الرغم من أن ما حققه الخليفة العباسى المسترشد بالله على ديبس ابن صدقة من انتصار ساحق قد رفع من معنويته امام رعاياه ، فان هذا الانتصار على ديبس بقوات سلجوقية قد أضعاف جهود الخليفة فى التحرر من سيطرة السلاجقة الذين كانوا يعدون هذا الانتصار انتصارا لهم على القوى العربية التى كانت تحاول التحرر من سيطرتهم . ويمكن القول انه كان فسى امكان لخليفة بغداد الاستماعة بقوات بنى مزيد وزعيمهم ديبس بن صدقة خصوصا وانه اى الخليفة ، يسعى للتحرر من سيطرة السلاجقة .

واصطدم الخليفة العباسى المسترشد بالله للمرة الثانية مع ديبس بن صدقة والملك طغرل بن محمد شقيق السلطان محمود بن محمد فى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ، فقد حاول الملك طغرل بن محمد بتحريض من ديبس بن صدقة ، النيل من الخليفة المسترشد بالله واجباره على اعلان الخطبة بالسلطنة

---

(١) العظيلى ، تاريخ العظيلى ، حوادث سنة ٥١٦ هـ - ٥١٧ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦٠٧ - ٦١٠ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٢٥ - ٢٦ ، ابن القلانسى ص ٢٠٦ ، سلبط ابن الجوزى ، مـرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٠ ، ابن العمرانى ، الانباء فى تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٥ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣١ .

له دون أخيه محمود بن محمد ، ولكن الخليفة العباسي المسترشد منع طغرل ودييس بن صدقة من دخول بغداد وأجبرهما على التراجع عن بغداد (١) . ونظر السلطان محمود بن محمد الى هذا النصر الذي حققه الخليفة على الملك طغرل بن محمد ودييس بن صدقة على أنه في صالحه وكتب الى الخليفة المسترشد يقول له " قد بلغنى ما فعلت لاجلى وانا خادمك وسائر اليك " ولم يكف السلطان محمود بن محمد بما ذكره للخليفة المسترشد بل ذكر انه سيكون مع الخليفة يدا واحدة ضد عمه السلطان سنجر بن ملكشاه بخراسان " وتراسلا بالايان والعهود على انهما يتفقا على سنجر " (٢) . في الوقت الذي كانت فيه نظرة السلطان السلجوقي سنجر بن ملكشاه تختلف عن نظرة ابن اخيه محمود بن محمد تجاه انتصار الخليفة على الملك طغرل ابن محمد ودييس بن صدقة اللذين لجآ اليه بعد أن منعهما الخليفة المسترشد من دخول بغداد ، حيث ذكر السنجر بان الخليفة العباسي قد اشتد عوده وكثر جمعه وان هدفه الاستقلال والتحرر من السلاجقة . ولذلك فقد كتب سنجر الى السلطان محمود بن محمد سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م بالآخذ على يد الخليفة وكفه عن مشروعاته التوسعية ، والبقاء على ما كان عليه

- 
- ( ١ ) المظلي ، تاريخ المظلي ، حوادث سنة ٥١٩ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٥٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ٨ ، ق ١ ص ١١٢ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ٢٢٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٢٩ ، احمد كمال الدين طبع ، السلاجقة نفس التاريخ والحضارة ، ص ١٠٦ .
- ( ٢ ) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٥٤ ، انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٩٥ .

آبائهم وأجدادهم . ولم يكتف السلطان سنجر بهذا بل حذر السلطان محمود من جانب الخليفة حين قال : " أنت صبي والخليفة قد عزم على أن يكر بك فلا تصغ اليه " (١) .

أدرك السلطان محمود بن محمد عندما اطلع على رسالة عمه اليه ، ما يهدف اليه الخليفة المسترشد بالله ، خصوصا وأنه أي السلطان محمود قد استقبل في شهر رجب من السنة نفسها ٥٢٠ هـ شحنة بغداد برنقش الزكوى الذى كان قد فر من بغداد هاربا من الخليفة العباسى المسترشد بالله " وشكا اليه وحذره جانبه وأعلمه انه قد قاد العساكر ولقى الحروب ، وقويت نفسه " (٢) . ولم يكتف برنقش الزكوى بهذا بل حذر السلطان من الوزير ابن صدقة الذى جمع للخليفة الاعوان من العرب والاكراذ وفوق هذا وذالك فقد قال برنقش الزكوى للسلطان محمود بن محمد " وان تأخرت عن العراق ازداد منعة وقوة ومنعك عن البلاد " (٣) .

ولم تنته سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م حتى عزم السلطان محمود بن محمد على السير الى العراق ودخول بغداد ، فأرسل اليه الخليفة المسترشد بالله ينهيه عن دخول العراق ويعرفه ان الغلاء قد اشتد بالناس لعدم وجود الخلات والاقوات بعد ما خربها دبيس بن صدقة وهى لا تقى بى حكم فاصلا أنا أو انتم " . الا أن السلطان لم يصغ الى ما طلبه منه الخليفة بعدم

- 
- ( ١ ) ابن الجوزى ، المنتظم ج ٩ ص ٢٥٤ ، انظر ابن كثير ، البدايه والنهاية ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، الذهبى ، دول الاسلام ج ٢ ص ١٣٦ .  
 ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٣٥ .  
 ( ٣ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٨ - ٢٩ ، انظر ابن الجوزى ، المنتظم ج ٩ ص ٢٥٤ ، سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية فى الحركة الصليبية فى كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ٦١ .

الدخول الى بغداد ، على الرغم مما بذله الخليفة له من الاموال . (١)

- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج١ : ١ ، ص ٦٣٥-٦٣٦ ، ابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٦ .
- (٢) ابن القلانسي ، ص ٢١٥-٢١٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩٥-١٩٦ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦٣٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٥٥ ، ج ١ ، ص ٣-٦ ، الاصفهاني ، دولة ال سلجوق ص ١٤ ، محمد القزاز ، الحياة السياسية في العراق ، ص ٤٧-٤٨ ، محمد جمال الدين سرور ، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، ص ١٢٥ .
- (٤) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٩-٣٠ ، انظر سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ، ص ٦١-٦٢ .

ووجد الخليفة العباسي الفرصة سانحة في العام التالي أي سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م للتخلص من بعض القيود التي فرضت عليه ، إذ استجبد للسلطان محمود بن محمد بعض الأمور الطارئة التي استوجبت خروجه من بغداد فطلب منه الخليفة عدم الخروج من بغداد حتى لا يتركها خالية من أي قوة عسكرية تحميها من خصوم الخلافة والسلطنة وخاصة دبيس بن صدقة . غير أن السلطان الذي اشتد به المرض لم يكن يملك سوى الخروج من بغداد ، فخرج منها في شهر ربيع الآخر من هذه السنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م وسمح للخليفة العباسي المسترشد باتخاذ ما يراه مناسباً لعلاج ما يطرأ على بغداد حيث قال الخليفة " فمهما رأيت من المصلحة فافعله " . وذلك تخلص الخليفة العباسي من الشروط التي كانت قد فرضت عليه في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م بعدم اعداد أي قوة عسكرية أو قيادة الجيوش (١) .

وأخيراً يمكن القول أن الصهوة التي مرت بها الخلافة العباسية في عهد المسترشد بالله ومحاولة التحرر من السيطرة السلجوقية من أجل القيام بدور فعال في جهاد الصليبيين لم تؤد إلى ما كان يأمله أنصار الخلافة العباسية ، ذلك أن الخلافة العباسية قد انشغلت بعلاج حالة الضيق التي حلت بالناس في العراق وإلى إصلاح ما كان قد أفسده النظام السلجوقي في بغداد في ظل الخلفاء السابقين للمسترشد بالله . بالإضافة إلى مواجهة الخارجيين عن سلطة الخليفة من بعض العناصر العربية التي تمثلت في أمراء الحلة من بني مزيد ، ومواجهة نواب السلطان السلجوقي محمود بن محمد في بغداد ، الذين كان لهم دور بارز في إثارة الفتن بين الخلافة والسلطنة .

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ٢٠ ، انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٣٨ ، محمد القزاز ، الحياة السياسية في العراق ص ٤٨ .

وهكذا لم تستطع الخلافة العباسية في عهد المسترشد بالله أن تقوم بدور واضح وإيجابي في بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قبل قيام الاسرة الزنكية بل بقيت كما كانت عليه في عهد المستظهر بالله ، حتى ان الاستغاثات التي استغاثها المسلمون في بلاد الشام والتي كانت قد وصلت الى بغداد من حلب لم تجد استجابة من قبل الخلافة ولا حتى من قبل السلطنة السلجوقية ، وذلك بسبب ضعف الخلافة العباسية وانشغال الخليفة المسترشد بالله بالامور الداخلية (١) .

#### - موقف الخلافة الفاطمية من الغزو الصليبي لبلاد الشام :

أما عن الدور الذي قامت به الخلافة الفاطمية في سبيل مواجهة الغزو الصليبي لبلاد الشام فمن المعروف ان الدولة الفاطمية تمتعت بحالة من الاستقرار والرخاء منذ انتقال الخلافة الى القاهرة سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م ، حتى سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م . وقد صور لنا الرحالة ناصر خسرو في رحلته الى مصر في الفترة ما بين سنتي ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م وحتى ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ما كانت عليه مصر من الرخاء والاستقرار والعدل ، وقوة الدعوة (٢) . ولكن الضعف بدأ ينخر في جسم هذه الدولة منذ سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، وهي السنة التي قصر فيها فيضان النيل وتحركت موجة الغلاء الفاحش الذي لم يسبق

(١) انظر ابن القلانسي ، ص ١٧٣ - ١٧٤ ، ابن العديم ، فداء الحلب ،

ج ٢ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٥٤ .

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٨٦ ، ١٠٦ .

له مثيل في عهد هذه الدولة ، حتى كثر الموت في الناس بحيث انه كان يموت في اليوم بالآلاف فلا يوجد من يكفئهم أو يغسلهم (١) . وتحطمت الدواوين وذهب وقار الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي صار يجلس على حصير مصنوع من سعف النخيل ، مما اضطر نساؤه إلى الخروج مع كثير من سكان مصر سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م إلى العراق عندما بلغت الأزمة أشدها (٢) .

ولم يقتصر ضعف الفاطميين في مصر على ما حل بهم من كوارث طبيعية بل تعدت ذلك إلى ظهور بعض الوزراء الذين استغلوا هذا المنصب لتحقيق مآربهم الشخصية ، فالوزير الحسن أبو محمد بن علي بن عبد الرحمن اليازوري الذي تولى وزارة المستنصر فيما بين سنتي ٤٤١-٤٥٠ هـ / ١٠٤٩-١٠٥٨ م قد استغل فتنة البساسيري في العراق ، وعلان الدعوة الفاطمية في بغداد سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م فكلف الخزينة الفاطمية من الأموال الباهظة لانجاح الدعوة ما أضربها حتى قيل ان حادثة البساسيري في العراق كانت آخر سعادة الفاطميين في الشام والعراق (٣) . على ان ضعف الفاطميين في مصر لم يقف عند حد ما قام به اليازوري من تكليف الخزانة الفاطمية بالاطاقة لها به ، بل لقد تولى الوزارة بعده مجموعة من الوزراء الضعاف فكثرت العزل والتغيير فيهم ، بحيث لم تطل وزارة بعضهم اكثر من ايام معدودة ، وهذا دليل على عدم قدرتهم في الاستمرار وعلاج الامور الطارئة (٤) . ومما زاد

---

( ١ ) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٢٤ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ،

ص ٢٥٦ ، المقرئ ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، ص ١٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٦٢ ، المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ،

ص ٢٥٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ص ١٨٦ .

( ٣ ) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢٥٧ ، الاثير ، الدول المنقطعة

قسم الفاطميين ، ص ٦٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٣ .

( ٤ ) انظر المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢٦٢ ، ابن الصيرفي

الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٣٥ - ٥٦ .

الطين بلة في أوضاع مصر الداخلية ثورات الجند التي لم تقف عند حد ففسى سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م وقع صدام بين الجنود الاتراك والسوادانيين مما أدى الى تفاقم الازمة في عهد المستنصر بالله (١) .

استمرت الشدة في مصر حتى سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م وطلب الخليفة المنتصر النجدة من بدر الجمالي الارمنى والى عكا ، والذي كان قد تحرس على السياسة ببلاد الشام ولبى بدر الجمالي الدعوة وقدم الى مصر سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م وحصل من المستنصر على تفويض كامل بتصرف الامر وعلاج الموقف في مصر ، فأصبح بذلك اول وزير تفويض بمصر ، وزيد في نعوته والقباه عمس سبقه من الوزراء . واستهل بدر اعماله بمصر بالقضاء على كثير من رجال مصر ، ممن ولي القضاء او الوزارة واهتم باعادة الامن والسكينة واعفاء الفلاحين من الخراج بهدف تشجيعهم على بذل المزيد من الجهد في زراعة الارض . ولم يقف بدر الجمالي عند هذا الحد بل سعى الى اعادة هبة الخلافة حتى استقرت الاوضاع الداخلية بمصر (٢) .

لم يقف بدر الجمالي عند حد علاج الازمة الداخلية في مصر ، بل استطاع على الصعيد الخارجى أن يصد حملة أئسزبن أوق الخوارزمى قائد السلطان ملكشاه في بلاد الشام سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ م ، واستطاع بدر مقارعة السلاجقة على أبواب دمشق سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م (٣) . غير

- 
- ( ١ ) الازدى ، الدول المنقطعة ، قسم الفاطميين ، ص ٥٧ ، المقرئزى  
 اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢٣٦ - ٢٥١ ، ٢٦٥ ، المقرئزى ، اغاثة  
 الامة بكشف الغمة ، ص ٢٣ - ٢٦ ، عبد المنعم ماجد ، ظهور خلافة  
 الفاطميين ، ص ٢٦٦ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فسق  
 الحروب الصليبية ، كتاب بحوث ، ص ١٦٧ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٨٠ ، المقرئزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ،  
 ص ٣٠٩ - ٣١٩ ، ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
- ( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، ١٤٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٧ ، ابن  
 القلانسى ، ص ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، الذهبى ، العبر ، ج ٣ ، ص ٧٩  
 محمد كرد على ، خطط الشام ، ج ١ ، ص ٢٤١ .



أن بدر الجمالي عرف انه لاجدوى من منازعة السلاجقة على وسط بلاد الشام وان الاولى به المحافظة على القواعد البحرية في عكا وصور وغيرها ، فأرسل في سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م القائد الفاطمي منير الدولة الجيوشي بحملة عسكرية تمكنت من استعادة صور من قاضيها ابن ابي عقيل الذي كان قد أعلن خروجه على طاعة الفاطميين سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م .<sup>(١)</sup> غير ان محاولات بدر الجمالي هذه في اعادة مكانة الدولة الفاطمية بالشام لم تؤد الى نتائج حقيقية ، ذلك أن القائد الفاطمي منير الدولة الجيوشي قد أعلن التمرد والعصيان على الخلافة الفاطمية في القاهرة سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م واستقل بـ صور ولكن بدر الجمالي كان من اليقظة وشدة الرغبة في الاحتفاظ بساحل الشام ما جعله يجرّد حملة عسكرية في نفس السنة بقيادة ابنه الافضل لاستعادة صور ، فحقق الافضل رغبة والده بالقاء القبض على منير الدولة الجيوشي وحمله الى مصر ، حيث قتل هناك ، في الوقت الذي تمكن الافضل من فرض سيطرة الفاطميين على يافا أثناء عودته الى مصر<sup>(٢)</sup> .

هكذا استطاع بدر الجمالي اعادة الامن والطمأنينة والاستقرار الى ربوع مصر وانتشالها من فوضى الوزراء والشدة المستنصرية ، التي كادت أن تقضى على الفاطميين ، غير ان الاجل لم يمهلها ، ان ترفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ولحقه المستنصر بالله بأقل من ثلاثين يوما<sup>(٣)</sup> . وعلى الرغم من

---

( ١ ) ابن شاكر ، عيون التواريخ ، ج ١٣ ، حوادث سنن ٤٧١ هـ - ٤٨٢ هـ ، ابن القلانسي ص ٩٨ ، ١١٢ - ١٢٠ ، ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج ١ ، ص ٢٦ ، سعيد عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٦٧ .

( ٢ ) العنزي ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٤٨٦ هـ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ج ١٣ ، ورقة ١٠٥ أ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٣ ، ابن ميسر ، اخبار مصر ج ٢ ، ص ٢٩ ، المقريزي ، اتعاضد الحنفاء ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

( ٣ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٣٩ .

أن بدر الجمالى كان قد استأثر بالامور عن الخليفة المستنصر فى أواخر أيام هذا الخليفة ، فان الافضل بن بدر الجمالى الذى تولى الوزارة عقب وفاة والده ، قد تنحالى فى اغتصاب حقوق الخليفة الفاطمى .

وتجدد الاشارة الى حقيقة ضعف الفاطميين فى مصر وانحسار نفوذهم عن بلاد الشام ، على الرغم من الجهود التى بذلها بدر الجمالى وابنه الافضل من بعده فى سبيل المحافظة عليها ، وذلك قبل وصول الحملة الصليبية اليها سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م . تلك الحقيقة أن ضعف الفاطميين فى بلاد الشام وانحسار نفوذهم عن كثير من معاقلهم بها ، لم يرجع فقط الى قوة السلاجقة ، وضعف حكومة القاهرة ، بل الى شعور اهل الشام المعادى للفاطميين (١) . والدليل على ذلك قول مؤرخ دمشق ابن القلانسى : " وكان اهل دمشق يأبون المغاربة لمخالفتهم فى الاعتقاد ولانهم أمويون ولقبح سيرة الفاطميين الذين كانوا عليهم " . وحين عبر ابن القلانسى عن سخط اهل دمشق للحكم الفاطمى واسبابه ، فانما استنتج ذلك مما كان يمانيه اهل الشام فى ظل الحكم الفاطمى . فالفاطميون شيعة متعصبون ، فى الوقت الذى كان فيه معظم اهل الشام يدينون بالمذهب السنى الذى لم تشبه شائبة منذ العصر الاموى ، كما ان ولاية الفاطميين بالشام كانوا من قبح السيرة وفساد الاخلاق والظلم والجور ما أثار عليهم حقد اهل الشام (٢) . ولذلك غدت بلاد الشام مسرحا للمنازعات بين الشيعة والسنة أو بالاحرى بين السلاجقة والفاطميين ، مما أدى الى تفكك وحسدة

( ١ ) انظر سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ،

كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٦٦ .

( ٢ ) ابن القلانسى ، ص ١٦ .

المسلمين ومهد الطريق أمام الصليبيين لغزو بلاد الشام في سهولة ويسر والاستقرار بها دون صعوبة (١) .

#### اطراف

وصل الصليبيون الى بلاد الشام سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م في الوقت الذي كان النزاع اللذهبي والسياسي بين السلاجقة والفاطميين على أشده فكان ذلك احد الاسباب التي مهدت للصليبيين المضي قدما في اجتياح بلاد الشام . وأرسل الافضل بن بدر الجمالي وزير المستعلى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م سفارة من قبله الى قادة الحطة الصليبية الاولى ، ووصلتهم قبل سقوط انطاكية وهي تحمل عرضا خلاصته أن يتعاون الطرفان للقضاء على السلاجقة في بلاد الشام ، وأن تقسم هذه البلاد بينهما بحيث يكون القسم الشمالي من الشام للصليبيين في حين يحتفظ الفاطميون بفلسطين ولما كان هدف الصليبيين هو السيطرة على بيت المقدس ، فقد كان رد هم غامضا على سفارة الافضل ، بحيث لم يتعد بث شعور الطمأنينة في نفوس الفاطميين ، واعطاء الافضل صورة غير حقيقية عن مشروعاتهم التوسعية في بلاد الشام (٢) . وعلى الرغم من ان هذه السفارة كشفت للصليبيين عن مدى تفكك المسلمين ، فان الافضل بن بدر الجمالي لم يجد حرجا في عدم الانضمام الى القوات الاسلامية التي كان كربوقا صاحب الموصل قد تزعمها في محاولة منه لمنع سقوط انطاكية بيد الصليبيين سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م (٣) .

( ١ ) سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، كتاب

بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

( ٢ ) انظر اعمال الفرنجة ، لمؤلف مجهول ، ترجمة حسن حيشي ، ص ٥٩ ،

٦٣ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية

كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٧٠ - ١٧١ ،

William of Tyre, A History of deeds Done Beyond the sea. Vol.I, p.p.223-224, 325-336.

( ٣ ) انظر مايلي ، ص

بل وقف الافضل وصاحبه المستعلى موقف المتفرج بعيدا عن النزاع ، ومع قدرتهما على الرجال والمال والسلاح على عهد قول ابن المحاسن (١) . ولم يقف الافضل بن بدر الجمالى عند هذا الحد من التقاعس عن نجدة السلاجقة فى بلاد الشام بل استغل ضعفهم وتفرق كلمتهم وانشغالهم بالمنازعات فصار فى سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م على رأس جيش كبير لحصار بيت المقدس والاستيلاء عليه لتدعيم موقفه أمام الصليبيين الذين كان قد اقترح عليهم اقتسام بلاد الشام . وكان فى القدس آنذاك سقمان بن أرتق ونجم الدين ايلغازى ابن أرتق وكثير من اتباعهما . وعندما وصل الافضل بجيشه الى بيت المقدس ضرب عليه حصارا ونصب عليه اكثر من اربعين منجنيقا حتى تهدمت بعض الاماكن فى السور المحيط به ، ووقع القتال بين الجانبين . ولما كان الاراقة لا يأملون فى وصول مساعدات عسكرية من السلاجقة فى بلاد الشام فقد أذعنوا للصلح وسلموا المدينة الى الافضل فى شعبان سنة ٤٩١ هـ / اغسطس ١٠٩٨ م وعهد الافضل بولاية بيت المقدس أحد رجاله ويدعى افتخار الدولة ، بينما عاد هو الى مصر (٢) .

اطمأن الافضل بن بدر الجمالى بعد استيلائه على بيت المقدس ، وظن أن آماله قد تحققت وأن سيطرته على وسط وجنوب بلاد الشام قد تحققت وان الصليبيين لا مطامع لهم فى بيت المقدس وجنوب بلاد الشام . ولكن

( ١ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

( ٢ ) ابن فضل الله العمرى ، مسالك الابصار ، ج ١ ، ورقة ١١٧ أ ، ابن القلائس ، ص ١٣٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٤ ، ابن الصيرفى ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٦٠ ، المقريزى ، اتعاضد الحنفاء ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، المناوى ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٢٦ .

والمنجنيق : آلة خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وهو على ثلاثة انواع . المقربى والتركى والفرنجى . انظر القلقشندى ، صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٢٦ .

بقدر ما انخدع الافضل بن بدر الجمالى بالرد القامض الذى كان الصليبيون قد ردوا به عليه ، فقد انخدع قبله حكام دمشق وحلب من أسرة تاج الدولة تتش اثناء حصار الصليبيين لانتاكية حين بعثوا اليهم برسائل تتضمن ما يفيد بأنهم - اى الصليبيين - تحت قيادة الامبراطور البيزنطى ، وأن هدفهم لا يتعدى ما كان بيد الامبراطور البيزنطى ، "مكرا منهم وخديعة حتمى لا يساعدوا صاحب انتاكية" (١) .

ونظرا للدور الكبير الذى قام به الافضل بن بدر الجمالى فى جهاد الصليبيين فيما بعد فانه يمكن ان نلتمس له العذر فى اتصاله بالصليبيين وذلك للاسباب التالية :

أولا : خطر السلاجقة الذين هددوا مصر ووصلت غاراتهم الى القاهرة نفسها .  
ثانيا : الازمات الاقتصادية والفتن الداخلية التى اضعفت مصر .  
ثالثا : التسامح الدينى لغير السنة عند الخلفاء الفاطميين والاستعانة بكثير من الوزراء المسيحيين قد جعل الافضل فى موقف لم يجد معه حرجا فى الاتصال بالصليبيين خصوصا وانه كان ينظر اليهم على انهم مرتزقة تابعين للامبراطور البيزنطى .

وربما استند الافضل فى تفكيره هذا الى بعض السوابق التاريخية لأن الدولة البيزنطية لم تتعد أملاكها فى بلاد الشام مدينة انتاكية ، فظن الافضل أن أولئك الصليبيين انما أتوا فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى ليفعلوا فى بلاد الشام مثلما فعل الامبراطور نقفور فوقاس والامبراطور حنا الشمشقيق

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، انظر المناوى ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٢٦ .

( ٢ ) سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٧٠ ، المناوى ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٢٦ ، عبد المنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٤٥ .

فى القرن العاشر الميلادى . وبالإضافة الى ذلك فانه يمكن القول أن عدم ادراك الافضل لهدف الصليبيين هو الذى دفعه الى التفكير فى اقامة تحالف بينه وبينهم ضد السلاجقة فى بلاد الشام ، ولكن هذه السياسة ظهر فشلها . حينما أخذ الصليبيون فى اجتياح بلاد الشام سواء ما كان منها بيد السلاجقة أو ما كان بيد الفاطميين ، وذلك بعد استيلاء الصليبيين على الرملة ، ومحاصرتهم عكا سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م (١) .

ولما أدرك الافضل بن بدر الجمالى أن الصليبيين خرجوا عن حدد ودمكان يتوقعه لهم أعاد النظر فى سياسته وقرر الاتصال بالامبراطور البيزنطى الكيسوس كومنين للاستفسار منه عن نوايا الصليبيين ، وهل هم يعطون لحسابه أم لا ؟ فكان رد الامبراطور البيزنطى على الوزير الافضل أنه أنكر أن تكون له بهم علاقة . فلما تيقن الافضل من أن الصليبيين لا يعطون لحساب الامبراطور البيزنطى قام بارسال سفارة ثانية اليهم قريبا من طرابلس تحمل معها جطة من الهدايا والتحف لكل قادة الحملة وعرض عليهم مشروعاً كالمشروع السابق بالإضافة الى السماح لهم بحرية العبادة فى بيت المقدس على ألا يدخلوه بسلاحهم ، ولكنهم ردوا عليه رداً عنيفاً حيث قالوا : بانهم سيدخلون بيت المقدس باذن الله دون اذن من خليفة القاهرة . (٢)

وجد الصليبيون انه لا مانع لهم من الوصول الى بيت المقدس ، خصوصا وانهم قد اطمأنوا الى استقرار بلدوين فى الرها ، وهو عند فى أنطاكية

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٣٦ ، ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، المقريزى ، اتماظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٣-٢٤ ، حسن حبشى ، الحملة الصليبية الاولى ، ص ١٧١ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، ص ١٧٠ .

والرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، ظل تحتل للنزاع بين الصليبيين والفاطميين زمنا طويلا . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) حسن حبشى ، الحملة الصليبية الاولى ، ص ١٧١ .

لعمليتهم من الخلف ، بالإضافة الى عدم وجود تحصينات عسكرية في المدن الفاطمية على ساحل بلاد الشام ، وما حصلوا عليه من مساعدات من اخوانهم المسيحيين بالمدن التي استولوا عليها (١) . ومن هنا توجه الصليبيون الى بيت المقدس في شهر رجب من سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م وجدوا في السير حتى وصلوا اليه في شعبان فضربوا عليه حصارا شديدا عجز معه افتخار الدولة نائب الفاطميين فيه عن مقاومتهم ، على الرغم من الجهود التي بذلها في الدفاع عنه . وأرسل الرسل الى مصر لطلب النجدة من الوزير الأفضل غير أن الصليبيين الذين شعروا بوصول قوات مصرية بقيادة الأفضل شددوا الحصار عليه حتى استطاعوا اقتحامه في شهر شعبان من السنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م (٢) .

أما الأفضل بن بدر الجمالي الذي أدرك خطأ اتصاله بالصليبيين - على ما يبدو - فانه ما ان سمع بمسير الصليبيين الى بيت المقدس حتى خرج على رأس قوات كثيرة بقصد منع الصليبيين من دخوله ، ولكنه لم يستطع الوصول الى بيت المقدس ، حيث فاجأه الصليبيون بعسقلان وأنزلوا به هزيمة ساحقة كان معها السقوط بأيديهم " فندم حيث لا ينفعه الندم لانه كان أحب نزلهم الساحل ليكونوا مانعين من نفوذ الترك الى ديار مصر " .

ولم يتخرج ابن ظافر الازدى في القول بان القدس لوبقى بيد الأراقة وأسيادهم السلاجقة لكان اصلح للمسلمين من انتقاله الى حكام القاهرة

- 
- ( ١ ) أعمال الفرنجة ، مؤلف مجهول ، ترجمة حسن حبشي ، ص ١١٢-١١٤ ،  
الحري ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٦٥ ، سعيد  
عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية ، ص ١٧٤ .  
( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٣٦-١٣٧ ، العظي ، تاريخ العظمى ،  
حوادث سنة ٤٩٢ هـ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(١) الفاطميين ، الذين لم يستطيعوا الدفاع عنه ومنعه من السقوط بأيدي الصليبيين .

وفي الواقع ان انتصار الصليبيين على الفاطميين في عسقلان فاق بكثير انتصارهم على السلاجقة في أنطاكية حتى انه يمكن القول ان الهزيمة التي حلت بكربوقا على ايدي الصليبيين سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م أخرجت السلاجقة من معركة الشام ، وكذلك أدى انتصار الصليبيين في موقعة عسقلان على الفاطميين الى القضاء على هيبتهم بفلسطين ، حتى أصبحت ايدي الصليبيين طليقة في فلسطين ، مثلما صارت ايديهم طليقة في شمال الشام عقب انتصارهم على كربوقا (٢) . وبالإضافة الى ذلك فان الوقعة التي أنزل فيها الصليبيون الهزيمة بالافضل وعساكر مصر في عسقلان سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م كان لها أكبر الأثر في عودته الى مصر على أسوأ حال وقلة رجال " وقد استحكم بأسه من بقى الساحل في ايدي المسلمين ، ولم يفزهم بعدها " . وعلى الرغم من هذا القول فان الافضل لم يستكن على ما حل به في عسقلان . ولم تقض على آماله في استرداد ما فقد من معاقل في بلاد الشام ، ولوقف الزحف الصليبي عليها ، حتى أصبح ارسال الجيوش من مصر الى الشام كل عام أمراً مألوفاً للجهاد ، حقيقة ان الافضل لم يخرج البتة الى الشام بعد هزيمة عسقلان الا انه لم ييخل بكل امكانياته ، ولم يرض حتى بأولاده في الخروج الى الشام للجهاد (٣) . ولم يتخاذل عما يقوم به

(١) ابن ظافر الازدي ، الدولة المنقطعة ، قسم الفاطميين ، ص ٨٢ .

(٢) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٣) ابن ظافر الازدي ، الدول المنقطعة ، قسم الفاطميين ، ص ٨٢ ، انظر المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٥٦ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٤ ، ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٦٠ ، المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٢٧ .



الصليبيون من اجتياح لبلاد الشام فقد جهز حملة عسكرية سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م وجعل عليها سعد الدولة القوامسى ، المعروف بالطواشى ، فوصل السى عسقلان واتخذها مركزا لانطلاقه فى مواجهة الصليبيين . وفى عسقلان تعمرق بقواته صوب الرملة بقصد تهديد الصليبيين فى يافا وبيت المقدس . غير أن بلدوين الاول ملك بيت المقدس أدرك خطر الجيوش الفاطمية ، فتقدم السى الرملة بقصد مباغطة المسلمين على غرة من أمرهم ، فالتقى بالمسلمين فى الجنوب الغربى من الرملة ، فكسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فتصدع الجيش الفاطمى فى هذه الموقعة وانتصر الصليبيون عليهم . وقد قتل من المسلمين عدد كثير ، فى حين فر الباقون تجاه عسقلان بعد أن سقط قائد الجيش الفاطمى سعد الدولة القوامسى صريعا فى المعركة حيث كبا به فرسه فاستشهد مكانه (١) .

ولما بلغ الافضل بن بدر الجمالى ما آل اليه أمر سعد الدولة القوامسى والقوات الفاطمية البقى ارسلها معه من هزيمة بالرملة على يد الصليبيين أسرع فى السنة التالية ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م الى اعداد حملة عسكرية ثانية من المغرب والسودان وجعل عليها ابنه شرف المعالى ، وسيرها الى عسقلان فوصلت فى رجب من تلك السنة (٢) . ولما علم بلدوين الاول ملك بيت المقدس بمسير الفاطميين الى عسقلان خرج على رأس قوة صغيرة من رجاله تقدر بنحو سبعمائة فارس وراجل اختارهم من رجاله فالتقى بالجيش الفاطمى بيازور قريبا من الرملة وهناك دارت معركة بين الطرفين اسفرت عن هزيمة الصليبيين " وقتل المسلمون أكثر خيله ورجاله وانهزم الى الرملة " فتبعه المسلمون وحاطوا به وكان ان يقع

(١) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٤٩٤ هـ ، ابن القلانسى ، ص ١٤٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٦٤ ، ابن ميسرة ، اخبار مصر ج ٢ ، ص ٤٠ ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٦ ، ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٢ .

(٢) ابن القلانسى ، ص ١٤١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٦٤ .

فى الاسر ، لولا هروبه الى يافا (١) . وفى الرملة استطاع المسلمون احكام  
الحصار على من بقى بها من الصليبيين بعد هروب بلدوين الاول . وبعد  
حصار استمر خمسة وعشرين يوما تمكن شرف المعالى بن الافضل من اقتحام  
الرملة " فقتل من الصليبيين اربعمائة صبوا بينما أسر منهم ثلاثمائة بعث  
بهم الى مصر " (٢) .

هكذا استطاع شرف المعالى استعادة الرملة من الصليبيين ، غير  
أن الاختلاف وقع بين رجاله حول المكان الذى يجب السير اليه أولا ، يافا  
أم بيت المقدس . وبينما هم فى هذا الاختلاف ان وصل من البحر خلق كثير  
من الصليبيين قاصدين زيارة البيت المقدس " فندبهم بلدوين الاول لقتال  
الفاطميين ، فساروا الى عسقلان وهما شرف المعالى بن الافضل " فلم يكن  
يقوى بحربهم " ولكن هذه الجموع من الصليبيين حين رأته شدة تحصين  
عسقلان عادت الى يافا " فلفظ الله تعالى بالمسلمين " (٣) . وعاد شرف  
المعالى الى مصر بسبب الاختلاف الذى وقع بين القوات الفاطمية . وهذا لم  
يستطع الفاطميون البقاء فى عسقلان لمواجهة الصليبيين ومد يد المساعدة  
لاخوانهم بالشام بسبب الاختلاف الذى وقع بينهم (٤) .

- 
- ( ١ ) العظيى ، تاريخ المظيى ، حوادث سنة ٤٩٦ هـ ، انظر ابن القلانسى ، ص ١٤١ هـ ،  
سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ٨ ق ١٠ ص ١ .  
ومازور بلدة صغيرة تقع بسواحل الرملة من اعمال فلسطين واليهما ينسب  
الوزير الفاطمى على بن عبد الرحمن اليازورى ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .  
( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٣٦٤ هـ ، انظر ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج ٢ ،  
ص ٤٠ هـ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٢٨ .  
( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٣٦٥ هـ ، انظر ابن القلانسى ، ص ١٤١ هـ ،  
المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ص ٣٢ هـ ، العظيى ، تاريخ المظيى ،  
حوادث سنة ٤٩٦ هـ .  
( ٤ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٣٦٤ هـ .

ولما لم يستطع شرف المعالي بن الفضل استغلال ما حققه على الصليبيين من انتصار في حملته التي خرج بها في سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م بسبب الاختلاف بين القوات الفاطمية عاد الى مصر ، الا ان الوزير الفاطمي الفضل لم يتخاذل عن جهاد الصليبيين ومحاولة استعادة ما فقده الفاطميون من املك في بلاد الشام ، فأسرع الى تجهيز حملة عسكرية ثالثة سنة ٤٩٦ هـ / ١١٠٢ م ، وقسم منها أرسله عن طريق البحر بقيادة القاضي بن قادوس (١) ، وقسم منها أرسله عن طريق البر بقيادة تاج العجم أحد ماليك بدر الجمالي فوصل الاسطول الى يافا في الوقت الذي وصل فيه تاج العجم الى عسقلان ، الا أن وجهات نظر كل من القائد البحري ابن قادوس والقائد البري تاج العجم اختلفت ان رأى القاضي بن قادوس استدعاء تاج العجم لقتال الصليبيين بيافا والثغور البحرية ، فرفض تاج العجم طلبية دعوة القاضي ابن قادوس محتجاً بأنه لم تكن عنده الا وامر من الفضل بالانضمام اليه ، فما كان من القاضي ابن قادوس الا أن أرسل الى قاضي عسقلان وأعيانها يخبرهم بموقفه وعدم انضمام تاج العجم اليه ، ويطلب منهم شهادة بأنه أقام على يافا مدة عشرين يوماً (٢) .

وعلى اية حال فان هذه الحملة العسكرية لم تأت بطائل في استعادة ما فقده الفاطميون في بلاد الشام ، الا أن الاسطول الذي كان بقيادة ابن قادوس كان يحمل معه الكثير من الغلات والمؤن التي أدت الى رخص الاسعار ،

---

( ١ ) ابن قادوس ، هو ابو الفتح محمود بن اسماعيل بن قادوس الديماطي ، كان كاتب الانشاء بالديار المصرية وهو شيخ القاضي الفاضل ، وكان الفاضل يسميه ذا البلاغتين ، انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٦٥ ، المقريزي ، اتحاف الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

وانتخاش السكان بيافا وغيرها من مدن الساحل للصمود في وجه الصليبيين الذين لم تنقطع غاراتهم عن مدن الساحل الفاطمية (١) .

أما الوزير الافضل بن بدر الجمالي فانه حين علم بما حصل من تاج المعجم وتأخره عن نجدة بن قادوس ، أرسل من قبله من قبض عليه وحمله الى مصر ، وعين بدلا منه على الجيش الفاطمي بعسقلان قائد آخر هو جمال الطك رضوان " وأسكنه بعسقلان وجعله متقدما على العساكر الشمالية " (٢) . الا أن هذه الجيوش لم تستطع الوقوف في وجه الصليبيين ، بل زادت من حدة وضراوة قتال الصليبيين الذين استولوا في السنة التالية ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م على جبيل وعكا (٣) . وكان سقوط العكا بيد الصليبيين في تلك السنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م في عهد واليها زهر الدولة الجيوشي من قبل الفاطميين ، حيث عجز عن حرب الصليبيين ، فخرج منها الى دمشق ومكث بها مدة من الزمن سار على اثرها الى القاهرة (٤) . ولما وصل زهر الدولة الى القاهرة عاتبه الافضل بن بدر الجمالي على تسليم عكا ولا مه على ذلك وكاد ان ينزل به العقوبة ولكنه قبل عذره في تسليم البلد الى الصليبيين خصوصا اذا عرفنا ان صاحب الخليفة الفاطمي الأمر باحكام الله لم يهتم بأمر الجهاد ضد الصليبيين على حد تعبير ابوالمحاسن " حتى استولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها فمضى أيامه " (٥) .

- 
- ( ١ ) العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٤٩٧ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٤٣ .  
 ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٦٥ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٣ ، المقريزي يخالف ابن الاثير حول اسم القائد الذي ارسله الافضل خلفا لتاج المعجم حيث ذكر المقريزي ان اسمه تاج الطك رضوان .  
 ( ٣ ) العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٤٩٧ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ، الازدي ، الدول المنقطعة قسم الفاطميين ص ٨٨ ، ابن شداد ، العلاقات الخطيرة ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٧٠ - ١٨٨ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٤ .  
 وجبيل : بلد مشهور الى الشرق من بيروت على بعد ثمانية فراسخ . انظر ياقوت ، معجم البلدان .  
 ( ٤ ) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٧ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٤٠ .  
 ( ٥ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٧٨ .

والواقع أن الأفضل لم يستطع صبرا على ما جرى في بلاد الشام وما حل بالمعاقل الفاطمية وسقوطها بيد الصليبيين ، وحيث أنه لم يتخل عن فكرة إرسال حملة كبيرة لطرد الصليبيين من بلاد الشام فقد جهز الأفضل سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م حملة عسكرية جعل عليها ابنه سناء الملك حسين مع عسكر كثيف يزيد عدده عن خمسة الاف فارس وراجل ، واستنفر معه العرب بجنوب فلسطين ولما وصل سناء الملك حسين بن الأفضل الى عسقلان انضم اليه جمال الملك رضوان النائب بها حسب تعليمات الأفضل . ولم يكتف الأفضل بهذا ، بل طلب النجدة من ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق بسبب ما بلغ الأفضل من وصول العديد من مراكب الصليبيين الى ميناء اللاذقية ، بالإضافة الى ما بلغه من شدة الحصار المفروض على طرابلس ، فلبى طغتكين النداء وأرسل السى الفاطميين أحد رجاله ومعه ألف وثلاثمائة فارس . ويبدو أن هذه أول محاولة عملية يشترك فيها المسلمون في مصر والشام ضد الصليبيين (١) .

وعلى أية حال فإن بلدوين الاول ملك بيت المقدس ، حين علم باجتماع المسلمين في عسقلان ترك يافا وسار الى الرملة ليستطيع حماية يافا ويبيت المقدس ، فالتقى بالمسلمين بين يافا وعسقلان فاستظهر الصليبيون على المسلمين ، وقتلوا والى عسقلان ، وأسروا بعض المقدمين ، وانهزم عسكر مصر الى عسقلان وعسكر دمشق الى بصرى (٢) . وكانت هذه آخر محاولة

(١) ابن القلانسي ، ص ٣٤٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٩٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٦٥ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ١٤٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٩٥ ، المقريزي اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٥ ، ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٤١ ، وذكر العظمى ( تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٤٩٨ هـ ) بأن الغلبة لم تكن لاي من الطرفين .

- مصري : من اعمال دمشق ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

قام بها الأفضل بن بدر الجمالي لاسترداد بيت المقدس وغيرها من المعاقل الفاطمية التي سقطت بيد الصليبيين ، وقف بعدها موقف المدافع عما تبقى بيد ولاية الفاطميين بالشام . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان الأفضل لم يستطع الحفاظ على ما تبقى من معاقل الفاطميين بسواحل بلاد الشام . ان اتبع خطة في الدفاع عنها تختلف عن تلك التي اتبعها في مبدأ الامر ، وتقوم هذه الخطة في أغلب الاحيان على ارسال الاساطيل المصرية المحملة بالمؤن والعتاد ، والذخائر لتقوية أصحاب البلاد الاصليين للدفاع عن بلادهم كما فعل مع أهل بيروت وصيدا سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م (١) ، ولكن حين بلغه خبر حصار الصليبيين لبيروت وما حل بها من دمار أرسل حملة عسكرية صغيرة لا يعتمدى عدد أفرادها ثلاثمائة فارس نجدة لاهلها ، الا أن هذه النجدة لم تصل الى بيروت ، ان تعرض لها الصليبيون حيث نصبوا لها كميناً بالاردن ، ففرقوا شملها وتشتت أمرها (٢) .

والرغم من أن خطة الدفاع التي سلكها الأفضل قد شجعت كثيراً من السكان على مواصلة القتال والوقوف بصلابة في وجه الصليبيين ، الا أنها لم تنجح في وقف الزحف الصليبي ، نظرا لعدم وجود تنسيق بين المدافعين أنفسهم ، وتأخر الاسطول المصري في الوصول الى بلاد الشام في بعض الاحيان نظرا لبعده المسافة بين مصر وبلاد الشام ، مما أدى الى انهيار قوة المدافعين ، كما حصل لاهل طرابلس سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م تلك

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٧٥ - ٤٧٦ ، ابن القلانسي ، ص ١٦٧ ، ١٧١ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٤٥ - ٤٦ ، ابوالفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٠ ، ابن اييك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٤٧٤ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٦٨ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٤٥ .

المدينة التي سقطت بيد الصليبيين بعد حصار لها دام أكثر من سبعمائة سنين (١) .

وفي الحقيقة فإن لجوء الأفضل بن بدر الجمالي إلى تزويد الممدن الساحلية بالمؤن والسلاح والعتاد بدلاً من الحملات العسكرية لا يعنى تفاذله عن جهاد الصليبيين ، ولكنه أدرك ما اتصفت به الأعمال العسكرية التي قامت بها الدولة الفاطمية ضد الصليبيين من سوء النظام والاهمال وعدم تقدير خطورة الموقف . وقد ظهر ذلك بوضوح في الخلافات التي حصلت بين قادة الجيش الفاطمي ، فضلاً عن سلوك قادة الاسطول ، وما اتصفوا به من الأنانية (٢) .

ولما لم يبق من المعادل الفاطمية ببلاد الشام في أيديهم سوى صور وعسقلان ، فإن الأفضل لم يتهاون في أمر الحفاظ عليها ، حتى أنه حين علم بمراسلة شمس الخلافة الوالي بعسقلان لبلدوين الاول ملك بيت المقدس سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م عظم الامر عليه ، وأرسل حملة عسكرية إلى عسقلان بقصد القبض على الوالي بها ، فتم ذلك وزال ما كان الأفضل يخشاه من تسليم عسقلان إلى الصليبيين (٣) .

كما أن الأفضل بن بدر الجمالي لم يجد حرجاً في السكوت حين سمع بتسلمهم صور من قبل عز الدين أنوشتهين صور إلى ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق

(١) العيني ، عقد الجمان ، ج ١١ ، ورقة ١٥٨ أ ب ، ابن القلانسي ، ص ١٦٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٧٥ .

(٢) سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٣) ابن القلانسي ، ص ١٧٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٨٠ - ٤٨١ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٤٦ - ٥٠ .

سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م نظرا لما كانت تمر به مصر من شدة اقتصادية نتيجة تفشى الوباء بها تلك السنة والسنة التي قبلها ، مما عرقل الافضل عن ارسال ما يمكن ارساله من المؤن والذخائر . ويبدو أن الافضل رأى أن بقاء صور بيد المسلمين سواء الفاطميين أو غيرهم خير من سقوطها بيد الصليبيين .

ومما يدل على ذلك أن الافضل بن بدر الجمالي جهز في سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م أسطولاً الى صور محملاً بالمؤن والميرة والعتاد فرخصت بها الأسفار وتحسنت أحوال سكانها \* وزال طمع الفرنج عنها \* (١) . وهكذا نجح الوزير الأفضل بن بدر الجمالي في قطع الأمل على الصليبيين في الاستيلاء على صور بعد تسليمها الى ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق الذي وافق من جانبه على بقاء الدعوة فيها للفاطميين . ويبدو أن ظهير الدين طغتكين قد أبقى الدعوة بصور للفاطميين بقصد الحصول من مصر على ما يحتاجه من المؤن والذخائر التي كانت تصل الى مدن الساحل الشامي .

وفي الحقيقة أن ماسلكه الافضل بن بدر الجمالي في سبيل المحافظة على صور وعسقلان ، قد أدى الى تنبيه الصليبيين عن غلوة الفاطميين وأنه لا بد من حماية مملكة بيت المقدس من ناحية الجنوب الشرقى ، وذلك عن طريق السيطرة على الصحراء الممتدة جنوبي البحر الميت حتى خليج العقبة وهي المنطقة المعروفة باسم وادي عربة ، من أجل عزل مصر عن بقية العالم

---

(١) ابن القلانيس ، ص ١٨١ - ١٨٩ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٩٨ ، ٦٢٠ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٥١ ، العظمى تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠٦ هـ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٧١ .



الاسلامى فى الشرق ، وقطع الطريق البرى بينها وبين الشام والمشرق والحجاز (١) . ومن أجل تحقيق ذلك سعى بلد بين فى سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م الى تشييد حصن الشوك ، ليكون مركزا يمكن الصليبيين من السيطرة على وادى عربة بأجمعه . ولم يقف بلد بين ملك بيت المقدس عند هذا الحد ، بل قام فى السنة التالية ٥١٠ هـ / ١١١٦ م بحملة عسكرية مضى بها على ساحل خليج العقبة حتى وصل أيلة ومنى بها قلعة حصينة مكنته من السيطرة على طريق القوافل بين مصر وبلاد الشام . كما شيد قلعة اخرى فى جزيرة فرعون الواقعة قبالة أيلة على خليج العقبة ، وذلك تمكن الصليبيون من السيطرة على شبه جزيرة سيناء (٢) . ولما لم يكن أمام بلد بين الاول من وسيلة لوقف غارات الفاطميين على مملكته سوى مهاجمتهم فى عقر دارهم ، ليشعرهم بقوته ، فقد خرج على رأس قوة من رجاله فى سنة ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، وعبر الصحراء من غزة الى العريش حتى وصل الى الفرما فاستولى عليها وأحرق مساجدها وكثيرا من بيوتها (٣) . ولكن أجله لم يمهله لمواصلة سيره داخل الاراضى المصرية ،

- 
- ( ١ ) سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحروب الصليبية ، ص ١٨٨ ، ونسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، والعرينى الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .
- ( ٢ ) سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحروب الصليبية ، ص ١٨٨ - ١٨٩ ، ونسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .
- وحصن الشوك قلعة حصينة فى اطراف بلاد الشام بين عمان وأيلة قرب الكرك . وأيلة مدينة على ساحل بحر القلزم ما يلى الشام ، وقيل هى آخر الحجاز وأول الشام . انظر ياقوت ، معجم البلدان .
- ( ٣ ) العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥١١ هـ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٧١ ، ونسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٦١ - ١٦٢ .
- والفرما مدينة على ساحل البحر المتوسط من ناحية مصر ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

وسواء جاء ذلك المرحى لانه سبح في النيل عند تنيس أم غير ذلك ، فقد توفى في نهاية السنة ٥١١ هـ / ١١١٨ م ، وحمله اصحابه حتى وصلوا به قرب بورسميد ودفنوه في المكان الذي يعرف باسم سبخة برد ويل (١) .

وعلى أية حال فان حملة بلدوين الاول على مصر لم تؤد الى نتائج حاسمة بالنسبة للصليبيين ، بل على العكس فقد أيقظت الفاطميين وأشعرتهم بالخطر الصليبي على بلادهم ، ودفعت الوزير الأفضل للحودة مرة أخرى لاعداد الحملات العسكرية وارسالها الى بلاد الشام ، كما ان حملة بلدوين الاول على مصر قد حملت الافضل بن بدر الجمالى على التحالف بصورة واضحة مع حكام دمشق السنيين . ففي سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م جهز الافضل بن بدر الجمالى حملة عسكرية قوامها سبعة الاف فارس سارت الى عسقلان بقصد تعقب رجال بلدوين . ولكن هذه الحملة لم تستطع اللحاق بالصليبيين فبقيت العساكر الفاطمية في عسقلان بانتظار التعليمات الواردة من الوزير الافضل . ولما كان الافضل قد اتصل بطغتكين من أجل الوقوف سويا في وجه الصليبيين ، فقد وافق طغتكين وحضر بنفسه الى عسقلان ، وعندئذ أخبره قائد الحملة الفاطمية بأن لديه تعليمات من الافضل بالوقوف عند رأيه - أى طغتكين - والتصرف بامرته (٢) ولكن القوات المشتركة بقيادة طغتكين لم تستطع لقاء الصليبيين ولم تقم بأى عمل عسكري بل رابطت مدة شهرين في عسقلان عاد بعدها طغتكين الى دمشق

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٤٣ ، ابن القلانسي، ص ١٩٩ ، ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٧١ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية ، ص ١٨٩ .  
- وتنيس جزيرة في بحر مصر قريبة من البرطابين الفرما ومياط ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٢) ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٤٣ ، ابن القلانسي، ص ١٩٩ ، العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥١٢ هـ .

والفاطميون الى مصر (١) .

كان هذا آخر ما قام به الافضل بن بدر الجمالي في سبيل وقف الزحف الصليبي على بلاد الشام ، ذلك ان العلاقات بينه وبين الخليفة الامير الفاطمي قد توترت ، وتعرض الافضل لبعض الفتن الداخلية ، تلك الفتن التي صرفته عن الاهتمام بأمر الصليبيين في بلاد الشام (٢) .

ولما كان الافضل بن بدر الجمالي قد لجأ الى محاولة التحالف مع حكام دمشق السنيين لوقف زحف الصليبيين ، فقد أغضب ذلك الخليفة الامر وغلاة الشيعة بمصر ، مما أدى الى قيامهم بتدبير قتله بيمد بعض الباطنية الذين كانوا " يكرهونه لاسباب منها : تضييقه على امامهم . . وترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم ، واذنه للناس في اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها " (٣) .

ومقتل الوزير الافضل بن بدر الجمالي سنة ٥١٥ هـ / ١١٢٢ م تخلص الخليفة الامر من القيود التي كانت مفروضة عليه وبدأ في تحقيق طموحه لامن أجل جهاد الصليبيين وانما من أجل الحد من نفوذ الوزراء العظام ، فاختار في وزارته بعد مقتل الافضل ، أبو محمد عبدالله البطائحي ، واستبد الخليفة الامر بالأمر عنه (٤) . أما الخطوة التالية التي اتخذها الخليفة الامر ووزيره

---

( ١ ) ابن الوردي ، تنمية المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٤ ، ابن العماد الحنبلي ، الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ، الميرني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ، ونسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

( ٢ ) انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٩٠ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٥٧ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية ، ص ١٩٠ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٩٠ ، انظر ابن القلانسي ، ص ٢٠٣ ، ابو المعاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٢٢ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٦٠ ، ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص ٦١ ،

( ٤ ) ابن ميسر ، أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

المأمون البطائحي ، فهي العمل على التخلص من سيف الدولة مسعود  
الوالى بمدينة صور من قبل ظهير الدين ظفتكين . ففي سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م  
وردت الى مصر عدة شكايات من أهل صور ضد واليهم سيف الدولة مسعود .  
فما كان من الخليفة الامر ووزيره المأمون البطائحي إلا أن سيرا أسطولا محملا  
بالمؤمن والعتاد بقيادة وحشى بن طلائع ومعه التعليمات بالقضاء القبض على  
الوالى بصور ، وارساله الى مصر ، فقبض عليه واحضره الى القاهرة (١) وعلى  
ما يبدو فقد شعر الخليفة الامر ووزيره المأمون البطائحي بنوع من الحرج تجاه  
رعاياهما الذين كانوا قد تعودوا من الوزير السابق الافضل بن بدر الجمالى  
سماع أنباء الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى بلاد الشام ، فما كان منهما  
إلا أن أمرا بتجهيز حملة عسكرية فى السنة التالية ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ففى  
عسقلان لحصار الصليبيين فى يافا فى الوقت الذى سيرا فيه الاسطول بالبحر .  
ولكن هذه الحملة لم تستطع النيل من الصليبيين (٢) .

أما بالنسبة للصليبيين فى هذه المرحلة فانهم حين سمعوا بخروج سيف  
الدولة مسعود من صور الى مصر واعتقاله هناك تحرك فيهم طمع الاستيلاء عليها  
وحدثوا انفسهم بتملكها " وشرعوا فى الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها " .  
فى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م (٣) . فلما أحس الوالى بها الاعز بن اللبان  
بالخطر الصليبي أرسل الى الخليفة الامر بأحكام الله يخبره بحقيقة الامر وما هو  
فيه من قلة الرجال والسلاح ، وأشار عليه بأن ترد ولاية صور الى ظهير الدين

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٠٧ ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٩٦ ،  
ابن ايديك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٤٩ ، العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث  
سنة ٥١٦ هـ .

( ٢ ) سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحروب الصليبية ، ص ١٩١ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٢١ .

طغتكين " فاقتضى الرأي ان ترد ولاية صور الى ظهير الدين طغتكين ليتولى حمايتها والذب عنها " (١) .

وافق ظهير الدين طغتكين ان ترد ولاية صور اليه ولكنه ندب لولايتها جماعة لاغناء لهم ولا كفاية فيهم ولا شهامة ، ففسد أمرها ، فى الوقت الذى وجد فيه الصليبيون الفرصة سانحة لمواصلة حصارها . وحاول طغتكين رفع الحصار عنها بمهاجمة ممتلكات الصليبيين فى بانياس وغيرها ، غير ان من بصر من المسلمين لم يتمكنوا من الدفاع عنها وضعفت نفوسهم عن مقاومة الصليبيين مما اضطر ظهير الدين طغتكين الى مراسلة الفاطميين فى مصر لطلب المساعدة ولكنهم لم يستجيبوا له (٢) . ويبدو أن عدم استجابة الفاطميين لنداء ظهير الدين طغتكين هو انشغالهم باخماد الفتنة التى قام بها بعض النواوحيين فى صعيد مصر فى ذلك الوقت ، وانشغال الاسطول المصرى بالدفاع عن شفر الاسكندرية سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م الذى تعرض لحملة بحرية قام بها البنادقة (٣) . بالاضافة الى عدم مبالاة الخليفة الامر بجهاد الصليبيين فى بلاد الشام .

وعلى أية حال فقد أدى عدم ارسال الفاطميين نجدة للوالى بصر الى مراسلته لظهير الدين طغتكين يعرض عليه تسليم صور الى الصليبيين على ان يسمحوا لمن بها من الجند والرعية بالخروج منها وحمل ما يمكن حمله من اموالهم وامتععتهم فاستقر الرأي على ذلك . وأرسل ظهير الدين طغتكين الى الصليبيين بشأن تسليم صور اليهم واعطاء الامان لمن بها من المسلمين فوافق الصليبيون على ذلك وفتحت صور ابوابها للصليبيين فى اليوم الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م وانتهى الامر الى خروج اهلها وتفرقهم فى البلاد (٤)

( ١ ) ابن القلانسى ، ص ٢١١ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦٢١-٦٢٢  
الازدى ، الدول المنقطعة قسم الفاطميين ص ٨٧ ، المقرئى ، اتعاظ

الحنفا ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

( ٢ ) ابن القلانسى ص ٢١١ .

( ٣ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٨ هـ .

( ٤ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، العيني ، عقد الجمان  
ج ١١ ، ورقة ٢٠٦ أ ، ابن القلانسى ص ٢٠٩-٢١١ ، ابن الاثير ، الكامل  
ج ١٠ ، ص ٦٢٢ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ١٠٧ ، ابوالفدا ، المختصر ،  
ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابوالمحاسن ، ج ٥ ، ص ٢٢٨ ، ابن اييك ، كنز الدرر ، ج ٦ ،  
ص ٤٩٥ ، رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

لم يؤد سقوط صور بيد الصليبيين الى رد فعل حاسم من قبل الفاطميين بسبب اهمال الخليفة الأمر لأمر الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين بالشام بالإضافة الى الانقسام الداخلي في صفوف الفاطميين . ففي بداية سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م قبض الخليفة الامر على وزيره المأمون البطائحي وقتله (١) .  
ويبدو أن سبب القاء الخليفة الأمر القبض على وزيره البطائحي إنما كان بسبب انتفاضة بعض الرعايا المصريين الذين اتهموا الأمر بالتهاون في أمر الجهاد فجعل مرد هذه الانتفاضة الى وزيره البطائحي ، بدليل استبداده بالامور واستعانته ببعض العناصر من غير المسلمين كبهرام الارمني . (٢)

وهكذا يمكن القول أن الدولة الفاطمية قد أسهمت بدور فعال في جهاد الصليبيين قبل قيام الاسرة الزنكية ولكن هذا الدور لم يؤد الى وقف الزحف الصليبي على بلاد الشام حيث لم يبق من معاقلهم في بلاد الشام سوى عسقلان التي ظل الفاطميون يتشبثون بها حتى سقطت هي الاخرى بيد الصليبيين سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه لا يمكن لأحد انكار فضل الفاطميين في بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، ولكن عدم نجاح الفاطميين في الحفاظ على معاقلهم في بلاد الشام قد أسدل الستار على دورهم في جهاد الصليبيين بالإضافة الى أن هناك عدة عوامل حدثت من نشاط وفعالية الفاطميين في صد الصليبيين ويمكن تلخيصها فيما يلي :

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٢٩ -

٠٦٣٠

( ٢ ) سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية ، ص ١٩٣ .

أولا : عدم ادراك الفاطميين لطبيعة الحركة الصليبية ، ومثلهم مثل  
 السلاجقة في شمال الشام ، وهذا بالتأكيد من أبرز العوامل التي  
 دفعت الوزير الفاطمي الافضل بن بدر الجمالي الى اجراء مفاوضات  
 مع الصليبيين بأنطاكية سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م ، الامر الذي جعل  
 الفاطميين يتخبطون في سياستهم الحربية ضد الصليبيين فيما بعد .

ثانيا : ضعف الخلافة الفاطمية عند قدوم الصليبيين الى بلاد الشام وما كانت  
 تمر به من الازمات السياسية والاقتصادية ، وانتشار الوبئة ، بالإضافة  
 الى النزاع الذي كان ينشب بين طوائف الجيش كطائفة السودان والأتراك  
 ودور الخلفاء الفاطميين في تأجيج الازمات تلك كاستعانة بطائفة  
 ضد أخرى .

ثالثا : تقاعس الفاطميين عن الاستعانة بالسلاجقة ، بسبب وجود العداء  
 المذهبي بين الطرفين ، الامر الذي دفعهم احيانا الى استفلال  
 هذا العداء المذهبي الى الانقضاء على بعض ما كان بحوزة السلاجقة  
 من المعاقل . وهذا بالتأكيد ما دفع بعض المؤرخين الى اتهام الدولة  
 الفاطمية بأنها كانت وراء وصول الصليبيين الى الشام . (١)

رابعا : وقف الخلفاء الفاطميين كالمستعلى والامر كحجر عثرة في وجه  
 المتحمسين من الوزراء لجهاد الصليبيين كالوزير الافضل بن بسدر  
 الجمالي الذي كان قد حمل على عاتقه مهمة جهاد الصليبيين .

خامسا : تعيين قادة غير أكفاء لقيادة الجيوش الفاطمية التي كانت تسير الى  
 بلاد الشام ، الامر الذي أدى الى سوء النظام وعدم تقدير خطورة  
 الموقف مما كان سببا في وقوع الهزائم على الجيوش الفاطمية ، هذا فضلا

---

( ١ ) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٣ .

عن طول المسافة بين مصر والشام مما كان عائقا من الصوائق التي حدثت من نشاط الفاطميين للوقوف في وجه الصليبيين (١) .

### - بحث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قبل عماد الدين زنكي :

من الحقائق المسلم بها في تاريخ الحركة الصليبية ، ان حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين انبعث لأول مرة في بلاد الشرق الاسلامي من منطقة الجزيرة (٢) . بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه على الباحث هو لماذا انبعثت فكرة الجهاد الاسلامي من منطقة الجزيرة دون غيرها من بلدان الشرق الاسلامي ؟ . وقبل الاجابة على هذا السؤال لابد من القاء نظرة على خريطة الشرق الاسلامي لمعرفة الدول والامارات الاسلامية التي كانت قائمة في ذلك الوقت ، مع شرح أهم الاسباب التي حالت دون قيام أي من بلدان الشرق الاسلامي بحمل لواء الجهاد الاسلامي لأول مرة ضد الصليبيين .

فالخلافة الفاطمية في مصر كما رأينا في الصفحات السابقة ، قد أصابها الضعف والانهيار ، وذلك لم يصبح بمقدورها حمل لواء الجهاد ضد الصليبيين ، بعد ان فقدت كل أسباب القوة والمنعة ، ودخلت مرحلة الشيخوخة والتدهور ، بالإضافة الى أنها لم تعاني من خطر الصليبيين فسي عقر دارها ، بعكس السلاجقة الذين فوجئوا بسقوط أنطاكية سنة ١٠٩١ هـ / ١٠٩٧ م

---

( ١ ) لمزيد من التفصيل انظر: سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية، ص ١٦٥-١٩٥ ، المناوي ، الوزارة والوزراء ، ص ٢٢٥ - ٢٢٧ ، علي محمد الغامدي ، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي ، رسالة ماجستير لم تطبع ، ص ٢٩٤-٢٩٧ .

( ٢ ) حسن حبشي ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ١١ ، وبلاد الجزيرة تقع بين دجلة والفرات مجاورة لبلاد الشام وتشتمل على ديار مصر وديار بكر ، وسميت الجزيرة لوقوعها بين نهري دجلة والفرات . وتتنازع منطقة الجزيرة بانها صحية الهواء جيدة الريح والنماء ، واسعة الخيرات ، بها مدن جليلة وحصون منيعة وقلاع كثيرة . انظر ابو الفدا ، تقيوم البلدان ص ٢٧٣ ، ٢٧٥ .



فى أيدى الصليبيين . كما أن المحاولات التى قام بها الوزير الافضل بسن بدر الجمالى لوقف الزحف الصليبي على بلاد الشام لم تؤد الى نتيجة ولا تعدو أن تكون أشبه بصحوة الموت التى تسبق القدر المحتوم (١) . ولم تقل الخلافة العباسية فى العراق ضعفا وخورا عن الخلافة الفاطمية فى مصر ، بل انها أشرفت على السقوط فى منتصف القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى - أمام حركة البساسيرى التى ساندتها الفاطميون ، لولا دخول السلاجقة الى العراق وانتفاذ الخلافة من السقوط . واصبح بقاء الخلافة العباسية لا يعد وكونه شكلا لا معنى له ، فقد جردتها السلاجقة من أى قوة حقيقية ، وأضحت خاضعة لهم ، رغم تفكك وحدتهم عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ، ولم يعد فى استطاعة أى من الخلفاء العباسيين جمع كلمة المسلمين وحمل راية الجهاد ضد الصليبيين فى بلاد الشام (٢) .

أما عن السلاجقة فى فارس وخراسان فقد كانوا مشغولين عن واجب الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين بسبب الانقسام والتفكك الذى حدث بين أبناء السلطان ملكشاه وظل العداء وسوء العلاقات مستحكما بين أمراء البيت السلجوقى ، الامر الذى حال دون قيام دولة السلاجقة بفريضة الجهاد ضد الصليبيين ، بالإضافة الى ان السلاجقة فى ايران كانوا فى منأى عن الامارات الصليبية فى بلاد الشام والجزيرة وهذا على ما يبدى وقد برر لهم العذر فى عدم مشاركتهم للاراتقة وغيرهم بعبء الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين (٣) .

( ١ ) انظر ما سبق ، ص

( ٢ ) انظر ما سبق ، ص

( ٣ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٨٤ - ٣٨٥ ، عبد النعيم

حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ٨٣ - ٨٥ .

أما عن بلاد الشام وما كان يمكن أن تقوم به في سبيل حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين فان النزاع الذي كان قائما فيها بين الفاطميين الشيعة والسلاجقة السنيين قبيل الحملة الصليبية الاولى أصبح أكبر عقبة أمام توحيد الجبهة الاسلامية هناك . يضاف الى ذلك ما قام بها من نزاع بين الاخوين دقاق ورضوان ابني تتش اللذين اتخذوا من دمشق وحلب مركزين لاثارة الفتن والشقاق في بلاد الشام (١) . فضلا عن ان بلاد الشام كانت تزخر بالعديد من الامارات كإمارة بنى عمار في طرابلس وبنى منقذ في شيزر تلك الامارات التي كانت تعمر على بقائها اكثر من حرصها على الانضمام لاي من القوى الاسلافية التي تزعمت حركة الجهاد ضد الصليبيين .

وهكذا لم يبق من أقطار المشرق الاسلامي من هو أقدر على بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين سوى منطقة الجزيرة ، وذلك للأسباب التالية :

أولا : أن منطقة الجزيرة اول أقطار المسلمين في المشرق الاسلامي التي اكتوبر بنار الخطر الصليبي عندما استولى الصليبيون على الرها وتأسست بها أولى الامارات الصليبية سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م ، فأدرك السكان خطر توغل الصليبيين في بلادهم ، مما بعث المسلمين على التفكير الجدى في المبادرة الى مهاجمة الصليبيين .

ثانيا : ان منطقة الجزيرة قد ظهرت شخصيتها منذ عصر صدر الاسلام بسبب مجاورتها لأطراف الدولة البيزنطية ، مما نشأ عنه خطر شديد على المسلمين أيام الامويين والعباسيين فأصبحت خط الدفاع الاول عن شغور المسلمين ضد الروم ، وبعد الفزو الصليبي أصبحت منطقة الجزيرة تواجه إمارة الرها الصليبية التي شكلت أكبر خطر على الخلافة العباسية في بغداد (٢) .

( ١ ) حسن حبشي ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ٢ .

( ٢ ) عبد المنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص ١٥٣ .

ثالثا : شهدت منطقة الجزيرة خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى دخول الاتراك السلاجقة اليها مع ما اشتهروا به من حبهم لتربية الخيول والمغامرة ، وتعصبهم الشديد للمذهب السنى . وأمد السلاجقة التركمان منطقة الجزيرة بدماء جديدة شديدة الحماسة الى الجهاد فى سبيل الله ، بعكس القوى الاسلامية الاخرى فى بلاد الشرق الاسلامى التى خبت جذوة الحماس الدينى فى نفوسها وخمدت روح القتال لديها (١) .

رابعا : الثروات الضخمة والموارد الكبيرة التى حوتها منطقة الجزيرة بسبب توفر مصادر المياه ، وخصوبة الارض ، وسعة الرقعة الزراعية وكثرة المراعى اللازمة للخيول والماشية ، الامر الذى مكنها من مد المجاهدين بمصدر لا ينقذ من المؤن والعتاد . هذا فضلا عن الحصانة الطبيعية التى تمتعت بها كبرى مدن وقلاع الجزيرة التى انطلقت منها حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، مثل الموصل ، وآمد ، وماردين ، وحصن كيفا وغيرها ، اذ أن تلك المدن التى امتازت بحصانة جغرافية فريدة جعلت اقتحامها عتوة أمرا بالغ الصعوبة ، وبالتالى اصبحت فى مأمن من الهجمات الصليبية المضادة ، ولا يستبعد ان يكون قد اختفى فى نفوس زعماء حركة بعث فكرة الجهاد الاسلامى ما يمثله وجود امارة الرها الصليبية فى منطقة الجزيرة من خطورة بالغة على مركزهم بالاضافة الى خوفهم من تقدم الصليبيين جنبا للقضاء على الخلافة العباسية فى بغداد .

من هنا فلا غرو أن تنبعث فكرة الجهاد الاسلامى من منطقة الجزيرة بقصد انتزاع الرها من ايدى الصليبيين . وقد اتخذت الفكرة مظهرها العملى منذ

---

( ١ ) العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٢-٢٣ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية فى الشام والجزيرة ، ص ٢٠١ .

سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م حين قام قوام الدولة كبريوا صاحب الموصل بجمع ما استطاع جمعه من العساكر بقصد منع انطاكية من السقوط بيد الصليبيين ولكن كبريوا لم يلبث أن توقف في الطريق حيث حاصر الرها لمدة ثلاثة أسابيع فأعطى بذلك فرصة كبيرة للصليبيين جدوا فيها لفتح أنطاكية ، وقد تم لهم ذلك " ولو أن كبريوا أنفذ الى أنطاكية مباشرة لاسلمة ياغي سيان مدينته أنطاكية ، وتغيرت ظروف المحاصرين " (١) . ولكن كبريوا رفع الحصار عن الرها حين سمع يسقط أنطاكية بيد الصليبيين ، وعبر الفرات الى الشام وأقام بمصر .  
 دابق حيث اجتمع هناك دقاق بن تتش صاحب دمشق وظهر الدين طفتكين أتابك دقاق ، وجناح الدولة حسين صاحب حمص ، وأرسلان تاش صاحب سنجار ، وسقمان بن أرتق صاحب بيت المقدس ، وغيرهم من الأمراء ممن ليس مثلهم في القدرة والكفاية على حد قول ابن الاثير (٢) . وانضم الأمراء جميعا تحت قيادة كبريوا ، وسار بهم صوب أنطاكية في سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م التي كانت قلعتها لا تزال في أيدي المسلمين ، فاقربوا منها وشددوا عليها الحصار حتى تغير موقف الصليبيين وساءت حالتهم ، إذ وجدوا انفسهم محاصرين من الداخل والخارج ، فتعرضوا لازمة قاسية بسبب قلة الغذاء مما اضطرهم الى أكل الجيف وأوراق الشجر (٣) . ودفع ذلك الصليبيين الى ارسال وفد الى كبريوا يطلبون منه الامان ليخرجوا من انطاكية ، غير ان كبريوا رفض طلبهم وقال لهم : " لا تخرجون الا بالسيف " (٤) . وهذا ما دفع احد رجال الدين المسيحيين

(١) مؤلف مجهول ، ترجمة حسن حبشي ص ٧١ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦ ، انظر مكسيموس موند ولد ، من تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ١١٦ .

وعن سنجار انظر مايلي ص

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٢٧٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٣٦-١٣٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٥٥ ، ابن خلدون العبر ، ج ٥ ص ١٩-٢٠ ، مكسيموس مونروند ، من تاريخ الحروب المقدسة ، ج ١ ص ١١٧ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٢٧٦ ، انظر ابن الوردي ، مئمة المختصر ، ج ٢ ص ١٩ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ .

واسمه بطرس بولسيميا الى اختلاق قصة الحرية المقدسة التي أدت الى رفع  
معنويات الصليبيين والتفافهم حول زعمائهم ، فقويت نفوسهم على الاندفاع  
تجاه المسلمين والخروج من الباب جماعات متفرقة حتى تكامل خروجهم فزحفوا  
على المسلمين " وهم في الغاية من القوة والكثرة فكسروا المسلمين وفرقوا  
جموعهم " (١) .

وهكذا فشل كربوقا في قيادة التحالف الاسلامي الذي أراد من وراءه  
منع سقوط أنطاكية في ايدي الصليبيين سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٢ م . ويمكن أن  
نتساءل عن أسباب فشل كربوقا في منع سقوط أنطاكية في ايدي الصليبيين في  
الوقت الذي كان فيه الصليبيون قد وصلوا الى درجة من الضعف والتدهور داخل  
أنطاكية . وللإجابة على هذا السؤال يمكن تركيز أسباب الفشل فيما يلي :

أولاً : ما ذكره مؤرخ أعمال الفرنجة من أن كربوقا صاحب الموصل قد أضاع ثلاثة  
أسابيع في حصار الرها مما مكن الصليبيين من الاستيلاء على أنطاكية ،  
والاحتياط بما عسى أن يطرأ لهم من هجوم مباغت سواء من المسلمين  
الذين كانوا داخل قلعة أنطاكية او من اخوانهم في بلاد الشام وغيرها (٢) .  
ثانياً : عدم وجود تجانس بين قوات كربوقا التي تكونت من العرب والتتار  
وغيرهم ، ثم ما قام به رضوان صاحب دمشق من بث روح الشقاق بين  
العرب والتتار (٣) .

( ١ ) ابن القلانسي ص ١٣٦ ، انظر مؤلف مجهول ، أعمال الفرنجة ، ص ١٨٢ ،  
ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ابو الفدا ، المختصر في  
أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

أما الحرية المقدسة : فهي حرية يزعم الصليبيون كذبا بان المسيح طعن  
بها حين رفع على خشبة الصليب . انظر أعمال الفرنجة ، ص ١٨٢ ، ومكسيموس  
مونروند ، من تاريخ الحروب الصليبية المقدسة ، ج ١ ، ص ١٢٢-١٢٤ .

( ٢ ) مؤلف مجهول ، أعمال الفرنجة ، ص ٧٠ ، انظر رنسيما ، تاريخ الحروب  
الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٧٥-٢٧٦ ، ابن العديم ، زبدة  
الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ، وانظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ،  
ص ٢٠٥ .

ثالثا : عدم وجود خطة عسكرية واضحة أمام كربوقا ، ولعل أبرز ما يوضح ذلك هو عدم رغبة كربوقا في السماح لرجالها بتوجيه الضربة القاضية للصليبيين وهم يخرجون جماعات متفرقة من أنطاكية . وهذا يعود الى أن كربوقا كان يخشى على ما يبدو من أنه اذا فعل ذلك فسوف لا يقضى الا على مقدمة الصليبيين (١) .

رابعا : سوء معاملة كربوقا لمن معه من الامراء ، كانت سببا من أسباب هزيمته وفشله ، فقد شعر بنوع من الاستعلاء عليهم " ظنا منه أنهم يقيمون معه على هذا الحال " مما أدى الى استيائهم من تصرفاته (٢) .

خامسا : ارتفاع الروح المعنوية عند الصليبيين بعد اختلاق قصة الحرب المقدسة ، بالإضافة الى ما قام به زعماء الصليبيين قبل وصول كربوقا الى أنطاكية من مراسلة دقاق صاحب دمشق واخباره أن مطامعهم لا تتعدى الاستيلاء على ما كان بيد الامبراطور البيزنطى في شمال الشام (٣) .

ولا يمنع هذا من القول بأن محاولة كربوقا منع أنطاكية من السقوط بيد الصليبيين كانت نقطة انطلاق في بعث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين وكشفت للصليبيين عن مدى قوة المسلمين في حالة اتحادهم ، كما أنها رسمت الطريق الصحيح لمن أتى بعده من زعماء المسلمين الذين أخذوا على عواتقهم حمل لواء الجهاد الاسلامى ، ليكملوا المسيرة من بعده . وتتمثل هذه

---

( ١ ) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .  
 ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ، انظر ابوالفدا ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢١١ ، الذهبى ، د ول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٩ - ٢٠ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية في الشام والجزيرة ، ص ٢٠٣ .

( ٣ ) انظر ما سبق ، ص

الحقيقة اذا ما علمنا أن عماد الدين زنكي قد عاش في كنف كربوقا بعد موت والده (١) ، على أن كربوقا صاحب الموصل قد وافته منيته عند مدينة ———— بأذربيجان سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م أثناء النزاع بين السلطان بركياروق بن ملكشاه وأخوه محمد بن ملكشاه ، فخلت الموصل من أحد الزعماء الذين لم يشغلهم النزاع القائم بين السلاجقة عن مواصلة العمل على بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين (٢) .

وفي الواقع أن بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين لم تنطفئ في منطقة الجزيرة بموت كربوقا فقد كان في جزيرة ابن عمر أحد قادة الاتراك السلاجقة ويدعى شمس الدولة جكرمش ، من ممالك السلطان ملكشاه وكان فسيقاعة كربوقا (٣) . فلما توفي كربوقا استطاع جكرمش الاستيلاء على الموصل سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م . ونشب النزاع بين قادة وأمراء السلاجقة مع ما أصاب المسلمين من تمزق في الشام والجزيرة (٤) . من هنا رأى الصليبيون ان الفرصة سانحة للانقضاض على المسلمين والاستيلاء على حران ، نظرا لاهمية هذه المدينة ووقوعها على الطريق الموصل الى بغداد وقلب العالم الاسلامي في المشرق وقطع الصلة بين المسلمين في العراق وفارس عن اخوانهم في الشام والجزيرة فضلا عن أن سقوط حران بأيديهم سيعطيهم فرصة لمهاجمة الموصل نفسها وتأمين الرها ، والسيطرة على اقليم الجزيرة (٥) .

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥-١٦ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٧ . ولمزيد من التفصيل انظر ابراهيم خليل كربوقا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين ، مجلة المؤرخ العربي العدد الخامس طبعة الكويت ص ٩٥-١١١ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٣٤١ ، ابوالفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥ ، وخوى بلد مشهور من اعمال انريجان كثير الخيرات والفواكه . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٣ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٨ .

( ٤ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٢٥٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ابوالفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، انظر تيسمان تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٠ .

( ٥ ) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

واستغل الصليبيون النزاع الذى نشب بين جكرمش صاحب الموصل وسقمان بن أرتق صاحب ماردين ، فضلا عما يدور فى حران نفسها من النزاع بين بعض الزعماء المحليين (١) . وسار الصليبيون الى حران ومعهم كل من بلدوين الثانى صاحب أنطاكية ومعه تابكرو . الامر الذى ازعج كلا من جكرمش وسقمان بن أرتق وجعلهما يتناسيان مابينهما من حزازات قديمة ويتفقان على مقاومة الصليبيين . والتقى الاميران المسلمان عند راس العين على نهر الخابور فى انا وائل شعبان سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م ، وكان مع سقمان سبعة الاف فارس من التركمان ، ومع جكرمش ثلاثة الاف فارس من الترك والعرب والاكراذ (٢) . وتوجه جكرمش وسقمان لمهاجمة الرها والنيل منها ولكن بلدوين الثانى صاحب الرها أدرك خطر المسلمين على الرها ، فطلب من أصحابه التقدم صوب حران فتقدموا اليها وضربوا عليها حصارا كاد يؤدى الى سقوطها فى أيديهم . ولكن الخلف الذى وقع بين زعماء الصليبيين حال دون سقوط حران ، حتى وصلت الجيوش الاسلامية التى عدلت عن المسير الى الرها ، فدارت بين الطرفين رحى معركة عنيفة عند نهر البليخ ، وهو أحد روافد نهر الفرات ، فانهزم الصليبيون ووقع بلدوين صاحب الرها وجوسلين صاحب تل باشرفى أسر المسلمين وبلغ عدد القتلى من الصليبيين أكثر من عشرة الاف فارس (٣) . وفربوهمنند صاحب انطاكية بمن سلم معه من رجاله " فكان نصرا حسنا للمسلمين لم تهيأ مثله به ضعف نفوس الافرنج " (٤) .

- 
- (١) ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٠٤ .
- (٢) ابن القلانسي ، ص ١٤٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٣٧٤ .
- (٣) ابن القلانسي ، ص ١٤٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٣٧٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٤٨ ، ابن الوردي ، مقتمة المختصر ، ج ٢ ص ٢٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ص ١ ، أبو الفدا ، المختصر ، ج ٢ ص ٢٢٧ ، أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٨٨ .
- (٤) ابن القلانسي ، ص ١٤٣ .



وترتب على هزيمة الصليبيين في معركة حران نتائج بالغة الأهمية منها ما ذكره ابن القلانسي أيضا من انها أدت الى تقوية نفوس المسلمين في نصره الدين ومجاهدة الملحدين (١) ، كما برهنت هذه المعركة على خطأ الاسطورة القائلة بان الصليبيين قوة لا تقهر ، يضاف الى ذلك أن معركة حران حددت زعامة تانكرد ابن أخت بوهمند على بقية الامارات الصليبية في شمال الشام ، لان بلدوين الثاني صاحب الرها وجوسلين صاحب تل بامر قد وقعا في أسر المسلمين وسار بوهمند الى أوربا يتجرع مرارة الهزيمة بحران . ولم يكن المسلمون وهدمهم هم الذين أفادوا من هزيمة الصليبيين ان أن الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين كان يتطلع في غضب لما يجري بشمال الشام ولم يأسف لما سمعه من هزيمة الصليبيين . كما تجدر الإشارة الى أن موقعة حران أوقفت تقدم الصليبيين في منطقة الجزيرة وشمال الشام ، وقضت على رغبة بوهمند في ان يجعل من انطاكية مملكة صليبية كبيرة ، وأنقذت حلب من مطامعه . ومن أهم نتائج معركة حران أيضا انها قضت على مطامع الصليبيين بقطع الصلة بين القوى الاسلامية في الشام والجزيرة وآسيا الصغرى عن طريق الاستيلاء على حلب (٢) .

وعلى الرغم من ان الصليبيين قد توقفوا في توسعهم نحو الشرق عقب موقعة حران ، الا ان التحالف الذي انعقد بين سقمان بن ارتق وجكرمش لم يعيش طويلا ، حيث وقع الشقاق بينهما بعد احراز النصر في حران . ذلك

( ١ ) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

( ٢ ) انظر العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٤٩٧ هـ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ١٤٨ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٧٤ - ٧٥ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ ، العريني الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، ٤٥٠ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارمنية ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

أن طوائف التركمان الذين كانوا مع سقمان قد حصلوا على معظم الاسرى والغنائم التي استولوا عليها عقب هزيمة الصليبيين ، فاشتعلت نار الحقد في نفوس اصحاب جكرمش وقالوا له : " اى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا ؟ " ولم يبقوا عند هذا الحد بل انهم حسنوا لصاحبهم جكرمش اختطاف بلدوين الثانى صاحب الرها من أسر رجال سقمان بن أرتق . وتحت الحاحهم سمح جكرمش لبعض رجاله باختطاف بلدوين صاحب الرها من أسر رجال سقمان . ولما علم سقمان بهذا ثارت ثائرتة وشق عليه الامر ، غير انه أظهر من ضبط النفس ما جعله يقول : " لا أوتر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين " فانسحب الى ماردين واستولى على كثير من حصون ديار بكر ، أما جكرمش فقد سار الى حران وأتاب فيها احد اصحابه ، ثم توجه الى الرها وحاصرها مدة خمسة عشر يوما عاد بعدها الى الموصل (١) .

وهكذا حقق جكرمش وسقمان بن أرتق للمسلمين اول نصر حاسم على الصليبيين ، وفتحوا به الطريق لظهور قيادات وحلاف اسلامية وجهت الضربات المتتالية للصليبيين فى الشام والجزيرة ومنعتهم من تحقيق مطامعهم . ففى سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م تحالف سقمان بن أرتق مع سالم بن بدر العقيلي صاحب قلعة جعبر ، ونجحا فى صد الصليبيين عنها (٢) وتشجع سقمان بن أرتق على الدخول فى محالفات مع القوى الاسلامية فى بلاد الشام ضد الصليبيين ولكنه ذهب ضحية محاولاته ، حيث توفى فى السنة التالية ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م عندما

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، انظر ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ص ٢١٩ ، رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ص ٢١٣ - ٢١٤ .
- ( ٢ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٠ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ، ص ٢١٨ .

كان في طريقه الى بلاد الشام لنجدة ابن عمار صاحب طرابلس ضد الصليبيين (١). أما جكرمش صاحب الموصل فقد ذهب ضحية الفتن والقتال التي كانت قائمة بين السلاجقة ذلك ان السلطان محمد بن ملكشاه قد استاء من بعض تصرفات جكرمش فأقطع احد ممالিকে ويدعى جاولى سقاوة الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وطلب منه السير الى تلك البلاد . فلما وصل جاولى الى مقرية من الموصل سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م لقيه جكرمش ودارت بين الطرفين معركة ، وقع فيها جكرمش أسيرا في يد جاولى فقتله واستولى على الموصل من زكي بن جكرمش (٢). غير أن أمره لم يطل بالموصل ، فقد أساء السيرة في الرعية ، ولم يقيم بواجب الطاعة وتقدير المساعدة للسلطان محمد بن ملكشاه . ولم يكن بهذا ، بسبل أطمع بعض أعداء السلطان في الخلاف والعصيان ، مما اثار عليه حقده ، فطلب من بعض قادة الاثراك التوجه الى الموصل بزعامة مودود بن التونتكين فتوجهوا اليها وشدوا الحصار عليها حتى استولوا على الموصل في سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م . فلما تم لهم ذلك ولي عليها السلطان محمد بن ملكشاه مودود الذي اصبح أحد زعماء المسلمين بما حققه من بحث لفكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين وما سعى اليه من محاولة توحيد قوى الشام مع الجزيرة للوقوف في وجه الصليبيين (٣) . وعلى ما يبدو فان شرف الدولة مودود ابن التونتكين كان مولى من موالى السلطان محمد بن ملكشاه الذي أسند اليه ولاية الموصل ، وجعله أتابكا لولده مسعود بن محمد . ومودود بن أصل تركماني كان . في بادئ أمره شديد المسف بالرعية ، ولكنه شعر ان تلك السيرة غيرت نية السلطان فيه ، فعدل عنها وحسنت أفعاله وظهر العدل

(١) انظر ما سبق ، الفصل الاول ص

(٢) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠٠ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢-٢٢٣ ، ابن القلانسي ، ص ١٥٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٦٧ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٥٧-٤٥٩ ، ابن القلانسي ، ص ١٦٠ ، ابن الصبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

والانصاف في رعيته (١) .

ولما استقر مودود في حكم الموصل والبلاد التابعة لها سعى الى تحقيق ما فشل فيه كل من جكرمش وجاولى من توطيد العلاقات بالسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه ، وسعى الى تحقيق رغبة السلطان في كل ما يطلبه منه . ففي سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م تلقى مودود نداء من السلطان يدعو الى القيام بجهاد الصليبيين والابتداء بالرها . وزودوه بعدد من قادة الاتراك وانضم اليهم نجم الدين ايلغازى صاحب ماردى ، فلما اجتمعوا ساروا الى سنجار وفتحوا عدة حصون للصليبيين حتى وصلوا الرها فأحكموا الحصار عليها ، غير أنهم رحلوا عنها من غير أن يملكوها (٢) .

ويبدو أن انسحاب مودود عن الرها على الرغم من قوة المسلمين انما كان بهدف ملاقاته الصليبيين الذين كانوا قد تجمعوا بتحريض من ملك بيت المقدس ، وقصدوا عبور الفرات الى الرها وحران . غير أن زعماء الصليبيين لم يستطيعوا عبور الفرات لتقديم النجدة العسكرية لآخوانهم في الرها ورأوا ان العودة الى بلاد الشام أفضل من المضي قدما في ميدان مكشوف ، حتى لا يصيبهم ما أصاب آخوانهم سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م في موقعة حران . فعادوا الى الشام ، وفسى طريق عودتهم اخذوا في تخريب البلاد الاسلامية التابعة لحلب ، ولم يكتفوا بهذا بل فرضوا على رضوان صاحب حلب مبلغ عشرين الف دينار وعشرة رؤوس من الخيل مع تقديم المؤن والعتاد للصليبيين بالرها (٣) .

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٩ ، ابن القلانسي ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ٢٠٧ .

( ٢ ) العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥٠٣ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٦٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٨٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٨٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٨ ، ص ٣١ .

أما الجيوش الإسلامية بقيادة مودود فقد عادت إلى حصار الرها للمرة الثانية سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م ولم تستطع اقتحامها بسبب ما وصلها من الذخائر والمؤن والامتنعة من الصليبيين ، مما اضطر المسلمين إلى الرحيل عنها ، ولم يبلغوا غرضاً ، ولكنهم ساروا في ملاحقة الصليبيين العائدين إلى بلاد الشام ولما لم يلحقوا بهم فقد حاصروا تل باشر مدة خمسة عشر يوماً بدون طائل . عندها عاد مودود وقادة السلاجقة إلى بلادهم ، بينما سار ظهير الدين طغتكين الذي قدم من دمشق لمساعدة مودود إلى بلادهم خوفاً من أن يفدر به الصليبيون هناك . ويشير ابن القلانسي إلى أن تفرق الجيوش الإسلامية سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م ورفعها الحصار عن الرها كان بسبب الخلاف الذي حصل بين بعض قادة الأتراك السلاجقة ونجم الدين أيلغازي صاحب ماردين (١) .

وعلى الرغم من أن الحملة التي قادها مودود ضد الصليبيين سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م لم تؤد إلى سقوط بعض معاقل الصليبيين بيده ، إلا أنها كانت علامة واضحة على مواصلة بحث فكرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين الذي انطلق من منطقة الجزيرة ، كما أدت إلى توطيد عرى الصداقة بين شرف الدولة مودود وصاحب الموصل وظهر الدين طغتكين صاحب دمشق ، وشجعت القوى الإسلامية على التحالف في جبهة واحدة ضد الخطر الصليبي المتزايد (٢) . فبعد تفرق الجيوش الإسلامية في حملة مودود الأولى التي قام بها ضد الصليبيين زادت أطماع الصليبيين في التضييق على المسلمين في بلاد الشام وفرضوا على حلب مالا طاقة لزعيمها رضوان بدفعه ، واستولوا في

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٧٠ ، انظر ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٧ ،

ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٨٧ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٧٠ .

سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ م على قلعة الاثارب التابعة لحلب (١) . واستناب المسلمون من هذه الاوضاع المتردية ، وارتفعت الاصوات تنادى بالجهاد ولما لم يكن هناك من القادة المسلمين من يستطيع تلبية داعي الجهاد سوى شرف الدولة مودود فقد لبى النداء وخرج في نفس السنة ٥٠٤ هـ / ١١٠ م بمن معه من المسلمين من الموصل ووصل اليه عدد من الامراء السلاجقة الاراتقة بارض حران في المحرم من سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م (٢) .

وعزم الامراء المسلمون بقيادة مودود على عبور الفرات والمسير الى بلاد الشام ، حيث وصلتهم بحران اخبار من صاحب شيزر باستعدادات الصليبيين فساروا ونزلوا على تل باشر ، فوصلهم هناك برسق بن برسق صاحب همزان وأخذوا في تشديد الحصار على تل باشر ، غير ان جوسلين استغل الخلافات القائمة بين بعض الامراء المسلمين فتقدم الى احمديل الكردي صاحب مراغة ولاطفه بمبلغ من المال ، حتى ثنى عزمه عن مواصلة الجهاد ، ورغبه في العودة الى بلاده وظل به حتى اقتنع وعاد (٣) . أما من بقى من المسلمين مع مودود على نية الجهاد فانهم رأوا الاستعانة بروضان صاحب حلب . غير انه لم يلتفت اليهم ولم يكتف بهذا بل غلق أبواب حلب في وجوههم ، وسمح لرجالهم بتمقبات اطراف الجيش الاسلامي . ولكن هذا لم يشن عزم مودود ومن بقى معه من المسلمين عن مواصلة الجهاد ، فساروا حتى وصلوا الى معرة النعمان ، حيث انضم اليهم هناك ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق . غير ان انضمام

( ١ ) المظلي ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠٤ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ،

ج ١٠ ص ٤٨١ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٧٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٨ ،

ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ١٧٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ،

ص ٣٥ - ٣٦ .

- ومراغة : بلدة مشهورة بأن ربيعان ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

طغتكين اليهم لم يؤد الى نتيجة ، بل كان عاملا من عوامل تفرق هذه الحملة فقد اطلع في معرفة النعمان على فساد نيات بعض العساكر الاسلامية فلم يحتمل صبرا على هذا بل سعى الى مهادنة الصليبيين سرا . وعلى ما يبدو فقد لجأ الى ذلك خوفا من ان يتعرض له الصليبيون اثناء عودته الى دمشق . أما بقية القوات فقد تفرقت أيدى سبأ (١) . وسار مودود ومعه طغتكين من ممصرة النعمان الى نهر العاصى مما يدل على رغبة زعماء الجزيرة في نقل المعارك مع الصليبيين الى بلاد الشام (٢) .

ووجد الصليبيون الفرصة سانحة للانقضاض على قوات مودود وطغتكين بعد تفرق بقية قوات الجزيرة ، فاجتمعوا في اقامية بقيادة تانكرو صاحب انطاكية ومعه بلدوين ملك بيت المقدس وبلدوين صاحب الرها وعزموا على السير الى غرب نهر العاصى بقصد لقاء المسلمين الذين أصابهم التفرق وهم كانوا "يدا واحدة وكلمة متفقة على الاسلام وأهله" على حد قول ابن القلانسى ، ولكن تدبيرهم خاب فقد تعرض صاحب شيزر من بنى منقذ لضغط الصليبيين الامر الذى حمله على اثارة حماس مودود وطغتكين وشجعهم على ملاقاته الصليبيين ، فازداد مودود وطغتكين حماسا فى لقاء الصليبيين ، فتم اللقاء بين الطرفين عند نهر العاصى فى ربيع الاول سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م . وظفر المسلمون بالصليبيين فارتفعت المعنويات وقويت النفوس على مواجهة الصليبيين ، وعاد

- 
- ( ١ ) العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥٠٥ هـ ، ابن القلانسى ، ص ١٧٥  
ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٨٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ،  
ج ٢ ، ص ١٦٠ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .  
( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٧ - ١٨ ، ابن القلانسى ، ص ١٧٦ -  
١٧٧ ، حسن هشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ١٦ .

بعدها طفتكين الى دمشق ، بينما عاد مودود الى الموصل (١) .

وعلى الرغم من ان حملة مودود الثانية لم تحقق ما كان مرجوا منها ، فان هذا لا يعد فشلا في حركة بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين . بل انها ثبتت الدعائم التي كانت قد وضعت في حران سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م ، وساعدت على مواصلة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، والذي اነعت ثماره زمن عماد الدين زنكي ونور الدين محمود ومن بعدهما صلاح الدين الايوبي .

ومما يؤكد عزم المسلمين على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين أن مودود بعد عودته الى الموصل جهز حملة عسكرية في سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م سار بها الى الرها بقصد الاستيلاء عليها فحاصرها فترة من الزمن ، ولما ايس من الاستيلاء عليها اتجه نحو سروج بارض الجزيرة ، غير انه لم يستطع الاستيلاء عليها ، لانه فرق جيوشه بين حصار الرها وحصار سروج في وقت واحد ، مما سهل لجوسلين صاحب تل باشران يوقع به هزيمة عند سروج (٢) . ورغم هذه الهزيمة التي منى بها مودود فانه عقد العزم على الخروج في حملة ثالثة ضد الصليبيين بالشام في نفس السنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م بعد ان توثقت عرى الصداقة والمودة بينه وبين ظهير الدين طفتكين صاحب دمشق . ولم تنته سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م حتى حصل في بلاد الشام ما اوجب خروجه اليها ان تعرضت دمشق وغيرها من بلاد الشام لغارات عنيفة شنها بلدوين الاول ملك بيت المقدس . واضطر طفتكين الى طلب النجدة من شرف الدولة مودود صاحب

(١) ابن القلانسي ، ص ١٧٧ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ،

ص ١٦١ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٩٢ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ،



الموصل ، فما كان من الاخير الا ان وجه الدعوة لعدد من امراء المسلمين بالجزيرة وطلب منهم السير معه نجدة لطفتكين ، وعبروا الفرات في نهاية سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م متوجهين الى الشام لنجدة طفتكين . فلما سمع طفتكين بقدوم قوات الجزيرة خرج من دمشق ولقيها ببلدة سلمية ، وواصلوا سيرهم جميعا عبر الاردن حتى وصلوا الى الاقحونة ومنها ساروا الى طبرية حيث عسكر هناك الصليبيون بزعامة بلدوين ملك بيت المقدس ، وجوسلين صاحب تل باشر وروجر (١) صاحب أنطاكية . وفي المحرم من سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م التقى المسلمون بالصليبيين ودار القتال بين الطرفين فانهمز الصليبيون ووقع كثير منهم في الاسر ومنهم بلدوين ملك بيت المقدس الا انه لم يعرف فنجادون سلاحه . وكان عماد الدين زنكي قد حضر هذه الواقعة وأبلى فيها بلاء حسنا . وحاصر المسلمون الصليبيين حول طبرية سنة عشرين يوما ، ساروا بعدها الى بيسان ونهبوا اراضي الصليبيين الواقعة بين عكا وبيت المقدس فارتفعت بذلك معنويات المسلمين بما وصل اليه الصليبيون من اليأس والخذلان ، وما انضم الى قوات طفتكين ومودود من امدادات من بعض قبائل العرب في الشام وما وصلهم من الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب من معونة عسكرية . ولم تقف اهمية هذه الواقعة عند حد ما حل بالصليبيين بل انها ادت الى تأكيد المودة ووحدة الهدف والمصير بين امراء المسلمين بشمال الشام والجزيرة مع اخوانهم في العراق ووسط بلاد الشام (٢) .

(١) كان تانكرد صاحب انطاكية قد مات سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م فخلفه وروجر في حكم انطاكية . انظر العظمي ، تاريخ العظمي حوادث سنة ٥٠٦ هـ ، رنسيان تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢) العظمي ، تاريخ العظمي ، حوادث سنة ٥٠٦ هـ - ٥٠٧ هـ ، ابن القلانسي ، ص ١٨٤ - ١٨٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٤٩٥ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ١٨ - ١٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٤٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج ٤٢ ، ص ٣٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٧٥ ، الذهبي ، ادول الاسلام ، ج ٤٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ ، حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ١٧ .

- عن سلمية انظر مايلي : ص :

حاشية رقم

- الاقحونة : موضع بالاردن على شاطئ بحيرة طبرية ، ياقوت ، معجم البلدان .

- ميشان : مدينة بالاردن بالقرب الشام وهي بين حوران وفلسطين . انظر

ياقوت ، معجم البلدان .

ولما طال المقام بعساكر الجزيرة في بلاد الشام اصابهم الضجر وتفرق اكثرهم في الوقت الذي استأذن بعضهم مودود في العودة الى بلادهم ، فأذن لهم ، بينما ظل هو ومعسكره الى جانب طغتكين ليثبت له على ما يريد وعن حسن نيته في جهاد الصليبيين ، و انتظار ما عسى يصله من أوامر من قبل السلطان محمد بن ملكشاه . غير انهما اي مودود وطغتكين قررا العودة الى دمشق فدخلاها في ربيع الاول سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م بعد أن اطمأنا الى ما حل بالصليبيين من هزيمة عند طبرية ، وهى هزيمة أعادت للمسلمين بالشام ما كانوا قد أيسوا من تحقيقه بعد مضي سنوات عديدة من دخول الصليبيين الى بلاد الشام (١) . وبالرغم مما حققه شرف الدولة مودود من جهود كبيرة في سبيل توحيد قوى الشام والجزيرة ، فقد تعرض بعد دخوله دمشق للاغتيال على يد نفر من الباطنية عندما كان يصل بالجامع الاموى بدمشق في آخر جمعة من ربيع الاول سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م (٢) ، ومع ما أبداه طغتكين من العزى الشديد على ضيفه ، وما آل اليه امر الشخص الذى اغتال مودود من المصير المشين حسبما ذكر ابن القلانسي (٣) ، فان ابن الاثير قد اتهم طغتكين بقتل مودود حيث قال : " وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله " . خوفا من ان يكون بقاؤه بدمشق بتدبير من السلطان محمد بن ملكشاه " (٤) . وعلى أية حال فان قتل شرف الدولة مودود قد أثبت للمسلمين أن أمراء الشام لم يقدروا المصلحة العليا للعالم الاسلامي ، وأنهم رفضوا

- 
- ( ١ ) ابن القلانسي ، ص ١٨٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٩٦ - ٤٩٧ .  
 ( ٢ ) العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥٠٧ هـ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ .  
 ( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .  
 ( ٤ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

التضحية بمصالحهم الخاصة في سبيل الوقف مع قادة بلاد الجزيرة في وجهه الصليبيين الذين رأوا في استشهاد البطل المجاهد شرف الدولة مودود الخلاص من عدو لدود (١) .

ومهما يكن من أمر فان مقتل مودود لم يقف عند حد ما ذكرناه بل تعداه الى ان حركة بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قد هددت مؤقتا بسبب اضطراب الامور بين أمراء المسلمين في بلاد الشام . بالاضافة الى أن ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق قد اضطر الى عقد هدنة مع الصليبيين في السنة التالية ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م خوفا من عجزه عن حماية دمشق من غاراتهم (٢) .

غير أن بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين التي انطلقت من منطقة الجزيرة لم تتوقف فقد تولى امر الموصل عقب استشهاد مودود آقسنقر الهرسقي ، فحمل على عاتقه لواء الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين لافي منطقة الجزيرة فحسب بل وفي بلاد الشام ايضا . ففي سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م استطاع آقسنقر الهرسقي بعد ان انضمت اليه قوات جزيرة ابن عمر بقيادة اياز بن نجم الدين ايلغازي حصار الرها لمدة شهرين ، الا انه لم يستطع فتحها ، ففادها الى سميساط فخر بها وخرب سروج التابعة للصليبيين . (٣)

---

( ١ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٣١٤ ، الحريثي ، الشرق

الوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٤٦٤ .

( ٢ ) ابن ابيك ، كنز الدرر ، ج ٦ ص ٤٧٦ ، حسن حبشي ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ١٩٠ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٥٠١ - ٥٠٣ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٠١ - ٢٠٩ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ص ٢٢٧ ، ابن الوردي ، تنمية المختصر ، ج ٢ ص ٣٧٠ .

وعندما اشتد خطر الصليبيين على بلاد الشام وجه طغتكين الدعوة لآقسنقر صاحب الموصل سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م طالباً منه النجدة ، فتوجه آقسنقر من الرحبة الى دمشق فوصلها في نفس السنة . وصادف ذلك أن الصليبيين بزعامة صاحب طرابلس قد أغاروا على منطقة البقاع ، فاجتمع رأي طغتكين وآقسنقر على قتال الصليبيين فباغتهم على غرة في مخيمهم ، فنجح الله المسلمين النصر على الصليبيين ، عادوا بعدها الى دمشق فطلب آقسنقر من طغتكين الاذن بالعودة الى بلاده بعد استحكام المودة بينهما فأذن له (١)

وتجدد الاشارة الى أن حركة بعت فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ارتبطت ارتباطاً شديداً بزعماء الموصل الذين كانوا تحت طاعة السلاجقة وأدت وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١٢ هـ / ١١١٧ م الى ازدياد تدهور احوال السلاجقة في العراق فسعى السلطان محمود بن محمد ملكشاه الى استدعاء آقسنقر من الموصل لتوليته شحنة بغداد (٢) . الامر الذي أفقد الموصل مكانتها القيادية في بعت حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين مؤقتاً ، وانتقال هذه القيادة الى نجم الدين ايلغازي صاحب ماردين .

واستهل ايلغازي أعماله بالاستيلاء على حلب سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م ، لاهميتها بالنسبة لاية قيادة عسكرية وسياسية تسعى لمجابهة الصليبيين وذلك لما كانت تتمتع به من مركز استراتيجي حيوي من النواحي البشرية والعسكرية والسياسية والاقتصادية . وكانت حلب تقع بين امارتين صليبيتين هما

(١) ابن القلانسي ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ .  
(٢) العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥١١ هـ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٩ ، ص ٣١٠ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ،

الرها وأنطاكية ، وفي نفس الوقت يمكنها الاتصال بالقوى الاسلامية التركمانية المنتشرة في منطقة الجزيرة . لذا كان الاستيلاء عليها بمثابة فتح الطريق لقيادة حركة الجهاد ، وذلك ما حدث فعلا بالنسبة لنجم الدين ايلغازي وابن أخيه بلك بن بهرام ومن بعدهما آقسنقر البرسقي وعماد الدين زنكي وثور الدين محمود فيما بعد . (١)

أما عن تفاصيل استيلاء نجم الدين ايلغازي على حلب سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م فقد تجدد بها من الحوادث ما أطمع الصليبيين في الاستيلاء عليها حيث بلغت حدا من الضعف والضاقة الاقتصادية مما أعجز أهلها عن تقديم القوات لدوابهم . ولكن خوف أهلها من ان تسقط بيد الصليبيين قد أجبرهم على استدعاء نجم الدين ايلغازي وتسليمه حلب في السنة المذكورة . واستهل ايلغازي أعماله بحلب بفرض سيطرته على بعض المواقع التابعة لها كبالس ، ومصادرة بعض رجال حلب للحصول منهم على مال يهادن به الصليبيين فاستوحش منه أهل حلب وجندها - على حد قول ابن العديم - مما اضطره الى مفادرتها الى ماردين بعد أن استخلف على حلب ابنه حسام الدين - تمرش (٢) . واستغل الجند المقيمون في بالس موجة الغلاء التي مروا بها في نفس السنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م فarsلوا الى الصليبيين ليسلموها اليهم فاضطر ايلغازي الى العودة على رأس قوة من التركمان الى حلب . فلما شعر الصليبيون بالخطر انسحبوا عنها فتسلمها ايلغازي للمرة الثانية ، وعاد الى ماردين بعد أن عقد معهم هدنة بعدم اعتماد أي منهما على ممتلكات الطرف الآخر . (٣) ولكن الصليبيين وجدوا الفرصة سانحة بعد خروج ايلغازي من

( ١ ) انظر عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية في بلاد الشام والجزيرة ،

ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

حلب ، وعدم وجود مدافع عنها وعن غيرها ، فتقضوا الهدنة التي بينهم وبين ايلغازى وَاغاروا على عزاز وشددوا الحصار عليها حتى اضطر من بهما من المسلمين الى التسليم . واضطر أهل حلب الى مراسلة الصليبيين وطلبوا منهم التمسك بالهدنة التي كان عقدها معهم ايلغازى وان يسلموهم اى اهل حلب تل هراق ويؤدون لهم القطيعة المقررة على حلب عن اربعة اشهر ومقدارها الف دينار ويكون لهم من حلب شمالا وغربا (١) .

غضب نجم الدين ايلغازى لما وصلت اليه أخبار حلب ، ولكنه لم يستطع العودة اليها وانقاذها مما هي فيه لقلعة عساكرها فاتجه الى شرق منطقة الجزيرة بقصد جمع العساكر في الوقت الذي أبلغ فيه ظهير الدين طغتكين عن رغبته في الاجتماع به سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ، واجتمعا على قلعة دوسر بهدف القيام بدفع الصليبيين عن حلب ولكن ذلك لم يتيسر لهما ، الامر الذي دفع الصليبيين الى احكام السيطرة على مداخل حلب بعد ان استولوا على بزاغة فتردت الاحوال بحلب حتى بلغت حد التلف على حد قول ابن العديم (٢) . ولم يجد اهل حلب بدا من الاستعانة بالخلافة العباسية والدولة السلجوقية في بغداد ، الا انهم لم يفاثوا نظرا لانشغال السلاجقة بالمنازعات الاسرية فيما بينهم من جهة وضعف الخلافة العباسية من جهة أخرى .

أما نجم الدين ايلغازى فلما لم يتيسر له لقاء الصليبيين فقد فارق طغتكين وعاد الى ماردين لجمع العساكر تمهيدا للعودة للجهاد والالتقاء مع الصليبيين في معركة حاسمة (٣) . وفي ماردين حشد نجم الدين ايلغازى مايزيد على

(١) ابن العديم ، ج ٢ ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .  
وتل هراق : حصن من حصون حلب الغربية . انظر ياقوت . معجم البلدان .

(٢) ابن العديم . زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، ونسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

عشرين ألفا من التركمان (١) . بقصد قتال الصليبيين الذين ضيقوا على حلب حتى كادت ان تعدم القوات . وأرسل ايلغازى رسله الى بغداد لاعلان النفير ضد الصليبيين واعلام الخليفة العباسي المشترك بالله والسلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه بما فعله الصليبيون بالديار الجزيرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا صاحبها ابن عطير (٢) . وكان هجم الدين ايلغازى قد تواجد مع ظهير الدين طغتكين في سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م على ملاقات الصليبيين في شهر صفر من السنة التالية ٥١٣ هـ / ١١١٩ م بالشام . وتوجه ايلغازى قبل الموعد المحدد الى الرها وشدد عليها الحصار ، مما اضطر من بها من الصليبيين الى مصالحتهم ، لقاء تنازلهم عن الاسرى المسلمين الموجودين بها فأجابهم ايلغازى وشرط عليهم عدم التوجه لمساعدة اميرانطاكية في حالة حدوث قتال معه فأجابوه . وقد كانت هذه خطوة صائبة من ايلغازى تمكن بموجبها من عزل احدى قوى الصليبيين عن مد يد العون للقوى الاخرى . وهذا دليل واضح على رضى الصليبيين في منطقة الجزيرة الى مطالب الامراء المسلمين (٣) .

بعد أن اطمان ايلغازى الى أنه لن يتعرض الى طعنة الصليبيين من الخلف توجه الى بلاد الشام وقد انضم اليه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي والامير طغان ارسلان صاحب بدليس وآرز ، وواصل سيره حتى بلغ قريبا من الاثارب بأرض سرمد في ربيع الاول سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م ، وهناك

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٥٥٣ - ٥٥٥ ، انظر ابن القلانص ص ٢٠٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ١٨٧ - ١٩٠ .  
 ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٥٥٤ .  
 ( ٣ ) انظر عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية في بلاد الشام والجزيرة ، ص ٢٤١ .

انتظر وصول ظهير الدين طغتكين . وكان الصليبيون بقيادة روجر صاحب أنطاكية قد نزلوا بتل عقيرين وشرعوا في بناء حصن لهم هناك ولم يدربخلد هم أن نجم الدين ايلغازي سيياغتهم هناك لضيق الطريق ، ثم لتوهمهم أن المسلمين سينزلون الاثارب اوزردنا ، حتى ان الضرور قد اصابهم لاعتقادهم بحصانة موقعهم فأرسلوا الى ايلغازي يقولون له : " لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك " (١) .

ولما طال انتظار ايلغازي لوصول حليفه طغتكين ، لبى رغبة الامراء الذين كانوا معه في التمهيل بباغلة الصليبيين ، فماشعر الصليبيون الاورايات المسلمين قد اقبلوا وأحاطوا بهم من كل جانب ، وذلك يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الاول من السنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م . وخرج قاض حلب أبو الفضل بن الخشاب ، وخطب في المسلمين خطبة بليغة استنهض فيها عزائم المسلمين على الجهاد ، فحمل المسلمون على الصليبيين حملة واحدة من جميع الجهات ، فكانت السهام على الصليبيين كالجراد ، في الوقت الذي أخذتهم السيوف من سائر نواحيهم . فلم يفلت منهم غير نفر يسير بينما كان الباقيون بين قتيل وجريح . وكان ضمن القتلى روجر صاحب أنطاكية الذي كان قد تعجل لقاء المسلمين قبل وصول قوات بيت المقدس وطرابلس وغيرها . ووقع في الاسر نيفا وسبعين من فرسان الصليبيين ومقدميهم ، وحاولوا ان يفتدوا نفوسهم بمبلغ ثلاثمائة الف دينار فلم يقبل منهم نجم الدين ايلغازي بل أمر

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٨٤ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ . ودليس بيلد من نواحي ارمينية قرب خلاط ، وارزن : مدينة مشهورة قرب خلاط وسرمدا : موضع من اعمال حلب ، وزردنا : بلد من نواحي حلب الغربية . انظر يا قوت ، معجم البلدان .



بقتلهم جميعا (١) . وقد عرفت هذه الواقعة عند المؤرخين اللاتينيين ، ومن نقل عنهم من المؤرخين المحدثين باسم ساحة الدم ( Ager san guinis ) لكثرة ما قتل فيها من الصليبيين ، والتي لم يقتل فيها من المسلمين سوى العدد القليل (٢) .

وعلى أية حال فان اهمية ما حل بالصليبيين لم يقف عند حد النصر العسكري الذي حققه نجم الدين ايلغازي عليهم ، بل تعداه الى انه قد صاحب هذا النصر قيام جبهة اسلامية متحدة من الامراء المسلمين في الشام والجزيرة اضافة الى انها جعلت حلب في مأى عن اخطار الصليبيين خصوصا بعد استيلاء نجم الدين ايلغازي على حصن قريب من الاثارب من السنة نفسها فضلا عن انها كانت كارثة فادحة حرمت انطاكية من زعيمها روجر وجيشهم ————— ما جعل السريان والارمن بانطاكية يتشككون في موقفهم الى جانب الصليبيين وهذا على ما يبدو و ما دفعهم الى التآمر للخلاص من الصليبيين الغربيين (٣) .

- 
- ( ١ ) ابن القلانسي ص ٢٠٠-٢٠١ ، أسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٤٠ ، ١١٨ - ١١٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٩٠ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٧٩ - ٨٠ .
- وقد قال العظمى ابياتا من الشعر يمدح فيها نجم الدين ايلغازي بما حققه على الصليبيين من نصر حاسم حيث قال في تاريخه حوادث سنة ٥١٣ هـ :
- ألا أبليغ طفاة الشرك أنك آخذ بثاراتهم عليها مزايد  
وأنهم لم ينج منهم مغبــــــــــــر بحيث أحاطتهم لديك المصايد
- ( ٢ ) رنسيان ، تاريخ الخروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٤٢ ، العريضي ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٧٣ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .
- ( ٣ ) انظر ، أسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٤٠ - ٤١ ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٣ هـ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٩٢ ، حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ١٨٠ .

وذكر ابن العديم أن نجم الدين ايلغازى نزل بعد انتهاء المعركة الى خيمة روجر ليسلم اليه المسلمون الغنائم التى حصلوا عليها ، ولكنه رد جميع الغنائم الى المقاتلين ولم يأخذ منهم الا سلاحا يهديه لملوك الاسلام ليمنحوا فى نفوسهم حب الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين (١) . وعلى الرغم من أن نجم الدين ايلغازى لم يهتبل الكارثة التى حلت بأنطاكية وصاحبها وجيشها للهجوم عليها والاستيلاء عليها بدون صعوبة تذكر ، بسبب تكالب عسكره على الغنائم التى وصفها ابن القلانسى بأنها من الكثرة بما يفوق الاحصاء (٢) الا أنه حقق سلسلة من الانتصارات فى شمال الشام هبأت للمسلمين جوا من الهدوء والاستقرار . فقد استطاع المسلمون ان يلحقوا بالنجدة الصليبية التى أتت بزعامه بلدوين ملك بيت المقدس لنجدة روجر صاحب انطاكية هزيمة ساحقة . حتى انه لم يمنع الصليبيين من الاخذ على يد المسلمين سبواى تعلقهم بالجهال (٣) . ولم يكف نجم الدين ايلغازى بهذا بل اجتمع فى ارتاح بحليفه طفتكين واتفقا على مهاجمة الاثارب وزردنا ، فاستطاعا الاستيلاء عليهما من الصليبيين . ثم سارا ايلغازى الى دانيث بنفر قليل من المسلمين والتقى ببلدوين ملك بيت المقدس وورثت صاحب زردنا ودارت بين الطرفين معركة فى جمادى الاولى من السنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م أسفرت عن انتصار نجم الدين ايلغازى وهزيمة الصليبيين الذين احتموا بحصن هاب بعد مطاردة نجم الدين لهم (٤) . ثم عاد نجم الدين ايلغازى الى حلب بينما

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ١٩٠ .

( ٢ ) ابن القلانسى ، ص ٢٠١ .

( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

( ٤ ) تاريخ المعظي ، حوادث سنة ٥١٣ هـ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ،

ج ٢ ص ١٩٠ ، ودانيث كان بلد من اعمال حلب بين حلب وكفر طاب

انظر ياقوت ، معجم البلدان .

التقى رجاله في طريق عودتهم بصاحب زردنا روبرت الابرس وصحبته قوة من الصليبيين ، فهاجمتهم قوة ايلغازي مما اضطر من سلم من الصليبيين الى العودة الى حصن هاب ، في الوقت الذي وقع فيه الابرس اسيرا في أيدي المسلمين فحملوه الى ايلغازي بحلب ، وأنفذه بدوره الى طفتكين بد مشق حيث قتله صبيرا (١) .

وفي أواخر جمادى الاولى سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م غادر ايلغازي حلب الى ماردين بسبب الضائقة المالية التي مربها ، اضافة الى ان حلب كانت من الضعف ما جعلته لا يستطيع البقاء فيها (٢) . وبالرغم من انشغال نجم الدين ايلغازي ببعض الامور الادارية في ماردين ، فقد جمع جيشا من التركمان عبر بهم الفرات الى بلاد الشام في سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م واجتمع بطفتكين وسار الى أنطاكية حيث ضربا عليها حصارا ، فلم يتمكن منها ، فدخل الى قنسرين ، وحاصرها يوما وليلة ، ولم ينالا منها شيئا . وعند ما اشار ظهير الدين طفتكين على صاحبه برفع الحصار عنها وان يعود كل منهما الى بلده . فقبل نجم الدين ايلغازي مشورة صاحبه ، وعاد الى حلب بعد ان أدرك ما عليه الصليبيون من القوة ، وتفرق عساكره من التركمان . واضطرا ايلغازي الى عقد هدنة مع ملك بيت المقدس بلدوين الثاني ، على ان يكون للصليبيين المعرة وكفرطاب والبارة وضياع من جبل السحاق ، وعلى ان يكون أمده هذه الهدنة نهاية تلك السنة (٣) .

- 
- ( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩١-١٩٣ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ١١٩-٢٠٠ . عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ، ص ٢٥٠-٢٥١ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ . وهاب : قلعة عظيمة من العواصم . انظر يا قوت ، معجم البلدان .
- ( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢٠١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٥٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٢-١٩٣ .
- ( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٢٠٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٥-١٩٦ ، ابن الشحنة ، المنتخب ، ص ٢١٧ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٩٠-٩١ . وعن جبل السحاق انظر ما يلي ص
- حاشية

ولم يتقيد الصليبيون بهذه المعاهدة ، فقد أغار جوسلين صاحب تل  
 ياشرفى السنة نفسها ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م على بعض البلاد التابعة لحلب ،  
 مما اضطر أهل حلب الى ارسال احتجاج شديد اللهجة الى بلدوين الثانى  
 ملك بيت المقدس يخبرونه فيه باعتداءات جوسلين على المسلمين ، ولكنه رد  
 عليهم بقوله " طالى على جوسلين يد " (١) . ولم يقف الصليبيون عند هذا الحد  
 بل أغار الصليبيون بأنطاكية على بلد شيزر وأسروا جماعة من المسلمين وطالبوا  
 امير شيزر العربى ابو العساكر سلطان بن منقذ ببعض المطالب التعسفية ،  
 مما اضطره الى مصالحتهم على مال يدفعه اليهم (٢) . وبالإضافة الى ذلك فقد  
 استغل الصليبيون فرصة خلوص حلب من ايلغازى فشنوا فى صفر من سنة  
 ٥١٥ هـ / ١١٢١ م هجوما على الاثارب وأحرقوا ما بها من الدور والفلال .  
 وسار بلدوين الثانى وأغار على حلب نفسها ، وفرض عليها حصارا شديدا  
 أدى الى وقوع خمسين اسيرا من أهلها فى يده . ونجح الحلبيون فى  
 استنقاذ اخوانهم وأجبروه على التراجع عنها الى أنطاكية (٣) . وعلى ما يبدو  
 فان نجم الدين ايلغازى قد اضطر الى البقاء فى ماردىن بعض الوقت مما  
 دعاه الى مراسلة ولده سليمان بن ايلغازى النائب عنه فى حلب يأمره بمقعد  
 صلح مع الصليبيين ، حصل الصليبيون بموجبه على سرمى و بلدة ليلون  
 وبعض الجهات الزراعية المحيطة بحلب ، والاثارب (٤) .

- ( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .  
 ( ٢ ) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٩٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ،  
 ص ١٩٨ - ١٩٩ .  
 ( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، والاثارب : كانت  
 قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ . انظر  
 ياقوت ، معجم البلدان .  
 ( ٤ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، انظر رنسيما ، تاريخ  
 الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ، وليلون : بلدة على جبل مطل على  
 حلب من جهة أنطاكية . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

وعلى الرغم من أن الصلح الذي عقده سليمان بن ايلغازى مع الصليبيين لم يكن فى صالح المسلمين ، فان سليمان بن ايلغازى لم يسع الى علاج ما استجد بحلب من الفوضى والاضطراب ، بل أعلن عصيانه على والده وأعلن استقلاله بحلب . وقد شجعت هذه الخطوة من قبل سليمان ابن ايلغازى الصليبيين على مضايقة حلب والاستيلاء على بعض المواقع المحيطة بها فى جمادى الاخرة من سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م ، ومطالبة صاحبها سليمان بالتنازل عن الاثار بلبك وبين الثانى ملك بيت المقدس ، ولكن سكان الاثارب من المسلمين رفضوا الخضوع للصليبيين ، الأمر الذى أجبر بلد وبين على التراجع الى انطاكية ومنها الى بيت المقدس (١) .

أما نجم الدين ايلغازى فانه ما ان سمع بعصيان ابنه بحلب حتى قدم اليها على وجه السرعة ، فعاقب من كان وراء عصيان ابنه ، فلما رأى سليمان ما حل باخوانه من عقاب شديد خاف على نفسه وهرب الى دمشق ، وطلب من صاحبها طغتكين حق اللجوء . ولما تم لايغازى القضاء على الفتنة بحلب استناب ابها ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق ، وعقد هدنة جديدة مع الصليبيين لمدة سنة كاملة . وكان هدف ايلغازى من عقد تلك الهدنة مع الصليبيين هو كسب الوقت حتى يتمكن من العودة الى ديار بكر وحشد ما يمكن حشده من قوات ليعيد الكرة على الصليبيين ، اضافة الى خوفه من قيام الصليبيين بفارقته على حلب فلا يستطيع ابن أخيه صدهم (٢) .

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٩٩ - ٢٠٥ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٩١ - ٥٩٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٥ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقيية ،

وفى ماردن استطاع نجم الدين ايلغازى أن يحشد أكبر عدد من التركمان ثم سار بهم الى بلاد الشام فى شهر ربيع الاخر من سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ، مستغلا فى ذلك الشقاق الذى حصل بين بلدوين ملك بيت المقدس ويونس صاحب طرابلس . ولكن نجم الدين ايلغازى لم يستطع أن يحقق نصرا حاسما على الصليبيين ، بالرغم من انضمام بك بن بهرام بن أرتق وظهير الدين طفتكين الى جانبه . غير أنه لم يمكن الصليبيين بأن يمدوا نفوذهم وسيطرتهم على حلب<sup>(١)</sup> وفى شهر رمضان من سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م احس ايلغازى بتدهور صحته فعاد الى ميافارقين حيث وافته منيته هناك<sup>(٢)</sup> . وقدر ما كانت وفاة نجم الدين ايلغازى خسارة فادحة للمسلمين فى بلاد الشام والجزيرة عامة فان المصيبة كانت أعظم على أهل حلب الذين عظم عليهم وفاته ، لان نجم الدين ايلغازى كان قد قطع أمل زعماء الصليبيين فى الاستيلاء عليها . ولم تقف اهمية وفاة نجم الدين ايلغازى عند هذا الحد ، بل ادت الى أن امارته قد تفككت وقسمت بين اولاده حسام الدين تمرتاى الذى حصل على ماردن ، وابنه سليمان الذى حصل على ميافارقين ، بينما بقيت حلب من نصيب ابن اخيه سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ، واحتفظ بك بن بهرام بن أرتق بقلعة خربت وضم اليها حران فيما بعد<sup>(٣)</sup> . يضاف الى ذلك ان حلب التى كانت

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

( ٢ ) تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٦ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢٠٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ص ٦٠٤ - ٦١٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، العرينى ، الشرق الاوسط ، ج ١ ، ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٠٤ ، العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨٠ - ٤٨١ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ، ص ٢٦٢ . وخرشبرت : هو الحصن المعروف بحصن زياد فى اقصى ديار بكر من بلاد الروم ، كان بينه وبين ملطية مسيرة يومين على الاقدام ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

تعتمد على عساكر التركمان الذين كان يحشد هم ايلغازى من شمال الجزيرة. قد اتقدت هذا العنصر البشرى الذى رجع كفة المسلمين على الصليبيين فى عهد ايلغازى مما جعلها عرضة لغارات الصليبيين . وضعف مركز صاحبها سليمان بن عبد الجبار بن ارتق عن دفع الصليبيين الذين استغلوا وفاة نجم الدين وأغاروا بقيادة بلدوين الثانى ملك بيت المقدس على بزاعة والس على نهر الفرات . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل استطاع الملك الصليبي الاستيلاء على قلعة البيرة ، حتى أصبحت حلب محاطة بالصليبيين من جميع الجهات ، مما حتم على سليمان بن عبد الجبار ان يعقد مع الصليبيين صلحا سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م تنازل بموجبه لهم عن حصن الاثارب (١) .

ولكن منطقة الجزيرة التي احتلت الصدارة فى عطية بحث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، أنجبت بطلا جديدا وخصما عنيدا للصليبيين مشلا فى شخص بك بن بهرام بن أرتق صاحب قلعة خرترت الذى كان يتطلع الى القضاء على الصليبيين لافى منطقة الجزيرة فحسب بل وفى بلاد الشام . وقد استهل اعماله العسكرية اثناء مرضه نجم الدين ايلغازى فى رجب سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م بحصار الرها ، ولكنه لم يستطع النيل منها بعد فترة طويلة من الحصار ، مما اضطره الى الانسحاب عنها (٢) . لذا رأى الصليبيون الذين بالرها انه لا بد من الاستمانة بجوسلين صاحب الاطماع الكثيرة وخصم المسلمين العنيد ، الذى كان وقتذاك مع بلدوين ملك بيت المقدس بالبيرة

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦١٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، القرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨١ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩٣ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ١٩٠ .

مستغلين في ذلك تفرق عساكر بلك بن بهرام بن ارتق عقب عودته من الرها . الا أن بلك بن بهرام استطاع أن ينصب لجوسلين ومن معه من الصليبيين كميناً عند سروج بارض موهلة ومشبعة بمياه الامطار ، فلم تتمكن خيولهم من الاسراع بسبب هذا الوهل ، في الوقت الذي سلط عليهم بلك ورجاله الذين لا يتجاوز عددهم اربعمائة فارس وابلا من السهام فلم يفلت منهم الا القليل ، وأسـر جوسلين وابن خالته جاليران صاحب البيرة في سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م (١) . وقد ترتب على هذا الانتصار الذي حققه بلك بن بهرام على الصليبيين ضياع قوة الصليبيين المعنوية في بلاد الشام وازدياد حماسة المسلمين وتطلعهم الى الشوب على الصليبيين من كل ناحية (٢) .

حاول بلك بن بهرام بن ارتق ان يحصل من جوسلين ومن معه من الصليبيين الذين وقفوا في الاسر على تنازل منهم عن الرها ، مقابل اطلاق سراحهم ولكنهم رفضوا قائلين : " نحن والبلاد كالجمال . . متعقر جعل حول رحله الى اخر والذي بايدينا قد صار بيد غيرنا " . عندها حمل بلك بن بهرام أسراه الى قلعة خرثبرت ووكّل بهم من يحرسهم وتوجه سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م الى حصن كركر التابع لامارة الرها بقصد الاستيلاء عليه . وادرك بلدوين ملك بيت المقدس الذي اصبح وصيا على الرها مضافا الى وصايته على انطاكية ان من واجبه التحرك لتخليص جوسلين من الاسر ومنع كركر من السقوط بيد بلك بن بهرام وافهام المسلمين بان قوة الصليبيين لا زالت قوية باطشة وخرج بلدوين على راس جيشه حتى وصل عند الضفة الشرقية لنهر سندجه احد رؤافد الفرات تجاه

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٠٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩٣ ، عماد الدين

خليل ، الامارات الارتفاعية ص ٢٦٤ - ٤٦٥ .

( ٢ ) حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٢٠ .

( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، انظر العظمي ، تاريخ

العظمي حوادث سنة ٥١٧ هـ . وكركر : حصن بين سميساط وخرثبرت ،

انظر يا قوت ، معجم البلدان .



معسكر بلك بن بهرام الذى كان قد رفع الحصار عن كركم عناد لمواجهته  
بلدوين الثانى ملك بيت المقدس . ودار القتال بين الطرفين فى التاسع عشر  
من شهر صفر سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ، وانهزم الصليبيون بالرغم من قلعة  
قوات المسلمين . ولم تقف أهمية الواقعة عند حد انتصار بلك بن بهرام بل تعدته  
الى ان بلدوين ملك بيت المقدس قد وقع فى أسر بلك بن بهرام بالاضافة الى  
استيلائه على حصن كركم . وحمل بلك أسيرة الجديد الى خريثرت وضمه الى  
جوسلين ومن معه من زعماء الصليبيين وفرسانهم (١) .

وهكذا خلت امارات الصليبيين ، الرها ، وناطكية ، ومملكة بيت  
المقدس من زعمائها الذابين عنها ، مما أدى الى اضطراب وضع الصليبيين  
فى الجزيرة وبلاد الشام . ولكن القوى الاسلامية فى بلاد الشام لم تستطع  
وقتذاك أن تهتبل هذه الفرصة والانقضاض على اماراتهم والقضاء على شأفة  
الصليبيين .

أما بلك بن بهرام بن أرتق فانه بعد ان جمع أسراه فى قلعة خريثرت  
توجه الى حران للاستيلاء عليها فى ربيع الاول من سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ،  
بهدف التقوى بها ، فتم له ذلك . وكان بلك بن بهرام يطمع فى الاستيلاء  
على حلب من سليمان بن عبد الجبار عقب استيلائه على حران لانه كان يدرك  
أهمية حلب الاستراتيجية ، وأنه لن يحقق اية نتيجة حاسمة على الصليبيين  
ما لم يضم حلب الى امارته كي تكون له قاعدة فى بلاد الشام ، يستطيع من  
خلالها التحرك فى ميدان فسيح ، وليتفرغ لقتال الصليبيين (٢) . لذلك

(١) تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٧ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢٠٩ ، ابن  
الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦١٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ،

ص ٢١٠ - ٢١١ ، حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ٢٠ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ٢٠٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦١١ ، ابن

العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ، عماد الدين خليل ، الامارات

الارتقية ، ص ٢٦٨ .

فرض بلك بن بهرام على حلب الحصار حتى اضطر من بها الى تسليمها اليه ففى صباح يوم الثلاثاء غرة جمادى الاولى سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م (١) . الا أن بلك بن بهرام لم يستطع المضى قدما فى جهاد الصليبيين بالشام حيث وصله نبأ تمكن جوسلين من الفرار من الاسر بمعمونة جماعة من الارمن الذين كسان بلك بن بهرام قد أحسن اليهم بخرق جرت ، فعاد على وجه السرعة الى خرثبرت ففى رجب من نفس السنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م واستطاع إعادة الا من بها ونقل الاسرى المتبقين فيها الى حران بعد معاقبة الارمن الذين كانوا بها (٢) .

أما جوسلين صاحب الرها الذى هرب من الاسر فقد استطاع تكوين جيش من صليبي بيت المقدس وأنطاكية ، واتجه به صوب حلب وضيق على من بها من المسلمين . ولم يكف بهذا ، بل أقدم على نبش قبر الموقى من المسلمين فى البلاد المحيطة بها . وظل محاصرا لها حتى شهر رمضان من السنة نفسها ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م . ولما لم يستطع النيل منها عاد الى تل باشر . على أن حلب لم تسلم من حصار الصليبيين بعد عودة جوسلين الى تل باشر ، بل تعرضت لحصار آخر من صليبي أنطاكية ، أدى الى قطع الصلة بينها وبين غيرها من البلاد الاسلامية فى الشام ، تلك البلاد التى كانت تزودها بالمؤن (٣).

وجد بلك بن بهرام بن أرتق انه لابد من الاستمانة بآقسنقر البرسقى صاحب الموصل ومظهير الدين طغتكين صاحب دمشق لرفع الظلم عن أهل حلب ولا نزال ضربة بالصليبيين ، يستطيع بعدها بلك بن بهرام العودة الى

( ١ ) المعظي ، تاريخ المعظي ، حوادث سنة ٥١٧ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢٠٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦١١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١١-٢١٢ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢٠٩-٢١٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ، تاريخ المعظي ، حوادث سنة ٥١٧ هـ ، وذكر ابن الاثير (الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦١٣-٦١٤) رواية تختلف عن رواية ابن القلانسي وابن العديم والمعظي فى ان بلدوين الثانى هو الذى هرب الى بلاده بدلا من جوسلين ، انظر ايضا حسن حيشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٢١ ، العرينى ، الشرق الاوسط ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١٤-٢١٥ ، المعظي ، تاريخ المعظي ، حوادث سنة ٥١٧ هـ .

حلب وأقرار الأوضاع بها . فوصل اليه سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م كل من صاحب الموصل آقسنقر البرسقى وصاحب دمشق طغتكين على رأس قواتهما ، فعبر بهم الفرات ونزلوا على عزاز ، ولكن الصليبيين الذين كانوا قد تجمعوا بها تمكنوا من طرد المسلمين ، فعاد كل منهم الى بلده . ودخل بلك بن بهرام حلب فى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م . وتخلص من بعض المناوشين له ، وقضى على فوضى قطاع الطرق ، وتزوج باحدى بنات رضوان بن تتش لتوثيق صلته بالسلاجقة ، واتخذ من حلب عاصمة له فى بلاد الشام ، وقاعدة انطلاق لتوجيه الضربات ضد الصليبيين . ولم يكف بهذا بل نقل اليها أسراه من حران واعتقلهم فى قلعة حلب . ويبدو ان ما قام به بلك بن بهرام من نقل أسراه الى حلب انما كان بقصد الاطمئنان عليهم من أية محاولة لانتقامهم قد يقوّمها الصليبيون أثناء بعده عنهم ، والدليل على ذلك أنه حين جهز فرقة عسكرية فى صفر من سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م لقتال الصليبيين بعزاز ، لم يخرج معهم خوفا من ان يفدربه بعض سكان حلب المعارضين له ويطلقوا سراح أسراه (١) . ولكن الاجل لم يمهل بلك بن بهرام حيث وافته منيته فى شهر ربيع الاول من تلك السنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، عندما كان يحاصر منبج التابعة لامارة طرابلس الصليبية ، ففقد المسلمون فيه رجلا أثبتت اعماله انه زعيم وقائد حاول جمع كلمة المسلمين فى الشام والجزيرة ضد الصليبيين (٢) .

- 
- (١) ابن العديم ، زبدى حلب ، ج ٢ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦١٩ ، ابن العفيم ، زبدة حلب ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، الذهبى ، تاريخ الاسلام ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٢١ .

ويمكن القول انه بمقتل ملك بن بهرام سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م انتهت مرحلة قيادة الارائقة لحركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، على الرغم من أن حسام الدين تمرناش بن ايلغازى قد استطاع الاستيلاء على حلب عقب مقتل ملك بن بهرام (١) . الا أن حلب لم تتمتع فى ايامه باوضاع مستقرة ، بل فسدت احوالها وضمف امر المسلمين بها حيث "الاهاء الصبى واللعب عن التشمير والجد والنظر فى امور الملك" (٢) . ولم يقف حسام الدين عند هذا الحد من الخمول وعدم المبالاة بجهاد الصليبيين ، بل قبل وساطة أبي المساكر سلطان بن منقذ صاحب شيزر فى اطلاق سراح بلدوين ملك بيت المقدس ، الذى كان فى أسرى ملك بن بهرام (٣) ، الامر الذى أدى الى ازدياد حماس الصليبيين فى النيل من المسلمين . وهذا بالطبع كان له اثر كبير فى تصدى الصليبيين بصلابة لحركة بحث فكرة الجهاد الاسلامى فى المرحلة التالية التى قادها كل من آقسنقر البرسقى صاحب الموصل وظهر الدين طغتكين صاحب دمشق .

وفى هذه الظروف الصعبة التى كان يمر بها المسلمون فى حلب وشمال الشام من جراء الغارات الصليبية والتى كادت ان تؤدى الى سقوط حلب بيد الصليبيين ، طلب الحلبيون النجدة من الامير آقسنقر البرسقى صاحب الموصل ، وكان مريضاً ، ولكن هذا لم يثنه عن مديد المساعدة لحلب ، فجهز حملة

( ١ ) عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية فى بلاد الشام والجزيرة ، ص ٢٧٥ .

( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

( ٣ ) تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، أسامقبن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٣٠ ،

١٢٠ - ١٢١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ ، ونعيمان

تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ، العرينى ، الشرق الاوسط

والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .

عسكرية وسار بها من الموصل الى حلب في ذي الحجة سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م ، فلما أشرف عليها اشترط على من بها تسليم القلعة الى رجاله فأجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه ، وواصل مسيره اليها . فلما علم الصليبيون بذلك رحلوا عنها عائددين الى بلادهم دون الالتقاء به لعلمهم بقوته وشدة بأسه ، بالإضافة الى ما كان يتمتع به من تأييد كبير من الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية فتمهم رجاله وتخطفوا من مؤخرتهم ما قدروا عليه وظلوا يطاردونهم حتى ادخلوهم انطاكية ، ودخل آقسنقر البرسقي حلب في اواخر سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م واجتهد في حمايتها واغذب عنها من الصليبيين ، وكتب لاهلها توقيعا برفع المظالم والمكوس ، فنعمت حلب بالخيرات حيث عاد اهلها الى الزراعة وتوالت عليها الامطار فعمها الخير (١) .

وهكذا انتقل عبء الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في شمال الشام ومنطقة الجزيرة الى آقسنقر البرسقي الذي حكم الموصل وحلب ، مما يعتبر نواة لتوحيد الجبهة الاسلامية في اطراف العراق وشمال الشام ، وهذا ما كان يخشاه الصليبيون من ان تنقطع الصلة بين امارة الرها بارض الجزيرة عن بقية الامارات الصليبية في شمال الشام ووسطها (٢) .

- 
- (١) الميني ، عقد الجمان ، ج ١١ ، ورقة ٢٠٦ أ ، الاصفهاني ، البستان الجامع ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥١٨ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢١٢ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ، ص ٦١٩-٦٢٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٢٦-٢٣٠ ، ابوالفدا الخنصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٢٨ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .
- (٢) حسن حبشي ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ٢١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٤٧ .

وسبقت الإشارة الى أن آقسنقر البرسقى صاحب الموصل وحلب  
كان يمثل الشرعية الاسلامية باعتباره تابعا للخلافة العباسية والسلطنة  
السلجوقية في بغداد ، وكان هذا من الاسباب الرئيسية التي زادت من خطورته  
على القوى الصليبية في بلاد الشام والجزيرة ، الامر الذى شجعه على تكوين  
حلف اسلامى او بمعنى آخر جبهة اسلامية تمتد من الموصل الى حلب فدمشق .  
ففى سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م طلب من ظهير الدين طغتكين الاجتماع به فى  
حلب ، فلما تم ذلك توجهوا سويا الى كركتاب واستوليا عليها وواصل مسيرهما  
الى عزاز . غير ان اجتماع الصليبيين بعزاز ، قد أجبرهما على التراجع فعاد  
آقسنقر الى حلب وطغتكين الى دمشق (١) .

رأى آقسنقر البرسقى انه لا بد من عقد هدنة مع الصليبيين ، خصوصا  
وأنة عقد العزم على العودة الى الموصل لجمع الحساكر من التركمان والاكراد ،  
والعودة مرة اخرى الى حلب لقتال الصليبيين بالشام . وكان آقسنقر يخشى  
أن يقوم الصليبيون بحصار حلب والاستيلاء عليها عقب خروجه منها . ولذلك  
فقد تم عقد الصلح بين الطرفين فى نفس السنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م ، وعبر الفرات  
الى الموصل بعد ان استخلف على حلب ابنه عز الدين مسعود (٢) .

وفى الموصل جمع آقسنقر البرسقى الكثير من التركمان وغيرهم وغيرهم  
الفرات الى بلاد الشام ، فوصل الرقة فى أواخر ربيع الاخر من سنة ٥٢٠ هـ /  
١١٢٦ م ، وواصل مسيره حتى وصل قريبا من حلب ، فراسله جوسلين صاحب

---

( ١ ) تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١٩ هـ ، ابن القلانسى ، ص ٢١٣ ، ابن  
الاثير الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٢٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ -  
٢٣١ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٢٠ .

( ٢ ) تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٢٠ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص  
٦٢٨ - ٦٢٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

تل باشر على المهادنة على ان تكون البلاد الواقعة بين عزاز وحلب مناصفة بينهما " وأن تكون الحرب على غير ذلك ، فاستقر هذا الامر " ولما تم الاتفاق بينهما سير آقسنقر البرسقى ابنه عزالدين مسعود بفرقة عسكرية من التركمان نجدة لصاحب حمص صمصام الدين خير خان بن قراجه ، حيث تعرض ففى هذه السنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ لهُجوم من الصليبيين ، فى الوقت الذى واصل فيه آقسنقر مسيره بمن معه من التركمان حتى وصل حصن الاثارب فى شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها بقصد الاستيلاء على هذا الحصن . ولم يتيسر له ذلك اذ ان الصليبيين لما شعروا بشدة الحصار الذى فرضه عليهم آقسنقر طلبوا النجدة من بلدوين الثانى ملك بيت المقدس ، فلم يتوان عن نجدتهم ، فلما حضر اجتمع بجوسلين صاحب تل باشر وارسل الى آقسنقر البرسقى يطلبون منه الرحيل عن الاثارب ، على ان تبقى بينهم الهدنة التى عقدت فى العام السابق . وتجنباً لهزيمة محققة من الصليبيين ووفاء بالمهود وافق آقسنقر البرسقى على رفع الحصار عن الاثارب حفاظاً على المهود والمواثيق . وما ان رفع آقسنقر البرسقى الحصار عن الاثارب حتى تنكر له الصليبيون بالصلح وقالوا : " ما نصلح الا على ان تكون الامكن التى ناصفنا عليها فى العام الماضى لنا دون المسلمين " . فعرف آقسنقر البرسقى نوايا الصليبيين ، وطلب النجدة من طفتكين صاحب دمشق فوصلته النجدة بعد ان نزل قنسرين قريبا من حلب وظل يواصل مسيره حتى نزل سرمين فامتدت جيوش المسلمين الى قرية الفوعة ولدة دانيث ، بينما نزل الصليبيون على حوض معرة مصرين فظل المسلمون ينتظرون قدوم الصليبيين حتى شهر رجب من السنة نفسها ، فلما لم يتم لقاء بين المسلمين والصليبيين رحل آقسنقر ومعه طفتكين الى حلب حيث مرض هناك طفتكين فجهز بكل وسائل الراحة وعاد الى دمشق بعد ان اوصى البرسقى بقتل الصليبيين . اما آقسنقر فانه لم يطل الاقامة بحلب

بل عاد بعدها الى الموصل فوصلها في أواخر سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م بعد أن استخلف ابنه عز الدين بن مسعود بحلب للمرة الثانية (١) .

ويبدو أن عودة آقسنقر البرسقي الى الموصل في تلك السنة كان بهدف الاستعداد لمعاودة قتال الصليبيين ، ولكن جماعة من الباطنية وثبوا عليه وهو يصلى الجمعة بالموصل فأردوه قتيلا في ذي القعدة سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م (٢) واستشهد آقسنقر البرسقي كانت نهاية جهاد آخر شخصية من الشخصيات التي استطاعت القيام ببعث حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين من منطقة الجزيرة وشمال الشام قبل قيام الاسرة الزنكية سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م .

وقد رأينا فيما سبق أن منطقة الجزيرة بطحائها الله تعالى به من الامكانيات البشرية والمادية قد حطت لواء بعث فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين وتهيأ لزعماء هذه المنطقة من القدرات والبطولة ما جعلهم ينقلون مياديين المعارك بينهم وبين الصليبيين الى بلاد الشام ، وقد اتخذت هذه الفكرة مظهرها العلني في عهد شرف الدولة مودود صاحب الموصل ثم من أعقبه من زعماء منطقة الجزيرة كنجم الدين ايلغازي وملك بن بهرام بن أرتق وآقسنقر البرسقي . على انه لا يمكن اغفال الدور الذي قامت به دمشق " قلب بلاد الشام النابض " في مواجهة الصليبيين بقيادة ظهير الدين طغتكين (٣) ،

- 
- (١) ابن القلانسي ، ص ٢١٣ - ٢١٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ - ٢٣٦ ، والفوعة : هي قرية من نواحي حلب ، ومعه مصرين بلدة صغيرة بنواحي حلب وكانت تعد من اعمالها وانظر ياقوت ، معجم البلدان .
- (٢) تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٢٠ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢١٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٣٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ ، ابن ميسر ، اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٧٠ ، المقرئ ، اتحفاظ الحنفاء ، ج ٣ ص ١١٧ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٤ ص ٦٣ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٠ .
- (٣) طغتكين هو الامير ابو منصور طغتكين ، كان من رجال تاج الدولة تتش زوجة بأم ابنه دقاق وكان مع تاج الدولة تتش لما ذهب الى الري لقتال =



( ٤٩٧ - ٥٢١ هـ / ١١٠٣ - ١١٢٧ م ) الذى لم يكف بعد يده المون لمزعجاء حركة بعث فكرة الجهاد الاسلامى فى الجزيرة وشمال الشام فحسب ، بل قام بمساعدة الفاطميين وغيرهم من حكام المسلمين فى بلاد الشام لوقف الزحف الصليبي على كثير من بلاد الشام . والى جانب الجهود التى قام بها لمساعدة امراء الجزيرة والشام كما سبق وشرحناه فى الصفحات السابقة فقد واجهه الصليبيون وجها لوجه للدفاع عن املاكه مستغلا فى ذلك قوته احيانا وضعف الصليبيين احيانا اخرى . ففى سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م استغل طغتكين هزيمة الصليبيين فى حران فى السنة الماضية واسترد بعض المواقع كبصرى وصرخدا من يد بعض خصومه الذين كانوا يستجدون دائما بالصليبيين (١) . وفى السنة التالية ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ م تقدم طغتكين الى حصن علعال بطبرية الذى كان الصليبيون قد شرعوا فى عمارته ليكون قاعدة انطلاق لهم فى حصار دمشق . وحاصر طغتكين هذا الحصن ووعد عساكره المحاصرين لهذا الحصن بان من أحضر له حجرا من حجارة هذا الحصن فله خمسة دنانير ، مما زاد فى حماسه المسلمين حتى هدموه عن آخره واسروا من فى داخله من الصليبيين فأمر بهم طغتكين وقتلوا عن آخرهم ، ثم عاد بمدحها طغتكين الى دمشق ، ومن ثم توجه الى حصن رمنية واستولى عليه (٢) .

---

== ابن أخيه بركياروق ورجع الى دمشق بعد قتل تاج الدولة ، وكان اتاهك دقاق مدة ولايته . وكان شهيدا مهيبا يؤثر عمارة بلاده شديدا على المفسدين والفرنج ، فامتدت ايامه الى ان توفى سنة ٥٢٢ هـ بدمشق انظر الصفدى ، تحفة نوى الالباب ورقة ١٣٦ أ ب .

- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٤٠٧ . وعن صرخدا انظر ما يلى ص  
 ( ٢ ) تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٤٩٩ هـ ، ابن القلانسى ص ١٤٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٤٠٧ ، سبط ابن الجوزى ، مراة الزمان ، ج ٨ ق ١ ص ١٦ ، ابن ابيك ، كنز الدرر ، ج ٦ ص ٤٦٥ ، وعلعال : جبل بالشام مشرف على البثنية بين الخور وجبال الشراة . انظر يا قوت ، معجم البلدان .

وفي السنة التالية ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م خرج ظهير الدين طفتكين بقوة عسكرية من عساكر دمشق الى طبرية واستولى على أحد حصون الصليبيين بها ، مستغلا في ذلك ما اصاب الصليبيين من هزيمة على تبين بقيادة عز الملك انوشكين الوالى الفاطمي بصر (١) . وشجعت هذه الانتصارات ظهير الدين طفتكين من أجل مضايقة الصليبيين . ففي سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م جهز فرقتين عسكريتين ارسل احدهما الى فلسطين والاخرى اثار بها على طبرية فخرج اليه صاحبها المسمى جرفاس الذي يقول عنه ابن القلانسي انه " من مقدى الفرنج المشهورين بالفروسية والشجاعة والبسالة وشدة المراس يجرى مجرى الملك بغداديين في التقدم على الفرنج " . فالتقى برجال طفتكين ووقع في أسرهم بعد قتل اكثر رجاله وحمل الى دمشق (٢) . وهاول ان يفتدى نفسه بمبلغ من المال فلم يقبل منه ، طفتكين بل قتله على حد قول ابن الاثير (٣) . ورغم ان طفتكين حارب الصليبيين وانتصر عليهم بعيدا عن دمشق الا ان الهزيمة قد حلت به عندما خرج في محاولة منه لتقوية حصن رمنية في سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م الذي كان الصليبيون قد شددوا عليه الحصار عقب انقطاع العدد عنه من طرابلس . ولما سمع الصليبيون المحاصرون لطرابلس بنزول طفتكين على الحصن المذكور تجهزوا بقوة عسكرية عندها وجد طفتكين وعساكره البالغ عددها اربعمئة فارس الا قبل لهم بمواجهة الصليبيين ، فانسحبوا الى حمص ، وتفرق اكثرهم بعد ان غنم

- 
- (١) ابن القلانسي ، ص ١٥١ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ص ٢٧ ، ويذكر ابن جبير في الرحلة ص ٢٧٤ ان حصن تبين هذا موضع قرب بانيسروكان موضع تمكيس قوافل المسلمين الذاهبة الى عكا على ساحل البحر .
- (٢) ابن القلانسي ، ص ١٥١ ، انظر تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥١١ هـ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٦٧ ، ويضيف ابن الاثير ان طفتكين عرض على جرفاس الاسلام ولم يجبه الى ذلك فقتله وارسل الى الخليفة والسلطان بقية الاسرى .

الصليبيون منهم غنيمة هائلة وهم " على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد " (١) .

أدرك ظهير الدين طغتكين تزايد الخطر الصليبي على بلاده وبلاد المسلمين في الشام ، وأنه لابد من عقد هدنة مع الصليبيين فتحدثت الرسائل بينه وبين بلدوين الأول ملك بيت المقدس في الصلح والمواعدة حتى استقر الأمر بينهما سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م على هدنة أمدها أربع سنوات (٢) . ويعلق ابن الأثير على هذه الهدنة فيقول : " ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين (٣) . ولكن الصليبيين لم يتقيدوا بهذه الهدنة ، فبعد سقوط طرابلس في أيديهم سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م ، تقدموا بجمعهم بقصد الاستيلاء على رمنية في نفس السنة ، إلا أن ظهير الدين طغتكين قد بلغه ذلك فخرج من دمشق على رأس قوة عسكرية قليلة العدد سار بها حتى وصل حمص . وعلى الرغم من أنه لم يشتبك معهم إلا أن خروجه على رأس قواته قد حال دون استيلائهم عليها . وتحدثت بينه وبينهم المراسلة حتى أفضت إلى المواعدة والمسالمة على أن يكون للصليبيين الثلث من غلات البقاع ، ويسلم إليهم حصن المنيطرة وحصن ابن عكار ، ويكفوا عن العبث والفساد في الأعمال الحورانية والأطراف الإسلامية وأن يكون حصن مصياف وحصن الطوفان وحصن الأكراد داخلًا في شروط المواعدة ويحمل أهلها عنها مالا معينًا في كل سنة إلى الصليبيين (٤) .

( ١ ) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٦٨ ، انظر ابن القلانسي ، ص ١٦٢ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ١٦٤ .

( ٣ ) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩ .

( ٤ ) ابن القلانسي ، ص ١٦٥ . وفيه تبليدة عند طرابلس من سواحل بلاد الشام وهي غير رمنية تدعى التي كانت تعد من أعمال حمص . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

وعلى الرغم من أن هذه الهدنة التي أبرمها طغتكين مع الصليبيين كانت مجحفة في حق المسلمين إلا أنها أوضحت سياسة طغتكين ومرونته مع الصليبيين ، فانه لو لم يعقد معهم هذه الهدنة لاستطاعوا اجتياح بلادهم وغيرها لانهم كانوا كلهم مجتمعين عقب استيلائهم على طرابلس ، ولذلك فقد جنب بلادهم من ضغط الصليبيين . ولا يمكن القول بان هذا تخاذل منه في جهاد الصليبيين . والدليل على ذلك انه في سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م عقد العزم على السير الى بغداد لتقديم الشكوى الى الخليفة العباسي المستظهر بالله والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه لما نزل به والمسلمين في الشام من الذل والهوان على يد الصليبيين مع استمرارهم " بالطمع في الامتداد الى تلك الاعمال الجزرية والعراقية " . بعد ان اوصى ابنه تاج الملوك يوري بن طغتكين بالاحسان الى الرعية ومفالطة الصليبيين في الثبات على الموادعة المستقرة بينه وبين الصليبيين ، الا ان ظروفه التي لم يشر اليها أي من المؤرخين قد حالت دون وصوله الى بغداد (١) .

وفي سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م انضم طغتكين الى قوات شرف الدولة مودود صاحب الموصل وحققا في السنة التالية نصرا مؤزرا على الصليبيين في طبرية (٢) . ولكن مقتل مودود بدمشق سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م قد أثار على طغتكين حقد السلطان محمد بن ملكشاه ، الامر الذي اضطر طغتكين

---

(١) ابن القلانسي ، ص ١٦٥-١٦٦ .  
وتاج الملوك يوري بن طغتكين : هو ابوسعيد المعروف بتاج الملوك ولد في سنة ٤٧٨ هـ وولي امرة دمشق بعد موت ابيه طغتكين في صفر سنة ٥٢٢ هـ وكانت سيرته غريبة اتصف بالحلم والسطح . قتل في سنة ٥٢٦ هـ . انظر ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج ٣ ص ٢٩٩ ، صلاح الدين المنجد ، ولاية دمشق في العصر السلجوقي ص ٢١ .  
(٢) انظر ما سبق ، ص

الى التحالف مع الصليبيين للوقوف في وجه القوات التي أرسلها السلطان محمد سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م بقيادة برسق بن برسق صاحب همدان بقصد النيل منه ومن نجم الدين ايلغازي . ويدور ان انضمام طغتكين الى الصليبيين لم يكن الهدف منه اضعاف جانب المسلمين بقدر ما كان الهدف منه الاحتماء بهم من جيوش السلطان ، حتى أن مؤرخ حلب ابن العديم قد بين لنا ذلك حينما تم اللقاء بين المسلمين والصليبيين في ارض شيزر سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م بقوله : " وجعل أتابك ( طغتكين ) يريث الفرنج عن اللقاء خوفاً من الفرنج ان يكسروا العساكر السلطانية فيأخذوا الشام جميعه او ينكسروا فتستولى العساكر السلطانية على ما في يده " (١) . وما يؤكد لنا ان انضمام طغتكين الى جانب الصليبيين لم يكن الهدف منه اضعاف جانب المسلمين ، ما قام به في نفس السنة ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م من استعادة رفنية من ايدي الصليبيين عنوة وقهراً (٢) . وما قام به في نفس السنة من شد الرحال والعزم على المسير الى بغداد لازالة ما علق يدهن الخليفة العباسي المستظهر بالله والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه نحوه . ولم يكتف بهذا بل تقرب من الامراء المسلمين فسي بلاد الشام والموصل وشمال الجزيرة ، رغبة منه في الوقوف الى جانبهم صفاً واحداً في وجه الظليبيين . (٣)

- 
- (١) ابن العديم ، زيد قال حلب ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٠٩ - ٥١١ ، ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٣٨ .  
 (٢) تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٠٩ هـ ، ابي القلانسي ، ص ١٩٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥١٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .  
 (٣) ابن القلانسي ، ص ١٩٣ .

استغل الصليبيون خروج ظهير الدين طفتكين من دمشق وانضمامه الى الفاطميين بعسقلان سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م وقام مدة شهرين هناك فاستولوا على بعض الحصون التابعة لدمشق وساروا الى أنذرات ونهبوها بالرغم من كون ابنه تاج الملوك بوري كان مقيماً بها . ولما بلغت هذه الاخبار طفتكين ارسل الى بوري بعدم منازلة الصليبيين خوفاً من استماتة الصليبيين في الدفاع عن انفسهم . الا أن ابنه لم يصغ الى مشورة والده ونازلهم فتحقق مخاوف والده وحلت الهزيمة على تاج الملوك بوري ووقع عدد من رجاله فأسر الصليبيون (١) . ودلاً من ان يقوم ظهير الدين طفتكين بالمسير الى الصليبيين والاخذ بثأره مما حل بابنه في أنذرات اتجه الى حلب تلبية لدعوة نجم الدين ايلغازي سنة ٥١٢ هـ / ١١١٨ م ولكن ظهير الدين طفتكين لم يستطع البقاء طويلاً الى جانب ايلغازي بسبب الفارات التي شنها الصليبيون على حوران والبلاد المحيطة بدمشق (٢) .

(٣)  
وعلى ما يدور فان هزيمة الصليبيين في ساحة الدم سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م وما ترتب عليها من رفع الحالة المعنوية للمسلمين قد دفع ظهير الدين طفتكين الى منازلة الصليبيين سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م والاستيلاء منهم على تدمر والشقيف اللتين ولى عليهما حفيده شهاب الدين محمود بن بوري (٤) .

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٤٣-٥٤٤، ابن خلدون، المعبر،

ج ٥، ص ١٥٤-١٥٥، وأنذرات بلد في اطراف الشام يجاوز أرض

البلقاء وعمان . انظر يا قوت، معجم البلدان .

(٢) ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٤٤ .

(٣) عن هزيمة الصليبيين في ساحة الدم انظر ما سبق، ص

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج ١٠، ص ٥٨٧، وتدمر : مدينة قديمة مشهورة

كان بينها وبين حلب مسيرة خمسة ايام على الاقدام . والشقيف : بلدة

تصرف بشقيف ارنون عبارة عن قلعة قرب بانياس من أرض دمشق . انظر

يا قوت، معجم البلدان .

وشهاب الدين محمود بوري : هو ابو القاسم بن ابي سعيد الطقب بشهاب

الدين ولى دمشق بعد قتل اخيه اسطعيل سنة ٥٢٩ هـ، وكانت امه المعروفة

بزمرد خاتون المدبرة لامرته حتى تزوجها عماد الدين زنكي فتولى تدبير

امره معين الدين انراحد مالك جده طفتكين . وظل في حكم دمشق

حتى قتل سنة ٥٣٣ هـ، انظر صلاح الدين الصفدي، ولاية دمشق فـ

العصر السلجوقي، ص ٢٢-٢٣ .

ولم يقف طفتكين عند هذا الحد بل استطاع في السنة التالية ٥١٥ هـ / ١١٢١ م انزال هزيمة بالصلبيين ، فقتل منهم وأسروا وأرسل من الاسرى والفنانيق للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، والخليفة العباسي المسترشد بالله على حد قول ابن الاثير (١) . ولا يستبعد ان طفتكين كان يهدف من وراء ارسال الاسرى والفنائم الى الخليفة والسلطان هو كسب رضاها وليحصل منهما على موافقة بتأييد المنشور الذي كان قد حصل عليه من السلطان محمد ابن ملكشاه والخليفة العباسي المستظهر بالله سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م "بولاية الشام حربا وخراجا ، واطلاق يده في ارتفاعه" (٢) .

وفي الحقيقة ان ظهير الدين طفتكين لم يستغل وقوع جوسلين صاحب الرها وتل باشر ، ولدوين الثاني ملك بيت المقدس في أسر بلك بن بهرام سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م للقيام بعمل عسكري للنيل من الصليبيين ، ولم يسع الى توثيق روابط الصلة بينه وبين بلك بن بهرام خليفة نجم الدين ايلغازي في حلب . ويبدو أن سبب ذلك هو انشغاله بتطورات الاوضاع في صور وما قام به الفاطميون من عزل لواليتها سيف الدولة وسمود الذي كان قد وليها من قبل ظهير الدين طفتكين (٣) .

وعلى الرغم من أن ظهير الدين طفتكين أصبح شبه محاصر بين الصليبيين بعد سقوط صور بأيديهم سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م الا انه كان متيقظا لاطماع الصليبيين في دمشق والبلاد التابعة لها . ففي سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م بلغه عزم ملك بيت المقدس بلدوين الثاني على السير الى حوران "للعيث فيها والفساد" فلما تحقق من ذلك الامر شرع في الاستعداد للقاءه "وكتب الى

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٩٤ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ١٩٣ .

(٣) انظر ما سبق ، ص

أمرأء التركمان واعيانهم باعلامهم بصورة الحال ويستجد بهم ويذل لهم  
الاحسان والانعام " فلبوا الدعوة وقد موا اليه واجتمع بهم في مرج الصفر اشهر  
المروج بدمشق ولما علم الصليبيون بذلك تقدموا الى طفتكين وقيموا بازائمه  
بمرج الصفر ، ودارت بين الطرفين معركة حاسمة في اليوم السابع والعشرين  
من ذي الحجة سنة ٥١٩ هـ ، فكان النصر من نصيب المسلمين ، ولكنهم لم  
يتمتعوا به ، فقد حاولت فرقة من عساكر التركمان اللحاق بالصليبيين الذين  
لأنوا بالفرار وتمكنت هذه الفرقة من مضايقة الصليبيين ، غير ان الصليبيين  
تجمعوا واعادوا الكرة على العسكر الاسلامي " وحملوا عليه حملتهم المعروفة  
فكسروهم وهزموهم . . واطلقوا السيف فيهم حتى أتوا عليهم وتتبعوا المنهزمين  
بالقتل " . في الوقت الذي عاد فيه ظهير الدين طفتكين الى دمشق (١) .

وعلى أية حال فان ظهير الدين طفتكين لم يحر طويلا فقد توفي في  
صفر سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م بعد أن بذل كل ما أمكنه بذله في صد  
الصليبيين عن دمشق وغيرها من بلاد الشام مع ما كان عليه من حسن السيرة  
واثارة العدل في الرعية ، بعد ان استخلف على دمشق ابنه تاج الملوك  
يوري (٢) .

ولاشك أن ظهير الدين طفتكين نجح في المحافظة على دمشق من  
السقوط بيد الصليبيين ، بالإضافة الى مساهمته مع قيومه من زعماء بعض

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢١٢ - ٢١٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٣٩ ،  
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩٦ ، وعن حوران انظر  
طيلين ص ١٠٠ حاشية رقم ١٠٠

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢١٨ - ٢٢٠ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ،  
ج ٨ ، ص ١٢٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .



فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين على تكوين جبهة اسلامية متحدة  
تتكون من الموصل وحلب ودمشق ، وذلك بما أبداه من تعاون صادق مع  
أولئك الرجال للوقوف صفا واحدا في وجه الصليبيين مما ساعد على بلورة  
فكرة الجهاد الاسلامي وتوحيد الجبهة الاسلامية في أذهان بعض قادة  
المسلمين وعلى رأسهم عماد الدين زنكي ، وهو موضوع الفصل الثالث .

—•—

# الفصل الثالث

الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عصر  
عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١ هـ / ١١٢٧-١١٤٦ م)

- عماد الدين زنكي حتى ولايته الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م.
- عماد الدين زنكي وبعث فكرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.
- عماد الدين زنكي والصليبيون حتى قبل سقوط الرها  
(٥٢١-٥٣٨ هـ / ١١٢٧-١١٤٣ م)
- استيلاء عماد الدين زنكي على إمارة الرها الصليبية  
(٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م)

## (( الفصل الثالث ))

### الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر عماد الدين زنكي

( ٥٢١ - ٥٤١ هـ / ١١٢٧ - ١١٤٦ م )

- عماد الدين زنكي حتى ولايته الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م .
- عماد الدين زنكي ومعت فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين .
- عماد الدين زنكي والصليبيون حتى قبيل سقوط الرها —————  
( ٥٢١ - ٥٣٨ هـ / ١١٢٧ - ١١٤٣ م ) .
- استيلاء عماد الدين على امارة الرها الصليبية سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م .

### الفصل الثالث

الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر عماد الدين زنكي

( ٥٢١ - ٥٤١ هـ / ١٢٢٧ - ١١٤٦ م )

عماد الدين زنكي حتى ولايته الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م :

كان على عماد الدين زنكي أن يحمل راية الجهاد الاسلامي وأن يسير على خطى من سبقه من أبطال الجزيرة مثل جكرش ، وسقمان بن أرتق ، ومود ود وايلغازي بن أرتق ، وأقسنقر البرسقي وغيرهم . وعماد الدين زنكي هو ابن أقسنقر البرسقي بن عبد الله ، المعروف والده بالحاجب (١) ، وكان أقسنقر الحاجب من مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان ، تربى معه في صفه ، وظل مصاحباً له حتى كبر . فلما تولى ملكشاه السلطنة السلجوقية سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م رعى لأقسنقر ذلك فجعله من أمراءه ولقبه بقسيم الدولة " يوم كانت الالقاب لا تعطى الا لمستحقها " كما يقول ابن الاثير (٢) .

( ١ ) الحاجب : لم تكن تعنى هذه الكلمة التي تلقب بها أقسنقر والسيد عماد الدين ، ذلك الرجل الذي كان يقف على أبواب الخلفاء والملوك لتنظيم دخول الناس اليه ، بل انها تعنى الرجل الذي أصبح في مرتبة الوزير واليه تناط مهمة الانصاف بين الامراء والجند زمن السلاجقة انظر القلقشندي ، صبح الاعشى ج ٤ ص ١٨ ، د . حسن الباشا الالقاب الاسلامية ، ج ١ ص

( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٤ ، انظر ابن خلكان ، وفیات الاعيان ج ١ ، ص ٢٤١ ، ج ٢ ص ٣٤٧ .

وأصبح آقسنقر ثقة عند ملكشاه اعتمد عليه في كثير من الأمور ، فوله حلب سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م فظهرت هيئته وكفايته في جميع البلاد التي كانت تابعة لحلب كحماة ومنبج اللاذقية ، فبسط العدل بين أهلها وتباعدت المفسدين فأبادهم ، وقصد أهل الشرفاء بعدهم (١) . ولما توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م شارك آقسنقر الحاجب في الحوادث والفتن التي وقعت بين سلاجقة الشام بزعامه تتش وسلاجقة فارس بزعامته بركياروق ، لرغبة كل منهما في الفوز بعرش السلطنة السلجوقية ، وكان لآقسنقر الحاجب دور بارز في تلك الحوادث ، انتهت بمقتله سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م في المعركة التي نشبت بينه وبين تتش عند نهر سبعمين على مسافة ستة فراسخ شرق حلب (٢) .

لم يخلف آقسنقر الحاجب من الأولاد غير عماد الدين زنكي ، الذي كان في العاشرة من عمره حين قتل والده ، فلما تولى أمر الموصل سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م قوام الدولة كربوقا (٣) ، طلب من بعض مالكي آقسنقر الحاجب

(١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٨ ، ابن القلانسي ص ١١٩ ، ابن الحديد ، زبد حلب ج ٢ ، ص ١٠٤ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ج ٩ ، ص ٣٠٩ - وقسيم الدولة آقسنقر الحاجب والد عماد الدين زنكي هو غير آقسنقر صاحب الموصل والمتوفى سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ولم تكن لعماد الدين به اية صلة قرابة ، ولم يتول عماد الدين زنكي الموصل بعد وفاة والده مباشرة كما ذكر ذلك أبوالمحاسن وابن العبري ، انظر أبوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٧٩ ، ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣ . انظر ما سبق ص

(٢) كان قوام الدولة كربوقا احد قادة السلاجقة انضم الى جانب آقسنقر في نزاعه مع تتش ، فوقع في أسر تتش بعد قتل آقسنقر ، ولما لم يكن له بلد معين فقد أطلق سراحه رضوان بن تتش من سجن حمص عقب مقتل والده تتش سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م . انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٢٥٨ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٨ .

المقيمين في حلب ، احضار عماد الدين زنكي وقال لهم : " هو ابن أخى وأنا أولى الناس بترتيته فأحضروه عنده " (١) . وعلى ما يبدو فإن كربوقا أدرك مكانة آقسنقر والد عماد الدين في نفوس كثير من التركمان وعرف ما يكون له من السؤلا والطاعة ، فأحب أن يضم اليه ابنه ليحصل على السؤلا نفسه الذى كان يكتسبه التركمان لوالده . يضاف الى ذلك أن كربوقا أثناء ملازمته لآقسنقر قد أدرك نجابة عماد الدين ومكانته بين عماليك والده ، فأراد ان يضمه الى جانبته ، للاستعانة به وبعماليك والده في حربه ضد خصومه ، وليضمن عدم منافسته له مستقبلا ، هذا فضلا عن خوف كربوقا من قيام رغبوان بن تتش صاحب حلب باستمالة عماد الدين اليه ، فتقوى شوكته ضد خصومه التابعين لعمه بركياروق الذين كان منهم كربوقا ، وما يوضح ذلك استعانة كربوقا بعماليك آقسنقر في حربه ضد خصومه الاراتقة بديار بكر ، وكان عماد الدين قد حضر معه احدى المعارك التى خاضها كربوقا ضد الاراتقة ، وكانت هذه اولى المعارك التى حضرها عماد الدين زنكي . ويدل وصف ابن الاثير لهذه المعركة وما به من بالغة على ما كان يكتسبه ابن الاثير لهذه الاسرة الزنكية من تقدير وولاء (٢) .

حظى عماد الدين زنكي وعماليك والده بمكانة مرموقة عند قوام الدولة كربوقا ، وظل عماد الدين ملازما لكربوقا حتى وفاته بالموصل سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠١ م . وعلى الرغم من ملازمة عماد الدين لكربوقا فترة زمنية طويلة ، فان المصادر المتداولة لم تذكر انه شارك مع كربوقا في حملته العسكرية التي قام بها ضد الصليبيين سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م في محاولة انتفاذ انطاكية من

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥-١٦ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٨ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ص ٦٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٦ .

( ٣ ) عن حملة كربوقا ضد الصليبيين ووفاته انظر ما سبق ص

السقوط بيد الصليبيين . ولما توفي كربوقا تولى أمر الموصل بعده جكرش ،  
فقرّب عماد الدين زنكى واتخذّه ولدا له لمعرفته بمكانة والده ، فبقى ملازما  
لجكرش حتى وفاته سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م (١) .

لم يفارق عماد الدين زنكى الموصل ، عقب مقتل جكرش ، بل ظلّ بها  
وانضم الى صفوف جاولى سقاوة بقصد جهاد الصليبيين . ولكن عماد الدين  
زنكى حين شعر بتغيير جاولى تجاه السلطان محمد بن ملكشاه فارقه ، ومعه  
كثير من الامراء الاتراك ، بعد أن اشترك مع جاولى فى احدى المعارك ضد  
الصليبيين سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م (٢) . واضاف ابن الاثير ان سبب مفارقة  
عماد الدين زنكى لجاولى هو انضمام جاولى الى الصليبيين بزعامة تانكرد ضد  
المسلمين فى حلب سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م (٣) .

وفى تلك السنة ( ٥٠٢ هـ ) استولى شرف الدولة مودود من قبيل  
السلطان محمد بن ملكشاه على الموصل ، واتصل به عماد الدين زنكى ، فقدّره  
مودود انفصاله عن جاولى ، وعرف مودود قدر عماد الدين من مواقفه ضد  
الصليبيين ، بالاضافة الى ما كان لوالده من منزلة كبيرة عرفها جميع الامراء

- ( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ١٦ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ج ١ ص ٢٨  
ولم ينس عماد الدين زنكى هذه العناية من جكرش فبعد ولايته على الموصل  
سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م احسن الى ولد جكرش ناصر الدين كورى ،  
ان اكرمه وقدّمه واقطعه كثيرا من الاقطاعات ولم يكف بهذا بل اتخذّه  
صهرا . انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٤٢٤ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ١٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٤ .  
وجاولى سقاوة احد قادة الاتراك السلاجقة كانت له السيطرة على البلاد  
الواقعة بين خوزستان وبلاد فارس عمر بها الكثير من القلاع والحصون  
فاراد السلطان محمد بن ملكشاه ان يستغل مواهبه فى القضاء على  
خصومه فطلب حضوره باصبيان ولما حضر أمره بالمسير الى الصليبيين  
لحربهم بالجزيرة والشام " واقطعه الموصل ودار بكر والجزيرة كلها " فصار  
حتى بلغ قريبا من الموصل فلقبه جكرش ودارت بينهما معركة انتهت  
بأسر جكرش وقتله سنة ٥٠٠ هـ واصبحت لجاولى السيطرة على الموصل  
والبلاد التابعة لها حتى سنة ٥٠٢ هـ حين تولى مودود امر الموصل . انظر  
ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٤٢٢ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٢ ص ٢٢١ .
- ( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

الاتراك ، فزاد مودود في اقطاعه وشهد عماد الدين معه حروبه ضد الصليبيين . وعلى سبيل المثال ، كان لعماد الدين زنكى اليد الطولى فى الواقعة التى جرت بين المسلمين والصليبيين فى مصر سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م التى ذكر ابن الاثير انه لم يظهر فى عسكر مودود احد ظهور زنكى (١). كما شهد عماد الدين زنكى مع مودود المعركة التى دارت بين المسلمين والصليبيين فى طبرية سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م (٢) .

لم ينقطع عماد الدين زنكى عن جهاد الصليبيين ، بل ظل ملازما لحكام الموصل الذين اخذوا على عواتقهم عبء الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، فبعد ان عين السلطان محمد بن ملكشاه آقسنقر البرسقى على الموصل سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م وأوكل اليه مهمة جهاد الصليبيين عقب استشهاد مودود بدمشق انضم عماد الدين زنكى الى صفوفه وكان يعرف باسم زنكى الشامى . فظهر منه فى جهاد الصليبيين ما لا يوصف على حد قول ابن الاثير (٣) . ورغبة من عماد الدين زنكى فى مواصلة الجهاد ضد الصليبيين فانه لم يذهب مع آقسنقر البرسقى الى بغداد سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م بل ظل فى الموصل مع الملك مسعود بن محمد بن ملكشاه وجيوش بك حتى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٨ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٩ ،

( ٢ ) انظر ما سبق ص

( ٣ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٩ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٢٩ ،

وعن اللقب الذى لقب به عماد الدين زنكى وهو زنكى الشامى الذى عرف به زمن البرسقى انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٩ ، حاشية رقم ١٠ .



حين عاد اليها أقسنقر البرسقى واخذها من الطك مسعود وجيوش بك بأمر من السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه (١) .

وكان أقسنقر البرسقى حين عاد الى الموصل قد حمل معه أمرا من السلطان محمود بن محمد أمرا بحفظ عماد الدين زنكى ، والوقوف عند اشارته ففعل بسبب ما ذكره ابن الاثير من أن عماد الدين زنكى كان قد أشار على الملك مسعود بن محمد وجيوش بك ، بعدم الخروج عن طاعة السلطان محمود سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م (٢) . ولم يقف أقسنقر البرسقى عند حد تنفيذ أمر السلطان محمود له بالوقوف عند حد اشارة زنكى ، بل انه زاد على ذلك لمكانة عماد الدين عنده لما له من العقل والشجاعة .

أما عن علاقة عماد الدين زنكى بالسلاجقة والخلافة العباسية قبل ولايته الموصل سنة ٥٢١ هـ ، فقد كان عماد الدين زنكى من الامراء التابعيين لأقسنقر البرسقى الذى طلب منه سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م العودة الى العراق لتولى شحنكيته مرة اخرى والوقوف فى وجه دبيس بن صدقة ، ففعل أقسنقر ذلك ، واستصحب معه عماد الدين زنكى . ولما كان أمر دبيس بن صدقه قد استفحل تلك السنة فقد اقطع أقسنقر البرسقى عماد الدين زنكى مدينة واسط لا يناس اهلها من دبيس بن صدقة ، و اضاف اليه شحنكية البصرة وأمره بحمايتها فظهر من كفايته فى البلدين ما لم يظنه أحد فازداد شأنه (٣) .

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٥٠١ - ٥٠٢ ، ٥٣٣ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٠ .

كانت عودة أقسنقر الى بغداد بطلب من السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، لتولى منصب شحنكية بغداد بدلا من مجاهد الدين بهروز الذى كان متوليها زمن السلطان محمد بن ملكشاه . انظر ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٢ - ٢٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٩ .

( ٣ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٤ - ٢٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٠ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٢ ص ٢٣٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٩٠ .

وهكذا أصبح عماد الدين زنكى بحكم توليه أمر واسط والبصرة تابعاً لآقسنقر ، ما حتم عليه الاشتراك فى حروب السلطنة السلجوقية ، لكونه أحد قادة الدولة السلجوقية ويرتبط بشحناتهم آقسنقر فى بغداد ويلتزم بأوامره (١) . وبحكم سيطرة السلاجقة على الخلافة العباسية فى هذه الفترة فقد وقفوا الى جانب الخليفة العباسى المسترشد بالله ضد أمراء الحلة العرب لا من أجل نصرة الخلافة وانما من أجل اضعاف الطرفين . وكان لعماد الدين زنكى أثره الكبير فى ترجيح كفة الخليفة العباسى ضد ديبين بن صدقة سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م (٢) .

وفى سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م توترت العلاقات بين الخليفة العباسى المسترشد وآقسنقر البرسقى شحنة بغداد فطلب الخليفة من السلطان محمود بن محمد ابعاده عن بغداد ، فأجابه السلطان الى ذلك ، وأرسل الى البرسقى يأمره بالعودة الى الموصل والاشتغال بجهاد الصليبيين . وكان عماد الدين زنكى حينئذ بالبصرة فأرسل اليه البرسقى يعلمه الحال ويستدعيه للمسير معه الى الموصل . ولكن عماد الدين زنكى رأى انه لا طاقة له بالبقاء تحت تصرف آقسنقر البرسقى وأمره ، فرفض طلبه وانضم الى السلطان محمود بن محمد وأقام عنده باصبهان ، فرحب به وأكرمه وزوجه من أرملة أحد أمراء والده السلطان محمد بن ملكشاه ، وزاد على ذلك أن جعله أتابكا لأخيه الطك طغرل بن محمد (٣) .

- 
- (١) عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ، ص ٣٩-٤٠ .  
 (٢) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٥-٢٦ ، ابن القلانسى ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .  
 (٣) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٢٧-٢٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٦٢٢-٦٢٣ ، . وatabek لقب يتكون من لفظين : أتابا - بمعنى أب ، وباك بمعنى أمير . ولما كانت نظرية السلاجقة فى الحكم ترتكز على ان يتولى أفراد من الاسرة السلجوقية حكم الاقاليم ، فقد ارتبط بكل فرد من هؤلاء الأمراء السلاجقة قائد تركى يحمل لقب أتابك - أى الامير الوالد - =

وعندما ازدادت غارات ديبس بن صدقة وأعوانه على البصرة سنسنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م أقطعها السلطان محمود بن محمد لعماد الدين زنكى وأمره بالمسير اليها ، كما أمره بمراعاة أحوال واسط ، ومراقبة تحركات الخليفة المسترشد بالله ، الذى كان قد أشيع عنه فى بلاط السلطان محمود انه قد باشر الحروب وجند الجيوش فقام عماد الدين زنكى بالمهمة خير قيام " فعظم ذلك عند السلطان وزاد محله عنده " (١) .

وهكذا كان انفصال عماد الدين زنكى عن أقسنقر البرسقى ، وعدم الملاقى به فى الموصل بعد طرده عن شحنة بغداد وانضمامه الى السلطان محمود بن محمد نقطة تحول فى تاريخ عماد الدين ، أدت الى ارتباطه بالسلطنة السلجوقية والخلافة العباسية مما سيكون له أكبر الاثر على شخصية عماد الدين .

وفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٢٥ م توترت العلاقات بين السلطان محمود ابن محمد والخليفة العباسى المسترشد بالله ، حصل على أثر ذلك قدوم السلطان الى بغداد ، بعد أن طلب من عماد الدين زنكى القدوم بالمساكر

---

= الذى يعتبر مسئولا عن تربية ابن الامير وتلقينه اصول الادارة والحكم وقد درج زعماء السلاجقة على تزويج الاتاك من احدى مطلقاتهم ، او قيام الاتاك بالزواج من والدة الامير الصغير عقب وفاة والده .  
انظر القلقشندى ، صبح الاعشى ج ٤ ص ١٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٦٥ ، حسن الباشا ، اللقب الاسلامية ، ص ٢٢٢-١٢٣ ، اليازالعربى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٢٠-٢١ ، على محمد القامدى ، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي ، رسالة ما جستير لم تطبع ، ص ٢٨٩-٢٩٠ .

(١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٨ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٠ .

الى بغداد لحرب الخليفة ، مما رجح كفة السلطان على الخليفة ، ولكن  
الامرا انتهى الى عقد الصلح بين الطرفين في السنة نفسها . ولما أراد السلطان  
محمود الرحيل عن بغداد في السنة التالية ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م نظر فيمن  
يصلح أن يلي شحنة بغداد والعراق ، لتوطيد الامن بها والوقوف  
في وجه الخليفة المسترشد بالله ، فلم يرفق أمراءه وأصحابه من يصلح لسد  
هذا الباب العظيم غير عماد الدين زنكي " فوله شحنة العراق مضافاً  
الى ما بيده من الاقطاع وسار السلطان عن بغداد ، وقد اطمأن قلبه من  
جهة العراق حيث اسنده الى الكافي القيم بأمره " (١) ، وعلى الرغم من  
أن السلطان محمود بن محمد قد أراد من وراء تولية عماد الدين زنكي  
شحنة بغداد الوقوف في وجه الخليفة العباسي المسترشد بالله ، فسان  
عماد الدين زنكي ، قد سعى على ما يبدو الى توطيد علاقاته بالخليفة  
العباسي المسترشد بالله ، بدليل ما سعى اليه الخليفة العباسي من تحية  
دبيس بن صدقة عن الموصل ومساعدته لعماد الدين زنكي في الوصول الى  
ولايتها سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م (٢) . ولا شك أن علاقة عماد الدين زنكي  
بالسلاجقة والخلافة العباسية في عهد المسترشد بالله ، قد حددت  
مستقبله السياسي ، فبينما كان عماد الدين زنكي أحد الأمراء التابعيين  
لاقنقر البرسقي ، فانه رأى بثاقب بصره وخبرته أنه لن يكسب من وراء ذلك

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٣١ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٤١ ، سبط بن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٢-٦ ، ابن  
قاضي شهاب الكواكب الدرية في السيرة النورية ، ص ٩٢ ، ابوالفدا ،  
المختصر ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣١ ،  
ابن العبري ، مختصر الدول ص ٢٠٣ .

( ٢ ) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

سوى تحمل تبعاته ، ولذلك فان عماد الدين قد اختار الطريق المناسب حين التحق بخدمة السلطان محمود بن محمد بأصبهان وارتبط به الارتباط الكامل ، الامر الذى كشف للسلطان محمود بن محمد عن قوة شخصية عماد الدين ، خصوصا حين وقف بصلابة فى وجه طموحات الخليفة العباسى المسترشد بالله الذى كان سائرا فى سبيل النهوض بأمر الخلافة العباسية .

أما عن ولاية عماد الدين زنكى للموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، فالحقيقة أن الظروف السياسية فى العراق والموصل قد سارت فى صالحه ، وأصبح المنصب الجديد فى الموصل مهياً له حتما ، ذلك انه قد حسن علاقاته بالخليفة المسترشد مدة توليه أمر شحنة بغداد ، ثم ان عماد الدين زنكى قد حظى بصداقة رجل قوى من سكان بغداد ، هو أبوسعيد نصير الدين جفر بن يعقوب الهمدانى " الذى كان اعظم اصحاب اتابك زنكى منزلة " . بالاضافة الى ما تجمع عند السلطان محمود بن محمد من أسباب الاقتناع باختيار عماد الدين زنكى . ويضاف الى ذلك ان أحول الموصل سارت من سيئ الى أسوأ بعد وفاة عز الدين بن مسعود بن آقسنقر سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، ان برز أحد المماليك الاتراك ويدعى جاولى سقاوه الذى سبق أن انتزع الموصل من جكرمش سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م وأخذ على عاتقه الوصاية على الابن الاصغر لاقسنقر الذى لم تشر المصادر التاريخية المتداولة الى ذكر اسمه ، وحاول جاولى ان يحصل من السلطان محمود بن محمد على موافقة منه بتولية هذا الطفل شئون الموصل ، لكن الامر سارت على غير ما كان يصبوا اليه ، فقد أرسل جاولى فى سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م صلاح الدين محمد الياغيسيانى ، وسهاء الدين الشهرزورى الى بغداد لأخذ الموافقة من السلطان محمود ، وكان الرسولان يخافان من جاولى " ولا يرضيان بطاعته والتصرف بحكمه " فلما حضرا الى بغداد ليخاطبا السلطان فى ذلك

الامر قابلهما نصير الدين صقر المقدم ذكره وبينه وبين صلاح الدين  
 الياغيسيانى ماهرة ومودة ، فذكر له صلاح الدين سبب قدومه الى بغداد  
 " فخوفه نصير الدين جقر من جاولى وتحكمه على صاحبه " ونصحه بان يطلب  
 الامر من السلطان باسم عماد الدين زنكى شحنة العراق . وعلى الرغم من  
 اقتناع صلاح الدين بالامر ، الا أنه طلب من جقر مقابلة الشهرزورى ، وقناعه  
 بذلك ، فتقابل معه ووعده نصير الدين ومناه وضمن له عن عماد الدين من  
 الاملاك والاقطاع ما جاوز أمله ، فأجاب الشهرزورى كما أجاب الياغيسيانى (١).  
 وبالإضافة الى ذلك فان الخليفة العباسى المسترشد بالله ، كان له دور  
 بارز فى تغيير وجهة نظر الرسولين اللذين كان جاولى قد أرسلهما الى  
 بغداد ، حيث استدعاهما الخليفة وطلب منهما ان يطلبوا من السلطان  
 محمود تعيين عماد الدين زنكى بدلا من الطفل الذى قدما من أجله (٢) .

والواقع أن رسل الموصل اقتنعا بما تلقياه من نصائح جقر والخليفة  
 المسترشد بالله ، فقد ما على الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد وزير  
 السلطان محمود بن محمد ببغداد وشرحا له الموقف فى الموصل وما يعانى به  
 أهل الشام والجزيرة من أخطار الصليبيين عقب مقتل آقسنقر البرسقى سنة  
 ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م وابنه مسعود فى السنة التالية وقال له ان البلاد أصبحت  
 خالية " من شهم شجاع يذب عنها ويحمى حوزتها ، وقد انهينا الحال اليك  
 لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين ، فنحصل نحن بالاثم من الله

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٤-٣٥ ، انظر الكامل ، ج ١٠ ،  
 ص ٦٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٢ ، ابوالفداء ،  
 المختصر ج ٢ ص ٢٣٨ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ،  
 ص ٣٦٤ .

( ٢ ) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

واللوم من السلطان " . فأنهى الوزير ذلك الامر الى السلطان محمود بهمذان فاستحسنه وشكرهما عليه وأحضرهما ، واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة ، منهم عماد الدين زنكى . ولم يكتف الرسولان بهذه المشورة ، بل انهما تقربا الى الوزير ووعداه بأموال جليلثة وللسلطان ، اذا وافق على تولية زنكى أمر الموصل ، فأجاب السلطان الى تولية عماد الدين أمر الموصل ، لما يعلمه من كفايته لما يليه ، فأحضره بهمذان وولاه البلاد كلها ، وكتب منشورا بها ، وضم اليه ولديه ألب أرسلان وفرخنشاه المعروف بالخفاجى ، ليشرف على تربيتهما ، فلهذا قيل له أتابك (١) .

بعد أن حصل عماد الدين زنكى على المنشور الخاص بولاية الموصل والبلاد التابعة لها سار فى شهر رمضان من السنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، متوجها الى الموصل ، وقد شملت ولايته الموصل وديار الجزيرة ونصيبين وما كان بيد آقسنقر البرسقى (٢) ، وما تجدر الاشارة اليه أن ولاية عماد الدين زنكى لم تكن وليدة مشاورات حصلت فى بغداد فى عدة أيام بين عدد من الاصدقاء فى تلك السنة ، ولكن الامر أبعد من ذلك بكثير ، فاشترك عماد الدين زنكى مع قادة الموصل منذ سنة ٤٨٩ هـ فى حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى الشام والجزيرة ، ثم اشتركه مع آقسنقر البرسقى شحنة بغداد والسلطان محمود والخليفة المسترشد فى القضاء على حركة ديبين بن صدقة سنة ٥١٧ هـ ، واخيرا لما قام به من

---

( ١ ) ابن الاثير ، الباهر ص ٣٥ ، انظر ابن الاثير الكامل ج ١٠ ص ٦٤٣ - ٦٤٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٣ ، الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ص ١٤٠-١٤٢ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١ ص ٥ ، المعشايى ، تاريخ المعشايى ، حوادث سنة ٥٢١ هـ وحوادث سنة ٥٢٥ هـ .  
 ( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣١-٣٣ .

ضبط الامور في بغداد وواسط والبصرة في السنوات من ٥١٨ هـ الى ٥٢٠ هـ ، كل هذه الاسباب كانت سببا في اختياره لولاية الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، في الوقت الذي كان فيه أمر المسلمون في بلاد الشام والجزيرة في حالة من الضعف والهوان . وقد صور لنا ابن الاثير مدى اتساع سلطان الصليبيين وضعف المسلمين بقوله \* وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر ، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حمص وحماة ودمشق ( وشيزر ) وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم يبقوا على موحد ولا جاهد ، ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ، ورأس العين ، فاستأصلوا ما اهلها من أثاث وعبيد ، وأما الرقة وحران ، فقد كان أهلها معهم في ذل وصفار . . . واستضعاف واقتسار . . . وانقطعت الطرق الى دمشق الا على الرحبة والبر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب الغارة تعباً ومشقة ونصباً " (١) .

ولم يكف الصليبيون بما فرضوه على المسلمين من مفارم ، وما قاموا به من قطع الطريق بين بلاد المسلمين ، بل انهم فرضوا على كل البلاد التي كانت تجاورهم اتاة وخراجاً " يأخذونها منهم ليكفوا ايديهم عنهم " ولم يقتنعوا بذلك بل انهم ارسلوا رسلهم الى دمشق والمدن الاسلامية الاخرى ، واستعرضوا الرقيق الذين كان المسلمون قد استولوا عليهم من الروم البيزنطيين والارمن " وخيروهم بين المقام عند اربابهم ( من المسلمين ) او العودة الى اوطانهم والرجوع الى أهليهم واخوانهم " وهذا اخر ما بلغ اليه المسلمون من الضعف

---

(١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٢-٣٣ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٦٤٣ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣٢ .  
- رأس العين : مدينة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١٧ .



على حد قول ابن الاثير " وناهيك بهذه الحالة ذلة للمسلمين وصفارا  
وللكافرين قدرة واقتسارا " (١) . وهذه صورة معبرة عما كان المسلمون  
فيه من الضعف والهبوان في بلاد الشام والجزيرة وما عليه الصليبيون من القوة  
والاقتدار قبل قيام عماد الدين زنكى بأمر الجهاد .

### - عماد الدين زنكى ومبعث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين :

ما ان تلقى عماد الدين زنكى الامر بتولى أمر الموصل وما كان بييد  
آقسنقر البرسقى من البلاد حتى سار الى الموصل في شهر رمضان سنة  
٥٢١ هـ / ١١٢٧ م . وفى طريقه استولى على البوازيج (٢) وكان قصده  
من الاستيلاء عليها قبل وصوله الى الموصل الاحتماء بها فيما لو تصدى  
له جاولى ومنعه من دخول الموصل . الا أن جاولى حين بلغه قدوم  
عماد الدين زنكى ، تلقاه بالحفاوة والاكرام ، ودخل فى طاعته فأقطعته  
زنكى الرحبة وسيره اليها (٣) . ويبدو أن اذعان جاولى ودخوله فى طاعة  
زنكى انما هو لعلمه بعدم قدرته على مقاومة عماد الدين زنكى ، بالاضافة  
الى أنه من غير المستبعد أن تكون المفاوضات التى دارت فى بغداد قد وصلت  
ففضل عدم المجابهة لمن ارتضاه الخليفة العباسى والسلطان السلجوقى .

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٣ .

( ٢ ) البوازيج : بلد على نهر الزاب قرب تكريت من اعمال الموصل بخلاف بوازيج  
الانبار ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٣ ) ابن الاثير ، الباهر ص ٣٤-٣٥ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٤٥ ،

ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١٠ ص ٣٣ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢

ص ٢٣٩ .

أقام عماد الدين زنكى بالموصل لاصلاح أمورها وتقدير قواعدها ، فكان أول عمل قام به اكرام الثلاثة نفر الذين سعيوا فى بغداد لتوليته الموصل ، فولى نصير الدين جقر ولاية القلاع فى كل بلد يستولى عليه بعد الموصل ، وجعل صلاح الدين الياغيسيانى امير حاجب ، وهما الدين ابا الحسن الشهرزورى قاضى قضاة بلاده جميعها " وفى لهم بطوعدهم " (١) .

ولما وطد عماد الدين زنكى أموره بالموصل ، بدأ يفكر فى من حوله من الامراء المسلمين الذين يسيطرون على عدد من المدن والقلاع ، وهم متناحرون فيما بينهم . ورأى أن هؤلاء الامراء سيقفون حجر عثرة فى سبيله فيما لو أراد مواجهة الصليبيين ، خاصة وأنه الرجل الذى عاصر قادة بعث فكرة الجهاد الاسلامى فى الموصل منذ سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ م ، وعرف عماد الدين أن هؤلاء الامراء لابد من ضمهم تحت لوائه ، فبذلك يكون قد حقق ما عجز عن تحقيقه كربوقا ومودود ، وأقسنقر البرسقى من توحيد للجهمة الاسلامية .

من هنا بدأ عماد الدين زنكى بجزيرة ابن عمر ، التى كانت تحت حكم أحد ممالك أقسنقر البرسقى ، فاستولى عليها سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، ثم اتجه الى نصيبين فى نفس السنة وكانت بيد حسام الدين تمرشاش بن ايلغازى صاحب ماردين . وقد حاول تمرشاش الدفاع عنها ولكنه عجز ، فذهب الى

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٥٥ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٤ .

ونصيبين مدينة على شاطئ الفرات كان بينها وبين آمد اربعة ايام أو ثلاثة ومثلها بينها وبين حران . وهى مئة لكثرة بساطتينها . انظر ياقوت ، معجم البلدان . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١٥ .

حصن كيفا بقصد الاستنجاد بابن عمه ركن الدولة داود بن سقطان بن أرتق .  
غير أن أهل نصيبين سلموها الى عماد الدين زنكى ، حين تأخرت عنهم  
النجدة التى ذهب حسام الدين تمرتاش فى طلبها . ومن نصيبين سار  
زنكى الى سنجار فامتنع من بها عن التسليم ، ولكن أهلها صالحوا عماد  
الدين وسلموا اليه البلد ، ثم واصل مسيره الى الخابور ومها عدد من القرى  
الواقعة على نهر الخابور (١) ، واستطاع أن يفرض عليها سلطانه . ومن  
الخابور سار زنكى الى حران التى كانت فى ضيق شديد من حصار الصليبيين  
لها لقربها من الرها وسروج اللتين كانتا بيد الصليبيين . وكان أهل حران  
قد أرسلوا الى عماد الدين يستحثونه على الوصول اليهم ، فسار اليهم  
مجداً حتى نزل بأرضهم فاستبشروا بقدومه وخرجوا الى لقائه للترحيب به (٢) .

وبعد أن ملك عماد الدين زنكى بعض البلاد الجزرية التى كانت بيد  
الأرارقة وبعض الممالك الذين كانوا تابعين لاقسقر البرسقى صاحب  
الموصل ، عاد فى سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م الى الموصل بقصد عبور الفرات ،  
والاستيلاء على حلب ، وذلك للقضاء على الفوضى السياسية التى كانت بها ،  
وباعتبارها أهم مركز فى شمال الشام يمكن اتخاذ نقطة انطلاق لمواجهة  
الصليبيين . يضاف الى ذلك أن حلب كانت فى يوم من الأيام تحت حكم  
والده آقسنقر الحاجب ، ومها قبره ، فلا غرو اذا كان الاستيلاء على حلب  
من أهم الاشياء عنده حسب قول ابن الاثير (٣) .

( ١ ) الخابور : اسم لنهر كبير بين راسعين والفرات من ارض الجزيرة ومها بلدان  
جمعة غلب عليها اسمه فنسبت اليه . انظر معجم البلدان .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٦٤٥-٦٤٧ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٦-  
٣٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٤-٣٦ ، ابوالفدا ، المختصر ،  
ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

- وسنجار : بلد صغير يقع بالقرب من الموصل باربع الجزيرة . انظر  
يلاقوت ، معجم البلدان ، القزوينى : اثار البلاد واخبار العباد  
ص ٣٩٣ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٧ ، انظر ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

وكانت حلب في تلك السنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م يتنازعها كثير من الالهواء فابراهيم بن رضوان يحاول استعادة مجد أسلافه من سلالة رضوان ، وسدر الدولة سليمان بن عبد الجبار يحاول أن يفرض عليها سيطرة الاراتقة ، وهما أيضا من المماليك قومان ، وختلغ أبه وهما من مماليك عز الدين بن مسعود ابن آقسنقر البرسقي ، وكل منهما يحاول فرض سيطرته عليها ، في الوقت الذي كان فيه الصليبيون قد استضعفوا المسلمين ببلاد الشام ، وقوى طمعهم في الاستيلاء على حلب التي بلغت حدا من الضعف لم تستطع معه دفع الصليبيين الذين كانوا يقاسمون أهل حلب على رحا بباب الجنان كما يقول ابن الاثير . (١)

وشعر صاحب منبج بما يدور في حلب ، وحاول من قبله اصلاح مابين زعماء حلب من النزاع ولكنه لم ينجح ، فسير عماد الدين من قبله كلا من الامير سنقر دراز والامير صلاح الدين حسن قراقوش ، وطلب منهما استدعاء المتخاصمين بحلب ( بدر الدولة سليمان عبد الجبار بن أرتق وختلغ أبه ) واحضارهما الى الموصل . فلما حضرا بالموصل سير من قبله صلاح الدين الياغيساني الى حلب " فصعد الى القلعة ورتب الامر بها وجعل فيها واليا " (٢) ، وكانت هذه هي الخطوة الاولى لاستيلاء عماد الدين على حلب أما الخطوة الثانية فهي سير عماد الدين من الموصل الى حلب في جيش عظيم من التركمان استطاع به الاستيلاء - في طريقه - على منبج ويزاغه ، فلما

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٧ ، انظروا بن واصله مفرج الكرب ،

ج ١ ص ٣٧ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٢ ص ٢٣٩ .

- وباب الجنان : باب من ابواب حلب ، انظر ياقوت : معجم البلدان .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٦٥٠ ، انظر ابن العديم ، زبدة

الحلب ج ٢ ص ٢٤١ ، ابن القلانسي ، ص ٢١٨ .

وصل الى حلب تلقاه أهلها وأظهروا من الفرح والسرور به ما لا حد له فتم له بذلك الاستيلاء على حلب سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م (١) .

وكان استيلاء عماد الدين زنكى على حلب الخطوة الهامة فى سبيل توحيد بلاد الشام سواء أكان ذلك بأمر السلطان محمود بن محمد أم كان رغبة من عماد الدين زنكى فى سبيل توحيد القوى الاسلامية فى الشام والجزيرة . ويمكن القول أن الاستقبال الذى قوبل به عماد الدين زنكى من سكان حلب كان دليلا واضحا على أن سكان حلب لا يزالون يذكرون تلك الايام التى عاشوها فى ظل حكم أقسنقر قسيم الدولة والد عماد الدين زنكى .

وفى حلب استطاع عماد الدين تصفية العناصر المعارضة له فقبض على ختلج أبه وسلمه الى خصمه فضائل بن بديع رئيس حلب فقتله . اما ابراهيم بن رضوان فقد هرب الى نصيبين ، فى الوقت الذى هرب فيه كل من سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وفضائل بن بديع الى قلعة جعبر طرف صاحبها شهاب الدين مالك بن سالم العقيلي وجعل عماد الدين زنكى رئاسة حلب لأبى الحسن على بن عبد الرزاق (٢) .

(١) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٣٩ - ٤٠ ، الذهبى ، دول الاسلام ، ج ٢ ص ٤٥ ، العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥٢٢ هـ ،

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٥٠ - ٦٥١ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٤٣ ، ابن القلانسى ، ص ٢١٨ ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٣ .

أصبح عماد الدين زنكى بعد استيلائه على حلب ، وجها لوجه مع الصليبيين خصوصا بعد أن فقدت دمشق زعيمها الكبير ظهير الدين طغتكين فى تلك السنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م . وعمل عماد الدين على تقوية روابطه بأهل حلب ، فتزوج من إحدى بنات رضوان وبنى بها فى حلب سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م . وبعد أن زواج عماد الدين من ابنة رضوان وغيره من الزواج باميرات من بنات حكام المناطق التى يطمع فى الاستيلاء عليها كانت من سياسته لاعطاء نفسه حق التدخل فى شئون الاسر الحاكمة اوليكسب حق الوراثة فى الحكم فى تلك المناطق (١) .

وعلى الرغم من توثيق عماد الدين زنكى عرى الصداقة مع أسرة رضوان فى حلب ، فقد قدم اليه فى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م من دمشق أحد الامراء الذين تمسوا على مواجهة الصليبيين وحروبهم بعد ان استوحش من تاج الملوك يهرى خلفه طغتكين ، ذلك هو الامير سواربن ايتكىمن الذى ولاه عماد الدين زنكى شحنة حلب ، كما تولى مهمة مواجهة الصليبيين وغزوهم اثنا غياب عماد الدين زنكى عن حلب (٢) .

وفى حلب سمع عماد الدين زنكى بأنباء التحالف بين حسام الدين تورناش صاحب طردين وابن عمه داود بن سقمان وغيرهم من الامراء لاستعادة حران ونصيبين من عماد الدين زنكى ، فعاد على وجه السرعة من حلب

- (١) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٢٤٤-٢٤٥ ، شاكرا بوزيد ، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ص ١٦٩ .  
 (٢) العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥٢٤ هـ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٢٤٥ .

صوب الجزيرة ، فالتقى بالاراتقة في دارا سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ومعهم صاحب آمد سعد الدولة بن ابراهيم ومعهم عشرون الف فارس ، بينما كان عدد عسكر عماد الدين لا يزيد عن اربعة آلاف . واستطاع عماد الدين زنكسى هزيمتهم عند دارا واستولى عليها وعلى سرجى الواقعة بين مارديين ونصيبين (١) .

وأدرك عماد الدين زنكى قوة الاراتقة بديار بكر وماردين واتحدا كلمتهم ضده ، فأحب التقرب اليهم لاجداث الشقاق بين كل من حسام الدين ترمتاشى في ماردين وابن عمه داود بن سقمان في حصن كيفا ، ولما كان حسام الدين اكثر مرونة من داود بن سقمان ، فقد تقرب اليه عماد الدين زنكى ، واستعان به ضد صاحب آمد سعد الدولة بن ابراهيم ، حليف الاراتقة في دارا ، فقام بحصار دارا ، فأرسل صاحبها السى داود ابن سقمان بن ارتق صاحب حصن كيفا يستجده فأمدّه بمساعدة كبيرة الا أن الهزيمة كانت قد حلت بسعد الدولة بن ابراهيم صاحب آمد وداود بن سقمان ووقع ابنه في الاسر ، فعاد الى بلاده بينما ظل عماد الدين وحسام الدين ترمتاشى محاصرين لآمد فترة من الزمن ، ولكنهما عادا عنها سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م " من غير بلوغ غرض " (٢) .

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٦٤ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٩ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٢٤ هـ .  
ودارا بلدة صغيرة بين نصيبين وماردين . وسروجى : حصن بين نصيبين وبلدة دنيسوه انظر ياقوت ، معجم البلدان .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٣ ، انظر ابن الاثير ، الباهر ، ص ٤٨ ، ابن القلانسى ، ص ٢٤٣ ، ابن ابيك ، كنز الدرر ، ج ٦ ص ٥١٢ ، عماد الدين الاصفهانى ، البستان الجامع ، حوادث سنة ٥٢٨ هـ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٢٨ هـ .

ولما أيس عماد الدين زنكى من الاستيلاء على آمد ، اتجه نحو قلعة الصور بديار بكر ، وكانت لداود بن سقمان فاستولى عليها ففى تلك السنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٢ م ، وسلمها الى حسام الدين بن تمرشاشى ليزيد من حدة التوتر والشقاق بينه وبين ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتقى . ومن قلعة الصور سارع عماد الدين زنكى الى طنسره ، واستولى عليها ولكنه لم يسلمها الى حسام الدين تمرشاشى بل استبقاها لنفسه (١) .

وعلى الرغم من انشغال عماد الدين زنكى بنزاع الارائقة ، فقد استطاع سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م الاستيلاء على بعض المناطق التى كانت بيد حكام صفار كالرقة التى كانت بيد سعد الدولة المسيب بن مالك النمرى ، واستولى عليها وهو فى طريقه الى دمشق (٢) . وفى السنة التالية ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م استولى عماد الدين زنكى على جبل جـوـر وبعض المواقع الجزرية وسلمها الى حليفه حسام الدين تمرشاشى (٣) . ولم يقف عند هذا الحد ، ففى السنة التالية ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م استولى على دقوقا الواقعة الى الشرق من بغداد (٤) .

---

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٥٣-٢٥٤ ، ابن القلانسى ، ص ٢٤٣ ، ابن واصل ، مغزى الكروب ج ١ ص ٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ١٣٠ .

وطنزه بلد بجزيرة ابن عمر بديار بكر . انظر ياقوت ، معجم البلدان .  
( ٢ ) ابن ابيك ، كنز الدرر ج ٦ ص ٥٢٢ ، والرقة : مدينة مشهورة على الفرات كان بينها وبين حران ثلاثة ايام معدودة من بلاد الجزيرة انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٥٤ ، وجبل جور اسم لكورة كبيرة بديار بكر من نواحي ارمينية بها قلاع وقرى كبيرة . انظر ياقوت معجم البلدان .

( ٤ ) انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥٤ ، ودقوقا : مدينة فى جهة اربل بالعراق ، تقع بين اربل وبغداد . انظر ياقوت ، معجم البلدان ، والحميرى ، الروض الممطار فى خبر الاقطار ، ص ٢٤٤ .



ورغم أن عماد الدين زنكى كان يسعى الى تقوية روابط المودة بينه وبين حسام الدين تمرتاشى ، الا أن الخلاف قد استحكم بينهما سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨ م وذلك بسبب ماسعى اليه عماد الدين زنكى من الاستيلاء على بعض المدن والقلاع ، للتقوى بها ، تلك التى كانت بيد حليفه حسام الدين تمرتاشى (١) . ولكن عماد الدين زنكى لم يرغب فى توسيع هوة الخلاف بينه وبين حليفه صاحب ماردى ، فأرسل فى نفس السنة صلاح الدين محمد الياغيسيانى للتفاوض معه فى عقد الصلح بينه وبين عماد الدين زنكى ونجح الياغيسيانى فى مسعاه وأسفرت المفاوضات عن عقد الصلح بين عماد الدين وتمرتاشى ، على أن يسلم عماد الدين زنكى لتمرتاشى دارا .

ورغبة من عماد الدين زنكى فى توثيق عرا الصداقة بينه وبين حسام الدين تمرتاشى طلب الزواج من ابنة تمرتاش ، وطع عماد الدين لحسام الدين تمرتاشى يد المساعدة ضد ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن أرتق إذ أخذ عماد الدين زنكى فى مطاردة داود بن سقمان فى وسط بلاده ، وكاد أن يقضى عليه لولا شدة البرد التى أجبرته على العودة الى الموصل (٢) .

وفى سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م توجه عماد الدين زنكى الى شهر زورالتى كانت تحت حكم قفجان بن ارسلان تاشى التركمانى ، وكان بها من التركمان ما رغب عماد الدين فى الاستعانة بهم فى صد الصليبيين بالشام ، واستطاع

---

( ١ ) ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧١ ، ابن واصل ، مفرج

الكروب ج ١ ص ٨٣ - ٨٤ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٧٩ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ،

ج ٢ ص ٢٧٦ ، عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ص ١٢١ .

الاستيلاء عليها ، وحصل منها على ما كان يرغب فيه من الاستعانة  
بتركمانها المعروفين بالاقدام والشجاعة في الجهاد (١) .

وعلى الرغم من ان عماد الدين زنكى قد نجح في توطيد علاقاته بحسام  
الدين تمرتاشى ، ومد له يد العون ضد ابن عمه ركن الدولة داود صاحب  
حصن كيفا ، فان الاراتقة بماردين وحصن كيفا قد شعروا بالخطر الذى  
يتهددهم من جانب عماد الدين ، فسعوا الى التفاوض فيما بينهم لعقد  
الصلح من أجل الوقوف في وجه عماد الدين زنكى . وقد أسفرت المفاوضات  
عن عقد صلح بينهم في سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م ، ولكن عماد الدين زنكى  
الذى اشتهر بالفطنة والذكاء ، استطاع أن يتقرب من داود بن سقمان بن  
أرتق فشمله هذا الصلح الذى تم بين الاراتقة ومعهم صاحب آمد . وعلى الرغم  
من أن المصادر التاريخية لم تذكر شروط هذا الصلح ، فانه لا يستبعد أن  
يكون قد نص على عدم اعتداء أى منهما على الآخر (٢) .

وعلى الرغم من ان هذا الصلح الذى تم بين الاراتقة وصاحب آمد  
وعماد الدين زنكى قد حد من توسعات عماد الدين زنكى على حساب الاراتقة  
وصاحب آمد ، فان صاحب آمد الذى كان يخشى من قوة عماد الدين زنكى

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٧٥-٧٦ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٥٧-  
٥٨ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٦٥ ، الذهبى ، دول الاسلام  
ج ٢ ، ص ٥٤ ، ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٢٠٦ ، سبط ابن  
الجوزي ، مراة الزمان ج ٨ ، ص ١٨٩ ، العظيى ، تاريخ العظيى ،  
حوادث سنة ٥٣٥ هـ .

وشهرزور : كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان . انظرياقوت ،  
معجم البلدان .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٨٨ ، ابن العديم ، زبدة الحطب ، ج ٢ ،  
ص ٢٧٦ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١  
ص ٩٠ ، ابن ابيك ، كنز الدرر ج ٦ ، ص ٥٣٧ ، انظر ايضا عماد الدين  
خليل ، الامارات الارتقية في الشام والجزيرة ص ١٢٢-١٢٧ .

قد أعلن في الخطبة ببلاده عن ولائه لعماد الدين زنكي (١) . كما أشار ابن العديم الى أن أولاد الاراتقة قد وصلوا لخدمة عماد الدين (٢) . كما أن هذا الصلح قد يسر لعماد الدين زنكي الاستيلاء على مزيد من الاراضى في ديار بكر وهي التي لم تكن خاضعة للاراتقة . ففي سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م استولى على عدد من الحصون بديار بكر ، واستولى في السنة نفسها على عانة والحديثة ، ونقل من كان بها من آل مهارش الى الموصل ورتب بها أصحابه (٣) .

ولما عزم عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م على السير الى الرها لاستطلاع أحوالها ، توجه الى حاني ، واستطاع الاستيلاء عليها من قرا أرسلان بن داود بن سقمان الذي يتولى حصن كيفا عقب وفاة والده فوس تلك السنة ، كما فرض عماد الدين سيطرته على كثير من مناطق امارة حصن كيفا بشمال ديار بكر (٤) .

وفي الوقت الذي استطاع فيه عماد الدين توسيع سلطانه باتجاه الشمال على حساب الامارات الارتقية وغيرها ، والى الغرب ناحية حلب ، والى الشرق ناحية العراق ، بقصد توحيد القوى الاسلامية لمواجهة الخطر الصليبي في بلاد الشام والجزيرة ، فقد وجد أن المناطق الجبلية المحيطة

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٨٨ .

( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٦-٢٧٧ .

( ٣ ) ابن واصل ، مغز الكروب ج ١ ص ٩٠-٩٢ ، انظر ابن القلانسي ص ٢٨٠ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ١٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٨ .

( ٤ ) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٤ .

وحاني : مدينة بديار بكر ، انظر الاصحري ، المسالك والممالك ، ص ٥٣ ، وياقوت ، معجم البلدان .

بالموصل من الشمال والشرق ، لا تخلو من عناصر كردية غير خاضعة لنفسه ،  
ورأى أن هؤلاء الأكراد - بحكم قربهم من الموصل - يعرفون ما بها من القوة  
والضعف ، ولذلك قرر عماد الدين زنكى ضرورة اخضاع هؤلاء الأكراد  
لحكمه خصوصا وان عماد الدين زنكى صاحب المقالة التى نقلها ابن الاثير  
وهى : " ان البلاد كبستان عليه سياج فمن هو خارج السياج يهاب الدخول ،  
فاذا خرج منها من يدل على عورتها زالت الهيبة " (١) .

وكان عماد الدين زنكى قد شعر بخطر هؤلاء الأكراد فى سنة ٥٢٦ هـ /  
١١٣١ م حين انهزم أمام الخليفة المسترشد بالله وجيوشه بالعراق ولجأ  
الى نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بتكريت وقدم له المساعدة حتى  
استطاع العودة الى الموصل ، ولولا مساعدة نجم الدين أيوب لما استطاع  
العودة الى بلده (٢) .

وفى طريقه الى الموصل سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م استولى عماد الدين  
زنكى على بعض قلاع الأكراد الحميدية قلعة شوش والعقر وذلك أمن أهل  
الموصل من غارات هؤلاء الأكراد فى تلك القلاع . وما أنزله عماد الدين  
زنكى بالأكراد الحميدية فى العقر وشوش أزج بقية الأكراد ، فما ان سمع  
أبو الهيجاء بن عبدالله صاحب قلعة أشب - أعظم قلاع الأكراد الهكارية -  
بتلك الاخبار حتى أرسل الى عماد الدين زنكى من حمل اليه مالا كثيرا  
واستحلفه لنفسه ولاصحابه . وبعد موت أبى الهيجاء بن عبدالله سار  
عماد الدين زنكى الى قلعة أشب سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م فملكها وقتل

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٧٩ .

( ٢ ) انظر ما يلى ص

مقدمى الاكراد بها وعاد منها الى الموصل (١) . وفى السنة نفسها استولى  
عماد الدين زنكى من الاكراد الهكارية على بعض قلاعهم كقلعة الجلاب  
التي كان الاكراد قد أكثروا فيها الفساد . وكدليل على اخضاع قبائل  
الاکراد الهكارية قام عماد الدين زنكى ببناء قلعة الحادية على أنقاض  
قلعة أشب (٢) . هكذا يمكن القول بأن عماد الدين زنكى قد استطاع  
تحقيق المبدأ الذى رسمه لنفسه فى أن لا يبقى فى وسط بلاده ما هو لغيره  
حتى انه قد ذهب ضحية هذا الهدف كما سنرى فيما بعد .

أما عن موقف الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية من عماد الدين  
زنكى بعد سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، فبعد أقل من سنة من ولاية عماد الدين  
زنكى للموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م تعرض لمحاولة عزله عن اتابكية  
الموصل ، ذلك أن ديبس بن صدقة أمير الحلة كان قد وصل الى السلطان  
سنجر بن ملكشاه بخراسان سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م وتقرّب اليه وحسن له  
المسير الى العراق والاستيلاء عليه ، وقبل السلطان سنجر هذه المشورة

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٤-١٥ ، ابن الاثير ، الباهر ،  
ص ٤٨ ، ٦٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، ابن  
واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٥٥ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ص ٨ ،  
والاكراد الحميدية هم احدى الطوائف الكردية التي كانت تسكن  
فى جبال الموصل الشرقية . انظر ياقوت : معجم البلدان ، القلقشندى  
صبح الاعشى ، ج ٤ ص ٣٧٣ .

والمقر : قلعة حصينة فى جبال الموصل تعرف بمقر الحميدية ، اهلها  
اكراد . وشوشى : قلعة عظيمة قرب عقر الحميدية من اعمال الموصل  
انظر ياقوت ، معجم البلدان . وقلعت اشب : لم يذكرها ياقوت  
فى معجمه . انظر ابن الاثير ، الباهر ص ٦٤ حاشية رقم ٣ .  
والاكراد الهكارية : هم احدى الطوائف الكردية التي كانت تسكن  
قلعة اشب شرق الموصل . انظر المقرئ ، السلوك ، ج ١ ص ٤ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١٥ ، ٩١ ، ابن الاثير ، الباهر ،  
ص ٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٩٠ ، سبط ابن الجوزى ،  
مراة الزمان ، ج ٨ ص ١٨٩ . وانظر ايضا عماد الدين خليل ، عماد  
الدين زنكى ص ١٠٦ حاشية رقم ٢٦ .  
والجلاب : قرية كانت تقع على نهر جلاب الطاربى مدينة حران . انظر  
ياقوت معجم البلدان .

وسار من خراسان حتى بلغ الري حيث استدعى ابن أخيه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه لتصفية الخلافات القائمة بينهما وإصلاح ما بين ديبس بن صدقة والخليفة العباسي المسترشد بالله فلبى السلطان محمود بن محمد طلب عمه سنجر وحضر إلى الري ، وبعد أن تم الاتفاق بينهما على ما طلبه سنجر عاد محمود إلى عاصمته بهمدان وصحبه ديبس بن صدقة (١) .

ولما كانت سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م قدم السلطان محمود بن محمد إلى بغداد ومعه ديبس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله ، ولكن الخليفة امتنع عن الإجابة إلى أن يولى ديبس بن صدقة شيئا من البلاد . ويضيف ابن الجوزي في المنتظم أن السلطان محمود بن محمد أرسل إلى عماد الدين زنكي يطلب منه التخلي عن منصبه في الموصل لاجل تسليمه إلى ديبس ابن صدقة (٢) . ووصل عماد الدين زنكي إلى بغداد محملا بالهدايا الجليلة ، وأقام عند السلطان ثلاثة أيام سعى فيها إلى إقناع السلطان محمود بضرورة إبقائه بالموصل ، وأخيرا اقتنع السلطان بضرورة إعادة عماد الدين زنكي إلى الموصل (٣) . ويبدو أن اقتناع السلطان محمود بن محمد بإعادة عماد الدين زنكي إلى الموصل يرجع إلى رفض الخليفة العباسي لتولية ديبس بن صدقة ، ثم ما قدمه عماد الدين زنكي من الأموال إلى السلطان

---

( ١ ) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٥١-٦٥٢ ، الذهبى ، العبير ،

ج ٤ ص ٥٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٩٨ .

والري : مدينة مشهورة من أمهات المدن ، قصة بلاد الجبال . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ١١ ، انظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٥٤ .

( ٣ ) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٥٤ ، المظمى ، تاريخ العظمى ،

حوادث سنة ٥٢٣ هـ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٤٣ .

محمود بن محمد فى مقابل العدول عن تولية دببى بن صدقة للموصل . ويضيف ابن الاثير سببا آخر هو وفاة زوجة السلطان محمود بن محمد - ابنة السلطان سنجر - فى تلك السنة ٥٢٣ هـ ، وهى التى كانت تعنى بأمر دببى بسن صدقة وتدافع عنه . فلما مات انحل أمر دببى (١) .

وساءت علاقة عماد الدين زنكى مع الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية بعد وفاة السلطان محمود بن محمد سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م . ففى تلك السنة أرسل عماد الدين زنكى الى الخليفة العباسى المسترشد بالله يطلب منه اقامة الدعوة فى الخطبة لالب أرسلان بن محمود ، الا أن الخليفة اعتذر عن ذلك محتجا بأن السلطان محمود قد أوصى بأن تكون السلطنة من بعده لابنه داود ، وأنه لن يبت فى الامر الا بعد موافقة السلطان سنجر بن ملكشاه ، سلطان سلاجقة خراسان وما وراء النهر باعتباره كبير الاسرة قائلا : " فانه عم القوم " (٢) .

اعتبر عماد الدين زنكى رفض الخليفة لطلبه اعلان اسم ألب أرسلان بن محمود بالخطبة ، اهانة له فساءت العلاقات فيما بينهما فى الوقت الذى قام فيه النزاع بين كل من الاخوين مسعود بن محمد وسلجوق شاه ابن محمد وكل منهما يريد السلطنة لنفسه . واستغل الطك مسعود بن محمد توتر العلاقات بين عماد الدين زنكى والخليفة العباسى المسترشد بالله ، فاستعان بعماد الدين زنكى ضد أخيه سلجوق شاه الذى كان قد وصل الى بغداد

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٥٥ ، انظر ابن العديم ، زبدة

الحلب ج ٢ ص ٢٤٤ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٦٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١

ص ٤٦ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٠ ، ابن العديم ، زبدة

الحلب ج ٢ ص ٢٤٤ . ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب ، ج ٤

ص ٧٦ .

وانضم الى الخليفة المسترشد . وتردد عماد الدين زنكى في تقديم المساعدة لمسمود بن محمد . غير أن تنازل مسمود عن <sup>بلدة</sup> اربل لعماد الدين زنكى دفعه الى مساعدة مسمود ضد خصومه فخرج من الموصل صوب العراق ، يقصد نجدة مسمود ضد أخيه سلجوق والخليفة العباسي المسترشد بالله غير أن الهزيمة وقعت على عماد الدين زنكى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م مما دفعه الى العودة الى الموصل ولولا نجم الدين أيوب صاحب تكريت ، لما استطاع عماد الدين زنكى العودة الى الموصل . (١)

ولما علم السلطان مسمود بهزيمة عماد الدين زنكى وعودته الى الموصل أرسل الى الخليفة العباسي يخبره بقدم السلطان سنجر ووصله الى السرى ، وأنه عازم على قصد العراق . وعرض في الوقت نفسه على الخليفة الاتفاق للوقوف في وجه سنجر فوافق الخليفة المسترشد بالله وترددت الرسائل بينهما في الصلح ، فتم الصلح على أن تكون السلطنة لمسمود ويكون سلجوق شاه ولي عهده ، وتحالفوا على ذلك (٢) . . غير أن السلطان سنجر حين سمع بهذا الترتيب تقدم الى العراق ومعه ابن أخيه الطك طغرل بن محمد ملكشاه ، فلقى طلائع جيش مسمود وسلجوق شاه قريبا من الدينور واستطاع ان ينزل بهما هزيمة ساحقة في سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م ، استدعى على أثرها

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٧٥-٦٧٦ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٤٣-٤٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج ١٠ ص ٢٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٢٠٣ ، رنيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٠٩ . وكان هذا اول اتصال بين الزنكيين والايوبيين . انظر ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ق ٢ ، ص ٣٢٩ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٧٦ .



السلطان مسعود وعفى عنه ، وأعادته الى كنجه واجلس الملك طغرل بن محمد  
فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد بينما عاد سنجر الى خراسان (١) .

أما عماد الدين زنكى ، فقد حاول أن يستغل هذه الاوضاع المتردية  
بين السلاجقة فى النيل من الخليفة المسترشد ، الذى كان قد رفض الدعوة  
لألب أرسلان بن محمود ، وليأخذ بثأره اثر الهزيمة التى لقيها على يد سلجوق  
شاه وقائده قراجه الساقى حليفى المسترشد بالله ، حين خرج نجدة  
لمسعود بن محمد . فخرج للمرة الثانية فى هذه السنة ٥٢٦ هـ الى العراق  
ومعه ديبس بن صدقة بقصد النيل من المسترشد بالله بحجة ان السلطان  
سنجر قد منح عماد الدين زنكى شحنة بغداد ، بينما ادعى ديبس بن صدقة  
أن السلطان سنجر منحه ولاية الحلة . الا ان المسترشد بالله استطاع أن  
ينزل بهما هزيمة ساحقة بعقرقوف فى رجب من السنة المذكورة ، عاد بعدها  
عماد الدين الى الموصل بينما سار ديبس بن صدقة الى الحلة ، واستمر فى  
اثارة الفتن والقتال بالعراق (٢) .

وهكذا لم يستطع عماد الدين زنكى النيل من الخليفة العباسى المسترشد  
بالله فى الوقت الذى عاد فيه النزاع على أشده بين السلاجقة ، ان يبرز

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٧٧-٦٧٨ ، ابن الجوزى ، المنتظم ،  
ج ١٠ ص ٢٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ص ٦ .  
والدينور : مدينة من اعمال الجبل وهى كثيرة الثمار والزروع .  
وكنجة : كانت مدينة عظيمة بين خورستان وأصبهان ، انظر ياقوت ، معجم  
البلدان .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٧٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ،  
ج ٢ ص ٢٥١ ، تاريخ <sup>المعظم</sup> المعظم ، حوادث سنة ٥٢٦ هـ .  
- وعقرقوف : قرية من نواحي دجيل ، كان بينها وبين بغداد اربعة  
فراسخ ، انظر ، ياقوت ، معجم البلدان .

داود بن محمود بن محمد منازعا لطغرل بن محمد بتأييد من الخليفة المسترشد بالله والسلطان سنجر بن ملكشاه . ولكن السلطان مسعود بن محمد كان يكنجه ، قدم الى بغداد فاستقبله الخليفة والسلطان داود بن محمود بن محمد وخطيب له ولداود من بعده وخلق عليهما من قبل الخليفة . ولكن السلطان مسعود استطاع ان يتتبع خصومه من البيت السلجوقي حتى غدا سلطانا على سلاجقة العراق وفارس بموافقة عمه سنجر ، بعد وفاة منافسه في السلطنة طغرل بن محمد في سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م (١) .

غير أن عماد الدين زنكى لم يسع الى توثيق علاقاته بالسلطان مسعود ابن محمد ، بل على العكس سعى الى تشكيل الاحلاف للوقوف في وجهه لئلا يخلو وجه السلطان من شاغل ليتمكن هو من فتح البلاد والتكمن فسي الملك (٢) . ومن هنا يمكن القول بأن عماد الدين زنكى قد خسر العلاقات الودية مع السلاجقة ، تلك العلاقة التي كان ينبغي عليه ان يحافظ عليها ، كما أنه أيضا سعى الى هدم علاقاته الودية مع الخليفة العباسي المسترشد بالله على الرغم من انه كسب شهرة عظيمة كأمر كبير له وزنه في النزاع بين السلاجقة أنفسهم وبينهم وبين العباسيين ، كما أنه خرج من تلك الأزمة بالتعرف على عائلة نجم الدين أيوب حيث أفسح لهم المجال في جهنم الصليبيين فيما بعد (٣) .

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٨٢ - ٦٨٦ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج ١٠ ص ٢٩ ، ابن القلانسي ، ص ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٤٥ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ، ص ٢٥٠ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الباهر ص ٦٥ .

( ٣ ) انظر عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ، ص ٥٤ .

حاول عماد الدين زنكى بعد عودته الى الموصل الانصراف عن شاكل  
بغداد والتفرغ لأمور الجهاد ولكن الخليفة المسترشد لم ينس ما بدر من عماد  
الدين زنكى من مواقف عدائية سابقة ضده كالاستعانة بدبيس بن صدقة .  
لذلك استغل الخليفة العباسى المسترشد بالله انضمام عدد من الأمراء السلاجقة  
اليه نتيجة للخلاف بين السلاطين السلاجقة وأرسل سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م  
الى عماد الدين زنكى أحد رجاله يتهدده ويتوعدده على ما كان منه تجاه  
سيد الدولة ابن الانبارى كاتب الانشاء عند الخليفة ، والذي كان الخليفة  
قد ارسله الى دمشق سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م للتفاوض مع حكام دمشق من أسرة  
طغتكين فى أمر دبيس بن صدقة <sup>(١)</sup> ، ظنا من الخليفة بقوته وهيبته ، وقد زاد  
رسول الخليفة الى عماد الدين فى الاغلاظ والتشديد " فقبض عليه عماد الدين  
وأهانته ولقيه مايكره " . فلما سمع الخليفة بذلك أرسل الى السلطان مسعود بن  
محمد ، يصرفه الامر الذى جرى من عماد الدين ويعلمه بعزمه على المسير  
الى الموصل لحرب زنكى . ويبدو أن السلطان مسعود قد وافق الخليفة على  
الامر ، ان تجهز الخليفة بقواته التى بلغت نحو ثلاثين الف مقاتل خرج بها  
فى رمضان من السنة نفسها ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م الى الموصل <sup>(٢)</sup> .

ولما سمع عماد الدين زنكى يقرب وصول الخليفة الى الموصل ، بسذل  
أموالا كثيرة ليرجع عنه ، فلم يقبل الخليفة ، فرأى عماد الدين زنكى أن  
الخروج من الموصل أنجع له من البقاء بها ، ففارقها وترك بها نائبه  
نصير الدين جقر بينما نزل هو بظاهر سنجار . غير ان الاستعدادات التى  
أعدها نصير الدين جقر فى سبيل مواجهة الخليفة أجبرت الخليفة على البقاء

(١) عن أسودبيس بن صدقة بيد حكام دمشق انظر مايلي ص  
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الباهر ،  
ص ٤٧ ، ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٠ .

(١)

مدة ثلاثة شهور محاصرا لها " فلم يظفر الخليفة بشئ " فعاد الى بغداد " .  
 وكان سبب عودة الخليفة الى بغداد قبل الاستيلاء على الموصل ما ذكره ابن  
 الاثير فى التاريخ الباهر من أن الخليفة عجز عن الاستيلاء عليها " فليسو رأى  
 امارة ظفر وفتح ، لم يرحل " (٦) ، وأضاف ابن الاثير فى الكامل ومن نقل عنه من  
 المؤرخين اضافة هي ان سبب عودة الخليفة ما بلغه من ان السلطان مسعود عزم  
 على قصد العراق (٣)

ولما عجز الخليفة العباسى المسترشد عن اقتحام الموصل سعى فسى  
 سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م الى اقرار الصلح مع عماد الدين " ووقع الاتفاق مع  
 زنكى ووصلت رسله بالحمل والهدايا " (٤) . ويبدو ان الصلح الذى تم بينهما  
 جاء نتيجة لمداداة كل منهما للسلطان مسعود بن محمد . فقد سبب  
 العلاقات بين الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بن محمد بسبب  
 عدم تحمس الخليفة العباسى لقضايا السلطان ومحاربة المعارضين له . ثم أعقب  
 ذلك لجوء كثير من أمراء الطرفين الى كل منهما ، وما احدثه هؤلاء الأمراء  
 من اثاره حقد كل منهما ضد صاحبه ، مما ادى الى اتساع شقة الخلاف بينهما .

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٥٣ ، انظر ابوالفدا ، المختصر ،

ج ٣ ص ٧ .

(٢) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٤٨ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٦ ، انظر ايضا ابن الجوزى ، المنتظم

ج ١٠ ص ٣٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٥٣ ، ابن

المعدي ، زبدة الحطب ، ج ٢ ص ٢٥٣ ، العظيم ، تاريخ العظيم ،

حوادث سنة ٥٢٨ هـ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ،

ص ٢٠٤ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٧ .

حتى اضطر المسترشد بالله الى قطع الخطبة باسم السلطان مسعود بن محمد من بغداد (١). ولم يكتف الخليفة بهذا ، بل استدعى عماد الدين زنكى فى سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م وطلب منه الحضور الى بغداد لاعلان الدعوة فى الخطبة لالب ارسلان بن محمود ، ولكن عماد الدين زنكى لم يستطع الحضور لانشغاله بحصار دمشق ولكنه أرسل نجدة عاجلة الى الخليفة ضد خصمهما المشترك السلطان مسعود بن محمد (٢) . ولكن هذه النجدة لم تحل دون وقوع الخليفة فى أسر السلطان مسعود بن محمد فى شهر رمضان سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م وقتله فى ذى القعدة من السنة المذكورة خارج حدود بغداد (٣) . وبعد ان تخلص السلطان مسعود من الخليفة العباسى المسترشد بالله ، حاول التقرب من عماد الدين زنكى ليتمكن من القضاء عليه ، دون مشقة ، ولكنه فشل فى الامر . وقد ذهب ضحية هذه المحاولة من قبل السلطان مسعود ديبس بن صدقة ، حيث قتله السلطان مسعود فى السنة المذكورة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م (٤) .

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ١٩ ، ٢٤ - ٢٥ ، ابن الجوزى ، المنتظم ج ١٠ ص ٤١ - ٤٤ ، الذهبى ، المعبر ج ٤ ص ٧٥ ، عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ص ١٠٧ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ص ٥٦ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٤٩ - ٥٠ .
- ( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٢٥ - ٢٨ ، ابن الجوزى ، المنتظم ج ١٠ ص ٤٥ - ٥٠ ، ابن القلانسي ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ص ١٦٥ - ١٦٦ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ٨ ص ١٥٤ - ١٥٧ ، عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ص ١٢٤ .
- ( ٤ ) ابن الحديد ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٥٠ ، الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ، ص ١٦٦ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ٨ ق ١ ص ١٥٢ .

حاول السلطان مسعود بن محمد ان يفرض سيطرته على خليفة بغداد الجديد (الراشد ) مستغلا في ذلك ما كان قد تم بينه وبين والده المسترشد بالله ، فتقدم في السنة التالية ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م وطالب الخليفة الراشد بحبلغ أربعمئة الف دينار كان قد فرضها على والده فرفض الراشد طلبية رغبة السلطان مسعود تسليم المبلغ المذكور ، فما كان من السلطان الا أن أوعز الى شحنة بغداد بأن يقوم بهجوم على دار الخلافة ولكن الراشد استعصم للموقف واستطاع اخراج الشحنة ومن معه من قوات السلطان " ونهب أهل بغداد دار السلطان " (١) .

ولما خاف الخليفة الراشد انتقام السلطان مسعود استدعى ولاية الاطراف ومنهم عماد الدين زنكى في بغداد لمساعدته ضد السلطان مسعود ، فلما اجتمعوا في بغداد سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م تشارروا في الامر بشأن مواجهة السلطان مسعود اذا قدم بغداد فاتفق رأيهم على قتاله ، ولم يقف الخليفة عند هذا الحد بل قطع الدعوة في الخطبة للسلطان مسعود (٢) . فلما بلغ السلطان مسعود ذلك سار الى بغداد وحاصرها مدة اثنين وخمسين يوما حتى ضاق الامر على من بها ، فخرج الراشد الى الجانب الغربي من بغداد وفيه عماد الدين زنكى ، وهناك حاول السلطان مسعود ان يضرب عصفورين بحجر واحد - خذلان الراشد وقتل زنكى - فقام بمكاتبة عماد الدين زنكى

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٧ ، انظر ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٥٤ .
- (٢) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ١٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٦٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ص ٥٥ ، العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥٣٠ هـ .

سرا وحلف له أن يقوه على بلاده إذا رجع اليها وترك الراشد . وكاتب  
في الوقت نفسه بعض الامراء وناهم ورجعهم في أن من قتل عماد الدين زنكي  
سيعطيه بلاده ، غير أن عماد الدين زنكي عرف هذه المؤامرة ، ففساد  
العراق متوجها الى الموصل ومعه الخليفة الراشد (١) .

وما ان سمع السلطان مسعود بأنباء خروج الخليفة وعماد الدين زنكي  
من بغداد الى الموصل حتى تقدم ودخل بغداد في السنة نفسها ٥٣٠ هـ /  
١١٣٦ م ، فجمع القضاة والفقهاء واستفتاهم في خلافة الراشد فأفتوا تحت  
ضغط من السلطان بخلعه من الخلافة ، بعد ان أمضى في الخلافة نحو  
احدى عشر شهرا ، وطلب السلطان مسعود ان يتولى الخلافة أحد أبناء  
البيت العباسي فتولاها بعد الراشد عمه المقتدى لامر الله في ذي الحجة  
من السنة المذكورة (٢) .

أما عماد الدين زنكي فانه بعد مسيره من بغداد الى الموصل  
اصطحب معه الخليفة الراشد بالله على الرغم مما كان قد بدر من الخليفة  
الراشد في حق بعض رجال عماد الدين ، فوصلها ونزل الخليفة

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٧-٤١ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ،  
ص ٥٢ ، ابن العديم ، زبدة الطب ، ج ٢ ص ٢٥٩-٢٦٠ ، العظيبي  
تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥٣٠ هـ ، ابن العبري ، مختصر  
الدول ص ٢٠٤-٢٠٥ .

( ٢ ) العظيبي ، تاريخ العظيبي ، حوادث سنة ٥٣٠ هـ ، ابن الاثير ،  
الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٢ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٥٣-  
٥٤ ، العماد الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ص ١٦٧ ، ابن  
الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ص ٦٠ ، ابوالفدا ، المختصر ،  
ج ٣ ص ١١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٠ .

بظاهر الموصل (١) .

لم تدم إقامة الخليفة الراشد بالموصل طويلا ، إذ أنعماد الدين زنكى رأى أنه لا بد من إعادة العلاقات الطيبة مع السلطان مسعود بن محمد فعرض على الراشد فكرة إرسال الرسل الى بغداد لتقص حقائق الوضع هناك وانتهاء حالة الحرب بين الطرفين ، فوافق الراشد وأرسل الرسل الى بغداد (٢) . فلما وصل رسل الموصل الى بغداد استقبل رسول عماد الدين زنكى كمال الدين الشهرزورى بينما اعرض عن رسول الخليفة الراشد وسمعت رسالة زنكى وأبلغ بخلع الراشد ومبايعة المقتضى . وأعلن موافقته على ذلك مع اشتراطه على حكومة بغداد ما يرضى به عماد الدين زنكى حيث قال " ولكن لا بد لنا فى هذه الدعوة من نصيب لان امير المؤمنين قد حصلت له خلافة الله فى أرضه والسلطان قد استراح ممن كان يقصده ونحن بأى شئ نعود ؟ " فرفع قوله الى السلطان مسعود بن محمد فأمر الخليفة المقتضى بأن يعطى أتابك زنكى بعض المواقع الهامة بالعراق من خاص الخليفة ، وان يزداد فى القاب عماد الدين ، فأصبح بذلك لعماد الدين زنكى اقطاعات بالعراق (٣) .

ولما عاد الشهرزورى الى الموصل أبطل عماد الدين زنكى فى رجب من السنة التالية ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م الدعوة للراشد وأعلنها للمقتضى بأمر الله ، فسدت الابواب فى وجه الراشد ، الذى لم يجد بدا من مفارقة

---

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر ص ٥١-٥٢ ، العظيمى ، تاريخ العظيمى ، حوادث سنة ٥٣٠ هـ .

(٢) انظر عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ، ص ٦١ .

(٣) ابن الاثير، الكامل ج ١١ ص ٤٤-٤٥ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٦٩ ، ٧٠ .



الموصل في شهر رمضان من السنة المذكورة متوجها الى خراسان ، حيث  
التحق بالسلطان داود بن محمود وظل ملازما له حتى توفي الراشد فمضى  
السنة التالية ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م (١) . وذلك اطمأن السلطان مسعود بن  
محمد الى هذه الاجراءات وطلب من الخليفة المقتضى ارسال الخلع والتشريفات  
الى عماد الدين زنكى خصوصا وانه في تلك السنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م استطاع  
صد محاولات الصليبيين والبيزنطيين للاستيلاء على حلب وغيرها من بلاد  
الشام (٢) .

تحسنت العلاقات بين عماد الدين زنكى والسلطنة الساجوقية  
والخلافة العباسية . ويرجع السبب في ذلك الى أن الخليفة الفهاوس لم يكن شديد  
الطمع كما كان سافاه المسترشد والراشد ، يضاف الى ذلك أن عماد الدين  
زنكى كان مشغولا بأمر الصليبيين في الشام وأمر استكمال توحيد قوى  
الشام والجزيرة . ورغم ذلك فان الشكوك كانت تراود كلا من عماد الدين  
زنكى والسلطان السلجوقي مسعود بن محمد في حسن نية كل منهما تجاه  
صاحبه ، ويدل على ذلك أن النجدة التي أرسلها السلطان مسعود بن  
محمد الى عماد الدين زنكى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ضد الصليبيين  
والبيزنطيين لم تجهز الا بعد محاولات مضمية بذلها كمال الدين الشهرورزى  
للسلطان مسعود . ولم يسمح عماد الدين زنكى لقوات السلطان بدخول

( ١ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢٦٣ .

( ٢ ) انظر مايلي ، ص

بلاد الشام ، خوفاً من أن يتخذ السلطان من هذه النجدة ذريعة للتدخل في شؤنه (١) .

وعندما فرغ السلطان مسعود بن محمد من بعض مشاغله ومشاكله سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م عزم على المسير الى عماد الدين زنكى بالموصل لتصفية ما بينهما من احقاد بثارات قديمة بسبب الشكوك التى راودت السلطان مسعود من أن عماد الدين زنكى هو الذى دبر قتل الطبرك داود بن محمود من تلك السنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م . يضاف الى ذلك أن عماد الدين زنكى كان وراء كل المؤامرات التى كانت تحاك ضد السلطان من اصحاب الاطراف " وكان ظنه فيه صادقا ، فانه كان يفعله لئلا يخلو وجه السلطان من شاغل ليتمكن هو من فتح البلاد " (٢) .

ر من هنا وجد السلطان مسعود بن محمد ما يوجب مسيره الى الموصل فتجهز في تلك السنة بكثير من العساكر للانتقام من عماد الدين زنكى . غير أن أخبار مسير السلطان الى الموصل قد بلغت عماد الدين ، فأرسل رسله الى السلطان لعقد الصلح بينهما . وبعد مداولات ومشاورات تم الصلح بينهما على مائة ألف دينار تحمل الى السلطان مسعود من عماد الدين ، وحضر عماد الدين الى السلطان ليطلباً بساطه ، ولكن عماد الدين زنكى اعتذر عن الشرط الاخير لان شغاله بأمر الصليبيين ، فعذره السلطان واشترط عليه فتح الرها . ويضيف ابن الاثير في الباهر ان كثيرا من رجال

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٩٣ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٦٥ ، من واصل ، فرج الكروب ج ١ ص ٩٠ .

( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٦٥ ، انظر الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ، ص ١٢٩ ، ابن القلانسي ص ٢٧٧ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٩٣ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٠ ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

السلطان قد نصحوه بعدم السير الى الموصل ، لانه لا يقدر على حفظها من الصليبيين " غير انا بكى زنكى " (١) . وعلى الرغم من أن عماد الدين زنكى قد نجح فى اقناع السلطان بعدم الوصول الى الموصل ، الا أنه شك فى أن هذا سيمس كرامة السلطان ومكانته بين رعاياه ، ولذلك فقد لجأ الى حيلة ذكرها ابن واصل ، استطاع بها ان ينال رضى السلطان بتلخيص فيما يلى " كان ولده الاكبر سيف الدين غازى لا يزال فى خدمة السلطان مسعود سفرا وحضرا نائبا عن والده فى الخدمة فأرسل اليه يأمره بالهرب من السلطان مسعود الى الموصل وأرسل الى نائبه نصير الدين جقر بالموصل يأمره بمنع سيف الدين من الدخول الى الموصل فمنعه نصير الدين جقر من الدخول الى الموصل . ولما بلغ الخبر الى والده أرسل اليه يأمره بالعودة الى السلطان ، ولم يجتمع به ، وأرسل معه رسولا الى السلطان يقول : ان ولدى هرب خوفا لما رأى تغير السلطان على ، وقد أعدته الى الخدمة ولم اجتمع به فانه ملوكك والبلاد لك فحل هذا عند السلطان محلا عظيما " (٢) .

هكذا نجح عماد الدين زنكى فوشهدتة خواطر السلطان حتى ثنى عزمه عن السير الى الموصل سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م ولا يستبعد ان يكون عماد الدين زنكى وراء خروج اصحاب الاطراف على السلطان مسعود فى هذه السنة مما اضطر السلطان الى التنازل عن بقية المبلغ الذى كان قد تم عليه الاتفاق سابقا بينهما ، ثم مداراة السلطان لعماد الدين

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٩ . غير ان

ابن الجوزى ، تاريخ الدولتين ، ص ١٠٩ .

( ٢ ) ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٩١ .

زنكى ليقف الى جانبه ضد الخارجين عن طاعته (١) . واخيرا فانه يمكن القول بأن الخلافة العباسية والسلطنة السلاجوقية كانتا من العوائق التى عرقلت نشاط<sup>١</sup> عماد الدين زنكى لافى سبيل توحيد الجبهة الاسلامية فحسب بل وفى وقوفه أمام الصليبيين . ولم تقدم له اية مساعدات عسكرية اللهم الا النجدة التى أرسلها السلطان مسعود بن محمد مع كمال الدين الشهرزورى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م وقد رأى عماد الدين زنكى أن دخول هذه القوات الى الشام سيسبب له متاعب من السلطان مسعود ابن محمد فرفضها (٢) . وإذا كانت هناك مبررات لعدم مد يد العون لعماد الدين زنكى أثناء قيام الفتن فى العراق سواء بين السلاجقة أنفسهم أو بين السلاجقة والخلافة العباسية فان خلافة بغداد المقهورة على أمرها والسلطنة السلاجوقية المتدهورة غير محقين تماما فى عرقلة سياسة عماد الدين زنكى فى بعث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين .

أما عن موقف حكام دمشق من أسرة طغتكين تجاه بعث فكرة الجهاد الاسلامى زمن عماد الدين زنكى ، فمن المعروف أن ظهير الدين طغتكين أسس له ولاسوته من بعده حكما مستقلا فى دمشق عقب وفاة دقاق بن تتش سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م . وحكم طغتكين دمشق حتى وفاته سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ، بذل خلال تلك السنوات كثيرا من الجهد والوقت

---

( ١ ) ابن الاثير ، الباهر ص ٦٦ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ١٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٨ .

لا فى سبيل مواجهة الصليبيين والدفاع عن دمشق ، بل وفى مساعدة  
الولاة الفاطميين بمدن الساحل وولاة السلاجقة فى الموصل و حلب الذين  
تزعّموا بعث فكرة الجهاد الاسلامى قبل عماد الدين زنكى . غير أنه بموت  
ظهير الدين طغتكين سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م ظهر فراغ كبير فى دمشق  
خاصة وفى بلاد الشام عامة ، مما جعل خلفائه من بعده عرضة للاطماع  
الصليبية والقوى الاسلامية الاخرى . فبعد استيلاء عماد الدين زنكى على  
حلب سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م لم يعد مستبعدا ان تراوده فكرة الاستيلاء  
على دمشق وتوحيد قواها مع قوة حلب وبلاد الجزيرة ، ولكن الظروف التى  
أجبرت عماد الدين زنكى على العودة الى العراق سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م قد أغر  
أخرت تنفيذ المسير الى دمشق والبلاد التابعة لها كحمص وحماة وعلبك  
ومصرى وانياس (١) .

ولما عاد عماد الدين زنكى سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م من بغداد الى  
حلب بعد أن حصل على توقيع من السلطان محمود بن محمد بجميع البلاد  
الشامية ، انتهز فرصة وقوع بعض الحوادث السياسية التى قامت بها فرقة  
الاسماعيلية ومحاولتهم تسليم دمشق الى الصليبيين ، وقيامهم بتسليم  
بانياس الى الصليبيين فى تبرير تدخله فى شئون حكام دمشق (٢) ، ولكنه  
رأى أنه من الصعب توجيه ضربة يستطيع بها الاستيلاء على دمشق قبل  
الاستيلاء على المدن والقلاع المحيطة بها وخاصة مدينتى حماة وحمص  
الواقعتين على الطريق الرئيسى الى دمشق (٣) . وكانت حماة بيد سونج بن  
تاج الملوك يورى ، بينما كانت حمص بيد صمصام الدين خير خان بن قراجه

(١) لبحث الاثير والكامل ، ج ١ ص ٦٥٤ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ،

(٢) انظر ما سبق ، الفصل الاول ص

ص ١١٩ .

(٣) عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ص ١١٩ .

الذى كان عماد الدين زنكى قد وطد علاقاته به منذ دخوله حلب سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م (١) .

وبدأ عماد الدين زنكى فى تنفيذ خطته ومناورات فى الاستيلاء على دمشق ، فأظهر انه يعتزم القيام بجهاد الصليبيين فى بلاد الشام فكتب الى تاج الملوك يورى وطلب منه النجدة . ولما كان تاج الملوك يورى يخشى من غدر عماد الدين زنكى فقد ارسل اليه من اخذ له العهد والمواثيق بعدم الغدر فأعطاه . وجرى يورى من دمشق خمسمائة من عسكره مع جماعة من الامراء وكتب الى ولده سونج بحماه بأمره بالخروج بعسكره فصاروا سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م حتى وصلوا الى مخيم عماد الدين زنكى بحلب " فأحسن لقاءهم والى فى الاكرام لهم " ولكن عماد الدين زنكى غدر بهم سونج بمن يورى وألقى القبض عليه وعلى جماعة من مقدمى عسكره وعسكر دمشق وسجنهم بحلب ثم سار عماد الدين من يومه الى حماه فاستولى عليها وسلمها الى صاحب حمص ابن قراجه الذى كان قد أشار على عماد الدين زنكى بالقضاء القبض على سونج . ثم ألقى القبض على ابن قراجه وسار الى حمص ونزل بها مدة أربعين يوما فلم يظفر منها بشئ . وعاد الى حلب ومنها الى الموصل فى السنة نفسها ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م وصحبته سونج بن يورى (٢) .

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٤٣ .

وتاج الملوك يورى بن طغتكين تولى أمر دمشق بعد وفاة والده فى صفر سنة ٥٢٢ هـ وكانت سيرته حسنة تتبع الاسماعيلية ومن ناصرهم بدمشق حتى قضى عليهم ، ظل حاكما لدمشق حتى مقتله سنة ٥٢٥ هـ . انظر صلاح الدين المنجد ، ولاية دمشق فى العهد السلجوقى ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير ، ص ٢١ .

( ٢ ) ابن القلانسى ص ٢٢٨ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٥٨-٦٥٩ ،

ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٣٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ،

ج ٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٤١ ، ٤٢ ، =

وترددت الرسائل بين عماد الدين زنكى ويورى بشأن اصلاق سراج ابنه  
 سونج على أن يدفع لزنى مبلغ خمسين الف دينار ، فلم يقبل عماد الدين .  
 ولكنه حدث أن وقع ديبس بن صدقة اسيرا فى يد تاج الطوك يورى سنة  
 ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م حين كان سائرا الى صرخد فضل الطريق ووقع اسيرا بيد  
 مكتوم بن حسان بن مسمار الكلبى زعيم بنى كلاب الذى سلمه الى تاج الطوك  
 يورى . ولما سمع عماد الدين زنكى خبر أسر ديبس عند حكام دمشق أرسل  
 الى يورى فى طلب تسليمه اياه مع الخمسين الف دينار المقررة سابقا ، واطلاق  
 سراج سونج ومن معه أو المسير الى حصار دمشق اذا لم يلب طلبه " ففادى  
 به تاج الطوك ابنه سونج لاتبك " وتم تبادل الاسرى بين الطرفين فسوى  
 الثامن من ذى القعدة سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م فى مكان يسمى قارا (١) .

وهلى الرغم من أن عماد الدين زنكى قد اقتطع حماه من املك أسرته  
 طفتكين حكام دمشق ، الا انه لم يستطع مواصلة التضييق عليهم وذلك  
 بسبب تغير الاوضاع فى العراق ، فالسلطان محمود بن محمد قد توفى سنة  
 ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م ، وهلاقة عماد الدين زنكى بالخليفة العباسى المسترشد

العظيم تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٢٤ هـ ، ابن قاضى شهبه ، الكواكب

الدرية ص ٩٤ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ص ٥٣ .

( ١ ) العظيم ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٢٥ هـ ، انظر ابن القلانسي

ص ٢٢٨ ، ٢٣٠ - ٢٣١ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٥٩ - ٦٦٨ -

٦٦٩ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ابوالفدا ،

المختصر ج ٣ ص ٥٥ .

- وصرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من اعمال دمشق وهى من البلدان

ذات القلاع الحصينة .

- وقارا : قرية كانت على قارة الطريق بين حمص ودمشق . انظر ياقوت ،

معجم البلدان .

بالله قد شابها التوتر ، واضطر عماد الدين الى الانغماس في الصراع الذي دار بين السلاجقة انفسهم وبين السلاجقة والخلافة العباسية عقيب وفاة السلطان محمود . وافلتت من يد عماد الدين زنكى اكبر فرصة كان يمكن أن يستغلها للقضاء على أسرة طغتكين ، وتوحيد الجبهة الاسلامية وذلك عند موت تاج الملوك يورى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٢ م واستيلاء ابنه شمس الملوك اسماعيل على مقاليد الحكم في دمشق (١) .

ولم يخسر عماد الدين زنكى تلك الفرصة فحسب ، بل ان حكاهم دمشق برعاية اسماعيل بن يورى استطاعوا استعادة حماه منه في السنة التالية سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م نتيجة لانشغاله بأمر الخليفة العباسي المسترشد بالله ومدافعته ومنعه من الاستيلاء على الموصل (٢) . ولم يقف حكاهم دمشق عند هذا الحد بل استعادوا حماه بل استطاعوا استعادة بانياس من الصليبيين في السنة نفسها (٣) . ولكن عماد الدين زنكى استطاع ان يسترد مكانته بعد أن فشل المسترشد بالله في الاستيلاء على الموصل سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م (٤) .

( ١ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٢٦ هـ ، ابن القلانسي ، ص ٢٣٣-٢٣٤ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ص ٦٧٩-٦٨٠ ، الذهبي د ول الاسلام ج ٢ ص ٤٨٠ .

- وشمس الملوك اسماعيل بن يورى ولي أمر دمشق بعد مقتل والده يورى في رجب سنة ٥٢٦ هـ . وكان شهما شجاعا استطاع استرداد بانياس من الصليبيين . ولكن سيرته ساءت بين رعاياه مما أجبر والدته على التخلص منه بمساعدة بعض رجال دمشق سنة ٥٢٩ هـ . انظر صلاح الدين المنجد ولاية دمشق في العهد السلجوقي ، نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ص ٢٢٠ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٦-٧ ، ابن واصل ، فوج الكروب ، ج ١ ، ص ٥٣ .

( ٣ ) ابن القلانسي ص ٢٣٧-٢٤١ ، الذهبي د ول الاسلام ج ٢ ص ٤٨٠ .

( ٤ ) انظر ما سبق ص



عاد عماد الدين زنكى مرة أخرى يفكر فى امر الاستيلاء على دمشق  
فى سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥ م مستغلا فى ذلك ان صاحب دمشق اسماعيل بن  
يورى قد ساءت سيرته بين سكان دمشق ، حتى انحل امره وضعفت دولته (١) .  
ولما عرف شمس الملوك اسماعيل أن أمر دمشق سيفلت من يده سواء بيد كبار  
رجال دمشق او بيد عماد الدين زنكى ، بادرا الى مكتبة عماد الدين  
زنكى فى السنة نفسها واطمعه فى تلك دمشق ، واستحثه ايضا على سرعة  
الوصول اليه واشترط عليه معاينة كل من يكره بدمشق من الامراء والمقدمين  
والاعيان وحذره من انه سوف يسلم دمشق للصليبيين فى حالة تأخره عن  
الوصول الى دمشق (٢) .

ويبدو أن عشمس الملوك اسماعيل كان يهدف من وراء هذا العمل  
الخطير الى معاينة المعارضين له بدمشق الا انه ذهب ضحية هذا العمل  
بعد ان اكتشفه كبار الامراء بدمشق حيث اتفقوا فيما بينهم على مشاورة والدته  
فى الامر " فقلقت لذلك وتمعضت منه واستدعته وأنكرته . . فأمرت غلمانها  
بقتله ونودي بشعار أخيه شهاب الدين محمود بن يورى من بعده " (٣) .

- 
- ( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٤٥ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ٨ .  
( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢٤٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ،  
ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٢١ - ٢٢ ،  
عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ص ١٢١ .  
( ٣ ) ابن القلانسي ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ،  
ص ٢١ - ٢٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ،  
ص ١٥٣ .

لم تكن هذه الحوادث بدمشق قد وصلت أخبارها الى عماد الدين زنكى الذى بعث برسله - حين عبر الفرات متوجها الى دمشق - لتقرير قواعد التسليم . ولكن رسله الذين أرسلهم الى دمشق وجدوا بها الامور على غير ما كانوا يتوقعونه ، فعادوا وأخبروا عماد الدين بالوضع الجديد ولكنه لم يحفل بذلك وحدثته نفسه بالاستيلاء عليها " ظنا منه بأن الخلف يقع بين الامراء والمقدمين من الغلمان " فسار اليها وشدد عليها الحصار مرارا متعددة فلم يظفر بطائل اذ وجد قوة ظاهرة وشجاعة عظيمة من أهل دمشق واتفاقا على محاربهه . وكان لمعين الدين أنر - ملوك ظهير الدين طغتكين ومدبر دوله أولاده من بعده - فى هذه النوة قياما مشهودا فى الدفاع عن دمشق (١) .

ولما تعذر على عماد الدين زنكى الاستيلاء على دمشق عمد الى طلب الصلح من معين الدين أنر وأمرأ دمشق والدخول فى طاعته (٢) . ولم يكف بهذا بل طلب من أمراء دمشق ايضا ان يسمحوا لشهاب الدين محمود بن يورى بالخروج من دمشق ومقابلة ولد السلطان محمود بن محمد واسمـــــــــــــــــه ألب ارسلان الذى كان مع عماد الدين زنكى هاربا من عمه مسعود بن محمد ، فلم يوافق شهاب الدين محمود على ذلك بل سمح لاخته بهرام شاه بن يورى بالخروج الى عماد الدين زنكى (٣) . ويبدو أن غرض عماد الدين زنكى

- 
- ( ١ ) ابن القلانسى ص ٢٤٧ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٢١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٥٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٥٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٨٦ .  
 ( ٢ ) ابن القلانسى ، ص ٢٤٨ .  
 ( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ٢٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٥٨ .

من طلب خروج شهاب الدين محمود اليه هو القاء القبض عليه ليكون في يده ورقة رابحة يستطيع بها مفاوضة حكام دمشق على التسليم ، الا ان ذلك الامل لم يتحقق اذ ان حكام دمشق لم ينسوا وقتذاك ما فعله عماد الدين زنكى بسونج بن يورى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م .

وعلى الرغم من ان عماد الدين زنكى لم يستطع الاستيلاء على دمشق فقد ظل محاصرا لها حتى وصل مندوب من قبل الخليفة المسترشد بالله سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م لطلب النجدة منه ضد السلطان مسعود بن محمد ، وطلب منه الخليفة تسوية أموره مع حكام دمشق ورفع الحصار عنهم والعسودة الى العراق ومناه باقامة الخطبة لالب ارسلان بن محمود ايزيد من عزم عماد الدين على الانضمام الى جانبه وترجيح كفته ضد خصومه السلاجقة (١) .

وما ان وصل رسول الخليفة المسترشد بالله واسمه بشر بن كريم الجزرى الى عماد الدين زنكى وهو محاصر لدمشق حتى ضم اليه عماد الدين زنكى كمال الدين الشهرزورى وارسلهما الى دمشق لمفاوضة حكامها بخصوص طلب الخليفة المسترشد بالله في اقامة الخطبة بدمشق لالب ارسلان بن محمود ، فوافق حكام دمشق " وخطب للسلطان ارسلان على المنبر بأمر أمير المؤمنين " ولما تم ذلك عاد عماد الدين زنكى الى حلب في منتصف سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م (٢) .

( ١ ) ابن الجوزى ، المنتظم ، ج ١ ، ص ٤٣ .

( ٢ ) ابن القلانسي ص ٢٤٨ ، انظر ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ٩٠ .

ولما أيسر عماد الدين زنكى من الاستيلاء على دمشق ، صرف همه الى استعادة حمص بعد الحوادث التى تجددت بها سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، ففى تلك السنة استرد شهاب الدين محمود حمص من اولاد خير خان بن قراجه وسلمها الى الحاجب يوسف بن فيروز نيابة عن معين الدين أنر . فأوعز عماد الدين زنكى الى نائبه فى حلب سوار بن اتيكين بالاعازة على حمص فشرع سوار فى جمع الجيوش وطلب المعونة من أهل حماة وتابع بمن معه الغارات على حمص ووعى زرعها ، الا أن شهاب الدين محمود ارسل الى عماد الدين زنكى فى طلب الصلح فجرت فى ذلك مراسلات ومخاطبات اسفرت عن المهادنة والموادعة والمسالمة الى امد معلوم وأجل مفهوم " كما يقول ابن القلانسي وهذا الصلح كف سوار بن اتيكين عن مهاجمة حمص (١) .

غير أن رغبة عماد الدين زنكى فى الاستيلاء على حمص ودمشق من أسرة طفتكين قد جعلها من اكبر المهام التى أراد تنفيذها . لذلك فأنه بعد ان فرغ من مشاكل بغداد أقبل على تجهيز حملة عسكرية فى شهر شعبان سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م بقصد الاستيلاء على حمص التابعة لحكام دمشق . وسير عماد الدين زنكى صلاح الدين الياغيسيانى الى حمص بعد أن حاصرها للتفاوض مع مستحفظها معين الدين أنر فى أمر التسليم دون اراقة الدماء . ورفض معين الدين أنر التسليم بحجة كون حمص لشهاب الدين محمود ، على الرغم من تهديد عماد الدين زنكى له وسرعان ما تجمع الصليبيون فى بمرين " نجدة لحمص وغيلة لاتبك ، فرحل عن حمص ولقيهم تحت قلعة بمرين " بقصد انتزاعها منهم ، ولكنه خشى من غدر حكام دمشق ، فأقدم على عقد

(١) ابن القلانسي ، ص ٢٥٢-٢٥٣ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الكامل ،

ج ١١ ص ٣٨ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ص ١٠ .

مهادنة وموادة معهم لاجل مواجهة الصليبيين (١) .

ومعد أن انتهى عماد الدين زنكى من أمر الحملة البيزنطية الصليبية التي استهدفت الاستيلاء على حلب وشيزر وغيرها من مناطق شمال الشام سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م (٢) ، عاد الى محاولة الاستيلاء على حمص ودמשق فسار في السنة نفسها من حلب الى حماة ومنها الى بعلبك وطك حصن المجدل ، وكان تابعا لصاحب دمشق . وخاف والى بانياس من قبل حكام دمشق فراسل عماد الدين زنكى ووعده بتسليم بانياس اليه . وواصل عماد الدين مسيره الى حمص وشد عليها الحصار ، وارسل الى شهاب الدين محمود للتفاوض معه في تسليم حمص له وتمويض حكام دمشق عنها ببصرين واللكمة والحصن الشرقي ، وأن يتزوج بأمه ويزوجه ابنته معتقدا بذلك انه اذا تزوجها " كان ذلك طريقا الى تملكه دمشق " . فتزوج عماد الدين بوالدة شهاب الدين محمود وتسلم حمص مع قلعتها الا انه بعد زواجه منها غاب أمله في الوصول الى دمشق عن طريق هذه الزيجة لان والد شهاب الدين محمود بعد زواجها فقدت مكانتها وسطوتها لدى حكام دمشق (٣) .

---

(١) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣١ هـ ، انظر ابن القلانسي ص ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٧١ .  
- مصرين - اوبارين - بلد بين حمص والساحل . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٢) انظر مايلي ص

(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٥٥ ، انظر ابن القلانسي ص ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ٢ ص ٧٦-٧٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦٢-٢٦٣ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

- وحصن المجدل : بلد طيب وحصين بالخابور . واللكمة : حصن بالساحل قرب عرقة . انظر ياقوت - معجم البلدان .

وفى سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م تم اغتيال شهاب الدين محمود بسبب سوء سيرته اذ اغتاله ثلاثة من غلمانه بدمشق ، ولكن القائمين بدمشق ممن الامراء كتبوا على وجه السرعة الى أخيه جمال الدين محمد بن يورى يستدعونه من بعلبك . فحضر الى دمشق واستولى على مقاليد السلطة ، وفوض أمر دولته الى أتر (١) .

ولا يستبعد ان يكون معين الدين أتر قد سعى الى تدبير اغتيال شهاب الدين محمود بن يورى ، بدليل الخطوة التي اتخذها جمال الدين محمد بن يورى فى تعيين أتر بعد دخوله الى دمشق مباشرة . يضاف الى ذلك ما سعى اليه أتر من ابعاد بهرام شاه أخى شهاب الدين محمود عن دمشق وانضمامه الى عماد الدين زنكى (٢) .

أدى حادث اغتيال شهاب الدين محمود الى تدخل عماد الدين زنكى فى شئون دمشق مرة أخرى والميل على انتزاعها من يد معين الدين أتر وجمال الدين محمد بن يورى . وقد ذكر المؤرخون ان زوجة عماد الدين زنكى زمرد خاتون قد وجدت على ولدها شهاب الدين محمود وجدا شديدا وحزنت عليه ، وأرسلت الى زوجها عماد الدين زنكى وهو بالموصل تعرفه الحادثة وتطلب منه أن يقصد دمشق ويطالب بثأر ولدها . فأقبل عماد الدين زنكى ، وفى مقدمته الامير الحاجب صلاح الدين محمد الياغيسىانى فسار

---

( ١ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٣ هـ ، ابن القلانسى ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٦٨ ، ابن العديم ، زيد قال حلب ج ٢ ص ٢٧٢ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ج ٨ ، ص ١٧٢ .

( ٢ ) ابن العديم ، زيد قال حلب ، ج ٢ ص ٢٧٢ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٣ هـ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ص ١٢٦ .

حتى عبر الفرات ، ودخل حلب في اواخر سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م وحمل  
منها الى حماه . فلما علم من دمشق بهذا الامراحتاطوا واستعدوا  
واستكثروا من الذخائر ولكن عماد الدين زنكي عدل عن المسير الى دمشق  
وتوجه الى بعلبك ، وراسل معين الدين بشان تسليم بعلبك فرفض ان  
تسليم بعلبك ، وضيّق عماد الدين زنكي عليها بعد أن نصب  
عليها اربعة وعشرين منجنيقا ، حتى ضاق الامر على من بها فطلبوا الامان  
من عماد الدين زنكي فأمنهم وسلموا اليه القلعة في شهر صفر من سنة  
٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م فلما نزلوا منها غدر بهم عماد الدين وملك بعلبك وجعل  
عليها نجم الدين ايوب والد صلاح الدين الايوبي . وأدت سياسة عماد  
الدين تجاه أهل بعلبك وما انزله بهم من العقاب الى تصميم اهل المدن ،  
الاخرى على الدفاع عن بلادهم " لاسيما اهل دمشق فانهم قالوا : لو ملكنا  
لفعل بنامثل فعله بهؤلاء " فازدادوا نفورا وجدا في محاربته (١) . ولم  
يكف معين الدين انرا بالاستعدادات العسكرية في الدفاع عن دمشق  
بل انه سعى ايضا الى ارسال أسامة بن منقذ الى الوزير الفاطمي رضوان بن  
الولخشى الذي كان قد لجأ الى عماد الدين زنكي وساعده على فتح  
بعلبك . واستطاع أسامة بن منقذ اقناع رضوان بمفارقة عماد الدين زنكي  
وحذره جانبيه (٢) .

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٦٨ ، ٦٩ ، انظر ابن العمديم ، زبدة  
الحليب ج ٢ ص ٢٧٢ ، ابن القلانسي ص ٢٦٩ ، العظيبي ، تاريخ  
العظيبي ، حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

( ٢ ) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٣٠ - ٣١ ، الازدي ، الدول المنقطعة ،  
ص ٩٩ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، حوادث سنة ٥٣٣ هـ .  
٥٣٤ هـ .

أما عن سبب وصول الوزير الفاطمي رضوان بن الولخشى الى بلاد الشام  
فلان العلاقات قد ساءت بينه وبين الخليفة حافظ ما اضطره الى  
الرحيل الى بلاد الشام والاستقرار طرف صاحب صرخد ، بقصد =

بعد أن انتهى عماد الدين زنكى من أمر بعلبك وترميم ما تشمشت  
 فيها سار الى دمشق فى السنة نفسها ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م فلما نزل قريبا  
 من البقاع أرسل الى صاحب دمشق وعرض عليه تسليم دمشق وتعويضه عنها  
 بعلبك وحمص فلم يجبه الى ذلك ، فتقدم عماد الدين زنكى ونزل بظاهر  
 دمشق وبدأت المناوشات بين الطرفين ثم تجددت المراسلات بين الطرفين  
 فى الصلح وأجاب جمال الدين الى تسليم دمشق ولكنه حصل ما لم يكن فى حساب  
 عماد الدين زنكى ان اشتد المرض بجمال الدين محمد حتى ادى الى وفاته  
 فى شعبان من السنة نفسها ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ما أطمعه فى الاستيلاء على  
 دمشق ، فعاد عماد الدين القتال مرة أخرى مستغلا فى ذلك وفاة صاحب  
 دمشق وطمعا فى وقوع الاختلاف بين الامراء بدمشق . غير ان الامر كان بالشدة  
 ان أن المقدمين فى دمشق سموا الى تولية ابنه مجير الدين أبى بن محمد ،  
 ووقفوا فى وجه عماد الدين بكل قوة وصلابة (١) .

ولما كانت حالة أهل دمشق قد بلغت حدا من الضعف والخوف من  
 الوقوع فى يد عماد الدين زنكى لشدة الحصار المضروب عليهم من عماد الدين

---

= الاستعانة به ضد خصومه فى مصر . وقد حاول الانضمام  
 الى عماد الدين زنكى ومساعدته من اجل الحصول على مساعدات من  
 عماد الدين غير ان ذلك اهتم بسبب السعى الذى سعى به أسامة بن  
 منقذ بأمر من معين الدين انو صاحب دمشق . انظر المصادر السابقة .

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٧٠-٢٧١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ،  
 ص ٢٧٢-٢٧٣ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٧٣ ، ابن كثير ،  
 البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٦ ، الذهبى ، العبر ، ج ٤ ص ٩٣ ،  
 ونسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٦٤ .

- ومجير الدين أبى هو ابوسعيد التركى المعروف بمغضب الدولة ، ولد  
 فى بعلبك وقدم الى دمشق مع ابيه محمد ، وتولى حكم دمشق فى الثامن  
 من شعبان سنة ٥٣٤ هـ عند ما كان عماد الدين محاصرا لدمشق ،  
 وكان أبى صغير السن حين تولى امر دمشق فظل تحت وصاية معين الدين =



ولصفر سن مجير الدين أبى لذلك كاتب معين الدين أنز الصليبيين —  
 وطلب منهم النجدة ضد عماد الدين على ان يسلمهم بانياس بعد استعدادتها  
 من زكى وبلغ عشرين الف دينار يؤديها لهم كل شهر . ولم يكف بهذا  
 بل انه خوف الصليبيين من عماد الدين زكى وحذرهم من انه لو ملك دمشق  
 فانه لن يبقى لهم معه فى الشام مقام . وعند ما علم عماد الدين زكى بما تم  
 عليه الاتفاق بين أنز والصليبيين رفع الحصار عن دمشق وتوجه الى حوران فى  
 رمضان من السنة نفسها للقاء الصليبيين قبل وصولهم الى دمشق ، غير  
 أن الصليبيين حين علموا بتحركات زكى ، لم يخرجوا من بلادهم فعاد  
 عماد الدين الى حصار دمشق فنزل شمال دمشق واحرق عدة قرى من المروج  
 والغوطة ورحل عائدا الى بلاده (١) . وحدث أثناء حصار عماد الدين  
 لدمشق أن خرج والى بانياس من قبل عماد الدين زكى فى عدة وافرة  
 من أصحابه للاغارة على الصليبيين بصور ، وكان صاحب أنطاكية قد خرج  
 منها فى الوقت نفسه باتجاه دمشق نجدة لها من عماد الدين زكى . والتقى  
 صاحب أنطاكية بالوالى بانياس فأسره وقتله . فلما سمع معين الدين أنز بذلك  
 خرج الى بانياس وحاصرها وضيق عليها الحصار ومعه طائفة من الصليبيين  
 فأخذها وسلمها الى الفرنج (٢) .

= أنز . انظر ، صلاح الدين المنجد ، ولاية دمشق فى العهد السلجوقى  
 نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير المحافظ ، ابن عساكر ،  
 ص ٢٣ .

( ١ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٥ هـ ، ابن القلانسي ،  
 ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٧٤ ، ابن العديم  
 زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٧٣-٢٧٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ،  
 ص ٨٨ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٦٤-٣٦٧ ،  
 وحوران كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبله ذات قرى كبيرة  
 ومزارع كثيرة . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) ابن القلانسي ص ٢٣ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٧٤ ، ابن واصل ،  
 مفرج الكروب ، ج ٢ ص ٨٨ .

وما ان بلغ عماد الدين زنكى نبأ تسليم بانياس الى الصليبيين حتى جمع جموعه وسار صوب بانياس لانتزاعها من يد الصليبيين . ولكنه اراد قبل ذلك الانتقام من حكام دمشق فخرج في ذي القعدة من سنة ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م ، وسار حتى بلغ دمشق وقرب من سور البلد ففرق عساكره وأمرهم بالاغارة على المناطق المحيطة بدمشق كالغوطة وحوران والجزيرة بينما سار هو مع مجموعة من خواصه فنازل بهم دمشق سحرًا ولم يشعر به أحد الا ان الذعر الذي أصاب اهل دمشق حمسهم على قتال عماد الدين ولم يمكنه من البلد واجبروه على الانسحاب الى مرج راهط لقلته من كان معه من الجند لان أغلب عساكره كان قد فرقهم في البلاد المحيطة بدمشق . وفي مرج راهط اجتمع عماد الدين بأصحابه وقد امتلأت أيديهم بالغنائم ورحل عائدا الى بلاد<sup>(١)</sup> .

وهكذا لم يستطع عماد الدين الاستيلاء على دمشق حتى بعد أن جرد لها من البلاد التابعة لها كحمص وحماة ومعلبك وغيرها ، وذلك بسبب استطاعة اهل دمشق في الدفاع عنها ، يضاف الى ذلك ما بذله معين الدين أنر في سبيل الحفاظ عليها ومنعها من السقوط في يد عماد الدين زنكى ، حتى أن معين الدين أنر لم يجد حرجا في الاستمانة بالصليبيين ضد عماد الدين زنكى كما رأينا . ويمكن القول بان حكام دمشق من أسرة طغتكين قد وقفوا حجر عثرة في وجه عماد الدين زنكى الذي كان يهدف الى توحيد الجبهة الاسلامية للوقوف في وجه الصليبيين من أجل بحث فكرة الجهاد الاسلامي

---

(١) ابن القلانسي ، ص ٢٧٣ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٧٥ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٧٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٨٩ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ١٥ .  
- ومرج راهط مرج بنو حى دمشق وهو أشهر مروج بلاد الشام . انظر يا قوت ، معجم البلدان .

ضد الصليبيين وإلى تقويض الوجود الصليبي في كل من الجزيرة بلاد الشام (١).

عماد الدين والصليبيون حتى قبيل سقوط الرها (٥٢١-٥٣٨ هـ / ١١٢٧-١١٤٣ م) :

١١٤٣ م :

ما ان تولى عماد الدين زنكي الموصل سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م حتى أدرك مدى قوة الصليبيين وضعف المسلمين وتفرق كلمتهم . ولم يشأ أن يقاتلهم الا بعد أن يتم استعداداته باستكمال توحيد الجبهة الاسلامية في الشام والجزيرة ، ليوفر لرعاياه مزيدا من الطمأنينة حتى تكون جبهته الداخلية قادرة على تحمل ما سيقع من حوادث في المستقبل سواء كانت نصرا ام هزيمة فوقع في السنة المذكورة ( ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ) هدنة مع جوسلين — Joceline صاحب الرها لمدة سنتين وذلك من اجل التفريغ للاستيلاء على مزيد من الاقاليم في بلاد الشام والجزيرة التي لم تكن تحت يدهم الصليبيين ، بهدف اصلاح ما افسده قادة الاتراك الذين كانت لهم مطالع شخصية ، ثم تولية هذه الاقاليم في بلاد الشام والجزيرة لامرأته يختارهم بنفسه ويرى مدى قدرتهم وشجاعتهم على مواجهة الصليبيين . وفي ذلك يقول ابن الاثير " وأرسل الى جوسلين صاحب الرها وغيرها من البلاد التي بيد الفرنج بالجزيرة وهادنه مدة يسيرة يمام انه يفرغ من الاستيلاء على ما بقى من البلاد الشامية والجزيرية واصلاح شأنها والفراغ من اقتطاع بلادها لجند يختبرهم ويعرف نصحتهم وشجاعتهم " (٢) .

- 
- ( ١ ) انظر سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٥٧ ، حامد غنيم ابوسعيد ، الجبهة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٥٤ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ص ١٦٦ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٣٧ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ص ٦٤٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٣٦ .

وكان عماد الدين زنكي قبل توقيع الهدنة مع جوسلين قد تلقى نداءً من أهل حران القريبة من الرها وسروج يطلبون منه القدوم الى بلادهم فخاف عماد الدين زنكي من أن يصطدم بجوسلين صاحب الرها فاضطر الى عقد الهدنة معه (١) ، وكان جوسلين قد بلغ وقتذاك سناً لم يعد يسمح له بالمغامرات التي كان يقوم بها في شبابه ، لذلك وافق على ما طلبه منه عماد الدين زنكي " فاستقرت قاعدة الصلح بينه (أى عماد الدين) وبين جوسلين على ما اختاره " (٢) على أن أهم نتائج هذه الهدنة مع جوسلين انها سهلت لعماد الدين زنكي مهمة الوصول الى حلب واستيلائه عليها في السنة التالية ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م لان الاستيلاء على حلب والقضاء على ما بها من فوضى كان أهم اهداف عماد الدين زنكي ، وقطع استيلاء عماد الدين زنكي على حلب حبل الامل امام الصليبيين في الاستيلاء عليها مستقبلاً (٣) .

وبعد استيلاء عماد الدين زنكي على حلب سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م غادر بلاد الشام الى بغداد لتسوية بعض الامور مع السلاجقة والخلافة العباسية عاد بعدها الى بلاد الشام في سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م وأخذت أوضاعه في الاستقرار خاصة بعد أن فرغ من أمر الامراء الارتقية بديار بكر والجزيرة وأمن ناحيتهم . كما قدم الى عماد الدين زنكي من دمشق احد الرجال الذين تمسوا على حرب الصليبيين ذلك هو سوار بن ايتكين فولاه حلب وأعمالها .

( ١ ) ابوشامة ، الروضتين ج ١ ق ١ ص ٧٧-٧٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الباهر ص ٣٧ .

( ٣ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٥٠ .

وكانت لابن ايتكين اليد الطولى فى حرب الصليبيين الى جانب عماد الدين زنكى (١) . وأخذت اوضاع الصليبيين فى بلاد الشام والجزيرة فى التدهور حيث أن جوسلين الثانى صاحب الرها لم تعد عنده القدرة الفائقة على القيام بحفامرات ، ثم ان يوهنند الثانى صاحب انطاكية قتل فى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م فى لقاء له مع سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى مخلفا فى حكم انطاكية زوجته اليس ابنة بلدوين ملك بيت المقدس ، فأبدت العداوة للصليبيين ووقفت فى وجه والدها بلدوين محاولة منعه من دخول انطاكية . الا انها لم تستطع الصمود أمامه ، فدخل انطاكية وهاقب كثيرا من أنصارها وهفى ضحاها من القتل غير أنه اخذ منها انطاكية وهرب لها جيلة والاذقية بينما عاد هو الى بيت المقدس (٢) . وموت يوهنند الثانى صاحب انطاكية يقوول رنسيمن لقد انتهى دور الجيل القديم من زعماء الصليبيين وظهر جيل جديد من الرجال والنساء الذين لم يسعوا الا الى المحافظة على ما امتلكوه (٣) .

أما عماد الدين زنكى فانه بعد أن فرغ من أمر السلاجقة والخلافة العباسية وسيطر على بعض المدن والقلاع بمنطقة الجزيرة رأى انه لابد له

- 
- ( ١ ) العظيى ، تاريخ العظيى حوادث سنة ٥٢٤ هـ ، ابن الاثير ، الباهر ، ص ٣٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٤٥ .  
 ( ٢ ) العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥٢٤ هـ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١ ص ٦٦٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٤٦-٢٤٧ الميرنى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج ١ ص ٥٠١ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ص ١٣٩ .  
 ( ٣ ) ستيفن رنسيمن ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٢٩٢-٢٩٧ ، ٥٤

من مواجهة الصليبيين عسكريا خصوصا وان الهدنة التي بينه وبين جوسلين قد انتهت وان الصليبيين قد استولوا على حصن القدموسى من المسلمين وأواخر سنة ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م (١) . وأدرك عماد الدين زنكى أهمية حصن الاثارب الواقع بين حلب وأنطاكية - وما كان يلقاه اهل حلب من به من الصليبيين . ويعلق ابن الاثير على ذلك بقوله " وكان اهل البلد ( حلب ) معهم ( اى الصليبيين ) فى ضر شديد وضيق كل يوم ، قد أغاروا عليهم ونهبوا أموالهم " . فأخذ عماد الدين زنكى فى الجمع والاحتشاد والتزود بكل انواع المتاد وخرج من حلب صوب الاثارب والصليبيون قد جمعوا به كل طاقاتهم حتى انهم اعتبروا ان هذه الواقعة مع عماد الدين زنكى سيكون لها ما بعد ها فأخذ فى حصار الاثارب ، ولم ينفرد بالرأى فى أمر المسلمين ، بل استشار رجاله فأشار عليه بعضهم بالعودة الى حلب واستدراج الصليبيين وسهاجتهم بعد تفرقهم . ولكن عماد الدين زنكى اعتبر هذه المشورة هزيمة المسلمين وانها ستطمع الصليبيين فى المسلمين . وصمم على لقاءهم فتم ذلك بين الطرفين قريبا من الاثارب فى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م وكان النصر الى جانب المسلمين . واستولى عماد الدين زنكى على الاثارب ، ودك حصنها ، وحث رجاله على الفتك بالصليبيين " وقال : هذا أول وصاف عطناه معهم فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ، ففعلوا ما أمرهم " فأحدث ذلك فى الصليبيين مقتلة عظيمة (٢) .

( ١ ) العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥٢٣ هـ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١ ص ٦٦٢-٦٦٣ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ،

ص ٣٩-٤١ ، العظيى ، تاريخ العظيى ، حوادث سنة ٥٢٤ هـ ،

ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٤٣ ، ابوالفدا ، المختصر ،

ج ٣ ص ٤٣-٤٠ .

وهكذا تم تخريب حصن الاثارب فحقق عماد الدين زنگى أول انتصار له على الصليبيين . ومن الاثارب توجه عماد الدين زنگى الى قلعة حارم بالقرب من أنطاكية وهى بيد الصليبيين ف ضرب عايتها حصارا شديدا حتى اضطر من بها من الصليبيين الى بذل نصف دخلها لعماد الدين زنگى . ولأن الكثيرين من رجال عماد الدين زنگى قد تضرروا من المعركة التى تمت فى الاثارب ، فقد وافق عماد الدين على الهدنة مع الصليبيين ومناصفتهم فى دحل حارم (١) . ولم يكتف عماد الدين زنگى بما حققه من نصر على الصليبيين فى الاثارب وما فرضه عليهم من مناصفتهم فى بلد حارم بل قام هو ومن معه من عساكره بالاغارة على بلد عزاز ومعرة مصرين وتل باشر . ولعل عماد الدين قد أراد من وراء هذه الغارات الخاطفة اظهار جانب قوة المسلمين أمام الصليبيين (٢) . وتأكد للمسلمين فى بلاد الشام قرب النصر ، بما حققه عماد الدين زنگى من الانتصارات على الصليبيين حتى انهم ارسلوا البشائر الى معظم البلاد الاسلامية فى الوقت الذى اصبحت فيه الصليبيون فى موقف المدافع بعد أن كانوا فى موقف المهاجم ضد المسلمين ، وعلما بعجزهم عن مواجهة عماد الدين زنگى " صار قصاراهم حفظ ما بأيديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع " (٣) . يضاف الى ذلك ان هذه الانتصارات مهدت لعماد الدين الطريق الى الاستيلاء على معظم بلاد الشام الواقعة فى أيدي الصليبيين .

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٤٢ .  
وحارم : حصن حصين وكورة جائلة تجاه انطاكية انظر ياقوت ، معجم البلدان .
- ( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحطب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ ، ابن واصل مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ٤٠-٤٣ ، تاريخ المظفرى حوادث سنة ٥٢٤ هـ .  
وعزاز بليدة صغيرة تقع شمال حلب . ومعرة مصرين بليدة صغيرة وكورة بنواحي حلب وتمتد من اعاليها بينها وبين حلب خمسة فراسخ .  
وتل باشر قلعة حصينة بشمال حلب بينها وبين حلب مسيرة يومان على الاقدام . انظر ياقوت : معجم البلدان .
- ( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١٠ ، ص ٦٦٣ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٤٢ ، العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج ١ ، ص ٥٠١ .

وتجدد الإشارة الى انه على الرغم من الظروف التي تهيأت لحملات الدين  
زنكى بوفاة بلدوين الثانى ملك بيت المقدس سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م وحصول  
الشقاق بين الصليبيين ، الا أنه لم يهتبل هذه الفرصة المقيام بحملات  
عسكرية ضد الصليبيين الا فى وقت متأخر نظرا لانشغاله بالاوضاع التي تجددت  
فى بغداد عقب وفاة السلطان محمود بن محمد الذى توفى فى السنة نفسها ،  
ودخوله فى النزاع الذى نشب بين ابنا البيت الساجوقى على منصب السلطنة ،  
ثم تعرضه للحملة التى قام بها الخليفة العباسى المسترشد بالله على الموصل  
سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م . كما أن عماد الدين زنكى قد انشغل فى تلك  
الفترة بتوسيع قاعدة حكمه فى بلاد الجزيرة وديار بكر (١) . الا أن عماد الدين  
زنكى الذى وضع نصب عينيه مهمة الجهاد ضد الصليبيين لم يهمل هذه  
الناحية بل اوجز الى نائبه فى حلب سوار بن ايتكين بالقيام بمهمة مواجهة  
الصليبيين فقام سوار فى سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م بغزو الصليبيين فى تل باشر  
فقتل منهم خلقا كثيرا (٢) . ولم يقف سوار بن ايتكين عند هذا الحد بل  
استغل تدفق كثير من التركمان الى بلاد الشام فى هذه السنة فوجههم الى  
الغارة على اماره طرابلس الصليبية ، فاستطاعوا النيل منها واقمعوا هزيمة  
ساحقة بالصليبيين بها . ولم تقتصر غاراتهم على اماره طرابلس بل استطاعوا  
هزيمة الصليبيين فى بحرين - فى تلك السنة - هزيمة كادت تؤدى الى سقوط  
هذا الحصن بأيديهم (٣) .

- 
- ( ١ ) انظر ما سبق فى الحديث عن عماد الدين فى صفحات متعددة .  
( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١ ص ٨ ، ابن القلانسى ص ٢٣٦ ، ابن العديم  
زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٥١-٢٥٢ . العظمى ، تاريخ العظمى ،  
حوادث سنة ٥٢٧ هـ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٠٤ .  
( ٣ ) ابن القلانسى ص ٢٤٠ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١ ص ٧-٨ ، ابوالفدا ،  
المختصر ج ٣ ص ٨ .



ويمكن القول بان تدفق هؤلاء التركمان الى بلاد الشام قد جاء نتيجة  
 لسماعهم بانتصارات عماد الدين زنكى على الصليبيين فى الاثارب سنة  
 ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م وما وصلهم من اخبار الاشفاق الذى حصل بين الصليبيين  
 فى سنة ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م ، ثم رغبته الصادقة فى تلبية داعى الجهاد  
 فى سبيل الله خصوصا وان هؤلاء التركمان قد عرفوا بتحمسهم الشديد للدفاع  
 عن الدين ورغبته فى المغامرات والحصول على الغنائم والاسباب (١) . كما  
 لا يستبعد ان يكون مجىء هؤلاء التركمان الى بلاد الشام قد رفع الروح المعنوية  
 لحكام دمشق حيث قاموا باستعادة بعض مناطق نفوذهم وانزلوا هزيمة  
 بالصليبيين فى سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م فى عكا والناصرة ، وطبرية ، مما أدى  
 الى انهالك قوى الصليبيين فى بيت المقدس وغيرها ، مما اضطرهم الى عقد  
 هدنة مع شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق فى تلك السنة . على أن ما حصل  
 بالصليبيين فى هذه السنة من انقسام داخلى وهزائم متلاحقة من المسلمين  
 قد سهّل لعماد الدين زنكى ونائبه فى حلب مهمة استعادة بعض المعاقل  
 كالمعرة وكفرطاب ووزر والى التى كانت تحول دون وصول غارات المسلمين الى انطاكية  
 ولم يقف سواربن ايتكين نائب عماد الدين فى حلب عند هذا الحد بل  
 استطاع فى سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ان يجمع اكبر عدد من التركمان وغيرهم  
 وقصد اللاذقية وهى بيد الصليبيين على غرة منهم ، وأنزل بهم هزيمة  
 ساحقة أسفرت على حد قول ابن العديم عن وقوع سبعة آلاف من الصليبيين

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ١١-١٢ ، ابن العديم ، زبدة  
 الحلب ج ٢ ص ٢٥٤-٢٥٥ ، العظيمى ، تاريخ العظيمى ، حوادث سنة  
 ٥٢٨ هـ ، أبو الفدا ، المختصر ج ٣ ص ٨-٩ ، ابن قاضى شهباسة  
 الكواكب الدرية ص ٩٩ .

وزر نابلدة صغيرة تقع شمال حلب . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

أسرى فى يد المسلمين ومائة ألف رأس من الماشية ، وتغريب ونهب أكثر من مائة قرية (١) .

وفى سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م وصل عماد الدين زنكى الى حلب قادما من الموصل بقصد الاستيلاء على حمص - التى كان شمس الطوك اسماعيل بن يورى قد استعادها ممن استحفظهم عماد الدين عليها سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م - وغزو الصليبيين واضعا فى اعتباره الاستيلاء على حصن بحرين الذى وصفه ابن الاثير بأنه " من أمتع معاقل الفرنج وأحصنها " (٣) . وكان الصليبيون قد خرجوا نجدة لاهل حمص من عماد الدين زنكى ، فلما علم بذلك رحل عن حمص واتجه الى بحرين فلما نزل عليها قاتلها فحشد الصليبيون فارسهم وراجلهم وساروا الى بحرين بقصد ترحيل عماد الدين زنكى عنها ، فلقبهم وقاتلهم أشد قتال (٤) . وكان سوار بن ايتكين قد التقى بطلائع الصليبيين فأوقع بهم هزيمة ساحقة اسفرت عن وقوع ريموند صاحب طرابلس فى الأسر بينما سعى فولك ملك بيت المقدس وجموع كثيرة من الصليبيين الى دخول حصن بحرين وهم على غاية من الضعف والخوف . واستغل عماد الدين زنكى ذلك وضرب حول بحرين حصارا شديدا منع عن الصليبيين الذين بداخل القلعة كل شئ حتى الاخبار من بلادهم ، الى أن نفذ ما عندهم من القوات فطلبوا الامان من عماد الدين زنكى ولكنه رفض فى بادئ الأمر . غير أن أنباء حشود الصليبيين والبيزنطيين قد بلغت فاضطر الى اجابتهم

( ١ ) ابن الحديد ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦٠-٢٦١ ، انظر ابن القلانسي ، ص ٢٥٥ .

( ٢ ) ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ٧١ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٥١ .

( ٤ ) ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٣ .

الى عقد الصلح وشرط عليهم تسليم حصن بصرين وتقدير مبلغ خمسين ألف دينار فأجابوه الى ذلك لعلمهم بعدم قدرتهم على صده ، وبأسهم من نجدة تصلهم . وطلبوا من عماد الدين اطلاق سراحهم " فأطلقهم وتسلم الحصن منهم وخلع على الملك فولك وأكرمه " وعادت جميع الصليبيين التي خرجت لنجدة ملك بيت المقدس الذي كان محصورا في بصرين بقيادة ريموند دي بواتييه صاحب أنطاكية عند سماعهم بسقوط بصرين في يد عماد الدين زنكي (١) .

وهكذا استولى عماد الدين زنكي على حصن بصرين الذي كان من أضر البلاد على المسلمين إذ خرب أهله من الصليبيين البلاد الواقعة بين حماة وحلب . ولم تقتصر أهمية سقوط بصرين في يد عماد الدين زنكي عند حد أسر زعماء الصليبيين بل أدى ذلك الى أن البلاد الواقعة بين حماة وحلب قد عمرت وعظم دخلها وأمن المسلمون على أنفسهم وأموالهم على حد قول ابن الاثير (٢) .

أما عن الصليبيين في أنطاكية فانه بعد عودة ريموند فقيس فشله في انقضاء الملك فولك ملك بيت المقدس ، واستمادة حصن بصرين من عماد الدين زنكي سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م ، ففقد وجب دولا الامبراطور البيزنطي حنا كومنن قد نزل عليها وضائقها في آخر تلك السنة .

- 
- (١) ابن القلانسي ص ٢٥٩ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، والحاوية رقم (١) بنفس الصفحة ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٣ ، ٥١ - ٥٢ ، ابن الاثير ، الباهر ص ٥٩ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ١٢ ، العظمي ، تاريخ العظمي حوادث سنة ٥٣١ هـ ، الغزي نهر الذهب ج ٣ ص ٨٩ - ٩٠ ، العريني ، الشرق الاوسط ج ١ ص ٥١٢ ، (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٢ .

ولكن ريموند لم يشأ أن يدخل في حرب مع الإمبراطور البيزنطي إذ لا يوجد بينهما تكافؤ في القوات والعتاد . وأرسل ريموند إلى الملك فولك ملك بيت المقدس يستشير في الأمر ، فأشار على ريموند بمصالحة الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين وعدم مجابهته وذلك من أجل الاستعانة به ضد عماد الدين زنكي فما كان من ريموند إلا أن عقد صلحا مع الإمبراطور البيزنطي (١) . ولم تشتر المصادرات التاريخية الإسلامية كابن القلانسي وابن الأثير وابن العديم إلى بنود الصلح الذي تم بين ريموند صاحب أنطاكية والإمبراطور حنا كومنين إلا أن بعض المراجع الأجنبية والعربية قد أشارت إلى بعض بنود هذا الصلح كالاكتشاف بسيادة الإمبراطور على أنطاكية والاتفاق على احتلال مدن شمال الشام كحلب وشيزر وحمص وحمص ومحمصا إقطاعا لريموند دي بواتييه ، وإعادة النظام الكنسي البيزنطي إلى ما كان عليه بأنطاكية قبيل مجيء الصليبيين إلى بلاد الشام (٢) . وأصبح لزاما على الطرفين البيزنطي والصليبي بمقتضى هذا الصلح السير قدما لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه من احتلال مدن شمال الشام على الرغم من أنها قد عرفوا مسبقا . عجزهما عن استعادة بصرين من عماد الدين زنكي . حتى أن الإمبراطور البيزنطي قبل أن يقوم بهجوم على أملاك عماد الدين زنكي في حلب أرسل في آخر سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م رسلا إليه وهو مخيم بالقرب من حمص (٣) . ويقول

( ١ ) ابن القلانسي ص ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، رنشيمن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٦٧ .  
 ( ٢ ) رنشيمن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٤١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٦٨ ، عليه الجنزوري ، إمارة الرها ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ،  
 Vasilieu, History of the Byzantine Empire, V.2, p.646.

( ٣ ) ابن القلانسي ص ٢٦٢ .

رئيسيان عن هذه السفارة انها توجهت الى عماد الدين زنكى لتوهمه أن البيزنطيين ليسوا راغبين في أن يبادروا الى مهاجمته (١) . غير أن عماد الدين زنكى أعاد رسول الامبراطور البيزنطى ومعه رسل يحملون السلى الامبراطور هدية سنیه عبارة عن فهود وراة وصقور ، فعاد رسول عماد الدين اليه ومعه مندوب من قبل الامبراطور يحمل خبرا لعماد الدين مفاده أن الامبراطور مشغول بحرب الارمن (٢) . وعلى الرغم من تبادل المراسلات بين عماد الدين والامبراطور البيزنطى ، تلك المراسلات التى لم تتم عن حسن نية من قبل الامبراطور البيزنطى فان نائب عماد الدين بحلب (سواربسن ايتكين ) قد استطاع أن يوقع بسرية بيزنطية كانت قد أغارت على أطراف حلب في أواخر سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م (٣) .

ومع أن المصادر التاريخية العربية كمؤلفات ابن المديم وابن القلانسى لم تذكر أن عماد الدين قد عقد هدنة مع الصليبيين ولا حتى مع البيزنطيين اثناء المراسلات التى تمت بينه وبين الامبراطور البيزنطى هناكومنين سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م ، فان المصادر المذكورة قد ذكرت أن الصليبيين قد نقضوا الهدنة المعقودة بينهم وبين عماد الدين في سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ، وقبضوا على التجار والمسافرين من أهل حلب الموجودين بأنطاكية وساحل الساحل وقد قدر عددهم ابن القلانسى بنحو خمسمائة رجل ، حتى لا تتسرب أخبار الحشود والاستعدادات التى حشدتها الامبراطور والصليبيون بأنطاكية

- 
- ( ١ ) سيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٤٣ .  
 ( ٢ ) المظيى ، تاريخ المظيى ، حوادث سنة ٥٣١ هـ . ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ .  
 ( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ٢٦٢ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦٣ ، تاريخ المظيى حوادث سنة ٥٣١ هـ .

ضد عماد الدين زنكى (١) . وما ان بلغت المسامين أخبار القوات البيزنطية والصليبية وما أقدم عليه الامبراطور البيزنطى من الفتك برعايا المسلمين الموجودين فى أنطاكية وبلاد الساحل حتى تخوف أهل حلب من مهاجمة الصليبيين والبيزنطيين لهم ، فشرعوا فى تحصين البلد بحفر الخنادق وتخزين المؤن استعدادا لما سيحل بهم من هجوم صليبي بيزنطى خصوصا وان عماد الدين زنكى بعيد عنهم (٢) .

ومعد أن استكمل الامبراطور البيزنطى كامل استعداداته وحشوده من البيزنطيين والصليبيين سار حتى بلغ قريبا من حلب فى شهر رجب سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ونزل بمن معه على حصن بزاعة وضرب عليها حصارا شديدا . ولا ستبسال أهلها فى الدفاع عنها ظل الامبراطور محاصرا لها مدة اسبوعين حتى اضطر من بها من المسامين الى الاستسلام ، وفقد الامبراطور بأهلها واجبر بعضهم على اعتناق النصرانية . ولم يكتف بهذا بل ظل عشرة أيام أخرى يدخن على من بقى من سكانها فى المغارات حتى أهلكهم بالدخان (٣) . وسرت المدة التى قضاها الامبراطور البيزنطى فى حصاره لحصن بزاعة اسكان حلب الاستعداد والتأهب للبيزنطيين والصليبيين خاصة وانه قد وصلهم بعض البيزنطيين الذين ضلوا طريقهم

- ( ١ ) ابن القلانسى ، ص ٢٦٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦٩ ، ونسيان تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٤٤ .
- ( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٣ ، العظيمى ، تاريخ العظيمى ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ .
- ( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ٢٦٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٥٦ ، ابن الاثير ، الباهر ص ٥٥ ، العظيمى ، تاريخ العظيمى ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

فأخبروا أهالي حلب بقدم الإمبراطور اليهم ، فتحرز الناس وتحفظوا وكاتبوا  
عطاء الدين زنكي حينما كان بحمص ، فسير اليهم نائبه بحلب سيف الدين  
سوار ومعه خمسمائة فارس في أربعة من الأمراء ففويت بذلك نفوس أهـل  
حلب (١) .

ظن الإمبراطور البيزنطي انه سيباغت حلب على غرة من أهلها ، فسار  
من بزاعة ومعه صاحب انطاكية والرها حتى وصل ارض الناعورة في شهر  
شعبان من سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م ونزل على نهر قويق وبدأوا بشن هجوم  
واسع النطاق على حلب فتصدى لهم سوار بن ايتكين وأهالي حلب فصدوهم  
ومنحوهم عن تحقيق مقصدهم وهو الاستيلاء على حلب . وأصيب من البيزنطيين  
في هذا الحصار أحد قادتهم فانكأوا الى مخيمهم وظلوا به أياما قليلة  
رحلوا بعدها الى الأثارب فخاف من بها من المسمعين وغادروها فسقطت  
بيد الصليبيين والبيزنطيين ووضعوا بها الأسرى الذين حصلوا عليهم من  
بزاعة (٢) . فنهض اليهم سوار بن ايتكين واستطاع اللحاق بهم واستخلص  
الأسرى الذين كانوا في الأثارب " فسر أهل حلب بهذه التهمة سرورا عظيما "  
على حد قول ابن القلانسي (٣) . ولما علم الإمبراطور البيزنطي حناكومنين

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٥ .

( ٢ ) العثليمي ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

والناعورة بلدة صغيرة بين حلب والس .

ونهر قويق نهر كان يخرق مدينة حلب ويخرج من قرية سبتات يمتد

من حلب الى قنسرين . انظر يا قوت ، معجم البلدان .

( ٣ ) ابن القلانسي ص ٢٦٥-٢٦٦ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ،

ص ٥٦-٥٧ ، الاصفهاني ، البستان الجامع حوادث سنة ٥٣٢ هـ ،

ابن اييك ، كنز الدرر ، ج ٦ ص ٥٢٨-٥٢٩ .

بهذه الخطوة الجريئة من سوطرين ايتكن توجه الى معرة النعمان ، فاستولى عليها في الوقت الذي سار فيه عماد الدين زنكي من حمص الى حماة ومنها الى سلمية ليكون قريباً من حلب (١) .

وعلى ما يبدو فان الامبراطور البيزنطي قد تشكك في قواته بمسند أن فشل في الاستيلاء على حلب ، وبعد ان وصلت اخبار استخلاص الاسرى المسلمين الذين كانوا في الاثارب ، ولذلك رحل الامبراطور الى شيزر في شهر شعبان من السنة نفسها ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م والتي كانت تحت حكم ابو العساكر سلطان بن علي بن منقذ الكنانى (٢) . ونازل الصليبيون والبيزنطيون شيزر وهم في قوات كبيرة من الفرسان والرجالة ، ومعهم من السلاح والكمراع ما لا يحصىه الا الله ، ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقا . وكان سبب مسير الصليبيين والبيزنطيين الى شيزر ما ذكره ابن الاثير " لانها لم تكن لزنكى فلا يكون له في حفظها الاهتمام العظيم " غير ان امل هؤلاء الصليبيين والبيزنطيين قد خاب حين ارسل صاحبها الى عماد الدين زنكي يطلب النجدة والامداد ولكن عماد الدين زنكي لم يشأ ان يغامر بشن هجوم عام على البيزنطيين والصليبيين بسبب تفوقهم في العدد والعدة ، ولذلك اكتفى بشن الغارات المباغتة على الصليبيين والبيزنطيين للنيل منهم وانهاك قواهم " وكان كل يوم يسير الى شيزر هو وعساكره ويرسل سراياه فتأخذ من ظفرت به منهم " (٣) .

- 
- (١) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٦٦ .  
وسلمية : بليدة صغيرة من اعمال حماة . انظر ياقوت ، معجم البلدان  
(٢) ابن القلانسي ، ص ٢٦٤ .  
(٣) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٥٧ ، انظر ابن القلانسي ص ٢٦٤ ، اسامة ابن منقذ ، الاعتبار ص ١١٣-١١٤ ، العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ٧٩ .



ولم يكتف عماد الدين زنكى بشن الغارات على البيزنطيين والصليبيين بل سعى الى امداد شيزر بالرجال والسلاح وآلات الحرب لتقوية مـمن بداخلها من المسلمين . وسعى عماد الدين زنكى أيضا الى تحظيم الروح المعنوية عند البيزنطيين والصليبيين ، فأرسل الى الامبراطور البيزنطى يقول له : " انكم قد تحصنتم منى بهذه الجبال فانزلوا منها الى الصحراء حتى نلتقى فان ظفرت بكم أرحت المسلمين منكم وان ظفرتم بى استرحتم وأخذتم شيزر وغيرها " . ولم يكن فى استطاعة عماد الدين مواجهة الصليبيين ————— والبيزنطيين معا وانما كان يوهمهم بهذا القول وأشباهه ، فكان لهذه الخطة أثرها فى نفس الامبراطور البيزنطى الذى لم يصغ الى مشورة الصليبيين بلقاء عماد الدين زنكى خوفا من وصول نجدات له من الشرق الاسلامى (١) . وفى سبيل تفكيك وحدة الصليبيين والبيزنطيين لجأ عماد الدين زنكى الى حيلة أخرى سعى فيها الى اثارة الفرقة والتناحر بين صفوفهم حيث أخذ فى مراسلة الامبراطور البيزنطى حناكومنين وخوفه من انه لو فارق مكانه فى شيزر لتخلص عنه الصليبيون فى الوقت الذى أخذ فيه عماد الدين زنكى يرسل الرسل الى الصليبيين بالشام يخوفهم من الامبراطور وقال لهم : " ان ملك (اى الامبراطور) بالشام حصنا واحدا ملك بلادكم جميعا ، فاستشعر كل من صاحبه " (٢) . ومن جهة أخرى فان عماد الدين زنكى لم يأل جهدا فى طلب النجدات العسكرية من شتى أنحاء العالم الاسلامى فأرسل الى السلطان مسعود بن محمد ، كمال الدين الشهرزورى يطلب منه نجدة ضد الصليبيين والبيزنطيين ، ولكن

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٥٧ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٥٥

٥٦ - ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ابن قاضى ، شهبه

الكواكب الدرية ص ١٠٩ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٥٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ١ ، ص ٨٢ .

السلطان مسعود لم يستجب لهذا الطلب فبادىء الامر وحتى لجأ مندوب عماد الدين زنكى الى السلطان ، باثارة حماس الناس فى بغداد وما بذله من أموال كثيرة حتى اضطر السلطان الى تلبية رغبة رعاياه باعداد حملة عسكرية سيرها الى بلاد الشام بقصد تقديم المعونة لعماد الدين زنكى (١) .

ولعل أنباء سير هذه الحملة التى أعدها السلطان مسعود قد بلغت الامبراطور البيزنطى حناكومنين مع ما بلغه من أنباء تشير الى عبور قرة أرسلان ابن داود بن أرتق صاحب حصن كيفا فى جيش كبير من التركمان بلغ عدده على حد تعبير العظيم نحو عشرين ألف فارس نجدة للمسلمين بشير (٢) وكذلك أنباء نهوض عساكر دمشق ، ثم ما بلغه من أنباء غارات سلاجقة الروم بآسيا الصغرى على قونيه واستيلائهم على أذنه بايحاء من عماد الدين زنكى حتى يتحول اهتمام الامبراطور الى تلك الجهات ففت ذلك فى عضده . (٣)

وهكذا فشل الامبراطور البيزنطى والصليبيين فى الاستيلاء على شيزر بعد حصار استمر أكثر من أربعة وعشرين يوما متواصلة بفضل الجهود الجبارة التى بذلها عماد الدين زنكى وما امتازت به شيزر من المناعة الطبيعية وسالة المدافعين عنها وتخاذل المقاتلين الصليبيين الذين

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ١٠٢ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ، ص ١٤٦ .

( ٢ ) العظيم ، تاريخ العظيم ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ٢٦٦ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦٧ ، العربى ، الشرق الاوسط ج ١ ص ٥١٦ .

وقونية مدينة كانت من اعظم مدن الاسلام ببلاد الروم . واذنه بلسد من الثخور الاسلامية قرب المصيصة . انظر ياقوت . معجم البلدان .

كانوا مع الامبراطور البيزنطى ، على الرغم من الجهود الجبارة التى بذلها  
الامبراطور حنا كومنين فى الاستيلاء على شيزر . واخيرا فى رمضان سنة  
٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م أمر الامبراطور البيزنطى برفع الحصار عن شيزر وتوجهه  
عائدا الى أنطاكية غاضبا دون تحقيق غرضه تاركا كثيرا من آلات الحصار  
والحرب التى استولى عليها عماد الدين زنكى وأرسلها الى حلب (١) . ومع  
أن المصادر التاريخية العربية قد ذكرت انسحاب الامبراطور البيزنطى الى  
أنطاكية سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٨ م دون الوصول الى أى اتفاق بينه وبين  
أبى العساكر سلطان بن منقذ الكنانى الا أن طيم الصورى قد ذكر انه حدث  
فى ٢٠ مايو من السنة ١١٣٨ م أن أمير شيزر كان قد أرسل يعرض على  
الامبراطور مقابل الانسحاب عن شيزر ان يهديه أجود آفراسه واشوبا من  
الحرير واثمن تحفتين بحوزته وهما مائدة مرصعة بالذهب والجواهر وصليب  
مطعم بالياقوت ، والاعتراف بالامبراطور سيدا أعلى ، وان يؤدى له الجزية  
كل سنة . فمما كان من الامبراطور الذى وصل حدا من الكراهية للصليبيين  
الا قبول هذه العروض مع المحافظة على كرامته وكرامة جيشه ، وقرر الانسحاب  
الى أنطاكية (٢) . وعلى أية حال فقد عاد الامبراطور الى أنطاكية يجر  
أذيال الخيبة لانه لم يحقق فى حملته هذه على بلاد الشام سوى ما حصل عليه  
من أموال ، وهذا يا من أمير شيزر ابوالعساكر سلطان بن منقذ (٣) .

( ١ ) ابن القلانسى ، ص ٢٦٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٥٨ ، وشيطان  
تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٤٧ ، الميرنى ، الشرق الاوسط ،

ج ١ ص ٥١٦ .

( ٢ ) William of Tyre, History of Deeds, Vol. 2, pp. 94-96, ( ٢ )

انظر رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٢٤٧ ، الميرنى ،

الشرق الاوسط ج ١ ص ٥١٦ .

( ٣ ) عليه الجنزورى ، أمانة الرها ، ص ٢٨٥ .

ويمكن القول بأن فشل الامبراطور البيزنطى والصليبيين فى الاستيلاء على شيزر كانت بداية النهاية للحطة العسكرية التى قام بها الامبراطور حنا كومنين على بلاد الشام ، كما أدى هذا الفشل الى أن ذاع صيت عماد الدين زنكى وشهرته ، حتى أنه أعلن بعد رحيل الامبراطور الى أنطاكية أنه فى غير حاجة الى المساعدات العسكرية التى كان قد طلبها من السلطان مسعود بن محمد السلجوقى (١) . وكذلك بعث الى قره أرسلان بن داود بن أرتق " يأمره بالعودة الى أبيه وأنه مستغن ولزمه يلتفت اليه " (٢) .

وبعد انسحاب الامبراطور البيزنطى حنا كومنين والصليبيين الى أنطاكية لم يقف عماد الدين زنكى مكتوف الايدى ، بل أرسل حاجيه صلاح الدين الياغيسيانى الى كفر طاب واستطاع الاستيلاء عليها كما سار هو الى حصن عرقه التابع للصليبيين واستولى عليه عنوة وقهرا . ومع بداية سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٩ م سار عماد الدين زنكى الى حصن بزاعة فاستولى عليه وقتل بعض من به من الصليبيين والبيزنطيين واستطاع ان يستولى على الاثارب فى شهر صفر من السنة نفسها ومنها سار الى الموصل (٣) .

وخلال الفترة من ٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م الى ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م انشغل عماد الدين زنكى باستكمال توحيد الجبهة الاسلامية وخصوصا الاستيلاء على دمشق ولكن نائيه فى

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٣ ، سفيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٧٣ ، العريفي ، الشرق الاوسط ، ج ١ ص ٥١٧ .  
 ( ٢ ) العثليمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٢ هـ .  
 ( ٣ ) ابن الحديد ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٥٧ ، ابن واصل ، فرج الكروب ج ١ ص ٨٣ .

حلب سوار بن ايتكين وابنه علم الدين بن سوار قد استطاعا مقاومة الصليبيين في بلاد الشام ، ففي سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤٢ م قام الصليبيون بغارات على بلد سمرين وجبل السماق وكفرطاب ، ولكن علم الدين بن سوار استطاع ان يتصدى لهم وأغار على بلادهم حتى وصلت غاراته الى أنطاكية . كما استطاع لجه التركي - وهو أحد القادة الأتراك الذين نزحوا عن دمشق وانضموا الى خدمة عماد الدين زنكي - في جمادى الآخرة سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤٢ م ، ان يلحق بالصليبيين هزيمة ساحقة أسفرت عن قتل ما يقل عن سبعمائة منهم (١) .

وفي سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٣ م حاول ريموند دي بواتيه صاحب أنطاكية وجوسلين صاحب الرها استغلال انشغال عماد الدين زنكي بأمر استكمال توحيد الجبهة الإسلامية فقاما بهجوم على حلب وزاعة غيران سوار بن ايتكين استطاع ان يتصدى لهما ، فصد ريموند عن حلب وحال بينه وبينها في الوقت الذي عقد فيه مع جوسلين صاحب الرها صلحا غير الصلح الذي كان عماد الدين زنكي قد عقده معه سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م أتاح لعماد الدين زنكي الاستمرار في استكمال توحيد الجبهة الإسلامية (٢) .

ولما كانت سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م استطاع عماد الدين زنكي السير الى اقليم شبختان بالجزيرة وفتح به كثيرا من القلاع التي كانت بيد الصليبيين والاراتقة (٣) . وكان هدف عماد الدين زنكي من هذا العمل قطع الاتصال

( ١ ) المعظي ، تاريخ المعظي ، حوادث سنة ٥٣٦ هـ ، ابن الفديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

وجبل السماق جبل عظيم من أعمال حلب الغربية . انظرياقوت معجم البلدان ( ٢ ) المعظي ، تاريخ المعظي ، حوادث سنة ٥٣٧ هـ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، ابن القلانسي ص ٢٧٦ .

( ٣ ) انظر ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٩٤ ، المعظي ، تاريخ المعظي ، حوادث سنة ٥٣٨ هـ .

بين جوسلين صاحب الرها وبين الاراتقة في ماردن وتكوين جبهة اسلامية على أنقاض الامارات والبلدان التي كانت بأيدي الصليبيين والامراء المسلمين الضعاف (١) .

كما استطاع النائب في حلب سواربن ايتكين مهاجمة معسكر للصليبيين عند جسر الحديد الى الشمال من أنطاكية . وفي السنة نفسها قام سواربن ايتكين بمباغثة احدى القوافل التجارية الصليبية التي كانت تحصل كثيرا من الامتعة والاموال ، وتمكن من اباداة كافة افراد الحامية التي خرجت لحمايتها (٢) .

ويمكن القول أن ما قام به عماد الدين زنكي ونائبه في حلب سواربن ايتكين سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م قد مهد الطريق أمام عماد الدين زنكي للوصول الى الرها والاستيلاء عليها .

استيلاء عماد الدين زنكي على امارة الرها الصليبية ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م :

كانت امارة الرها الصليبية أولى الامارات التي تأسست في الشرق الاسلامي سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م بزعامة بلدوين الاول الذي استمر في حكم هذه الامارة حتى سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م حين انتقل الى حكم بيت المقدس عقب وفاة جودفري ملك بيت المقدس (٣) . وقد تميزت الرها عن بقيّة

( ١ ) عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكي ، ص ١٤٩ ، حسن حبشي ، نهرالدين محمود والصليبيون ص ٣٥ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢٧٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٧٨ .

( ٣ ) العيظيني ، تاريخ العظمى ، حواشي سنة ٤٩٤ ، ابن ابى الدم الحموي ، التاريخ المظفر ، حواشي سنة ٤٩٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٠٠ .

ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ابن اييك ، كنز الدرر ج ٦ ، ص ٤٥٠ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٤١١ .

الامارات الصليبية بموقعها في الحوض الاوسط لنهر الفرات حيث تحطمت  
عبء الدفاع عن بقية الامارات الصليبية في بلاد الشام ، وذلك لقربها من  
الخلافة العباسية ثم لوقوفها في وجه التركمان الذين كانت تعج بهم منطقة  
الجزيرة عقب التفكك الذي اصاب السلاجقة في بلاد الشام والعراق عقب  
وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م (١) .

ولم تقتصر أهمية الرها على موقعها الاستراتيجي وكونها خط الدفاع  
الاول عن بقية الامارات الصليبية في بلاد الشام بل انها شكلت خطرا اساسيا  
على خطوط المواصلات الاسلامية بين بلاد الشام وآسيا الصغرى والعراق  
ومنطقة الجزيرة (٢) . وما يوضح ذلك أن الحملة التي قام بها كبريوا صاحب  
الموصل سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م نجدة للمسلمين بأنطاكية قد تعطلت بعض  
الوقت حول الرها في محاولة لانتزاعها من بلدوين الاول (٣) . وعلى الرغم من  
أن الرها لم تقع في نطاق الاراضي المقدسة في فلسطين فقد عدها الصليبيون  
من أشرف المدن عندهم بعد بيت المقدس وأنطاكية والقسطنطينية (٤) ،  
وما زاد الرها أهمية موقعها في اراضي خصبة كثيرة الخيرات وفيرة الثروات  
ساعدت امراء الرها على توسيع رقعتهم فامتدت امارة الرها الواقعة على ضفتي  
نهر الفرات من راوندان وعين شاب غربا الى مشارق حران شرقا ومن بهمنسى  
وكيسوم شمالا الى منبج جنوبا (٥) . واكتسبت الرها أهمية بما تهيأ لها من

---

( ١ ) عبد النعيم حسنين ، سلاجقة ايران والعراق ، ص ٨٤ ، وانظر ما سبق  
الفصل الثاني ص

( ٢ ) عليه الجنزوري ، امارة الرها ص ٣٤ .

( ٣ ) انظر ما سبق الفصل الثاني ص

( ٤ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ٦٦ ، ابوالهيجاء ، تاريخ ابوالهيجاء  
حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

( ٥ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ج ١ ص ٤٢٤ ، العريني ، الشرق الاوسط

ج ١ ص ٤١٤ . وراوندان قلعة حصينة وكورة قريبا من حلب . وعين شاب  
قلعة حصينة بين حلب وانطاكية وكانت تعرف باسم دلوک . ومهمسى =

حكام اتصفوا بالقوة والشجاعة استطاعت بهم الصمود في وجه المقاومة الإسلامية ، على الرغم من أن الرها كانت تعاني من نقطتي ضعف واضحتين أحدهما الحدود الطبيعية إذ لا توجد لها موانع طبيعية تحميها وتكسيبها وقاية ومناعة ، وثانيها عدم وجود تجانس بين سكانها إذ كانوا خليطاً من المسيحيين الشرقيين (السريان والارمن واليعاقبة ) ومن الصليبيين الغربيين ، فضلاً عن المسلمين الذين تركزوا في مدن بكاطلها كسروج والبيرة التي خضعت للصليبيين (١) .

ولم تقتصر أهمية الرها على الجانب الصليبي ، بل كانت في نظر المسلمين من أهم المواقع التي يجب السيطرة عليها ، فقد ذكر ابن الأثير مكانتها في بلاد الجزيرة ووصفها بأنها من الديار الجزيرية عينها ومن البلاد الإسلامية حصنها مما جعل القوى الإسلامية سواء في العراق أو الشام أو الجزيرة ترغب في السيطرة عليها (٢) .

أدرك عماد الدين زنكي - كغيره من حكام الموصل والجزيرة - أهمية الراها وما تشكله من أخطار جسيمة على المسلمين في الجزيرة وشمال العراق لذلك نجد عماد الدين زنكي على الرغم من انشغاله بتوحيد الجبهة الإسلامية في الشام والجزيرة ، وما تعرض له من صعوبات من الخلافة

---

= قلعة حصينة قرب مرعش وسميساط . وكيسوم قرية من أعمال سميساط ، انظر يا قوت . معجم البلدان .

(١) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٢٤٤ ، العريني ، الشرق الأوسط ، ج ١ ص ٤١٤ ، رفشيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٤-٢٦ .

(٢) ابن الأثير ، التاريخ الباهر ص ٦٦ ، ٦٧ .



العباسية والسلطنة السلجوقية تقوى رغبته فى الاستيلاء على الرها ، تلك غاية لم تغب عن باله . يقول ابن القلانسي " ولم يزن لها طالبا وفسى تملكها راغبا ولا تنتهاز الفرصة فيها مقربا لا يبرح ذكرها وجائلا فى خلده وسره وامرها ماثلا فى خاطره وقلبه " (١) . ولذلك استغفر عماد الدين زنكى الظروف التى مربها الصليبيون فى بلاد الشام وسخرها لصالحه فى الهجوم على الرها . وقد رأينا فى الصفحات السابقة أن الحلف الذى تم بين الامبراطور البيزنطى حنا كومنين وصاحب أنطاكية سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٨ م للاستيلاء على مدن الشام بمساعدة الصليبيين فى الرها وميت المقدس قد باء بالفشل نتيجة للموقف الشجاع الذى وقفه عماد الدين زنكى ونائبه فى حلب سوار ابن اتيكين لصد الصليبيين عن حلب وشيزر ، ونتيجة للخلافات التى وقعت بين البيزنطيين والصليبيين (٢) . وبالإضافة الى ذلك فان خروج الامبراطور البيزنطى حنا كومنين سنة ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م بقصد الاستيلاء على انطاكية وتحالفه مع جوسلين الثانى صاحب الرها ضد ريموند دى بواتيه صاحب الرها قد زاد من النفور بين الصليبيين فى انطاكية والرها حتى ان كلا من صاحب انطاكية والرها رغب فى القضاء على الآخر (٣) . ولم تقف اوضاع الصليبيين عند هذا الحد من التدهور والانحطاط ، فعلى الرغم من أن عماد الدين زنكى قد جرد اماره الرها من البلاد التابعة لها سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، فان أميرها جوسلين الثانى لم يتخذ من الاحتياطات ما يكفل له صمد عماد الدين زنكى عن الامارة بد ركن الى الكسد والجبن والخداع والتآمر مع

(١) ابن القلانسي ، ص ٢٧٩ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢

ص ٢٧٧ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ١٦ .

(٢) انظر ما سبق ص

(٣) ونسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٥٥ ، ٣٧٨ ، العرينسى

الشرق الاوسط ، ج ١ ص ٥٢١ - ٥٢٢ .

ميله الى الانغماس في الفجور والاستهتار ورغبته في الدعة والراحة ، حتى انه اتخذ من تل باشر مقرا له - بخلاف من سبقه كجوسلين الاول ولد وبين دى يور - ليكون بعيدا عن الاضطرابات التي يثيرها أعداؤه بالرها (١) . ومما زاد الصليبيين في شدة الشام والرها ضعفا ونفورا فيما بينهم خلويبيت المقدس من تلك قوى الشخصية يستطيع ان يفرض سيطرته على صاحب الرها وانطاكية ويصلح ما بينهما لان وفاة فولك الانجوى ملك بيت المقدس سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م وتولى مقاليد السلطة في بيت المقدس زوجته طيزاندا كوصية على ابنها القاصر بلدوين الثالث يعد نقطة تحول في تاريخ التكتل الصليبي لانصراف تلك الزوجة الى عمل كل ما من شأنه ابقاء السلطة في يديها والاستئثار بها دون ولدها وتغلب مطامعها الشخصية على المصالح الصليبية العام (٢) . يضاف الى ذلك عدم قدرتها على حسم النزاع القائم بين الامراء الصليبيين سواء في أنطاكية والرها او في غيرها (٣) . ومن الحوادث التي طرأت على الصليبيين في بلاد الشام وكان لها أثر كبير عليهم وفاة الامبراطور البيزنطي هناكومنين ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م . وشعر الصليبيون بموجة من الفرح لهذا النبأ ، ولكن عماد الدين كان اشد فرحا وسرورا انه اطمأن الى عدم وصول نجدات للصليبيين من قبل الدولة البيزنطية (٤) . يضاف الى ذلك ان الانقسام كان قد نشب بين صفوف

( ١ ) انظر رشيما ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٧٩ ، الميرنسى ،

الشرق الاوسط ج ١ ص ٤٣٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

( ٢ ) العظمى ، تاريخ العظمى ، حوادث سنة ٥٣٨ هـ ، ابن القلانسى ،

ص ٢٧٧ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ص ٩٢ ، رنسيما ، تاريخ الحروب

الصليبية ج ٢ ص ٣٧٥ ، حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ٣٢٠ .

( ٣ ) الميرنى ، الشرق الاوسط ج ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

( ٤ ) رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٥٩ .

الفرسان الملبيين بالرها خصوصا وانهم كانوا يشعرون بعدم الاستقرار  
لميل جوسلين الثانى الى الارمن وغيرهم من طوائف المسيحيين الشرقيين  
لان أمه كانت أرمنية (١) . كل هذه الظروف ساعدت عماد الدين زنكى  
على اقتحام الرها فيما بعد .

ومن الطبيعي أن يستغل عماد الدين زنكى انصراف السلطان مسعود  
عن التفكير فى المسير الى الموصل سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م بعد ان بذل  
له عماد الدين زنكى كثيرا من الاموال بلغت على حد قول ابن الاثير مائة  
ألف دينار ، واشترط السلطان السلجوقى على عماد الدين فتح الرها (٢)  
ويمكن القول بأن هذا الشرط الذى اشترطه السلطان مسعود على عماد الدين  
زنكى شجع عماد الدين على المسير الى الرها ليدراً بذلك وصول السلطان  
مسعود بن محمد الى بلاده كما استغل عماد الدين زنكى الحلف الذى قام  
بين جوسلين الثانى أمير الرها وقرّة ارسلان بن داود أمير حصن كيفا سنة  
٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ذلك الحلف الذى قام أساسا فى وجه عماد الدين  
زنكى بعد ان جرد عماد الدين تارك الامارتين من بعض متاعاتها (٣) .

أراد عماد الدين زنكى أن ينزل ضربته بالرها ، ولكنه أدرك أنه لمن  
يستطيع اقتحام الرها اذا كان جوسلين وقواته بها ، خشية ان يجتمع بها  
من ينصره ، ولذلك لجأ عماد الدين الى خدعة حربية خدع بها أمير

( ١ ) عماد الدين زخيل ، عماد الدين زنكى ، ص ١٥١ .

( ٢ ) انظر ما سبق ، ص

( ٣ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٦-٢٧٩ ، عماد الدين

زخيل ، الامارات الارتقية ، ص ٢٨٩ .

الرها جوسلين الثاني " فعدل الى اعمال الحيل والخداع " وأظهر أنه يريد الاستيلاء على ديار بكر وآمد في الوقت الذي بث جواسيسه في الرها لاستطلاع أخبارها أولا بأول . فلما رأى جوسلين انشغال عماد الدين بحرب اهل ديار بكر " ظن انه لا فراغ له اليه " وانه لا يمكنه الاقدام عليه ففارق الرها الى بلاده الشامية " الواقعة قرب الفرات للراحة والاستجمام وتفقد احوالها ، بعد ان اطمأن الى أن عماد الدين زكى أصبح مشغولا عن امارته . وكان هدف عماد الدين زكى أن يوهم جوسلين والهلبيين بالرها انه مشغول عن التفكير في محاربتهم في الوقت الذي لا يزال فكره مشغولا بفتح الرها " فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ، ويطلبها وسواها يروم " (١) .

ووافى الجواسيس الذين أوكل اليهم عماد الدين زكى مهمة مراقبة تحركات جوسلين الثاني بأخبار رحيل صاحب الرها الى تل باشر غرب الفرات سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م مع معظم قواته " في جمل رجاله واعيان حماته وابطاله " تاركا الرها دون مدافعين بل أوكل مهمة الدفاع عنها الى أهلها وإلى بعض الجنود المرتزقة (٢) . حينئذ أمر عماد الدين زكى بمكاتبة طوائف التركمان المتطوعة وامر عساكره بالتجهيز والسير صوب الرها ، وهدد كل من يتخلف عنه في المسير الى الرها ، وأعلن انه لا يقبل عذر من اعتذر (٣) ، فانهاالت عليه جموع المسلمين من كل حوب وصوب وادربار سال كتيبة من جيشه بقيادة صلاح الدين الياغيساني . ومع ان المصادر العربية لم تذكر شيئا عن

(١) ابن الاثير التاريخ الباهر ، ص ٦٧ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن واصل ، فوج الكروب ج ١ ص ٩٣ ، النويري ، نهاية الارب ج ٢٥ ، حوادث ٥٣٩ هـ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ ، عليه الجنزوري ، امارات الرها ، ص ٢٩٩ .

(٢) ابن القلانسي ص ٢٧٩ ، رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٧٩

(٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٧٨ ، ابن واصل ، فوج الكروب ج ١ ص ٩٣ .

هذه الكتيبة فان رنسيما نذكر ان صلاح الياغيسيانى قد ضل الطريق فـى ليلة غزيرة المطر فلم يبلغ الرها الا بعد ان وصل اليها عماد الدين زنكى بجيشه الكثيف فـى جمادى الاخرة ٥٣٩ هـ / نوفمبر سنة ١١٤٤ م (١) .

ولما تكاملت قوات عماد الدين زنكى سار بها الى الرها واحاط بها من جميع الجهات وحال بين من فيها ومن ما يصل اليها من المـسير والاقوات من خارجها . وشد على الحصار حتى صور لنا ابن القلانسى ان الطير فـى السماء كان لا يستطيع الطيران فوق الرها خوفا من السهام . ولما شعر الصليبيون بالرـها بخطر الموقف استماتوا فـى الدفاع عن مدينتهم ، ولكن عماد الدين زنكى أدرك أن من بها لن يستطيعوا الوقوف امام جيوشه الجبارة فأخذ فـى مراسلة من بها من الصليبيين باذلا لهم الا من على نفوسهم واموالهم مقابل تسليم الرها ، ورغبة منه فـى عدم اراقة دماء المسلمين وتسليم البلد دون خراب ودمار ، ولكن من بها من الصليبيين رفضوا التسليم " وامتنعوا عن الانداعان " لانهم كانوا يأملون فـى وصول نجدات اليهم من اخوانهم الصليبيين فـى أنطاكية وميت المقدس او تل باشر (٢) .

أمر عماد الدين زنكى رجاله بتشديد الحصار على الرها وطلب من رجاله الحلبيين العارفين بأسوار الرها البدء فـى نـقب الاسوار وهدمها فنقبوا عدة مواضع عرفوا أمرها الى أن وصلوا تحت الاسوار التى عليها الابراج وطلبوا من عماد الدين مشاهدة ما عملوه فأذن لهم بحرقها فوقعت الابراج بمن

---

(١) رنسيما ن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٧٩ ، عليه الجنزورى امارة الرها ، ص ٣٠١ ، حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ص ٣٥ .

(٢) ابن القلانسى ، ص ٢٧٩ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٦٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٧٩ ، عليه الجنزورى ، امارة الرها ، ص ٣٠٢ ، حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ص ٣٤-٣٥ .

فيها من المدافعين ، ودخلت جيوش عماد الدين البلد فطغته عنوة وقهرا ،  
وذلك يوم السبت ٢٦ جمادى الآخرة ٥٣٩ هـ / ٢٣ ديسمبر ١١٤٤ م بعد  
حصار عنيف استمر ثمانية وعشرين يوما (١) .

وهكذا سقطت الرها أولى الامارات الصليبية بالشرق الاسلامى فى يد  
عماد الدين زنكى . فلما ملكها شرع رجاله فى النهب والسلب والقتل حتى  
امتلاّت أيدي المسلمين من الغنائم والاسرى . ولكن عماد الدين زنكى على  
حد قول ابن الاثير أمر رجاله باعادة ما أخذ من أهلها من اثاث ومال وسبي  
رجال وأطفال " فرد واعن آخرهم لم يفقد منهم الا الشاذ النادر " ولما كان  
عماد الدين زنكى قد أسف على خراب الرها فقد أمر بعمارة ما انهدم منها  
ورمه " (٢) .

أما جوسلين الثانى أمير الرها الذى كان موبودا بتل باشر غرب الفرات  
فلم يذكر المؤرخون المسلمون كابن القلائسى وابن العديم الاجراءات التى  
اتخذها لانقاذ الرها ، الا ان ابن الاثير ومن نقل عنه قد ذكرا ان جوسلين  
عاد عند سماعه الخبر الى شرق الفرات لعله يجد فرصة للوصول الى الرها ،  
او يرسل نجدة يحافظ بها على الرها من السقوط بيد عماد الدين زنكى  
" فحيل بينه وبين ذلك " (٣) .

- 
- ( ١ ) التويرى ، نهاية الارب ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، حواشى ص ٢٥٩ هـ ، ابن القلائسى ، ص  
٢٧٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ ،  
ج ٢ ، ص ٢٧٩ ، ابو القدا ، المختصر ج ٣ ، ص ١٧ ، الاصفهانى ،  
دولة آل سلجوق ، ص ١٨٧ ، ابن العبرى ، مختصر الدول ، ص ٢٠٦ ،  
الحرينى ، الشرق الاوسط ج ١ ، ص ٤٣٢ .  
( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٩ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٢٧٩ ،  
ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ، ص ٩٤ .  
( ٣ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٩ ، انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ،  
ص ٩٤ .

حاول جوسلين في يأس قطع الامدادات التي تصل الى عماد الدين زنكى من حلب فلم يستطع ، فركن الى ما سيذله جيرانه من الصليبيين ممن مساعدات ، حيث أرسل على الفور الى أنطاكية وميت المقدس يطلب المساعدة غير أن هذه المساعدات التي طلبها لم تستطع الوصول الى الرها ، إذ أن النجدة التي أرسلتها طيزاندا الوصية على بلدوين الثالث صاحب بيت المقدس قد استطاع عماد الدين زنكى أن يرسل لها قوة من المسلمين هزمتها قبل وصولها الى الرها . اما ريموند دى بواتيه صاحب انطاكية فلم يقدم اية مساعدة لجوسلين صاحب الرها مما مكن عماد الدين زنكى - الذي كانت امداداته تصله من كل جهة - من استرداد الرها . (١)

وانذا كان هذا موقف الصليبيين في أنطاكية وميت المقدس ، فان أهل حران من المسلمين ورئيسهم جمال الدين ابوالمعالي فضل الدين ماهان ، قد قاموا بدور رئيسي في مساعدة عماد الدين زنكى للاستيلاء على الرها ، لما كان يلقاه أهل حران من شدة عظيمة وحصار مستمر من أهل الرها الصليبيين (٢) . ولما تم لعماد الدين زنكى تصفية العناصر التي لا يرغب في وجودها بالرها عين عليها قائده المشهور زين الدين على كوجك ، وسار هو لاستكمال ما بقى من البلاد التابعة للرها كسروج وغيرها فاستولى عليها ، وبعد ان هرب منها كل من كان بها من الصليبيين (٣) . ولشدة ما أصاب الصليبيين في الرها

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٨٠ ، رشيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ، ص ٣٨٠-٣٨١ .

( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٧٩ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٦٧ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الباهر ، ص ٦٩ ، رشيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٨٢ ، العريني ، الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٢٧ .

من الذعر والخوف من عماد الدين زنكى فقد ذكر ابن القلانسي انه مامن  
 بلد يمر به عماد الدين زنكى بعد سقوط الرها الا سلم اليه في الحال (١) .  
 ولاستكمال مابقى من البلاد التابعة للرها ، توجه عماد الدين زنكى في السنة  
 نفسها ٥٣٩هـ / ١١٤٤م الى البيرة - وهي من امنع الحصون شرق الفرات -  
 وكانت تابعة لجوسلين الثاني ، وضيق عليها وقارب فتحها ولكن أنباء  
 مقتل نائبه في الموصل نصير الدين جقر قد حالت بينه وبين فتحها ، اذ عاد  
 عماد الدين زنكى على وجه السرعة الى الموصل غير أن أهل البيرة قد  
 استبد بهم الخوف من عماد الدين زنكى فراسلوا حسام الدين تمرثاس صاحب  
 ماردين وسلموها اليه في أواخر السنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م . ومهما يكن من  
 أمر فانها خرجت من يد الصليبيين الى المسلمين " خوفا من الشهيد عماد  
 الدين ان يعود اليهم " كما يقول ابن الاثير (١) . ويبدو ان هدف  
 الصليبيين من الاقدام على هذه الخطوة ان يوقفوا بين عماد الدين زنكى  
 وحسام الدين تمرثاس (٢) . ولم يبق بيد جوسلين صاحب الرها غير عدد من  
 الحصون المتناثرة غرب الفرات ببلاد الشام (٣) .

---

(١) ابن الاثير التاريخ الباهر ص ٧٠-٧١ ، انظر ايضا ابن الاثير ، الكامل ،  
 ج ١١ ص ١٠٢ ، حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ص ٤٨ ،  
 الاصفهاني دولة آل سلجوق ، ص ١٨٧-١٨٩ ، ابن واصل ، فوج الكروب ،  
 ج ١ ص ٩٦ .

(٢) انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٧١ حاشية رقم (١) .  
 (٣) رئيسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٨٥ ، ارنست بارك ،  
 الحروب الصليبية ص ١٥٧ ، عليه الجنزوري ، امارة الرها ص ٣٠٨ .



وفى سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م عزم عماد الدين زنكى على المسير الى دمشق للاستيلاء عليها لاستكمال توحيد الجبهة الاسلامية وللوقوف على وجه التحالف البيزنطى الصليبي الذى تم بين الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين وريموند دى بواتييه صاحب أنطاكية . غير ان أهالى الرها قد حاولوا القيام بفتنه للاطاحة بحكم عماد الدين زنكى والعودة مرة اخرى الى حظيرة الصليبيين ولكن عماد الدين زنكى سار الى الرها من الموصل وعاقب كل من كانت له يد فى هذه المؤامرة " بالقتل والصلب والتشريد فى البلاد " (١) .

ان استيلاء عماد الدين زنكى على إمارة الرها - أولى المعاقل الصليبية فى الشرق الاسلامى - والحصون التابعة لها شرق الفرات يعد من أهم أعماله البطولية التى قام بها ضد الصليبيين لما لهذا النصر من أصداء فى الشرق والغرب . فقد تجدد الامل عند المسلمين بعد ان تحطمت أولى الامارات الصليبية التى قامت فى قلب العالم الاسلامى حتى اعتبر ابن الاثير ان فتح الرها من اعظم الفتوح حيث يقول " ولم ينتفع المسلمون بعمله فإمام لهم الثقة فى أنفسهم وأوضح للصليبيين مدى قدرة المسلمين على مجابهة القوى الصليبية فى الشرق الاسلامى ، وداية النهاية لهقية الامارات الصليبية فى الشرق الاسلامى (٢) . ومن ناحية أخرى فقد رفع هذا النصر من مكانة

---

( ١ ) ابن القلانسي ص ٢٨٢ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٨١ ، العرينى ، الشرق الاوسط ج ١ ص ٥٢٩ ، ونسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٨٤-٣٨٥ .

( ٢ ) ابن الاثير التاريخ الباهر ، ص ٦٩ ، انظر ابن كثير ، البدايات والنهاية ، ج ١ ص ٢١٩ .

عماد الدين زنكى عند المسلمين حتى جعل منه هذا النصر اماما للمسلمين ومدافعا عن الدين ومجاهدا في سبيل اعلاء كلمة الله ، فمدحه الشمران وأرسل له الخليفة العباسى المقتدى ، لامر الله الخلع والهدايا وزاد فى ألقابه ونعوته كالملك المظفر وقاهر الكفرة المتمردين فزادت شهرته حتى طار فى الافاق ذكره ، ودارت عنه الاحاديث فى شتى المحافل (١) .

أما بالنسبة للصليبيين فان سقوط الرها قد أدى الى اضعاف الروح المعنوية عندهم ، بالإضافة الى أن سقوط الرها كان اول ضربة عطية ضد القوة الصليبية فى الشام ودلت على أن " عقود الفرنج من ذلك الحين تنفسخ وامورها تنفسخ ومعاقبها تفرع ، وعقائلا تفتزع " بعد أن انهارت دعامة من دعائم الصليبيين فى الشرق ، بعد أن كانوا يصلون ويجولون فى منطقة الجزيرة ، فتحطمت بذلك الحواجز التى أقامها الصليبيون فى تلك المنطقة . وإلى جانب ما سببه سقوط الرها من اضعاف الروح المعنوية عند الصليبيين ، تحقق افتقاد الثقة بين صفوفهم جميعا ، ما حدا بريموند دى بواتييه صاحب أنطاكية الذهاب الى القسطنطينية لطلب المساعدة من الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين خوفا من أن يحل به ما حل بالرها . ولم تقتصر هذه الصدمة التى ألتمت بالصليبيين فى الشرق عليهم بـ بل تعدتها الى المسيحيين فى غرب أوروبا فنهضت حركة تدعو الى حملة صليبية ثانية ، ومن ناحية اخرى فان الصليبيين لم يستطيعوا القيام بعمل من

---

( ١ ) ابن القلانسى ، ص ٢٨٤ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٧٠ = ٧١ ، القرنين ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ ، عليه الجوزورى ، امارة الرها ، ص ٣٠٩ .

شأنه استعادة الرها بسبب تدهور أوضاعهم الداخلية (١) .

بعد أن قضى عماد الدين زنكى على المقاومة التى قامت فى الرها ضد المسلمين سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م ساوره الشك فى عودة التحالف بين جوسلين الثانى امير الرها السابق وبين الاراتقة فى ديار بكر ، فعزم على مهاجمة الاراتقة فانتزع منهم بعض المواقع الهامة لاستكمال توحيد الجبهة الاسلامية وقطع حبل الامل أمام الصليبيين فى وجود حليف لهم فى الجزيرة .  
وعندما تأكد عماد الدين زنكى من عدم عودة التحالف بين الاراتقة والصليبيين فى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م سار الى قلعة جعبر ( دوسر ) الواقعة على نهر الفرات . وكان صاحبها عزالدين على بن مالك بن سالم بن مالك العقيلي كثير التلون والميل الى الصليبيين رغبة منه فى الاستيلاء عليها حتى لا ييقتس فى وسط بلاده ما هو ملك لغيره ، حتى وان كان قليل الاهمية ، للحزم الذى عنده والاحتياط (٢) .

من هنا عزم عماد الدين زنكى على الاستيلاء على قلعة جعبر فأقام عليها وشدد حصاره عليها فى اواخر سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م . ولما رأى عماد الدين حصانة هذه القلعة كتب الى عزالدين على بن مالك صاحبها فى معنى تسليم قلعة جعبر ، وقد فوض عماد الدين زنكى حسان المنبجى صاحب منبج فى ان يضمن لعلى بن مالك العقيلي الاقطاع الوافر والعطاء الكثير

---

( ١ ) عماد الدين الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ص ١٨٧ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ص ٣٨ ، رشيان ، تاريخ الحروب الصليبية ج ٢ ص ٣٨٣-٣٨٥ ، العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج ١ ص ٥٢٢ ، آرندت باركر ، الحروب الصليبية ، ص ١٥٧ .

( ٢ ) ابن الاثير ، تاريخ الباهر ص ٧٣ ، الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ص ١٨٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ١٠٩ ، العرينى ، الشرق الاوسط ، ج ١ ص ٥٢٩ .

مقابل التسليم . ولكن صاحب قلعة جعبر رفض التسليم ، فعاد حسان  
واخبر عماد الدين زنكى بهذا فواصل حصاره للقلعة حتى شهر ربيع الآخر  
من السنة التالية ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م . وبينما عماد الدين نائم ذات ليلة  
دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه بزعامة يرنقش الزكوى الذى يذكر ابن القلانسي  
انه من أصل افرنجي ، وفر هو ومن معه الى قلعة جعبر التي استبشروا  
اهلها خيرا باستشهاد زنكى وأتاهم الفرج من حيث لم يحتسبوا (١) . واستشهد  
عماد الدين زنكى تلك السنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م افتقد العالم الاسلامي ففى  
ذلك الحين شخصية من أهم الشخصيات التي تزعمت حركة بعث الجهاد  
الاسلامي ضد الصليبيين ، والذي توج هذه الحركة بالاستيلاء على الرها .  
ولشدة مصاب المسلمين فى فقد عماد الدين فقد قيل انه بمقتل عماد الدين  
قتل المسلمون جميعا . وكان على ابنه نور الدين محمود ان يسير على خطى  
والده العظيم فى متابعة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين . وهو موضوع  
الفصل الرابع .

—•—

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٨٢-٢٨٥ ، انظر ايضا ، ابن الاثير ، التواريخ الباهرة ،  
ص ٧٤-٧٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٠٩ ، وابن واصل ، مفسر  
الكروب ، ج ١ ، ص ٩٩-١٠٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٨١-  
٢٨٢ ، المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٨ ، سبط ابن الجوزى ،  
مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٩٠ ، ابوالعاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ،  
ص ٢٧٨ ، ونسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ ، العرينى ،  
الشرق الاوسط ، ج ١ ، ص ٢٩-٥٣٠ .

# الفصل الرابع

الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عصر  
نور الدين محمود (٥٤١-٥٦٩ هـ / ١١٤٦-١١٧٣ م)

- تربية ونشأة نور الدين محمود في ذروة عصر الجهاد الإسلامي  
- نور الدين محمود والحملة الصليبية الثانية  
١١٤٨ هـ / ١١٤٣ هـ

- جهاد نور الدين محمود ضد الصليبيين بعد فشل الحملة  
الصليبية الثانية (٥٤٣-٥٦٥ هـ / ١١٤١-١١٦٩ م)  
- نور الدين محمود وتوحيد القوى الإسلامية في بلاد الشام  
والجزيرة

- استيلاء نور الدين محمود على مصر ووضع الصليبيين  
بين شقي الرحى - (٥٥٩-٥٦٩ هـ / ١١٦٣-١١٧٣ م)

## (( الفصل الرابع ))

الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عصر نور الدين محمود

٥٤١ - ٥٦٩ هـ / ١١٤٦ - ١١٧٣ م

- تربية ونشأة نور الدين محمود في ذروة عصر الجهاد الاسلامي .
- نور الدين محمود والحطة الصليبية الثانية .
- جهاد نور الدين محمود ضد الصليبيين بعد فشل الحملة الصليبية الثانية ( ٥٤٣ - ٥٦٥ هـ / ١١٤٨ - ١١٦٩ م ) .
- نور الدين محمود وتوحيد القوى الاسلامية في الشام والجزيرة .
- استيلاء نور الدين محمود على مصر ووضع الصليبيين بين شقي الرحى ( ٥٥٩ - ٥٦٩ هـ / ١١٦٣ - ١١٧٤ م ) .

الفصل الرابعالجهاد الاسلامى ضد الصليبيين فى عصر نور الدين محمود

( ٥٤١-٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٣م . )

تربية ونشأة نور الدين محمود فى ذروة عصر الجهاد الاسلامى :

فى الوقت الذى كان فيه عماد الدين زنكى ملازماً لاقسقر البرسقى صاحب حلب والموصل ، وبالتحديد فى سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م رزق بابنه نور الدين محمود . وفى تلك السنة توفى السلطان محمد بن ملكشاه ، وقام النزاع بين أولاده محمود ومسعود ، مما أدى الى دخول عماد الدين زنكى هذا النزاع (١) . وعلى الرغم من انشغال عماد الدين زنكى فى الفترة ما بين سنتى ٥١١-٥٢١ هـ / ١١١٧-١١٢٧م بالعديد من الاعمال السياسية والعسكرية التى قام بها بأمر من صاحب الموصل اقسقر البرسقى ، فان كل ذلك لم يشغله عن تربيته أولاده ، فقد خصص لتربيتهم على بن منصور السروجى الذى اشتهر ببراعته فى الادب وقرض الشعر وحسن الخط (٢) .

ونشأ نور الدين محمود - الذى كان والده يقدمه على اخوته لما رأى فيه من مخايل النجابة - تحت رعاية والده وتعلم القرآن الكريم والفروسية ، فنشأ على الخير والصلاح ، كما كان نور الدين محمود ملازماً لوالده فى حله وترحاله .

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٦٢ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٥ ، ص ١٨٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٧٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢١٤ .

( ٢ ) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٣٣٩-٣٤٠ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧١ ، ابن قاضى : شبهة الكواكب الدريسة ، ص ١٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٧٨ ، عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى ، ص ١٧٢ .

ولاشك أن ملازمة نور الدين محمود لوالده وهو في مقتبل العمر قد أدت إلى تكوين شخصيته منذ البداية تكويناً حسناً ، وجعل منه ذلك الرجل القوي الذي استطاع أن يخيب آمال الصليبيين ، حينما فكروا في استرداد ما كان قد استولى عليه والده عماد الدين زنكي " فلما رأوا من نور الدين الجيد في أول أمره علموا بعد ما أملوه " كما يقول ابن العديم <sup>(١)</sup> . وإذا كانت ملازمة نور الدين محمود لوالده عماد الدين قد ساعدته على أن يكمل مارسمه والده ، ليس فقط في جهاد الصليبيين ، بل وفي توحيد الجبهة الإسلامية ، فإن دراسته للفقهاء والحديث على مذهب أبي حنيفة لم تصرفه عن تعزيز مكانة المذهب السني ، فهو ملتزم به من غير تعصب منه ولا تمييز " بل الانصاف سجيته في كل شيء " . وإذا كان نور الدين محمود حنفياً على مذهب أبي حنيفة ، فإن المذهب الشافعي قد حظى في عهده بالتعزيز والرعاية ، حيث أنشأ في سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م مدرسة للشافعية بدمشق ، وفي العراق شرع سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م في بناء مدرسة للشافعية <sup>(٢)</sup> . ويبدو أن نور الدين محمود كان يهدف من وراء ذلك إلى كسب ولاء المساكر التركمانية المتعصبة للمذهب السني بالإضافة إلى كسب رضى الخلافة العباسية التي كانت تبزى في تشجيع المذهب السني ما يميز مكانتها أمام خلافة الفاطميين الشيعة بالقاهرة .

---

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٢ ، أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٧١ ، أبوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١١٩ .

( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٦٥ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٩٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ، ص ٢٩٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٧٩ ، عماد الدين خليل ، نور الدين محمود ، ص ١٣٢ .



وعقب وفاة عماد الدين زنكى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م حدث انقسام بين صفوف المسلمين في دولته ، فقد أخذ ألب أرسلان بن محمود بن محمد السلجوقي مجموعة من العساكر حاول العودة بها الى الموصل للاستيلاء عليها من زين الدين على كوجك نائب عماد الدين بالموصل . غير أن كلا من جمال الدين محمد الاصفهاني رئيس ديوان عماد الدين زنكى ، وصالح الدين محمد الياغيسيانى امير حاجب عماد الدين أخلصا اشد الاخلاص في تثبيت الملك لاولاد عماد الدين زنكى . وتناسا ما بينهما من خلافات شخصية " وحلف كل واحد منهما لصاحبه " على الاخلاص في تثبيت الملك لاولاد عماد الدين زنكى وكتبوا الى زين الدين على كوجك وطلبا منه استدعاء سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى ، الذى كان موجودا بشهرزور ليتولى أمر الموصل ففعل في الوقت الذى أوعز فيه الى نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بالمسير الى حلب ، فاصطحب أسد الدين شيركوه وسارا الى حلب فملكها نور الدين محمود . أما جمال الدين الاصفهاني وصالح الدين الياغيسيانى فقد ظلّا بصحبة الملك ألب أرسلان ، وحسنا له الاشتغال بالشرب والمغنيات ، ولكنهما كانا يخافان منه ، فعرضا عليه فكرة مسير أحدهما الى حلب " لئلا يطمع الفرنج في شيء منها " فوافق الملك ألب أرسلان على تسيير صالح الدين الياغيسيانى الى حلب ، بينما ظل جمال الدين الاصفهاني الى جانب الملك ألب أرسلان . ولم يكتف الاصفهاني ببقائه الى جانب السلجوقي بل هـوون عليه امر البلاد الشامية وحسن له المسير الى سنجار للاستيلاء عليها وذلك بهدف ابعاده عن مناطق نفوذ دولة زنكى ، فسار الملك الى سنجار بينما عاد جمال الدين الاصفهاني الى الموصل فجعل يله سيف الدين غازى وزيرا له .<sup>(١)</sup>

(١) ابن الاثير، التاريخ الباهر ص ٨٥-٨٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١١٢-١١٣ ، ابن القلانسي ص ٢٨٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ص ١١٩-١٢١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ص ٢٨٩-٢٩٠ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ، ص ١٨-١٩ ، الميرنى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٣٠ .

وهكذا نجح كل من صلاح الدين الياغيسياي وجمال الدين الاصفهاني في خداع ألب أرسلان بن محمود ، وابعداه عن املك عماد الدين زنكي التي قسمت بين ولديه سيف الدين غازي الذي اتخذ الموصل عاصمة له وحكم القسم الشرقي من املك والده ، في حين اتخذ نور الدين محمود حلب عاصمة له وحكم القسم الغربي من دولة عماد الدين زنكي . وأدى هذا التقسيم لدولة عماد الدين الى أن أصبح نور الدين محمود مواجها للصليبيين فوقع على عاتقه مهمة جهاد الصليبيين في بلاد الشام ، بالإضافة الى استكمال توحيد الجبهة الاسلامية في الشام والجزيرة والتي كان والده عماد الدين زنكي قد بذل جل وقته وجهده وماله في تحقيقها (١)

وإذا كان نور الدين محمود بن زنكي قد تحمل بحكم الموقع الجغرافي لدولته مهمة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في بلاد الشام بالإضافة الى توحيد الجبهة الاسلامية ، فان موقع دولة اخيه سيف الدين غازي في الموصل لا تقل اهمية عن ذلك ، فقد تحمل سيف الدين غازي عبء مواجهة القوات المتطلعة للشووب على شرق المملكة لزنكية التي ورثها هو واخوه عن والدهما ، كالاكراد المقيمين حول الموصل ، والاراتقة في ماردين وحصن كيفا ومطاميع الخلافة العباسية في بغداد والسلطنة السلجوقية . ويمكن القول ان هذا التقسيم لدولة عماد الدين زنكي قد اتاح لنور الدين محمود في حلب وسيف الدين غازي في الموصل في ان يتخصص كل منهما في عمل معين استطاعا به الحفاظ على تركة والدهما ، فسيف الدين غازي ورث عن والده الحروب والمشاكل

---

(١) عماد الدين الاصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٨٧-١٩٢ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ص ١٠٩ ، ابن قاضي شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٥ ، محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٢ ص ١٦٠ .

الواقعة في الجزيرة مع الاراتقة والاكراد ، بينما استطاع نور الدين محمود أن يركز جهوده ونشاطه لا في جهاد الصليبيين فحسب ، بل وفي توسيع مملكته على حساب الامارات الصليبية بعد ان أخذ طغيان الصليبيين في التداعي عقب سقوط الرها (١) .

- نور الدين محمود والحملة الصليبية الثانية : ٥٤٣هـ / ١١٤٨م :

بعد أن استقر نور الدين محمود بن زنكي في حكم حلب في ربيع الثاني سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م أخذ أعداء والده عماد الدين في التطلع الى استرجاع ما فقدوه من املك على يده ، سواء منهم المسلمين والصليبيين ظناً منهم بضعف نور الدين محمود (٢) . وكانت اولى الاخطار التي تعرض لها نور الدين محمود من جانب الصليبيين ، هي من جوسلين الثاني صاحب الرها الذي كان مقيماً بتل باشر غرب الفرات ، فما ان سمع بوفاة عماد الدين زنكي حتى راسل اهل الرها - ومعظم اهلها من الارمن - وحثهم على عصيان المسلمين وتسليم البلد اليه ، فأجابوه الى ذلك ، وسار في عساكره الى الرها في جمادى الاخرة من نفس السنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م واستطاع بمن معه من الصليبيين ان يتسلق أسوار المدينة في الليل . وبذلك تمكن من الاستيلاء عليها . ولكنه عجز عن الاستيلاء على القلعة التي كانت بيد الحامية الاسلامية ، على الرغم من ان جوسلين ومن معه من الارمن والصليبيين قد

---

(١) انظر حسن حبشي ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ٤١-٤٢ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٣٤ ، آرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٥٥٠ .

(٢) العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٣٥ .

فتكوا بكثير من أهلها الذين استبسلوا في الدفاع عنها (١) . أما الخطر الثاني الذي تعرض له نورالدين محمود من جانب الصليبيين فقد كان من جانب ريموند دى بواتيه صاحب انطاكية ، فقد استغل هو الآخر وفاة عماد الدين زنكى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م وقام بغارة على البلاد التابعة لحلب ولكن نورالدين محمود استطاع صد الصليبيين على حلب مستعينا في ذلك بأسد الدين شيركوه الذى خرج لمطاردة الصليبيين بمن كان بحلب من الحساكر الاسلامية (٢) . ولما تمكن نورالدين محمود وقائده اسد الدين شيركوه من ابعاد خطر الصليبيين عن حلب ، طلب منهم التوجه معه الى الرها في شهر جمادى الاخرة من نفس السنة لاستعدادتها من جوسلين الثاني . واجتمع معه من الحساكر ما يقرب من عشرة الاف فارس من التركمان يتقدمهم سيف الدين سوار ، فاغزوا السير صوب الرها قبل ان تصل الى جوسلين الثاني نجدة من الصليبيين . ولشدة رغبة نورالدين ومن معه من المسلمين للوصول الى الرها في اقرب وقت ممكن ذكر ابن القلانسي ان الدواب التي كانوا يركبونها قد وقفت في الطريق من شدة التعب (٣) . ولما اشرف نورالدين محمود

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٨٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١١٤ ، ابن الحديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، اما المؤرخون اللاتين ومن نقل عنهم فانهم يذكرون ان اهل الرها هم الذين راسلوا جوسلين الثاني وطلبوا منه القدوم الى الرها وتسليمها اليه . انظر رنسيان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ ، ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٧٢-٧٣ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٩٨ ، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٣٦ ، عليه الجنزوري ، اطارة الرها الصليبية ، ص ٣١٥ .

( ٢ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٢٣-١٢٤ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٢٨٨ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

على أبواب الرها التقى بجوسلين (١) الثانى ورجاله من الارمن وغيرهم ، فأوقع المسلمون بهم ، ووقع جوسلين بين شقى الرهى ، بين القوات الاسلامية فى قلعة الرها ، وقوات نورالدين محمود التى تحاصر المدينة من الخارج . وأدرك جوسلين انه لا سبيل له الى النجاة الا أنه استطاع بعد الحصار المبرر الذى فرض عليه من التسلل ليلا الى خارج المدينة ، وولى هاربا الى تل باشر غرب الفرات ، بينما قتل بلدوين صاحب مرعش وكيسوم وكل من ظفر به المسلمون من نصارى الرها . وأخيرا تقرر اخراج كل سكان الرها المسيحيين وابعادهم الى المنفى جزاء لهم على خيانتهم وتعاونهم مع جوسلين " فخلست منهم ولم يبق بها الا القليل " (٢) . وهكذا استطاع نورالدين محمود استعادة الرها من جوسلين الثانى فى شهر جمادى الآخرة من سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ، فقطع بذلك على الصليبيين ما كانوا يأملونه عقب وفاة عماد الدين زنكى . ولم تتوقف أهمية استعادة نورالدين محمود للرها من الصليبيين على انها قطعت امامهم حبل الامل فى العودة مرة اخرى الى منطقة الجزيرة ، بل أدت الى رفع معنوية نورالدين محمود بين رعاياه من المسلمين فى بلاد الشام بالاضافة الى انها مكنته من الحصول على منطقة نفوذ بالجزيرة التى كانت رائدة فى بحث فكرة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين . (٣)

- ( ١ ) جوسلين الثانى ( Joscelin II ) تولى إمارة الرها بعد وفاة ابيه جوسلين الاول سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١ م وظل فى حكم إمارة الرها حتى سقوطها بيد عماد الدين زنكى سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م . انظر : ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٢٥ ، حاشية رقم ٣ .
- ( ٢ ) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١١١ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٨٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١١٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ ، الحرينى ، الشرق الاوسط ، ج ١ ، ص ٥٣٦ ، علية الجنزورى ، إمارة الرها ، ص ٣١٦-٣١٧ . ومرعش : مدينة فى الشقوب بين الشام وبلاد الروم . انظر يا قوت . معجم البلدان .
- ( ٣ ) ابن القلانسى ، ص ٢٨٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٢٥ ، الحرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٣٧ ، عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية ، ص ٣٣٠ .

لم يتوقف نورالدين محمود عند حد استعادة الرها من الصليبيين سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ، بل رأى في نفسه القدرة والكفاية ما جعله يفكر بغزو الصليبيين في عقردارهم مستغلا في ذلك الخلافات التي حصلت بين حكام بيت المقدس الصليبيين ، وحكام دمشق من اسرة طختكين ، فقام في السنة التالية ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م بمحاربة الصليبيين ، وصرف همه الى منزلة ريموند دى بواتيه صاحب أنطاكية فاستطاع الدخول الى بلادهم ففتح ارتاح بالسيف ونهبها ، وفتح بعض الحصون التابعة لانطاكية وذلك جرد انطاكية من البلاد التابعة لها من الشرق ، فتحول المد الى جانب نورالدين محمود ، وظهر بذلك فشل السياسة التي سار عليها ريموند صاحب انطاكية بعد ان فقد كثيرا من ممتلكاته التي سقطت بيد نورالدين محمود (١) .

وكان سقوط الرها بيد عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م قد أثار ثائرة الصليبيين لا في بلاد الشام فحسب بل وفي اوروبا ، لما كان للرها من اهمية في نفوس الصليبيين من الناحية الاستراتيجية والدينية ، بالإضافة الى انها اول امارة صليبية قامت في الشرق الاسلامي . واعتبروا سقوطها اذانا بانهميار البناء الذي بناه الصليبيون طيلة نصف قرن من الزمان (٢) . ولما كانت اوضاع الصليبيين في بلاد الشام عقب سقوط الرها بيد عماد الدين زنكي

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٩٥ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ١٩ ، المعري ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٣٨ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ .  
 وأرتاح : حصن منيع من اعمال حلب . انظر ياقوت . معجم البلدان .  
 (٢) انظر ما سبق ، ص

لا تسمح لهم باستعادتها والوقوف في وجه عماد الدين زنكى لط بينهم من  
الخلافت ، فانهم لم يستكينوا بل أرسلوا في سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م رسلهم  
الى اوربا لاستنفارها وتاليب قواها لاسترداد الرها والقضاء على الزنكيين  
فكان نتيجة ذلك خروج الحملة الصليبية الثانية على رأس اثنين من زعماء اوربا  
هم كونراد الثالث امبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرنسا ولكن هذه الحملة  
لم تصل الى بلاد الشام الا بعد وفاة عماد الدين زنكى واستعادة نورالدين  
محمود للرها في سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م (١) .

وعلى اية حال فان وجود اكبر ملوك اوربا على رأس هذه الحملة يدل على  
قوة المدمة التي تعرضت لها اوربا على اثر سقوط الرها بيد المسلمين ، وعلى  
قوة التأثير التي قام بها دعاة هذه الحملة أمثال القديس برنارد والبابا  
يوجينوس (٢) . غير ان هذه الحملة على الرغم من كونها حملة نظامية ، فانها  
قد تعرضت لكثير من المتاعب والمشاكل قبل وصولها الى الشام لتحقيق هدفها  
وهو استعادة الرها والقضاء على الزنكيين . فروجرطك صقلية اراد استغلال  
هذه الحملة لتحقيق مآربه في أنطاكية واستعادتها من ريموند دى بواتييه  
فأدى ذلك الى رفض لويس السابع ملك فرنسا قبول العرض الذي تقدم به روجر  
ملك صقلية من تقديم المؤن والسفن لنقل الصليبيين الى الشام وذلك للقربانة  
بين ريموند صاحب انطاكية وزوجة لويس السابع . وأدى ذلك الى تغيير مسار  
الحملة الى القسطنطينية ومنها الى آسيا الصغرى قبلاد الشام (٣) . اما الامبراطور

( ١ ) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ص ٣٨٧-٣٩٧ ، ارست باركر ،

الحروب الصليبية ، ص ٧٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ ،

( ٢ ) انظر رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٤٠٩-٤١٦ .

( ٣ ) حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٥٠ .





الروم (١) . وإذا كانت الظروف التي تعرض لها زعماء الحملة الصليبية الثانية قد خدمت نور الدين محمود ، فإن سكان بلاد الشام الذين كانوا يرتجفون خوفا من مصيرهم المحتوم على يد زعماء الحملة الصليبية الثانية قد غمرهم الفرح والسرور وسكنت نفوسهم من الخوف عند سماعهم بما حل على هذه الحملة من الفناء والدمار على يد سلاجقة الروم بآسيا الصغرى على حد تعبير ابن القلانسي (٢) .

وأخيرا وصل لويس السابع ملك فرنسا وزوجته الى انطاكية في أواخر سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م عن طريق آسيا الصغرى ، فقبول كل من لويس وزوجته في انطاكية بالتهليل والفرح العظيم ، ان رأى ريموند دى بواتييه صاحب انطاكية في هذه الحملة اداة طيبة في استرداد اراضيه التي فقد ها على يد نور الدين محمود ، وكان نور الدين محمود شديد الرغبة في الاستيلاء على انطاكية واوضاعها حتى لا تكون مركز انطلاق للصليبيين والبيزنطيين للاغارة على املاكه في حلب وشمال الشام (٣) . ولشدة حماس ريموند صاحب انطاكية في استغلال هذه الحملة لصالحه فقد أخذ يعدد لزعيمها لويس السابع ملك فرنسا ما يهدد الامارات الصليبية من جراء وجود نور الدين محمود

- 
- ( ١ ) حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ٥١ ، العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٥٥٨ .  
 ( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢٩٧ ، انظر ايضا بوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٣-١٣٤ .  
 ( ٣ ) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٤٤٧ ، حسن حبشى ، نور الدين محمود والصليبيون ، ص ٥٢ ، العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٦١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٢-٦١٧ .

في حلب وشمال الشام وسيطرته على الطرق المؤدية الى أنطاكية وميقات  
المقدس . واعتمادا على ما ذكره وليم الصوري حول هذا الموضوع فقد ذكر  
أحد الباحثين المحدثين أن ريموند صاحب انطاكية كان محقا في تفكيره  
الى حد بعيد ، لان الحملة الصليبية الثانية انما أتت الى بلاد الشام  
لاسترداد الرها والقضاء على القوة الزنكية في شمال العراق والشام وبالتالى  
تأمين الاوضاع الخاصة بامارة الرها وانطاكية (١) . ورفض لويس السابع ملك  
فرنسا تلبية رغبة ريموند صاحب انطاكية ومهاجمة نورالدين محمود في حلب  
خشية ان يزج بنفسه وجيوشه في مغامرة لا يضمن نتائجها (٢) . ولذلك فقد  
تنفس لويس السابع الصعداء حين وصل الى انطاكية بطريق بيت المقدس  
فولهر في ابريل من سنة ١١٤٨م لاعلام الملك لويس السابع بوصول الامبراطور  
كونراد الثالث الى بيت المقدس . وطلب البطريرك من الملك لويس السابع  
التوجه الى بيت المقدس ، فأعلن الملك الفرنس صراحة لريموند صاحب  
أنطاكية انه انما حمل الصليب والسلاح دفاعا عن مملكة بيت المقدس وزيارة  
اماكنها المقدسة . وسار الى بيت المقدس دون ان يستأذن ريموند صاحب  
أنطاكية فوصلها في سنة ٥٤٣ هـ / ابريل ١١٤٨م وهناك وجد الامبراطور  
الالمانى كونراد الثالث فى انتظاره ، فتغيرت وجهة الحملة الصليبية الثانية  
 واصبح نورالدين محمود بعيدا الى حد ما عن خطر هذه الحملة ، خصوصا  
وانه قد قتل من أفرادها أعداد كثيرة (٣) .

( ١ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٣ .

( ٢ ) حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٥٣ ، رنسيطان ، تاريخ

الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٢٩٧ ، رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ،

ص ٤٤٩ .

وفي بيت المقدس اجتمع لويس السابع مع كونراد الثالث مع مغيفهم  
الملك القاصر بلدوين الثالث ملك بيت المقدس ووالدته ميلسندا . على أن تخيير  
وجهة مسار الحملة الصليبية ووصول زعمائها الى بيت المقدس قد أدى الى  
انقسام الصليبيين في بلاد الشام الى قسمين : القسم الاول ويمثله زعماء  
هذه الحملة مع ملك بيت المقدس ووالدته ، وهدف هذا القسم الاستيلاء  
على دمشق من أسرة طغتكين ، بهدف توسيع ممتلكات بيت المقدس وتمويض  
الصليبيين عما كانوا قد فشلوا في تحقيقه سابقا ، رغم ان حكام دمشق من أسرة  
طغتكين كانوا حلفاء لملك بيت المقدس . أما القسم الثاني ويمثله صاحب أنطاكية  
وصاحب طرابلس وجوسلين الثاني صاحب الرها سابقا وهم يرون مواجهة  
نورالدين محمود في حلب وشمال الشام والجزيرة أولى من الدخول في مفاخرات  
بجنوب الشام خصوصا وان خطر المسلمين بهذه المنطقة لا يساوى خطر  
الزنكيين في الشمال ، بسبب مسألة حكام دمشق وضعف الفاطميين (١) . غير  
أن القسم الاول قد تغلب في وجهة نظره على القسم الثاني وكان هذا من  
العوامل التي أدت الى فشل الحملة الصليبية الثانية . فما ان قضى الصليبيون  
القادمون من اوربا مفروض حجهم وعاد منهم من عاد الى بلاده ، دعيت  
الملكة ميلسندا في السنة نفسها ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م زعماء الحملة الى عقد  
اجتماع في عكا للتشاور في امر الخطوة التي يجب السير عليها لاستغلال جموع  
الصليبيين في توسيع رقعة ملكة بيت المقدس . وبعد مناقشات ومداولات واختلاف

---

( ١ ) انظر حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٥٤ - ٥٥ ، ارنت  
باركر ، الحروب الصليبية ص ٧٦ ، العريني ، الشرق الاوسط  
والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٥٦٢ .

في الآراء استقراموهم اخيرا على منازل دمشق (١) .

وشرع الصليبيون في شن هجومهم على دمشق في ربيع الاول من سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م حيث قصدوا المنزل المعروف بمنازل العسكر ، فوجدوا به الماء مقطوعا ، فقصدها ناحية المزة فحيطوا عليها لقربها من الماء وشدوا الحصار على اهل البلد حتى ضعف امر المسلمين فتقدم للصليبيون بقيادة كوتراود الثالث الى المكان المعروف بالميدان الأخضر (٢) . فاستظهر الصليبيون على المسلمين في اليوم الاول من القتال وهو يوم السبت السادس من ربيع الاول من السنة المذكورة . وقتل من المسلمين قرابة المائتين من رجال العلم والدين . وانتشر للصليبيون في البساتين المحيطة بدمشق ، وشرعوا في قطع الاشجار للتحصن بها وحاولوا في اليوم الثاني شن هجوم مباغت على المسلمين ، ولكن معين الدين أنر ورجاله ابلوا بلاء حسنا في الدفاع عن دمشق حتى استظهر المسلمون على الصليبيين (٣) . ولم يقتصر دفاع

(١) ابن القلانسي ، ص ٢٩٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١٩٧ ، الحريشي ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٦٤ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ . أما رواية ابن الاثير فهي لا تذكر شيئا عن اختلاف آراء الصليبيين بل ذكر ان كونراد الثالث قد امر الصليبيين بالسير الى دمشق ظنا منه بنفسه وقوته وكثرة رجاله . انظر ابن الاثير الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٩ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ٢٩٨-٢٩٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٩-١٣٠ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٨٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩١ . والمزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق . انظر يا قوت ، معجم البلدان . ومنازل العسكر : منطقة فسيحة كانت تتجمع فيها الجيوش التي تريد مهاجمة دمشق جنوبي دمشق . انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ق ١ ص ٢٩٩ حاشية رقم ٦ .

(٣) ابن القلانسي ، ص ٢٩٩ ، ابن خلدون ، المعبر ، ج ٥ ، ص ١٦٠ .

المسلمين عن دمشق على العساكر النظامية بل اشترك في الدفاع عنهم  
كل الرجال حتى الزهاد منهم والعباد ورجال الدين والعلماء المتلوعة  
الذين لا راحة لهم في ذلك سوى الدفاع عن دمشق والاستشهاد في سبيل  
الله (١) .

لم تقتصر خطة معين الدين انر - وزير جمال الدين ابق بن محمد بن  
بورق - ولا رجال دمشق المشهورين في الدفاع عن دمشق على المواجهة  
المسكوبة بل عملوا على طم الاثار الواقعة امام الصليبيين بالاضافة الى ما بذله  
معين الدين انر من الاموال والجوائز المخرية لكل من يحضر راس أحد من  
الصليبيين ، و ما قام به من ارسال الرسل الى اصحاب الاطراف يستصرخهم  
ويطلبهم النجدة . فوصل من جهة البقاع امدادات كثيرة من المسلمين  
أدت الى رفع الروح المعنوية عند المدافعين ، اجبرت الصليبيين على  
التراجع قليلا بعد مقتل كثير منهم (٢) . غير ان معين الدين انر وزير ابق  
خاف ان يكون تراجع الصليبيين مكيدة له فارسل الى سيف الدين غازي  
صاحب الموصل يستغيث به ويستنجد به على الصليبيين ويسأله القدوم اليه ،  
فجمع سيف الدين غازي جيوشه وسار بها الى حمص ومعه اخوه نور الدين  
محمود صاحب حلب (٣) .

- 
- (١) ابن القلانسي ، ص ٢٩٩ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٩٤ ، ابن  
الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٨٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
ق ١ ، ص ١٣٥ .  
(٢) ابن القلانسي ، ص ٢٩٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٣٦ ،  
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .  
والبقاع : جمع بقعة ، موضع يقال له بقاع لب قريب من دمشق وهو  
ارض واسعة بين حلب وحمص ودمشق فيها قرى كثيرة . انظر ياقوت ،  
معجم البلدان .  
(٣) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٨٩ - ٩٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ١ ، ص ١١٢ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٣٨ .

ولما كان معين الدين أنر وجمال الدين أبق قبل هجوم الصليبيين على دمشق خليفة لحكام بيت المقدس ، فان سيف الدين غازي قد ساررتيه الشكوك في حسن نية معين الدين أنر الحاكم الفعلي لدمشق ، فأرسل من قبله رسولا الى دمشق يخبر معين الدين أنر باستعداده لقتال الصليبيين ، على ان يتولى امر دمشق رجل من قبله على ان يردّها اليه بعد احراز النصر على الصليبيين . ولكن معين الدين أنر اخذ يطأطأ سيف الدين غازي ولم يسارع الى تلبية رغبته خشية ان يستولى سيف الدين غازي على دمشق " لينظر ما يكون من أمر الفرنج " (١) . وعلى اية حال فقد أشاع خروج سيف الدين غازي وأخوه نور الدين محمود الى حمص نجدة لمعين الدين أنر الرعب بين صفوف الصليبيين ، لان سيف الدين غازي ارسل الى الصليبيين يهددهم ان لم يرحلوا عن دمشق ، في الوقت الذي ارسل فيه معين الدين أنر الى الصليبيين بالشام ينذرهم بحضور سيف الدين غازي ويقول لهم محذرا " باي عقل تساعدون هؤلاء علينا وأنتم تعلمون انهم ان ملكوا مدينة دمشق اخذوا ما بأيديكم من البلاد الساحلية ، وأما أنا ان رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته الى سيف الدين غازي ، وانتم تعلمون انه ان ملك دمشق لا يبقى لكم معه مقام بالشام " (٢) . ويضيف أبوشامة في كتابه الروضتين ان معين الدين أنر بذل للصليبيين بالشام

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٨٩ ، انظر ايضا أبوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٣٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٣ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٦٧ ، أما مؤرخ دمشق ابن القلانسي فلم يشر الى المراسلة التي تمت بين سيف الدين غازي ومعين الدين أنر ولا حتى عن مطالعة معين الدين أنر التي اتبعها تجاه سيف الدين غازي صاحب الموصل .

( ٢ ) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٣ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٣١ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ،

أن يسلم اليهم بانياس ان رحلوا الامبراطور الالمانى عن دمشق " فاجابوه الى ذلك وعلموا صدقه واجتمعوا بطك الالمان وخوفوه من سيف الديين وكثرة عساكره وتتابع امداده ، وانه ربما ملك دمشق فلا يبقى لهم مقام بالساحل فأجابهم الى الرحيل عن دمشق . فرحل ورحل فرنج الساحل وتسلموا حصن بانياس من معين الدين أنر . يبقى معهم حتى فتحه نورالدين محمد ———— رحمه الله\* (١) .

هكذا وجدت رسالة معين الدين أنر صدى في نفوس صليبيين بلاد الشام الذين لم يحصلوا على ما كانوا يرغبون في تحقيقه باستعادة الرها والقضاء على الزنكيين ، مما دعاهم الى التهاون في أمر مساعدة الامبراطور الالمانى في حصاره لدمشق ، وهذا على ما يبدو ما أجبر في اليوم الخامس من حصاره لدمشق الى الانسحاب عنها في العاشر من ربيع الاول سنة ٥٤٣ هـ / الموافق ٢٨ يوليو سنة ١١٤٨ م الى بيت المقدس هو وجموعه في أسوأ حال وقلة رجال ، حيث أنزل المسلمون بهم قبل الانسحاب وبعدة مذبححة هائلة اشار اليها ابن القلانسي ، على ان روايح جيفهم تكاد تصع الطير في الجو (٢) .

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٣٨ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ٢٩٨ - ٣٠٠ ، انظر ايضا سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ١٩٨ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٦٠ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٨ ، الميرني الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٧٠ .

وبالإضافة إلى أثر رسالة معين الدين أنر في نفوس الصليبيين ومما أدت إليه من تراجع الصليبيين عن مواصلة الحصار لدمشق ، فهناك عدة أسباب : منها ما أشار إليه المؤرخون أمثال ابن القلانسي حيث ذكر أن انسحاب الصليبيين عن دمشق جاء نتيجة الصوم الذي أبداه معين الدين أنر ، وما وصله من الامدادات وما تواتر لدى الصليبيين من أخبار المعسكر الاسلامي " بالغفوف إلى جهادهم والمصارعة إلى استئصالهم ، فأيقنوا بالهلاك والبوار وحلول الدمار " ، ثم ما حصل بين زعماء الصليبيين من شقاق حول مستقبل دمشق بعد الاستيلاء عليها (١) . أما السبب الثاني عن تراجع الصليبيين عن حصار دمشق فهو ما ذكره بعض الباحثين نقلا عن المصادر الاوربية من أن بعض زعماء الحملة الصليبية الثانية المحاصرة لدمشق قد تلقى نصائح من بعض البارونات الشرقيين الذين تلقوا رشاً ومالاً من معين الدين أنر تدعو إلى الانسحاب بعيداً عن دمشق ، ثم وقوع الشجار في المعسكر الصليبي حول مستقبل دمشق بعد الاستيلاء عليها فبينما طمع بلدوين الثالث ملك بيت المقدس ووالدته ميلسندا في أن تصبح دمشق عند الاستيلاء عليها تابعة لمملكة بيت المقدس إذا ببعض الأمراء الصليبيين يؤيدون لويس السابع يطمعون في الفوز بدمشق ليقموا فيها إمارة صليبية جديدة (٢) . وبالإضافة إلى ذلك فقد بذل ريموند دي بواتيه صاحب

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، انظر ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣

ص ٢٠ ، ابن ليك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٥٥١ .

( ٢ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٧ ، رنسيطان ، تاريخ

الحروب الصليبية ، ج ٢ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب

الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٦٨ - ٥٧٠ .



أنطاكية جهودا كبيرة كيما تحل الهزيمة بليوس السابع ملك فرنسا لعدم  
تلبية رغبة ريموند في توجيه الحملة الصليبية ضد نور الدين محمود زنكسى  
في حلب وشمال الشام حين قدومه الى أنطاكية في السنة الطغية (١) .

وفي الحقيقة ان زعماء الحملة الصليبية الثانية قد فشلوا في تحقيق  
ادنى حد من هدفهم حين سعوا الى تحقيق رغبة بلدوين الثالث ملك بيت  
القدس ووالدته ميلسندا بالهجوم على دمشق ان أتاحوا لنور الدين محمود  
ابن زنكى فرصة ملائمة للتفكير الجدى في السعى الى ضم دمشق فيما بعد ،  
بالإضافة الى أنهم فقدوا أكبر حليف لهم في بلاد الشام ، والمثل في أسرة  
طغتكين بدمشق . ولم تبق آثار فشل الصليبيين في الاستيلاء على دمشق  
عند حد تدخل نورالدين محمود في شئون دمشق بل ادت الى بث روح  
الشقاق بين الصليبيين والبيزنطيين من ناحية وبين الصليبيين في بلاد  
الشام من ناحية أخرى (٢) .

ولم تقتصر نتائج فشل الحملة الصليبية عند حد عدم تحقيق هدفها  
الاساسى في استعادة الرها والقضاء على الزنكيين بل ان الصليبيين فى  
بلاد الشام قد تعرضوا لمطامع بعض زعماء الحملة الصليبية الثانية مما دعى  
صليبيين بلاد الشام الى الاستعانة بنورالدين محمود ، ومعين الدين أنر  
ذلك ان معين الدين أنر بعد انسحاب الصليبيين من دمشق توجه الى  
بعلبك ليكون قريبا من نورالدين محمود الذى كان موجودا بحمص ، فتم

( ١ ) ارنست باركر ، الحروب الصليبية ، ص ٧٦ .

( ٢ ) حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٥٥ ، سعيد عاشور ،  
الحركة الصليبية ، ص ٢٦٦ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ،

ج ٢ ، ص ٦٤٢ - ٤٦٣ .

فتم اللقاء بينهما في أواخر شهر ربيع الآخر من سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وعند اجتماعهما وصل اليهما كتاب من ريموند الثاني صاحب طرابلس يطلب منهما النجدة ضد رتراند (١) بن الفنسو صاحب طليطلة الذي تغلب على حصن المزيمة وأظهر أنه يريد الاستيلاء على طرابلس ، فسار إليه مجدين وكتبهما إلى سيف الدين غازي وهو يحمي يطلبان منه المدد فأمداهما بفرقة عسكرية مع أحد أصدقائه فحاصروا الحصن وبه ابن الفنسو ووالدته . وبعد حصار شديد استطاع المسلمون اقتحامه بعد تخريبه ووقع برتراند ووالدته في أسر نورالدين محمود بن زنكي ونقلهما إلى حلب (٢) .

ويمكن القول أن استيلاء نورالدين محمود على حصن المزيمة كان آخر لقاء بين المسلمين ومقايي الحملة الصليبية الثانية التي خرجت إلى بلاد الشام ، وفتحت بذلك صفحة جديدة لنورالدين محمود بن زنكي في جهاد الصليبيين فحسب بل وفي التدخل الفعلي في شئون دمشق التي كانت تخضع لحكام من أسرة الظهيرالدين طغتكين منذ سنة ٤٩٧ هـ / ١١٠٣ م .

- جهاد نورالدين محمود ضد الصليبيين بعد فشل الحملة الصليبية الثانية :

( ٥٤٣ - ٥٦٥ هـ / ١١٤٨ - ١١٦٩ م ) .

أدى فشل الحملة الصليبية الثانية وعودة زعماء أوروبا إلى بلادهم خائبين إلى تصميم نورالدين محمود على مواصلة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين .

Raymond of Toulouse .

- ( ١ ) برتراند هو حفيد ريموند التولوزي  
انظر أبوشامة ، الروضتين مج ١ ، ق ١ ، ص ١٣٣ حاشية رقم ( ٤ ) .  
( ٢ ) ابن الأثير ، ص ٣٠٠ ، ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص ٩٠ ، ابن  
العديم ، زبدة الحلب ، مج ٢ ، ص ٢٩٢ ، أبوشامة ، الروضتين ، مج ١ ،  
ق ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

ولكنه رأى ان اعادة الوحدة بين المسلمين لن تعود الا بتعزيز المذهب السننى فهذا خير وسيلة لتحقيق النصر على الصليبيين (١) . ولذلك فقد قام بعد عودته الى حلب عقب فشل الحملة الصليبية الثانية وبالتحديد فى شهر رجب من سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م بابطال " حى على خير العمل " ومنع سب الصحابة وانكر ذلك انكارا شديدا فى حلب ، والبلاد التابعة لها . وساعده على ذلك جماعة من اهل حلب السنيين . وقد عظم هذا الامر على الاسماعيليه واهل التشيع وضاعت له صدورهم (٢) . ولذلك وجد ريموند دى بواتييه صاحب انطاكية الفرصة مواتية للاتصال بزعيم الاسماعيليه فى اقامية على بن وفا الكردي للنيل من نورالدين محمود بن زنكى (٣) . وقد

استطاع ريموند فعلا ان يصد نورالدين محمود وان يمنعه من التدخّل فى الاراضى التابعة لامارته بعد ان كان نورالدين محمود قد ظفر بعدة من الحصون والمعازل الصليبية (٤) . ولم يقف صاحب انطاكية عند هذا الحد بل جمع الصليبيين وقصد نورالدين محمود على حين غفلة منه فنال من عسكره وأمتعته وانهزم نورالدين محمود وعسكره " وعاد الى حلب سالما فى عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير " (٥) . ولكن نورالدين محمود استطاع ان يأخذ بثأره فى نفس السنة (٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) حيث التقى بجموع الصليبيين

- 
- ( ١ ) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٩ .  
 ( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٣٠١ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ ،  
 ابوشامة الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٧ .  
 ( ٣ ) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٢٤ .  
 ( ٤ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٣ .

الذين كانوا يريدون قصد حلب والبلاد التابعة لها ، فالتقى بهم عند  
بشراس وانزل بهم هزيمة ساحقة انجلت عن قتل كثير .. منهم واسر جماعة  
من مقدميهم ، بعث بعدها بكثير من الغنائم والاسرى الى اخيه سيف  
الدين غازى بالموصل والى الخليفة العباسى المقتضى بالله والسلطان  
السلجوقى مسعود بن محمد بن ملكشاه . وقد اكثر الشمرء من مدح  
نورالدين على أثر هذه الموقعة (١) .

ويمكن القول ان نورالدين محمود بن زنكى اتخذ انطاكية هدفا لجهاده  
فمع مطلع سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م عقد مع جوسلين الثانى صاحب تل باشـر  
هدنة مؤقتة لكى يتفرغ لامر انطاكية ، فى الوقت الذى بعث فيه نورالدين  
محمود الى معين الدين انرىعلمه ان صاحب انطاكية قد جمع الصليبيين  
بقصد الغارة بهم على حلب والبلاد التابعة لها وانه اى نورالدين قد

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣٤ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ،  
ص ٩١-٩٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، ابوشامة  
الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ،  
ص ١١٤-١١٥ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٢٥ ،  
وبشراس مدينة فى لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ  
على يمين القاصد الى انطاكية من حلب ، انظر يا قوت ، معجم  
البلدان . وما مدح به نورالدين محمود عقب هذه الموقعة قول  
الشاعر ابن القيسرانى حيث قال :

|                              |                        |
|------------------------------|------------------------|
| وكيف لانشى على عيشنا المحمود | والسلطان محمود         |
| وصارم الاسلام لا ينتهى       | الا وشلو الكفر مقبـود  |
| مكارم لم تك موجـودة          | الا ونورالدين موجـود   |
| وكم له من وقعة يومهـا        | عند الطوك الكفر مشهـود |

انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣٤ .

برز في عسكره الى ظاهر حلب للقاء صاحب أنطاكية ، وان الحاجة ماسة الى مساعدته . وجهز معين الدين أنر فرقة من رجاله لنجدة نورالدين محمود بالاضافة الى ما وصله من امدادات كثيرة من التركمان بالجزيرة وغيرها ، فتوجه نورالدين محمود بهذه الجموع التي بلغت اكثر من ستة الاف فارس الى انطاكية وقصد حصن حارم وهو للصليبيين ، فحصره وضرب ريشه ونهب سواده ثم رحل الى حصن انب حيث دارت هناك معركة بين المسلمين والصليبيين في العاشر من شهر صفر من سنة ٥٤٤هـ / ١٤٩م اسفرت عن هزيمة الصليبيين وسقوط ريموند دي بواتييه صريعا في هذه المعركة التي اظهر نورالدين فيها من الشجاعة والصبر ما تعجب الناس منه على الرغم من حداثة سنه (١) . وكان ريموند صاحب انطاكية كما وصف في كتب المؤرخين المسلمين عاتيا من عتاة الفرنج وعظيما من عظمائهم مع اشتهاره بالهبة وكثرة السطوة والتفاني في الشر . وموته خلت انطاكية من اشهر زعمائها وخلفه ابنه يوهنن الذي أطلق عليه اسم يوهنن الثاني غير ان والدته كونستانس تزوجت بأحد المفاخرين الصليبيين الذي عرف في كتب المؤرخين المسلمين باسم أرناط وهو المفاخر رينودى شاتيون الذي لعب دورا كبيرا في عهد صلاح الدين الايوبي (٢) .

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٩١ - ٩٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٤ - ١١٥ ، ابو الفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٢٠ ، رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ .  
وأنب : حصن من اعمال عزاز من نواحي حلب ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢١ ، العطار الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٧ ، ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٢٠٧ ، حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٨٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ ، ٦٢٢ .

لم يكف نورالدين محمود بما أنزله بالصليبيين في أنب وأنطاكية من أسر وقتل زعماء الصليبيين بل تقدم في نفس السنة الى أقامية واستولى عليها وعاد منها الى أرتاح وحارم وشحنها بالذخائر والمقاتلين . ولما اطمأن نورالدين محمود الى استتباب الامن والاضاع في البلاد التي استولى عليها من الصليبيين أسرع عائدا الى انطاكية التي خلت من زعمائها المدافعين عنها ، الا ان الحال اقتضت مهادنة وموادة من بها من الصليبيين . وتقـرر أن يكون ما قرب من الاعمال الحلبية لنورالدين محمود وما قرب من انطاكية يكون للصليبيين ثم رحل عنها نورالدين الى جهة اخرى (١) . وبهذه الانتصارات التي احرزها نورالدين محمود على الصليبيين في بفراس وانب جعلت منه في نظر المسلمين بالشام المدافع الاول عن حقوق المسلمين في تلك البلاد . وأدرك هو نفسه هذه الحقيقة ، ورأى انه لا بد له في المرحلة القادمة من الاعتماد على قاعدة صلبة تمكنه من مواصلة سيره الى توحيد قوى الشام والجزيرة وتصفية القوى المعارضة له فعمل على تشجيع المذهب السني السدي يدين به كثير من التركمان الذين يشكلون اكبر قوة في جيشه ، فبالاضافة الى تشييد الاسماعيلية فقد عمل على بناء المدارس السنية التي تقربه من قلوب الناس ، كما اهتم بالعلماء والشعراء الذين علوا في نفس الوقت على تأليب الناس ضد معارضيهِ في دمشق وغيرها (٢) .

وفي سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م وجه نورالدين محمود اهتمامه الى

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٠ -

١٠١ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ق ١ ص ١٥١ ، ابن واصل ، مفرج

الكروب ، ج ١ ص ١٢٢ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية

ج ١ ص ٥٧٧ - ٥٧٨ .

( ٢ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، العريني ، الشرق

الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٥٧٧ .

وفي سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م وجه نورالدين محمود اهتمامه الى جوسلين الثاني صاحب تل باشر لانتها الهدنة المعقودة بينهما في الوقت الذي تمرغ فيه جوسلين لهجوم من الملك مسعود سلطان سلاجقة الروم وذلك بهدف الاستيلاء على بلاد الواقعة شمال حلب كتل باشر وعين تاب وغيرها من الحصون . فجمع نورالدين محمود عساكره وسار الى بلاد جوسلين فالتقى به " فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر " . ولكن نورالدين محمود عزم على ان يأخذ بثأره وثأر رجاله ، فأخذ يفكر في حيلة يستطيع بها القضاء على جوسلين خصوصا وأنه ان قصده احتس في حصونه فاحضر نورالدين بعض أمراء التركمان هذل لهم الرغائب من الاموال ان ظفروا بجوسلين فترصدوا له فلما خرج ذات مرة للصيد وذلك في المحرم من السنة نفسها ( ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م ) استطاع التركمان أسره ، وقد حاول ان يهبهم ما يطلبونه من الاموال في مقابل اطلاق سراحه ورجعوا الى ذلك ، ولكن نائب نورالدين محمود في حلب ارسل لهم مجموعة من رجاله فكبسوهم واخذوا جوسلين حيا ، وحملوه الى نورالدين بحلب حيث قتل . ثم سار نورالدين محمود الى قلاع فاستولى على عزاز ، وتل باشر وغيرها من الحصون التي كانت خاضعة لجوسلين .<sup>(١)</sup>

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣١١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ص ١٨١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٢٣ ، العماد الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ، ص ٢٠٧ ، حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٧٦ ، رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٢٧ .

وعلى أية حال فإن أسر جوسلين وقتله والاستيلاء على قلاع وحصونه كان من اعظم الفتوحات التي حققها نورالدين محمود على الصليبيين ، قالى جانب حصول نورالدين محمود على مزيد من الحصون فان مقتل جوسلين الذى وصفه ابن الاثير بانه " كان شيطانا عاتيا من شياطين الفرنج " لا يقل أهمية عن ذلك (١) . وبالإضافة الى ذلك فان تخلص نورالدين محمود من جوسلين الثانى قد جعل منطقة الجزيرة تحت حوزة المسلمين فى الوقت الذى خلت فيه منطقة شمال الشام من اشهر زعماء الصليبيين الذين ظلوا فترة من الزمن يصلحون ويجولون ، دون مراعاه لهم ، ما رجح كفة المسلمين على الصليبيين (٢) .

وقد يتساءل الباحث عن موقف الصليبيين فى بلاد الشام بعد مقتل اشهر زعماء الصليبيين ( ريموند دى بواتيه ، صاحب انطاكية وجوسلين الثانى صاحب تل باشر ) . وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول ان عبء الدفاع عن الصليبيين فى بلاد الشام قد انتقل الى ملكبيت المقدس حيث انمقدت الامال على بلدوين الثالث ووالدته ميلسندا خاصة ان امارة طرابلس الصليبية والخاضعة لريموند الثانى لم تستطع مد يد العون للصليبيين فى شمال الشام . فط كان من بلدوين الثالث ملك بيت المقدس الا ان جمع جموعه من الصليبيين فى سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م وسار بها نحو نورالدين محمود بدلو ك حيث جرت بين الطرفين معركة انهزم فيها الصليبيون وقتل منهم واسرا اكثرهم وعاد من سلم منهم الى بلادهم . ولم يكتف نورالدين محمود بما حققه فى دلو ك ، واستيلائه على

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٢ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ،

ج ١ ق ٩ ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

( ٢ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٦٢٤ .



هذا الحصن ، بل توجه الى حصن انطربوس فافتحه وقتل من كان فيه من الصليبيين (١) .

وعلى الرغم من ان نورالدين محمود استطاع ان يجرد امارة انطاكية من البلاد التابعة لها ، بالاضافة الى استيلائه على ما تبقى من الحصون والقلاع التي كانت بيد جوسلين ، فانه قد خشى من الاستيلاء على انطاكية حتى لا يؤدي ذلك الى تكاتف الصليبيين في بلاد الشام والوقوف في وجهه صفا واحدا . كما لا يستبعد ان يكون نورالدين محمود قد حرص على عدم الاحتكاك بسلاجقة الروم بزعامة السلطان مسعود بن قلع ارسلان الذين حصلوا على نصيب وافر من البلاد التي كانت تابعة لامارة الرها ، مع افساح المجال للاراتقة في حصن كيفا وماردين بالاستيلاء على بعض البلاد التي كانت تابعة لامارة الرها كسمساط ، وكركر ، وذلك بهدف الاستعانة بهم في جهاده ضد الصليبيين من ناحية ومن ناحية اخرى قد يكون قصد من وراء ذلك ، السعي الى يقوم الاراراتقة وسلاجقة الروم بتقديم المساعدة لحكام دمشق من اسرة طغتكين حيث انصرف نورالدين في السنتين التاليتين ( ٥٤٨-٥٤٩ ) الى محاولة الاستيلاء على دمشق ، حتى تم له ذلك في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٣ م (٢) . وأدى

---

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣١٨ ، ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ١٦٣ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٣٠٣ ، ابو شامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢١٥-٢١٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٥ .  
- ودلوك : بليدة صغيرة من نواحي العواصم قريبا من انطربوس . انظر ياقوت . معجم البلدان .

( ٢ ) عن سقوط دمشق بيد نورالدين محمود سنة ٥٤٩ هـ انظر مايلي ص

استيلاء نورالدين على دمشق الى انقطاع الامل امام الصليبيين في استعادة ما أصبح يحوزته من الاراضى التى كانت تابعة لامارة الرها وانطاكية ، خصوصا وأنه أصبح يسيطر على بلاد فسيحه تمتد من منطقة الجزيرة مرورا بشمال الشام الى وسطها بالاغصاف الى انه ضيق عليهم حتى حصرهم تقريبا فى داخل المنطقة الجبلية الواقعة الى الغرب من الاردن ونهر العاصى (١) .

ومن الملاحظ انه على الرغم من الصدمة النفسية التى منى بهم الصليبيون على اثر سقوط دمشق بيد نورالدين محمود ، فانه لم يقيم باعمال عسكرية لاقتطاع بعض الاراضى التابعة لامارة انطاكية او ملكة بيت المقدس ، بل انصرف الى الاهتمام بالامور الادارية والحضارية والسعى لتعزيز المذهب السنى وعطارة الاستحكامات واسوار المدن (٢) . ولم يكف نورالدين محمود بهذا بل سعى سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م الى تقرير الموادة والصلح مع ملك بيت المقدس بلدوين الثالث لمدة سنتين . ويبدو ان نورالدين محمود قد لجأ الى الموادة فى تلك السنة بسبب خوفه من أن يفدربه أهل دمشق خصوصا وانهم حديثو عهد بحكمه بالاغصاف الى انه حصل فى بعلبك ما اوجب عليه ارسال قوة عسكرية اليها لعزل الوالى بها واستبداله بوال آخر (٣) .

- 
- (١) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٩ .
  - (٢) الحريثى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٠١ .
  - (٣) ابن الاكلاسى ، ص ٣٣١ ، ابوشامة الروضتين ، ج ١ ، ص ١ ، ص ٢٥٠ ، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٢٧ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٢٤ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

وفي سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م سار نورالدين الى قلعة حارم التابعة لامارة انطاكية الصليبية ، فضيق الخناق على من بها من الصليبيين حتى اضطروهم الى مراسلته طالبين منه عقد صلح معه . وترددت المراسلات بين من بها من الصليبيين ونورالدين الى أن تم عقد الصلح على نصف اعمال حارم تدفع اليه (١) . وعلى ما يبدو فإن لجوء نورالدين محمود الى عقد الصلح مع الصليبيين على نصف اعمال حارم كان بهدف الحصول على اموال ينفقها على مشاريعه في حلب ودمشق وتسديد ما كان مقررا لبلد وين الثالث ملك بيت المقدس على دمشق من قطعة يأخذها ، إذ أن نورالدين محمود وافق على مضي - على دفع مبلغ ثمانية الاف دينار لبلد وين الثالث ملك بيت المقدس وهو المبلغ الذي كان مقررا على حكام دمشق السابقين من أسرة طغتكين (٢) .

حاول الصليبيون التناول على نورالدين محمود ، وظنوا ان استمراره في مواصلة عقد الهدنة معهم انما هو عن ضعف واستكانة فجرتهم هذه الاطامى الى نقض الهدنة مع نورالدين محمود واغاروا في اواخر سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م على مجموعة من الرعاة التركمان والعرب الذين كانوا يرعون قطعان كثيرة من الاغنام والماشى في سهول بانياس فاستاقوها واسروا بعض رعاتها من التركمان والعرب وعادوا بها وسهم الى بلادهم " ظافرين غانمين آثمين " (٣) . ويضيف

- 
- (١) ابن الاثير، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٨ ، ابن الاثير، التاريخ الباهر ، ص ١٠٩ ، ابن العديم ، زبد القليب ، ج ٢ ، ص ٣٠٥-٣٠٦ ، ابسن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٧-١٢٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .
- (٢) ابن القلانسي ، ص ٣٣٦-٣٣٧ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٧-٦٤٨ .
- (٣) ابن القلانسي ، ص ٣٣٧ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١ ، ص ٢٥٨ ، العريضي ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٠٤ .

ابوشامة ان سبب نقض الصليبيين للهدنة التي بينهم وبين نورالدين محمود  
انما كان بدكم وصول اعداد كثيرة من المراكب التي تحمل ايضا اعدادا كثيرة  
من الصليبيين القادمين من اوربا (١). غير ان نورالدين محمود صاحب السروح  
المتوشبة لقتال الصليبيين ما ان وصلت اخبار هذه الحادثة وهو ببعلبك حتى  
قرر الاخذ بشأراً المسلمين من الصليبيين وما شجعه على ذلك ما وصله من انباء  
تفيد بان اخاه ناصرالدين امير ميران ويلقب ايضا نصره الدين ، قد ظفر بقوة  
من الصليبيين قدر عدد هابنحو سبعمائة فارس كانوا في طريقهم الى بانياس في  
ربيع الاول من سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م بمكان يسمى رأس الماء . والاضافة  
الى ذلك فقد وصلت لنورالدين محمود بشرى ثانية تفيد بان اسد الدين  
شيركوه قد اوقع بالصليبيين في شمال الشام وهو في طريقه الى دمشق بقصد  
الاجتماع بنورالدين محمود والاغارة على بانياس والمضايقة لها والجهاد في  
افتتاحها (٢) .

وهكذا توفر لنورالدين محمود من الاسباب ما شجعه على الاخذ بشأراً  
المسلمين والاغارة على بانياس والاستيلاء عليها سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م . فلما وصل  
أسد الدين شيركوه الى دمشق قادما من شمال الشام توجه نورالدين محمود  
بعد ان كثر جمعه من المعسكر ومنهم العلماء ورجال الدين المتطوعة ، فنزل  
بهم على بانياس وشايقها حتى اضطر ما حباها الهتفري

Hanphary

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج١ ، ق ١ ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن القلانيس ج ٣٣٩ - ٣٤٠ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج١ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ . وراس الماء : ميدان فسيح للحرب في حوران ، انظر  
ابوشامة ، الروضتين ، ج١ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ . حاشية رقم ٤ .

ومن معه من الصليبيين الى الالتجاء داخل قلعتها . وحاول نورالدين محمود اقتحام القلعة ولكن نجدة صليبية وصلت الى بانياس من بيت المقدس " فاقتضت السياسة الاندفاع عنها " . ولكن الملك بلدوين الثالث قائد النجدة الصليبية لبانياس بعد ما شاهده من الخراب والدمار النازل بهما اضطر الى التراجع عنها الى قرية الملاحة بين طبرية وبانياس . وهناك قابل نورالدين محمود ورجاله الصليبيين الذين تجمعوا مع بلدوين الثالث ملك بيت المقدس . ودارت بين نورالدين والصليبيين معركة استطاع فيها المسلمون هزيمة الصليبيين هزيمة ساحقة استطاعوا بعدها الاستيلاء على بانياس . وكان لهذه الواقعة اهميتها فقد بيئت للصليبيين قوة نورالدين محمود وغيرت نظرتهم اليه . ثم انها رفعت من مكانته بين رعاياه وزادت من شهرته حيث مدحه الشعراء وتناقل المسلمون اخبار هذه الواقعة في المشرق والمغرب (١) .

لم ينعم نورالدين محمود بهذا النصر الذي حققه على الصليبيين قريبا من بانياس بسبب ما أصاب بلاد الشام تلك السنة من زلازل شديدة اضطرتهم الى العودة الى دمشق . وعقد هدنة مع ملك بيت المقدس بلدوين الثالث بهدف التفرغ لاصلاح ما خربته الزلازل التي كان اشدها في حمص وحماة وشيزر (٢) . ولكن الصليبيين الذين اعرفوا بالقدر والمكيدة ونقض المهادنة والمواثيق استغلوا ما أصاب البلاد الاسلامية من اضرار كبيرة من جراء الزلازل التي اصابتها ، فسعى بلدوين الثالث الى نقض الهدنة المعقودة بينه وبين

- 
- (١) ابن القلانسي ، ص ٣٤٠-٣٤٢ ، انظر ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٣٠٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ .  
 (٢) ابن القلانسي ، ص ٣٤٣-٣٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٢٠-٢٢١ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ١ ،  
 ص ٢٢٨ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

نورالدين محمود وسعى الى جمع الصليبيين من أنطاكية وطرابلس في محاولة منه للاستيلاء على ما كان نورالدين محمود قد اقتطعه من ايديهم . غير ان نورالدين محمود على الرغم مما اصاب بلاده من خسائر فادحة نهى عن عساكره للتصدي للصليبيين الذين أغاروا على بلدتي حمص وحماه فأوقع بهم وهزمهم . فسأدى ذلك الى رفع الروح المعنوية عند المسلمين للتصدي للصليبيين (١) .

ومع بداية سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م طمع الصليبيون في الاستيلاء على حارم ، فشرعوا في مضايقتها الى ان ملكوها بالسيف مستغلين في ذلك ما اصاب المسلمين من اضرار عقب الخراب الذي اصاب البلاد الاسلامية من جراء الزلازل التي حدثت في السنة الفاطمية ، بالإضافة الى انشغال نورالدين محمود بتوطيد مركزه واصلاح أمور حلب . ولكن نورالدين لم يغفل ما اقدم عليه الصليبيون ، فشد الرحال على وجه السرعة من حلب الى دمشق ليكون قريباً من اعدائهم الصليبيين بعد ان زاد عبثهم وفسادهم في الاعمال الحورانية ، وداريا ، فوصلها في ربيع الاول من السنة " وشرع في تدبير امر الاجناد والتأهب للجهاد " (٢) .

وعلى ما يبدو فان ما شجع نورالدين على التأهب لامر الجهاد بهذه السرعة ما وصله من اخبار الحملة العسكرية التي خرجت من مصر ، وما أنزلته بالصليبيين من هزيمة ساحقة بعسقلان في عهد الوزير الفاطمي الطلق المالح ابو الفارات طلائع بن رزيك . وما يؤكد ذلك تلك القصيدة التي بعث

( ١ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١ ، ص ٢٧٣ .

( ٢ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١ ، ص ٢٨٨ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ . وداريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالخطوة . انظر ياقوت . معجم البلدان .

بها الوزير الفاطمي الى اسامة بن منقذ صاحب كتاب الاعتبار الذي كان موجودا  
بدمشق يشرح فيها ما حققته الحملة الفاطمية من انتصار ساحق على الصليبيين  
ويطلب من اسامة ان يحرض نورالدين على قتال الصليبيين (١) .

وحاول نورالدين ان يفيد من هذه الواقعة فتوجه الى احدى معاقل  
الصليبيين باقليم السواد فالتقى بالصليبيين على جسر الخشب جنوب دمشق  
بينما وبين منازل المعسكر ، واتفق ان وقع الاختلاف بين بعض عساكره مما اضطر  
بعضهم الى التراجع والتفرق بعد الاجتماع وفق نورالدين ثابتا بمكانه فسعى  
عدة يسيرة من شجعانه وظلمانه وابطال خواصه ولكنه اضطر اخيرا الى الانسحاب  
" وعاد الى مخيمه سالما في جماعته ولا م من كان السبب في اندفاعه بين يدي  
الافرنج " (٢) .

ورأى ملك بيت المقدس بلدوين الثالث أن الفرصة سانحة لان يفرض على  
نورالدين محمود ما يوده من شروط عقب خسارة نورالدين في الحطاط التي قام بها

( ١ ) وهذه ابيات من القصيدة التي بعث بها ثلاثع بن زريك الى اسامة بن  
منقذ بدمشق :

فقولوا لنورالدين لا قل حده      ولا حكمت فيه الليالي الخواشم  
تجهز الى ارض العدو ولا تهين      وتظهر فتورا ان مضت منك حارم  
فنحن على ما قد عهدتم نروعهم      ونحلف جهدا اننا لانسالهم  
انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٩٠ ، المقريزي ، اتحاف  
الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٣٥٢ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ،  
ج ١ ، ص ٦١٢ .

على الصليبيين في اقليم السواد فراسل نورالدين محمود في طلب الصليبيين والمهادنة " وترددت المراسلات بين الفريقين " في هذا الشأن ، فلم يصغ نورالدين محمود الى ما طلبه منه بلدوين الثالث بل اقام فترة من الزمن في محاولة منه للنيل من الصليبيين ولكنهم لم يعودوا الى منازلهم مما اضطره الى العودة الى دمشق فوصلها في شعبان من سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م (١) .

ولما لم يجد بلدوين الثالث ملك بيت المقدس سبيلا الى فرض سيطرته على نورالدين محمود ولا حتى استرجاع ما فقد الصليبيون على يده وجب انظاره الى الاستعانة بالامبراطور البيزنطي مانويل كومنين (٥٣٢ - ٥٢٦ هـ / ١١٤٣ / ١١٨٠ م ) للاستعانة به في استعادة ما فقد الصليبيون ببسلا الشام فوافق الامبراطور على هذه الدعوة من ملك بيت المقدس ظنا منه باستعادة مكانته في انطاكية وشمال الشام (٢) . ولم تنته سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م حتى وصل الامبراطور البيزنطي بالعدد الكبير من الرجال الى مرج الدياج (٣) واستطاع ان يفتح عددا من الحصون بعد ان عجز الاتراك السلاجقة عن صده على الرغم من الخسائر الفادحة التي انزلوها به . اما نورالدين محمود فانه ما ان بلغته اخبار وصول الامبراطور البيزنطي الى انطاكية في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة حتى شرع في مكتبة " ولاية الاعمال والمعاقل لاعلامهم ما حدث من الروم ويحثهم على استعمال اليقظ والتأهب للجبهات

في

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣٥٢ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ،

ص ٣٠٠ .

( ٢ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٥٢ - ٦٥٥ .

( ٣ ) مرج الدياج من المناطق الواقعة عند الحدود الاسلامية قريبا من المصيصة وهذا المرج من اشهر الوديان الواقعة بين الجبال . انظر يا قوت . معجم البلدان .



فيهم والاستعداد للنكاية بمن يظفر به منهم " (١) .

وفي أنطاكية تم اللقاء بين الامبراطور البيزنطي ولدوين الثالث ملك بيت المقدس ، وتم عقد تحالف بين الطرفين ضد المسلمين في أوائل سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م عرف باسم تحالف المصيصة (٦) . وعلى الرغم من هذا التحالف الذي تم بين الصليبيين والبيزنطيين للوقوف في وجه المسلمين الا أن الامبراطور البيزنطي بد لا من القيام باية عملية عسكرية ضد نورالدين محمود ، فقد أرسل اليه في السنة نفسها ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م هدية وتحفا من اثواب وديباج فحار رسول الامبراطور الذي ارسله الى نورالدين محمود بمثل ما حصل وأكثر . ولا يستبعد ان تكون الهدية التي ارسلها الامبراطور البيزنطي الى نورالدين محمود خدعة له واستجلاء لموقفه بدليل ما ذكره ابن القلانسي ، أن الاخبار وردت عقب ذلك الى دمشق تفيد بعزم الامبراطور على اجتياح شمال الشام كحمص وحماه وشيزر ما دعا نورالدين محمود للتوجه الى هذه البلاد " لا يناسر أهلها من استيحا شهم من شر الروم والافرنج " . ولكن نورالدين محمود لم يرد من الامبراطور البيزنطي ما ينم عن رغبته في الهجوم على البلاد المذكورة فتوجه الى حلب في جمادى الاخرة من سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م حيث قدم عليه هناك ولاية الاطراف ومقدموها لمجاهدة احزاب الكفر والضلال " من الروم والافرنج " (٣) . واخيرا بفضل من الله عز وجل لم يحدث لقاء بين المسلمين

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣٥٤ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٠٤ ،

حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٨٥-٨٦ ، العريفي ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٦١٥-٦١٦ .

( ٢ ) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١ ص ١٩٠ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ص ٣٠٧ ، والمصيصة مدينة من مدن ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٣٥٦-٣٥٨ .

من جهة الصليبيين والبيزنطيين من جهة أخرى حيث عقدت المهادنة  
والموادة مع الامبراطور البيزنطي "بحسن رأى ملك الروم ومعرفته ما تؤول اليه  
عواقب الحروب " بعد ان اشترط اطلاق سراح زعماء ومقدمى الصليبيين  
الذين فى حبس نورالدين محمود ، ثم رحل الامبراطور البيزنطي عقب الهدنة  
مع نورالدين عائدا الى بلاده مشكورا محمودا ، لم يؤذ احدًا من المسلمين .  
فاطمأت نفوس المسلمين بعد انزعاجها (١) .

وعلى اية حال فان عودة الامبراطور البيزنطي الى بلاده دون الاشتباك  
مع المسلمين جاءت تصديقا لما ذكره رنسيان بأن خروج الامبراطور البيزنطي  
الى بلاد الشام وعودته دون الاشتباك مع المسلمين فى معركة حاسمة انما  
كان بهدف استعراض قواته امام الصليبيين فى بلاد الشام ، الذين كانوا قد  
بلغوا درجة من الضعف لا تمكنهم من استعادة ما فقدوه على يد نورالدين محمود  
فقت ذلك فى عضد الصليبيين (٢) . اما بالنسبة للمسلمين فقد عدوا عموما  
الامبراطور البيزنطي المحنى بلاده دون الاشتباك معهم عين الحكمة والصواب من  
جانب الامبراطور وقد عبر ابن القلانسي عن الشعور الذى ساد المسلمين عقب  
عودة الامبراطور الى بلاده بقوله " فاطمأت القلوب بعد انزعاجها وقلقها وآمنت  
عقيب خوفها وفرقها " (٣) .

وهكذا فشل المسمى الذى سعى اليه بلدوين الثالث ملك بيت المقدس  
بقصد التحالف مع الامبراطور البيزنطي للنيل من نورالدين محمود فى حلب ،

(١) ابن القلانسي ، ص ٣٥٨ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٠٨ .

(٢) رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٧٢ .

(٣) ابن القلانسي ، ص ٣٥٨ .

ودمشق وشمال الشام ، كما فشلت قبل ذلك الحملة الصليبية الثانية  
 ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م . وعلم الصليبيون في بلاد الشام انه لابد لهم من  
 الاعتداد على انفسهم في سبيل مواجهة نورالدين محمود والاستماعة بما عسى  
 أن يقدفه البحر من حمم الصليبيين القادمين من اوربا الى بيت المقدس ،  
 لاداء فريضة الحج (١) .

وفي سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م وجد الصليبيون الفرصة سانحة للاغارة  
 على حوران والبلاد التابعة لدمشق مستغلين في ذلك وجود نورالدين محمود  
 في حلب . فقام بلدوين الثالث بخفارات على دمشق ، ولكن نورالدين محمود  
 عاد الى دمشق لما بلغه من افساد الصليبيين في بلد حوران ومصحبه أسد  
 الدين شيركوه . فلما وصل نورالدين محمود الى دمشق في السنة نفسها جهز  
 اسد الدين شيركوه في فرقة من العسكر للقيام بعملية مضادة على الصليبيين  
 فسار اسد الدين ومعه اخوه نجم الدين بن ايوب الى صيدا " ولم يشعر الفرنج  
 الا وهو قد عاد في بلد صيدا وقتل واسر عاظم عظيم " (٢) . وفي اطار  
 جهاد نورالدين محمود ضد الصليبيين فقد قام مجد الدين بن الدايسة  
 نائب نورالدين محمود في حلب بخفارة لغزو الصليبيين في سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م  
 فلقى جوسلين دي كورتناي صاحب الرها الذي يطلق عليه ابن العديم اسم  
 " جوسلين بن جوسلين " فأخذه اسيرا الى حلب (٣) . وفي السنة التالية

(١) انظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ٦٥٧ .

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج١ ، ق ١ ، ص ٣٠٦ .

(٣) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٣١١٠ .

٥٥٦ هـ / ١١٦١ م استطاع نائب نورالدين محمود في حلب مجدالدين ابن الداية ان ينصب كميناً لريجنالد شاتيون (ارناط ) صاحب انطاكية في الجومة . عندما كان عائداً من غارته التي قام بها على المسلمين التركمان في عين تاب بين مرعش ودلوك ، فوقع في الاسر حيث حمله ابن الداية الى حلب ، وبقي بها اسيراً مدة ستة عشر عاماً (١) .

هكذا كانت محاولات الصليبيين في استعادة بعض ما اخذه نورالدين محمود من ايديهم فاشلة ، فبدلاً من ان يستعيدوا شيئاً من اراضيهم فقدوا اثنين من زعمائهم ، وجوسلين كورتناي ، وريجنالد شاتيون حيث وقعا في الاسر ، فخلت انطاكية وشمال الشام من زعمائها واصبحت مكشوفة تماماً لنورالدين محمود . غير انه لم يقم ضدها بغارات حربية من اجل الاستيلاء عليها . وانصرف نورالدين عن الهجوم على انطاكية في ذلك الوقت خشية ان يستعدي ملك بيت المقدس بلدوين الثالث . وكان الملك بلدوين الثالث قد اصبح له حق الدفاع عن انطاكية وشمال الشام . ووقع صاحب انطاكية في أسـر المسلمين . ولما كانت بلدة حارم بين مد وجذر بين المسلمين والصليبيين فقه وجد نورالدين محمود الفرصة سانحة للاستيلاء عليها ، فجمع جموعه في سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م وسار صوبها وضرب الحصار حولها وجد في قتال من بها من الصليبيين الا انهم قد امتنعوا عن التسليم . ولما علم الصليبيون في انطاكية وغيرها بما فرضه نورالدين محمود على حارم ، جمعوا فارسهم وراجلهم

---

(١) ابن العديم ، زهد قال حلب ، ج ٢ ، ص ٣١٢ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٦٥-٥٧٧ ، حسن هاشم ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ٨٧ ، العريني ، الشرق الاسوط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٢٠ . والجومة : بلدة صغيرة من نواحي حلب . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

وساروا نحو حارم . فلما قاربوها طلب منهم نورالدين محمود اللقاء ، فلم يجيبوه " وراسلوه وتلطفوا الحال معه ، فلما رأى انه لا يمكنه اخذ الحصن عاد الى حلب " (١) .

ولما لم يتمكن نورالدين محمود من الاستيلاء على حارم في سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م ، فقد صمم في السنة التالية ٥٥٨هـ / ١١٦٣م على ان يتوغل في بلاد الصليبيين فنزل بالبقعة تحت حصن الاكراد على قصد المسير ومنازلة الصليبيين بطرابلس . غير ان الصليبيين الذين كانوا متيقظين لتحركات نورالدين محمود قد اجتمعوا وأنزلوا بالمسلمين - على غرقم نورالدين محمود - هزيمة انصحب بعدها نورالدين محمود الى حمص ، بعد ان كثر القتل والاسراف على المسلمين وخصوصا السوقة والفلمان . وأقام نورالدين محمود في مكان قريب من مكان الواقعة ، على الرغم من معارضة بعض اصحابه ، ولكنه رفض الابتعاد عن الصليبيين وقال : " والله لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الاسلام وثأرى " (٢) .

ومن حمص ارسل نورالدين محمود رسله الى دمشق وحلب لاجتماع الاموال والدواب والاسلحة وسائر ما تحتاج اليه العساكر وعاد لمنازلة الصليبيين الذين تقهقروا عن التقدم الى حمص قائلين " انه لم يفعل هذا الا وعنده من القوة ما يمنحنا " ، ولذلك وجدوا ان معادنة نورالدين محمود خيرا من منازلته ،

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٥٨ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٤١ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣١٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٤-١٣٥ ، الميرني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٢١ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٤-٢٩٥ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١١٦ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٤٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٤٦ .

فراسلوه وطلبوا منه المهادنة ( فلم يجيبهم اليها فتركوا عند الحصن من يحميه  
وعادوا الى بلادهم ) (١) . أما نورالدين محمود فقد عاد الى حلب بعد ما  
عجز الصليبيون عن منازلته . وعلى ما يبدو فان عودة نورالدين محمود الى حلب  
لم تكن للاستكانة والابتعاد عن الصليبيين ، بل كانت عودته الى حلب لاستعداد  
للاخذ بثأره وثأر المسلمين ، بدليل قيامه في سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م بالسير  
الى بلاد الصليبيين لانتزاع حارم من ايديهم والاخذ بثأره . مستغلا في ذلك  
غلو بلاد الصليبيين منهم ، لان اكثرهم كان قد سار مع عموري الأول طسك  
بيت المقدس الذي سار الى مصر ، نجدة لشاور ضد أسد الدين شيركوه  
وصلاح الدين الايوبي . فأرسل نورالدين محمود الى اصحابه بحلب والموصل  
وغيرهما واستنجد بهم ، فاجتمعوا عنده بحلب . ولما بلغت اخبار المسلمين  
واجتماعهم بحلب الى الصليبيين اجتمعوا هم ايضا " في عدد هم واحد يد هم  
وعدد هم وعد يد هم " يتقدمهم يوهمند الثالث صاحب انطاكية وريموند الثالث  
صاحب طرابلس وعامل بيزنطة على قليقيه " وجمعوا ما لا يقع عليه الاحصاء " ،  
وساروا صوب حارم التي وصلها نورالدين محمود . فلما وصل الصليبيون الى  
حارم انسحب نورالدين محمود الى ارتاح استدراجا لهم في مكان فسيح ، فرحلوا  
خلفه حتى بلغوا قرية " عم " وهي قرية بين حلب وانطاكية وفيها التقى  
الجمعان ، ودارت رحى معركة عنيفة اسفرت عن هزيمة الصليبيين تكبدوا خلالها  
ما يزيد عن عشرة الاف قتيل ، ووقع اعداد كثيرة من الاسرى في ايدي المسلمين  
منهم صاحب انطاكية يوهمند الثالث وريموند الثالث صاحب طرابلس وعامل

---

( ١ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١ ، ص ٣١٩-٣٢٠ ، انظر ابن العديم  
زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣١٣-٣١٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ١ ، ص ١٣٥-١٣٧ .

بيزنطة على قليقية وابن جوسلين (١) . ثم سار نورالدين محمود الى حارم فملكها في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م في الوقت الذي بث نورالدين محمود سراياه الى انطاكية وواصلت سيرها حتى بلغت اللانقية والسويداء . وقد احتفظ نورالدين محمود بجميع اسراه الذين أسرههم عدا يوهنن الثالث صاحب انطاكية فقد باعه نورالدين ببلغ جزيل من المال وفكك أسرجاعة من الاسرى المسلمين (٢) . وعقب هذه الهزيمة التسي منى بها الصليبيون والارمن والبيزنطيون ، أشار اصحاب نورالدين محمود عليه بالهجوم على انطاكية ولكنه رفض السير اليها خشية ان يستعين من بها من الصليبيين بالامبراطور البيزنطي مانويل كومنين ويسلموها اليه فعندئذ يصعب على المسلمين منازل الصليبيين في اى مكان كان من بلاد الشام . وقال لاصحابه : " ان مجاورة بيضد أحب الى من مجاورة ملك الروم " (٣) . وعلى ما يبدو فان هذا القول الذى قاله نورالدين محمود لاصحابه كان وراء اطلاق سراح يوهنن الثالث صاحب انطاكية من الاسر كما سبق ذكره .

هكذا استطاع نورالدين محمود ان يأخذ بثأره وتأثر المسلمين لما نزل بهم في البقيعة تحت حصن الاكراد في السنة الطافية سارعدها نورالدين محمود الى دمشق - بعد ان اذن لعساكر الموصل وديار بكر بالعودة الى بلادهم -

(١) هو ثوروس الثانى ( Thoros II ) صاحب ارمينية ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٣٣٩ ، حاشية رقم ( ٤٤ ) .

(٢) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٢٢ - ١٢٥ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ٣٠١ - ٣٠٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٤٨ . والسويداء : بلدة مشهورة من نواحي حوران ، ودمشق على البحر المتوسط . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

(٣) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٢٥ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٤٢ ، حاشية رقم ( ٢ ) .

ومصحبته اخوه ناصر الدين أمير ميران الذي حضر معه وقعة حارم . ولما وصل نورالدين محمود الى دمشق جمع عساكره وسار بها صوب بانياس في السنة نفسها ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م لعلمه بقلّة من فيها من الصليبيين فنزلها وشيّق عليها وقتلها حتى فتحها عنوة وقهرها في السنة التالية ٥٦٠ م / ١١٦٤ م ، ولم يكتف نورالدين محمود بهذا بل شاطر الصليبيين على أعمال طبرية ، وقرروا له على الاعمال التي لم يشأ طرهم عليها ما لا يدفعونه كل سنة (١) .

ويلاحظ ان هذه الانتصارات التي حققها نورالدين محمود في بلاد الشام بحارم وبانياس لم تقتصر على اضعاف الصليبيين بالشام بل اجبرت ملك بيت المقدس عموري الاول على عقد الصلح مع اسد الدين شيركوه في مصر بقصد العودة الى الشام لمنع نورالدين محمود من الاستيلاء على بانياس ولكن الصليبيين لم يصلوا الى بلاد الشام الا وقد ملكها نورالدين محمود (٢) .

واذا كان نورالدين محمود قد استطاع اجبار الصليبيين على العودة من مصر بطريق غير مباشر ، وذلك بما انزله باخوانهم في بلاد الشام ، فانه لم يتوقف عن هذا الحد من منازلة الصليبيين في وسط بلادهم ، ففي سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م استطاع الاستيلاء على حصن المنيطرة بالقرب من طرابلس (٣) . وقد عمد نورالدين محمود في المرحلة التالية الى الباغطة

- 
- (١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٠٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٣٢١ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٠ .
- (٢) ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ابن واصل ، مفج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٣-١٤٦ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٢ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٠٥ ، ابن واصل ، مفج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٥١ .



فى حروبه التالية مع الصليبيين ، دون ان يترك لهم المجال فى الاستعداد وملاقاته فى ميادين فسيحة . وبهذه الطريقة التى اتبعها نورالدين محمود فى حروبه مع الصليبيين استطاع فى السنة التالية ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م التغل فى بلاد الصليبيين واستولى على كثير من حصونهم وغرب بلادهم . ثم سار الى بانياس وقصد قلعة هونين وهى للصليبيين من قلاعهم المنيعة قرب بيروت . فلما لم يستطيعوا الدفاع عنها احرقوها وخرجوا منها فوصلها نورالدين محمود واراد الدخول الى بيروت فتجدد فى العسكر خلف اوجب التفرق فعاد الى حمص (١) . وبالإضافة الى ذلك فقد اجبرت انتصارات نورالدين محمود فى سنتى ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م و ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م عمورى الاول ملك بيت المقدس على الانسحاب مرة اخرى من مصر فى الوقت الذى كان فيه فى مركز من القوة بحيث كان يمكنه الاستيلاء على الاسكندرية من صلاح الدين وأسد الدين شيركوه ، ولكنه اضطر الى قبول عقد الصلح معها ليعود الى بلاد الشام لتدارك الاوضاع . وحين اشتدت وطأة الصليبيين والبيزنطيين فى حصارهم لدمياط سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٩ م اوغل نورالدين محمود فى تخريب بلاد الصليبيين فى الشام ، بالإضافة الى ما زود به صلاح الدين من امدادات عسكرية يتلو بعضها بعضا ، اجبرت الصليبيين على العودة الى بلادهم لتفقدوها (٢) . ويمكن القول ان ما قام به نورالدين محمود من اعمال عريضة فى اطار جهاد الصليبيين فى الفترة من ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م حتى ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م لا يخرج عن كونه ضغط على زعماء بيت المقدس فى مجال التسابق بينه وبينهم

- 
- (١) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٣٢٤ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج١ ق ٢ ، ص ٣٧٤-٣٧٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١٥٢-١٥٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٢٥٣ .
- (٢) انظر ما يلى ، ص

فى الاستيلاء على مصر ، وقد نجح نورالدين محمود فعلا فى هذه السياسة التى كانت من اكبر العوامل على تراجع الصليبيين عن مصر .

### - نورالدين محمود وتوحيد القوى الاسلامية فى الشام والجزيرة :

اذا كان نورالدين محمود بن زنكى قد ورث عن والده مقاومة الصليبيين فى بلاد الشام فقد ورث ايضا عبء ضم دمشق الى حلب لاستكمال توحيد القوى الاسلامية فى الشام والجزيرة . ولما كان حكام دمشق قد عانوا الامرين من عماد الدين زنكى قبل وفاته سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م فقد وجدوا الفرصة سانحة عقب ذلك وقاموا بحملة على بعلبك التى كان بها نجم الدين ايوب والى صلاح الدين الايوبي ، نائبا عن عماد الدين زنكى . وبعد حصار شديد اضطر نجم الدين الى التسليم ، وفى مقابل ذلك اشترط نجم الدين ايوب على حكام دمشق من اسرة طفتكين اعطاء اموالا كثيرة وقرى عديدة من اعمال دمشق فوافقوا على ذلك وتسلموا منه بعلبك . ولم ينزعج نورالدين محمود لهذه الخطوة التى قام بها حكام دمشق تجاه بعلبك وذلك لانشغاله بامر الصليبيين فى الرها واستعادتها منهم كما سبق ذكره . ولم يحاول نورالدين محمود ان يجابه حكام دمشق ويعاديهم منذ بداية حكمه ، بل نراه فى شوال من سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م يسعى الى توطيد علاقاته بهم . وقد توج ذلك بالزواج من ابنه معين الدين أنر المحرك الرئيسى لسياسة دمشق (٦) . واذا كان

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٢٨٧-٢٨٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٨ ،

ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٢٥ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٢٨٨-٢٨٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ،

ص ١٢٩ ، الذهبى ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٥٨ .

معين الدين أنرى انه صرف انظار نورالدين محمود عما قام به حكام دمشق تجاه بعلبك التى كانت فى يد عماد الدين زنكى قبل وفاته ، فان نورالدين محمود قد وجد فى هذا الزواج سبيلا الى التدخل مستقبلا فى شؤون حكام دمشق عن طريق هذه الزيجة ، خصوصا وان العلاقات بين معين الدين أنرى والصليبيين قد تدهورت عقب نقض بلدوين الثالث ملك بيت المقدس للمهادنة التى بينه وبين معين الدين أنرى . ولم يقف الصليبيون عند هذا الحد بل قد موا المساعدة لصاحب بصرى وصرخد المعروف باسم التونتاش ، فاضطر معين الدين أنرى الى طلب المساعدة والنجدة من نورالدين محمود ضد الصليبيين فى أواخر سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م (١) .

لم يقف معين الدين أنرى وزير مجير الدين ابق صاحب دمشق عند حدود الاستعانة بنورالدين محمود ضد الصليبيين وضد الخارجين عليه فى بصرى وصرخد ، بل تعداه الى ان معين الدين أنرى طلب المساعدة فى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م من نورالدين محمود واخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل ضد الصليبيين حينما قرروا مهاجمة دمشق والنيل منها (٢) . على أن فشل سياسة معين الدين أنرى تجاه الصليبيين ساعدت نورالدين محمود على التدخل فى شئون دمشق ، ففي سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٨ م عقد معين الدين أنرى مهادنة مع الصليبيين لمدة سنتين . ولما كان الصليبيون قد اتصفوا بالفدر والخيانة فقد استغلوا وفاة معين الدين أنرى فى السنة نفسها ( ٥٤٤ هـ / ١١٤٨ م ) ووقع الفتنة التى وقعت بدمشق عقب ذلك ، فطمعوا فى التدخل فى شئون دمشق

( ١ ) ابن القلانسى ، ص ٢٨٩-٢٩٠ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٢٩-

١٣٠ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٠٣-٦٠٤ .

( ٢ ) انظر ما سبق ، ص ١٦-١٧ .

## والافساد في الاعمال الحورانية بالنهب والسلب (١).

ووجد نورالدين محمود القرصة ساحة للتدخل في شئون دمشق مستغلا الفتنة التي وقعت بدمشق وما قام به الصليبيون من الاغارة على اطراف البلاد التابعة لدمشق فاراد ان يختبر نوايا حكام دمشق - مجيرالدين ابق بن محمد بن يورى ووزيره مؤيد الدين بن الصوفى - فبعث اليهم - يخبرهم انه على قصد الصليبيين ويطلب منهم مداده بالف من عساكر دمشق . ولم ينتظر نورالدين محمود الرد من حكام دمشق بل سار صوب الصليبيين بالاعمال الحورانية القريبة من دمشق في الوقت الذى اختار فيه حكام دمشق بين تقديم المساعدة لنورالدين محمود الذى لا يؤمن جانبه على دمشق وبين الاعراض عن ذلك بناء على المعاهدة التى بينهم وبين الصليبيين . فأخذوا في مخالطة نورالدين محمود ، ولما عرف ذلك رحل ونزل غرب دمشق بينما ترك بقية قواته بحوران بقصد مضايقة دمشق وغزو الصليبيين . فأشار عليه بعض اصحابه بالعودة الى حلب وطلب المساعدة من اصحاب الاطراف ، وذلك لما بين حكام دمشق والصليبيين من الاتفاق على الوقوف فى وجهه . ولكن نورالدين محمود لم يحفل بهذا كله وقال " لا أنحرف عن جهادهم " ولم يقف عند هذا الحد - من التصميم على جهاد الصليبيين وخذلان حكام دمشق له ، بل عمد الى الامر على عساكره بعدم الحبث والفساد فى الضياع التابعة لدمشق ، وأمر رجاله بالاحسان الى الفلاحين استمالة لقلوبهم ، فاستبشر الناس خيرا بنورالدين خصوصا وان الامطار قد هطلت على بلاد الشام التى كانت مجدية وقالوا :

( ١ ) ابن القلائس ، ص ٣٠٤-٣٠٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ق ١ ، ص ١٤٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٢٢ .

" هذا ببركته وحسن معدلته وسيرته " (١) . وهذه الطريقة التي اتبعها نورالدين محمود تجاه رعايا حوران والضياح التابعة لدمشق ، عرف انفسه أحدث فجوة بين حكام دمشق ورعاياهم ، فتقدم الى دمشق ونزل على جسر الخشب جنوب دمشق في ذي الحجة من السنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٨ م وارسل الى مجيرالدين أبق ، والى وزيره مؤيد الدين بن الصوفي واخبرهما بهدفه من الوصول الى دمشق وما يرمى اليه من جهاد الصليبيين . ولكنهما ردا على نورالدين محمود ردا قبيحا حيث قال له : " ليس بيننا وبينك الا السيف " وهدده بالاستعانة ضده بالصليبيين الذين كانوا بزعامة بلدوين الثالث قد ساروا الى جنوب فلسطين لعمارة غزة المواجهة للحامية المصرية ففسى عسقلان (٢) .

وعلى الرغم من تأكيد نورالدين محمود على حكام دمشق بتقديم المساعدة له لجهاد الصليبيين والسعى الى ترحيلهم عن غزة ، فانه لم يشأ ان يدخل معهم في حرب لاراقة دماء المسلمين في الوقت الذي يذكر ابن القلانسي الى جانب ذلك ان نورالدين محمود قد ترك الزحف على دمشق بسبب كثرة الامطار التي هطلت عليها وما اتصل به من اخبار دعت الى ذلك ، مع ما بذله حكام دمشق من الطاعة واقامة الخطبة له على منابر دمشق بعد الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ، وضرب اسمه على السكة " ووقعت الايمان على ذلك " وكافأ نورالدين محمود مجيرالدين ابق وخلع عليه خلعة كاملة وعلى وزيره مؤيد الدين بن الصوفي وجماعة من الاجناد والخواص وعاد الى حلب ففسى

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

( ٢ ) ابن القلانسي ، ص ٣٠٨-٣٠٩ ، انظر اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٠ ،

حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ص ٦٢-٦٣ ، العريني ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٥٨٧ .

المحرم من سنة ٥٤٥ هـ / ١١٤٩ م " بعد احكام ماقرر وتكميل ما دبر " (١) .

هكذا نجح نورالدين محمود في فرض سيطرته على حكام دمشق دون اراقة دماء المسلمين بالاضافة الى ما حصل عليه من عطف الكثيرين من رعايا وطساكر دمشق ، نتيجة ما بذله من العطايا والهبات وما ابداه من معاداة للصليبيين ونخوه تجاه المسلمين (٢) . وعلى ما يبدو فان نورالدين محمود لم يكتف بما بذله له حكام دمشق من الطاعة بل اراد التحرش بهم لاختبار نواياهم من ناحية واظهار عجزهم امام رعاياهم من جهة اخرى فسمح في السنة نفسها ٥٤٥ هـ / ١١٤٩ م لمجموعة من عساكر التركمان بالقيام بغارة عسكرية على بصرى وصرخد التابعتين لحكومة دمشق (٣) .

وانشغل نورالدين محمود بامر الصليبيين في انطاكية والرها وشمال الشام عن القيام بمحاولة جديدة للاستيلاء على دمشق بقية سنة ٥٤٥ هـ / ١١٤٩ م ، ولما دخلت سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥٠ م سار نورالدين محمود بقواته صوب دمشق في محاولة منه للحصول على موافقة من مجير الدين ابق ووزيره مؤيد الدين بسن الصوفي على انضمامهما معه في جهاده ضد الصليبيين . ونزل قريبا من دمشق فاستغل رعا الناس واهباشهم كثرة عساكر نورالدين محمود واخذوا في احداث الفوضى والافساد في زروع الناس وساتينهم ، فحصدوها واستأصلوها . ولما رأى

- 
- (١) ابن القلانسي ، ص ٣٠٩-٣١٠ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٧٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٠٦ ، حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ج ١ ، ص ٦٥ ، العرينسي ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٨٩ .
- (٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٧٩ .
- (٣) ابن القلانسي ، ص ٣١١ .

نورالدين محمود ما حل بأهل دمشق أخذ في مراسلة بعض سكان دمشق البارزين بقصد الحصول منهم على موافقة بالانضمام اليه في جهاده ضد الصليبيين " فلم يعد الجواب اليه بما يرضاه ويوافق مبتغاه " . فأخذ في الزحف حتى قرب من البلد ، وبدأ مناقشة عساكر دمشق ومطاردتهم و من الاذن لعساكره بالالتحام معهم " تخرجوا من اراقة الدماء " ولكن جهل حكام دمشق وغرورهم قد حطهم على الاستعانة ببلدوين الثالث ملك بيت المقدس ، فوصل الى دمشق في قوة صغيرة في الوقت الذي أخذ نورالدين محمود في التراجع عن دمشق الى ناحية الزبداني " استجرا لهم " . ولم تكن نجدة الصليبيين التي وصلت الى دمشق من القوة والكرة بحيث يطمئن حكام دمشق على مواجهة نورالدين محمود ، فتقرر الامر بين الصليبيين وحكام دمشق على مواصلة السير والنزول على حصن بصرى للاستيلاء عليه واستغلال أعماله (١) .

هكذا لم يجد حكام دمشق في النجدة التي طلبوها من الصليبيين ما يشفى غليلهم في الايقاع بنورالدين محمود ، بل جنى هؤلاء الحكام على أنفسهم وعلى رعائهم ما اثقل كاهلهم من النفقات والاموال التي قطعوها على انفسهم للصليبيين كما ادت هذه الاستغاثة بالصليبيين الى سخط الكثيرين من الاجناد والاحداث الذين لم ينضموا الى العساكر الدمشقية النظامية ضد نورالدين محمود حين نازل دمشق في ربيع الاول سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥٠ م " فلم يظهر منهم الا اليسير ممن كان يخرج اولاً " . وعلى الرغم من الموقف المتخاذل الذي وقفه حكام دمشق تجاه نورالدين محمود واستنجادهم ضده بالصليبيين فانه لم يقيم ضد هم بخارة حربية لاقتحام دمشق

(١) ابن القلانيس ص ٣١٢ - ٣١٤ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤١ ،

والقضاء عليهم بل عمل على القيام بمناوشات " من غير زحف ولا شط ولا محاربة " كما يذكر المؤرخ المعاصر ابن القلانسي (١) . ولا شك ان عدم قيام نورالدين محمود بخسارة عسكرية شديدة على دمشق انما كان رغبة منه في عدم اراقة دماء المسلمين حيث قال : " لا حاجة الى قتل المسلمين بايدي بعضهم بعضا " ورأى ان الاحتفاظ بهذه العساكر الدمشقية اولى من سحقها " ليكون بسبب نفوسهم في مجاهدة المشركين " . فلما شعر من بدشق بهذه النية الحسنة من نورالدين محمود ترددت المراسلات بينهم وبين نورالدين محمود فسي عقد الصلح بين الطرفين حتى تم في يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الاخر من السنة ٥٤٦ هـ / ١١٥٠ م . وعلى الرغم من ان ابن القلانسي صاحب هذه الرواية قد أشار الى أسماء الاشخاص الذين قاموا بالمفاوضات بين الطرفين فانه لم يذكر شيئاً عن الشروط التي تم الاتفاق عليها . ولكن يتضح من سياق حديث ابن القلانسي والحوادث التي جرت عقب ذلك ان من ضمن شروط الصلح التي تم الاتفاق عليها طاعة حكام دمشق لنورالدين وان يكون مجيرالدين ابق نائباً عن نورالدين محمود في دمشق . وان يسير ابق الى حلب لظلمه سار حسن الطاعة والنيابة عن نورالدين محمود في دمشق ، فتم ذلك في رجب سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥٠ م (٢) .

كانت غارات نورالدين محمود على دمشق ومحاولاته الاستيلاء عليها لا تنم الا عن مقصد واحد وهو الاستعانة بعساكر دمشق ضد الصليبيين وقطع الصلة بين حكام دمشق وحكام بيت المقدس الصليبيين . فلما كانت سنة

(١) ابن القلانسي ، ص ٣١٥ .

(٢) ابن القلانسي ، ص ٣١٧ .



٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م تذرع نورالدين محمود بعدة اسباب جعلته يفكر جدياً في الاستيلاء على دمشق والقضاء على اسرة طغتكين التي طالما تحالفت مع الصليبيين (١) . ومن الاسباب التي دفعت نورالدين محمود الى ذلك ، أن دمشق وقفت حجر عثرة في وجه نورالدين محمود ، ومنعته من تقديم المساعدة للفاطميين بمسقلان حيث استنجدوا<sup>٢</sup> ضد الصليبيين عندما حاصروها حصاراً شديداً مما ادى الى سقوطها بايديهم سنة ٥٤٨ هـ . (٢) وقد ذكر سر أسامة بن منقذ في مذكراته العذر الذي كان نورالدين محمود قد اعتذر به في عدم قدرته على الذهاب الى مسقلان حيث قال نورالدين محمود لأسامة بن منقذ " يا فلان اهل دمشق اعداء والافرنج اعداء ما آمن منهم اذا دخلت بينهم " (٣) . ولذلك فان نورالدين محمود قد تأسف اشد الاسف على عدم قدرته في نجدة الفاطميين بمسقلان حيث يقول ابن واصل " وكان نورالدين لما نازل العدو وعسقلان يتأسف ان لا يمكنه الوصول اليهم ومنعهم عنها بسبب توسط دمشق بينه وبينهم " (٤) . اما السبب الثاني الذي تذرع به نورالدين محمود للاستيلاء على دمشق فهو شعوره بالمسئولية تجاه رعايا دمشق من المسلمين ، فقد فرض الصليبيون على اهل دمشق قطيعة يأخذونها منهم كل سنة خصوصاً بعد استيلاء الصليبيين على مسقلان . واخيراً فان نورالدين محمود خاف ان تسقط دمشق بايدي الصليبيين لما بلغه مجيرالدين أبسق من المهانة والاحتقار عند رعاياه حتى انهم حبسوه هو ووزيره مؤيد الدين

( ١ ) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٢ .

( ٢ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٢١ .

( ٣ ) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٤ .

( ٤ ) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

الصوفي (١) . فلما رأى نورالدين محمود ذلك خاف ان يملك الصليبيون دمشق " فلا يبق حينئذ للمسلمين بالشام مقام " (٢) . وصمم على القيام بالاستيلاء على دمشق ، ولكنه عرف انه لن يستطيع الاستيلاء عليها بالقوة لكثرة عساكرهم وأعوانهم . وخاف نورالدين محمود من استعانة صاحبها مجيرالدين ابيق بالصليبيين فيصعب حينئذ الاستيلاء عليها . من هنا لجأ نورالدين محمود الى اعمال الحيلة في الامر ، ففرغ على دمشق حصارا اقتصاديا ، منع عنها كل ما يصلها من المؤن والغلات من شمال الشام فزادت الاسعار ، وغلبت البلد من الخلق الكثير وكثر الموت في الناس . عندها سعى نورالدين محمود الى استغلال هذه الاوضاع المتردية بدمشق فأخذ في مراسلة مجيرالدين ابق واستماله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق به . ولم يقف نورالدين محمود عند هذا الحد ، بل سعى الى اشعال نار الفتنة بين مجيرالدين وكثيرا من امراء دمشق حتى تخلص ابق من بعض رجاله المخلصين (٣) . فلما لم يبق عنده احد من الامراء سوى عطاء بن حفاظ السلس وكان شهيا شجاعا فوض ابق اليه امر دولته فسمى بينهما نورالدين محمود حتى تخلص منه مجيرالدين ابق في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م . وهذه الطريقة نجح نورالدين محمود فسي الايقاع بين مجيرالدين ابق ورجال دمشق حتى تخلص منهم ابق واصبوح وحيدا عرضة للاخطار . (٤)

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٧ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٦ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٧ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٣٢٥ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ، ص ١٢٧ ، سعيد عاشور ، الحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية في كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ص ١٥٣ .

( ٤ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٧ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ، ابو شامة ، الروضتين ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٨ .

والى جانب ما قام به نورالدين محمود من حسن السياسة والتدبير مع امراء دمشق فقد أوعز الى قائده المشهور اسد الدين شيركوه بمراسلة نجم الدين ايوب بدمشق ، وحررضه على مساعدته فى الاطاحة بمجير الدين أبسق وتسهيل فتح دمشق . ولم يكتف نورالدين محمود بهذا بل سعى الى استمالة احداث دمشق وزناطرتها (١) وطلب منهم تسليم البلد اليه فأجابوه (٢) . الا أن نورالدين محمود على الرغم من استكمال له لجميع الاجراءات التى تكفل له الاستيلاء على دمشق فقد ارسل من قبله سفارة الى دمشق على راسها أسد الدين شيركوه ولكن ابق اهل الخروج اليه ، لانه رأى فى هذه السفارة اهانة له " وقال : ماهذه رسالة ، هذه مكيدة " (٣) .

وما ان بلغ نورالدين محمود ما لقيه اسد الدين شيركوه ومن معه من العساكر النورية من مجير الدين ابق ورجاله حتى عزم على السير الى دمشق فسار اليها بعد ان انضم اليه اسد الدين شيركوه . ونزل يوم الاحد الثالث من صفر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م شرق دمشق بجميع عساكره فخرج اليهم رجال دمشق ووقع القتال بين الطرفين . فلما كان يوم الاحد العاشر من صفر ثار اهل البلد لما نزل بهم من الفلاء وقلة الاقوات وانقطاع الواصليين بالغلات وفتحوا الباب الشرقى ودخله نورالدين محمود فسر الناس كافة بدخوله لما هم عليه من الجوع والخوف من منازلة الصليبيين الذين كان مجير الدين ابق

( ١ ) الزناطرة : طبقة من سكان المدن كانت مولعة بتحريك الفتن والقتال .

انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ص ٨٥ حاشية رقم هـ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ج ١١ ، ص ١٩٨ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ،

ص ١٠٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٢٧ ، ابوشامة ،

الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

( ٣ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٣٩ ، انظر سعيد عاشور ،

الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .

قد أرسل اليهم لطلب النجدة ضد نورالدين محمود ، ووعدهم بتسليم بعليك اليهم ان هم اجبروا نورالدين محمود على الانسحاب عن دمشق . قالوا : أن اجتمعوا وجاءوا بلخهم استيلاء نورالدين محمود عليها فعادوا بخفض حنين لما مجيرالدين أبق فقد التجأ بقلعة دمشق وراسله نورالدين محمود وذل له الاقطاع الكثير من جملته مدينة حمص . فلما احس ابق بالهزيمة وافق على تسليم القلعة وخرج الى نورالدين محمود فطيب قلبه ودخل نورالدين محمود القلعة وسقطت دمشق بيده ونادى بالامان لاهل البلد ، وأمر عساكره بعدم القيام بنهب الدور وغيرها (١) . وفي دمشق احسن نورالدين محمود معاملة اهل دمشق وقدم لامائل الرعية والفقهاء ماسرهم " وزاد في ايناسهم وسرور نفوسهم وحسن النظر اليهم " فاكثروا الدعاء له والثناء عليه والشكر لله على ما صاروا فيه . ولم يقف عند هذا الحد من الانعام على اهل دمشق والبلاد التابعة لها بل سعى الى ابطال المكوس المفروضة على بعض حاصلاتهم الزراعية واطلاق سراح من كان في سجن ابق من رجالات دمشق المشهورين (٢) .

- 
- (١) ابن القلانسي ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٧ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٣٨ ، ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٢٠٨ .
- اما مجيرالدين ابق فقد تجهز وسار الى حمص وظل بها حتى حدثته نفسه بمراسلة اهل دمشق في محاولة منه للمودة اليها . فلما علم نورالدين محمود نقله الى بالس فلم يرض بها ورحل عنها الى بغداد حيث ظل بها حتى توفي هناك سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م . انظر ابن الاثير في التاريخ الباهر ص ١٠٨ ، سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢٧٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨١ .
- (٢) ابن القلانسي ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، الصفدي ، امراء دمشق في الاسلام ، ص ١٤٧ - ١٤٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢٣١ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ - ٦٤٦ .

هكذا استطاع نورالدين محمود الاستيلاء على دمشق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م دون اراقة دماء المسلمين بحسن سياسته . وسقوطها في يده ما نقطع ملك بيت آل طغتكين بعد ان استمر في حكم دمشق ما ينوف عن ثلاث وخمسين سنة ، فحقق نورالدين محمود حلم والده عماد الدين زنكي . واسقط فـى ايدي الصليبيين الذين كانوا يكرهون سقوطها بيده على حد قول ابن الاثير " وكان ابغض الاشياء الى الفرنج ان يملك نورالدين محمود دمشق " (١) . ولاستيلاء نورالدين محمود على دمشق اصبح جميع ما بالشام من البلاد الاسلامية تحت سيطرته عدا شيزر التي اسقطت بعد ذلك (٢) . والواقع ان استيلاء نورالدين محمود على دمشق كان نقطة تحول في تاريخ الحروب الصليبية ان اتحدت بلاد الشام مع الجزيرة واصبحت تحت سيطرته . واذا كان استيلاء الصليبيين على عسقلان سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م قد ادى الى سيطرتهم على ساحل بلاد الشام فان سقوط دمشق بيد نورالدين محمود في السنة التالية ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م قد جعل له السيطرة على وسط وشرق بلاد الشام والجزيرة وجعل الصليبيين على شفى حفرة من الانهيار . والى جانب ذلك فقد حقق نورالدين محمود باستيلائه على دمشق ما كان والده قد سعى الى تحقيقه ، بالاضافة الى ان ذلك قد اتم جانبا كبيرا من توحيد الجبهة الاسلامية التي كان والده قد استشهد في سبيلها سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م والتي كان قيامها بحثابة ضربة مميتة للصليبيين في بلاد الشام ولان سقوط دمشق بيد نورالدين محمود قد حطم الحاجز الذي كان يفصل بين حلب وميت المقدس ،

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٠٨ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ،

ج ١ ، ص ٢٣٧ . ابن ابيك ، كنز الدرر ، ج ٦ ، ص ٥٦١ .

( ٢ ) انظر مايلي ، ص

أوبالاحرى بين شمال الشام وجنوبه فاصبحت مملكة بيت المقدس في متناول يد نورالدين محمود وتحت رحمته كما كانت الرها من قبل تحت رحمة حكام الموصل ، وما زاد من اهمية سقوط دمشق بيد نورالدين محمود في هذه الاونة ان الامارات الصليبية لم تكن بينها رابطة كتلك الرابطة التي حققها نورالدين محمود بين صفوف المسلمين في الشام والجزيرة (١) .

ولم تقف اهمية سقوط دمشق بيد نورالدين محمود عند هذه الصدمة النفسية التي منى بها الصليبيون وقطع الصلة بين اماراتهم بل تعدتها الى ان بعض البلاد التي كانت بايديهم قد سلموها الى نورالدين محمود عن طواعية خوفا من مسيره اليهم كما فعل الصليبيون الذين كانوا في قلعة تل باشر سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م (٢) .

ولم يبق في بلاد الشام من المدن الاسلامية ما هو خارج عن سلطة نورالدين محمود بعد سقوط بعلبك في يده سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م سوى شيزر التي ظلت بيد بنى منقذ الكثانيين على الرغم من الظروف والتغيرات التي حصلت في بلاد الشام اثناء الحروب الصليبية واختفاء الكثير من الاسر الحاكمة لبعض البلاد الاسلامية لشدة التماسك الذي كان يربط زعماء هذه الايسرة بالاضافة الى المناعة الطبيعية التي تمتعت بها شيزر (٣) .

- 
- (١) انظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ٦٤٦-٦٤٧ ، العرينى : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٥٩٩ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص ٥٥١ .
- (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ١٩٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ص ١٢٧ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج٣ ص ٢٩ .
- (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج١١ ، ص ٢٢٠ ، ابوشامة ، الروضتين ج١ ، ص ١٠٢٥٠ .

ولم يلق نورالدين محمود بالاً في أول الأمر لشيزر تلك الامارة المنيعه وذلك لانشغاله بامر الصليبيين والاهتمام بامر دمشق والاستيلاء عليها وعلى البلاد التابعة لها . والدليل على ذلك ان سلطان بن منقذ الطقب بابسى العساكر حين طرد ابناء اخيه مرشد عقب وفاته سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م لجأ بعضهم في وقت متأخر الى نورالدين محمود ، وطلبوا منها ان يأخذ لهم بثأرهم من عمهم سلطان الا ان نورالدين محمود لم يستجب لهم " لاشتغاله بجهاد الفرنج ولخوفه ان يسلم شيزر الى الفرنج " . ولكن سلطان بن منقذ كان من الحنكة والسياسة ما جعله يحافظ على امارته من السقط بيد الصليبيين في الوقت الذي انصرف فيه عن الاصطدام بنورالدين محمود الذي كان فنى نفسه منه أثر كما يذكر ابن الاثير (١) . الا ان وفاة ابوالعساكر سلطان ابن منقذ سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م وتولى ابنه تاج الدولة ناصر الدين محمد الامر من بعده قد دعاه خوفه من نورالدين محمود الى مراسلة الصليبيين ، فبلغ ذلك نورالدين محمود ، فاشتد غيظه لصاحب شيزر وانتظر الفرصة المواتية للاستيلاء عليها ، ولكنه انشغل عنها في تلك السنة بامر دمشق (٢) .

ولما كانت سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م استغل نورالدين محمود ما أحدثته الزلازل في حمص وحماه وشيزر من اضرار جسيمة كان اشدها في شيزر التي انهدمت على صاحبها تاج الدولة ناصر الدين محمد وافراد أسرته . فأسرع

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١١٢ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٢٠ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٢٦ .

( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١١٢ .

نورالدين محمود اليها وملكها وانما فيها الى بلاده وعمرها وعمر أسوارها (١) .  
 واستيلاء نورالدين محمود على شيزرا أصبحت بلاد الشام الاسلامية فـسـ  
 هوزته واكتمل توحيد القوى الاسلامية ، وقطع بذلك الامل على الصليبيين  
 والبيزنطيين الذين كانوا يودون تثبيت نفوذهم وقوتهم في حماة وحمص وشيـمـز  
 بعد قدوم الامراء طور البيزنطى الى بلاد الشام في اواخر سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م (٢) .  
 اما عن علاقة نورالدين محمود بالاراتقة في حصن كيفا وماردين فانه ل بحكم  
 تقسيم مملكة عماد الدين زنكى بين ولديه سيف الدين غازى ونورالدين  
 محمود فقد تحمل سيف الدين غازى عبء استرجاع ما استولى عليه الاراتقة  
 من املك والده ولم يقف عند هذا الحد بل استطاع حصار ماردين نفسها  
 " وفعل بها الافاعيل العظيمة " ، مما اضطر حسام الدين شمرتاش  
 صاحب ماردين الى طلب عقد الصلح بينه وبين سيف الدين غازى صاحب  
 الموصل فى سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م . كما استغل سيف الدين غازى ضعف  
 قرا ارسلان صاحب حصن كيفا واستعاد منه بعض الممتلكات التى كان قد  
 استولى عليها عقب وفاة والده عماد الدين زنكى سنة ٥٤١هـ / ١١٤٦م (٣) .

وبدأت علاقة نورالدين محمود بالاراتقة عقب وفاة سيف الدين  
 غازى سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م ، فعندما حاصر نورالدين محمود سنجار

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢١٩ - ٢٢١ ، ابن الحديد ، زبدة  
 الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨  
 ق ١ ، ص ٢٢٩ . وكان اسامة بن منقذ قد رشى افراد أسرته حين  
 تهدمت عليهم سيزر بابيات من الشعر كلها شعور طيب . انظر اسامة بن  
 منقذ ، الاعتبار ، مقدمة المحقق ، ص ، ص ٢٦٦ .  
 الروشتين ، ج ١ ، ق ١ ص ٢٦٦ .

( ٢ ) انظر ما سبق ص

( ٣ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٩٠ - ٩١ ، انظر سبط ابن الجوزى ،  
 مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٠٣ ، عماد الدين خليل ، الامارات  
 الارتقية ص ١٣١ - ١٣٢ .



في تلك السنة ( ٥٤٤ هـ ) طلب المساعدة من فخر الدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا ، فاجابه قرا ارسلان وسار على راس قواته الى سنجار . ما رجح كفة نورالدين محمود ضد حكام الموصل (١) . اما صاحب ماردن حسام الدين تمرناش فقد وقف موقفا محايدا من النزاع الذي قام بين نورالدين محمود واخيه قطب الدين مودود حول سنجار التزاما بالصلح الذي كان قد تم بينه وبين مودود سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م (٢) .

ويمكن القول ان العلاقات الودية التي تمت بين نورالدين محمود وقرا ارسلان صاحب حصن كيفا قد سهلت له العمل على توسيع امارته والحصول على نصيبه من تركك طارة الرها الصليبية . فقد استطاع في سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥١ م الاستيلاء على بلدة كركر وبعض الحصون الاخرى في الوقت الذي استطاع فيه حسام الدين تمرناش صاحب ماردن الاستيلاء على سميساط في السنة المذكورة (٣) .

لم تقف علاقة نورالدين محمود بالاراتقة عند حد الاستعانة بهم ضد اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل ولا حتى السطاح لهم بتوسيع اماراتهم على انقاض الصليبيين في الرها ، بل تعدتها الى ان الاراتقة انفسهم قد بذلوا من نفوسهم بالتضحية مع نورالدين محمود في جهاده ضد الصليبيين ووضع كل امكانياتهم تحت تصرفه . ففي سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م قدم

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٩٥-٩٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ج ١ ص ١١٨-١٢٠ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٧٠ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .  
 ( ٢ ) عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ، ص ١٣٢ .  
 ( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٣١٥ ، عصام العبد الرؤوف ، بلاد الجزيرة ص ١٧٨ .

قدم فخرالدين قرا ارسلان الى حلب عقب سقوط دمشق بيد نورالدين حسن محمود في السنة الماضية لتنهضته نورالدين محمود بذلك ، فوقع ذلك منه موقعا حسنا و قدم له ما جل قدره من الهدايا (١) . واذا كانت هذه الخطوة من قبل قرا ارسلان تجاه نورالدين محمود بمثابة النجاح لنورالدين محمود في سبيل توحيد الجبهة الاسلامية فان الاستاذ عماد الدين خليل قد عدها ايضا بمثابة اخراج امارة حصن كيفا من العزلة الطويلة تجاه ما كان يجري في بلاد الشام زمن عماد الدين زنكي (٢) . ولا يستبعد بعد هذه الخطوة التي خطاها صاحب حصن كيفا تجاه نورالدين محمود ان يكون قرا ارسلان من ضمن اصحاب الاطراف والمعاقل الاسلامية التي كاتبها نورالدين محمود سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م بالاستعداد الى الوقوف صفا واحدا الى جانبه لجهاد الصليبيين . غير ان مرضه هذه السنة ووقوع الزلازل ببلاد الشام قد حال دون قيام نورالدين محمود بمنازلة الصليبيين وتحقيق غرضه (٣) .

وفي اطار تحسن العلاقات بيد نورالدين محمود والارادة فانه لما عزم في سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م على الأخذ بثأره من الصليبيين عما وقع عليه تحت حصن الاكراد في العام الماضي ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ، بعث الى فخرالدين قرا ارسلان صاحب حصن كيفا ونجم الدين ابى صاحب ماردين (٤) وطلب

( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣٣٢ .

( ٢ ) عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ، ص ٢٩٥ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٨ - ٣٤٩ .

( ٤ ) كان حسام الدين تمرناش قد توفي سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م بعد حكم استمر نيفا وثلاثين سنة فتولى امارة ماردين من بعده ابنه نجم الدين ابى بن حسام الدين تمرناش . انظر ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٦٣ ، ابن القلانسي ، ص ٣٢٩ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٢٦ .

منهم المساعدة والمعاضدة ضد الصليبيين فقد ما عليه وانضما الى قواته  
بحيث استطاع نورالدين محمود بمن معه من المسلمين هزيمة الصليبيين  
والاستيلاء على حصن حارم وغيره من بلاد الصليبيين (١) .

على ان العلاقات بين نورالدين محمود وفخرالدين قرا أرسلان  
لم تتأثر بمحاولة بعض الخصوم المجل على قطعها ، ففي سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٣م ،  
استغل ناصرالدين امير ميران شقيق نورالدين محمود العلاقات الطيبة بين  
نورالدين محمود وقرا أرسلان ، فلجأ ناصرالدين الى قرا أرسلان واستجار  
به من اخيه نورالدين محمود فأجاره ، ولكنه لم يشجعه على عصيان اخيه  
بل سعى فخرالدين قرا أرسلان الى اصلاح ما بين الاخوين ، وعصلا  
سويا على فتح بانياس هذه السنة (٢) . ويمكن القول انه لولا رحابة صدر  
نورالدين محمود ورغبته الاكيدة في لم شعث المسلمين لسعى الى  
الانتقام من فخرالدين قرا أرسلان واخيه ناصرالدين امير ميران ، ولكنه  
قبل شفاعته حليفه قرا أرسلان في اخيه .

واذا كانت العلاقات بين نورالدين محمود وقرا أرسلان صاحب  
حصن كيفا قد زادت او اصرها وتمحقت من اجل الوقوف في وجه الصليبيين  
فانها قد تعدت الى اكثر من ذلك . ففي سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م وحين  
اشتد مرض الموت بفخرالدين قرا أرسلان ارسل الى نورالدين محمود  
واوصاه بابنه نورالدين محمود بن قرا أرسلان . فلما توفي قرا أرسلان هذه  
السنة قام نورالدين محمود بنصرة ولده والدفاع عنه حتى ان قطب الديين

---

( ١ ) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠٨-٣١٩ ، عصام عبدالرؤوف ،  
بلاد الجزيرة ص ١٧٧ .  
( ٢ ) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢٥٢ ، ابن واصل ، مفرج  
الكروب ج ١ ص ١٣٠ ، حاشية رقم ( ٤ ) .

مودود صاحب الموصل حينما حاول مهاجمة حصن كيفا بغية الاستيلاء عليها ، أرسل اليه نورالدين محمود بن زنكى وهدده فى حالة قيامه بهجوم على حصن كيفا ، فتراجع قطب الدين مودود عن الهجوم على حصن كيفا خوفا من أخيه (١) .

وعلى الرغم من وفاة حسام الدين تيمرتاش سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م وفخر الدين قراارسلان سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م فان علاقة نورالدين محمود بالاراتقة لم تنقطع ولم تقتصر عليهما ، ففي سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م قام شهاب الدين الياس بن ايلغازى صاحب البيرقمساهمة فعالة فى جهاد الصليبيين حيث سار شهاب الدين هذه السنة على رأس قوة من رجاله نحو المائتين من الرجال بقصد الاجتماع بنورالدين محمود وهو بعشتر (٢) ، فصادف فى طريقه ثلاثمائة من الصليبيين بالقرب من بعلبك قد خرجوا من حصن الاكراد للاغارة على البلاد الاسلامية فى البقاع ، فتم اللقاء بينهما واقتتلوا قتالا شديدا ، وقع فيه عدد كبير من القتلى من الجانبين الا ان النصر كان لحيف المسلمين حيق وقع بايديهم الكثير من الاسرى والغنائم ، ولم تقف هذه الحادثة حجر عثرة فى وجه شهاب الدين بن ايلغازى عن مواصلة سيره ومقابلة نورالدين محمود ، فقد سار الى نورالدين محمود بعشتر فاحسن استقباله وسر بالنصر الذى حققه على الصليبيين (٣) .

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٩-٣٣٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٣-١٥٤ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج

(٢) عشتر : موضع بجوران من اعمال دمشق . انظرياقوت ، معجم البلدان ، ص ١٢٥ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٥٣-٣٥٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧١-٤٧٢ .

وكما كان فخرالدين قرا ارسلان حليفا مخلصا لنورالدين محمود مد له يد الحون سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ضد حكام الموصل عقب وفاة سيف الدين غازي فقد سار ابنه على نفس السياسة حيث انضم الى جانب نورالدين محمود سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م عند ما توجه نورالدين محمود الى الموصل على اثر وفاة اخيه قطب الدين محمود سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م وذلك بهدف تصفية مشاكل الموصل وضمها الى جانبه ، وكان لانضمام نورالدين ابن قرا ارسلان الى جانب نورالدين محمود في حملته على الموصل اثر في ترجيح كفته على خصومه الذين اضطروا الى طلب الصلح وعلان الطاعة لنورالدين محمود بن زنكي . بعدها عاد نورالدين محمود الى حلب . بينما سار حليفه ابن قرا ارسلان الى مرقاطارته في حصن كيفا (١) .

وهكذا قدم الاراتقة في حصن كيفا وماردين وحصن البيرة لنورالدين محمود بن زنكي كل مساعدة ممكنة ليس ضد الصليبيين فحسب بل وضد خصومه من البيت الزنكي في الموصل ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل شكلوا في عهد نورالدين محمود خط الدفاع الثاني او بالاحرى مركز الامدادات على عهد قول احد الباحثين المحدثين ، فقد قدموا لنورالدين محمود المساعدات المالية والعسكرية خلال قتاله مع الصليبيين ، وغيرهم كحلفاء مخلصين وليسوا كاتباع غاضمين . (٢) .

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٢-١٥٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ ، المعري ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٨٥ .

( ٢ ) عماد الدين خليل ، الامارات الارتقية ، ص ٢٩٣ .

على أن نورالدين محمود لم يتخرج - على اثر ما حققه من انتصارات عسكرية على الصليبيين وما حققه من توحيد للجبهة الاسلامية في الشام والجزيرة - في ان يطلب من الخليفة العباسي المستنصر بأمر الله سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م تقليدا له بما تحت يده من البلاد كمصر والشام وبلاد الجزيرة والموصل وما في طاعته كديار بكر التي هي في حوزة الارائقة ، ولذلك فانه لم يحصل من الارائقة على معارضة (١) . بل نراهم في السنة التالية ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م يلبون دعوة نورالدين محمود الى الوقوف الى جانبه لفرز الصليبيين في بلاد الشام ومواصلة السير معه الى مصر (٢) .

اما عن علاقة نورالدين محمود بحكام الموصل فقد تمثلت بوجه عام في محاولة خلق جبهة اسلامية متحدة الاركان قوامها الموصل وحلب واعتبر نفسه مسئولا عن ذلك لانه ورث عن والده في حلب مشكلة جهاد الصليبيين ، وهذا لا يتم بنجاح الا بتوحيد الجبهة الاسلامية . ولكن اخاه سيف الدين غازي صاحب الموصل بحكم كبر سنه رأى انه لابد من فرض السيطرة على حلب الخاضعة لنورالدين محمود . ولذلك فقد سمى نورالدين محمود الى توطيد علاقاته باخيه سيف الدين غازي واجتمع به في سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م على الخابور وتم الاتفاق بينهما على المحافظة على مملكة والدهما عماد الدين زنكي (٣) . وقد ظلت العلاقات حسنة بين سيف الدين غازي ونورالدين

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٩٥ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٦٢ . كان الخليفة العباسي المستنصر بأمر الله قد حكم في بغداد طبعين سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م حتى سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م وفي خلافته انقضت دولة الفاطمية في مصر ، انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٤٤٤-٤٤٧ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ .

( ٣ ) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٢ .

محمود لم تشبها أية شائبة حتى وفاة سيف الدين غازي سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م وتولى الامر من بعده في الموصل اخوه قطب الدين مودود وهو أصغر سنا من نورالدين محمود (١) .

وجد نورالدين محمود الفرصة مواتية للاستيلاء على بعض البلاد التابعة للموصل ، بقصد الحصول على اموال للتحسين اوضاعه الاقتصادية من ناحية ومساومة قطب الدين مودود على الانسحاب من البلاد التابعة له في الشام كحمص والرحبة من جهة اخرى . وقد استطاع نورالدين محمود تحقيق ذلك حينما قام في نفس السنة ( ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ) بحملة عسكرية استطاع بها الاستيلاء على سنجار التي كانت كمخبأ لاموال والده التي خلفها عقب استشهاد سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م . ولم تقف اهمية استيلاء نورالدين محمود على سنجار عند حد حصوله على الاموال والذخائر بل تعدتها الى انطاش استناع مساومة حكام الموصل بها على الانسحاب من حمص والرحبة في بلاد الشام فحقق نورالدين محمود بذلك اهدافه التي سعى من أجلها في حملته على سنجار (٢) .

ظلت العلاقات حسنة بين نورالدين محمود واخيه قطب الدين مودود في الموصل ، ولم تمدنا المصادر التي بين ايدينا ما يدل على حصول اصطدام بينهما ، او حتى استعانة اى منهما بالآخر الا ما ذكر ان نورالدين

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٢٤ ، ١٣٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٩٢ ، ابن الصبري ، مختصر الدول ، ص ٢٠٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٨٦ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ص ٢٠ .
- ( ٢ ) انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٩٤ - ٩٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٣٤ ، ابن الحديد ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١١٨ - ١٢٠ .

محمود حين الم به المرض في اواخر سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م كُتب الى أخيه قطب الدين مودود واخبره انه قد اختاره لان يتولى امر المسلمين مسن بعده (١) . وفي سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م لبى قطب الدين مودود داعي الجهاد ضد الصليبيين والبيزنطيين حين كتب نورالدين محمود الى اصحاب الاطراف في تلك السنة ، ولم يقف قطب الدين عند حد تلبية الدعوة ، بل سار من الموصل الى حلب . غير ان الهدنة التي عقدها نورالدين محمود مع الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين حالت دون الاشتباك الفعلي بين نورالدين محمود ومن انضاف اليه من القوات الاسلامية من جهة والصليبيين من جهة اخرى (٢) . ولذلك فان نورالدين محمود قد اكرم وفادة اخيه وجميع العساكر الاسلامية التي قدمت الى بلاد الشام ، ووهبهم من الهدايا الكثيرة والخيول العربية والبغال الشىء الكثير (٣) .

الواقع ان الاخوين نورالدين محمود وقطب الدين مودود قد سارا في طريق واحد وهو الوقوف في وجه الصليبيين ، فلم ير نورالدين محمود اية غضاضة في الاستعانة باخيه قطب الدين وعساكر الموصل للاخذ بشأره وتأثر الاسلام بعد الهزيمة التي لحقت به سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م تحت حصن الاكراد . ولهذا فقد قدم قطب الدين مودود على راس عساكره وانضم تحت لواء اخيه نورالدين محمود ، حيث استطاعا في السنة التالية ٥٥٩هـ / ١١٦٣م انزال هزيمة ساحقة بالصليبيين استطاعا بعدها الاستيلاء على حارم مسن

( ١ ) ابن القلانسي ص ٣٥٥ ، ابن العديم ، زبد قال حلب ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .

( ٢ ) انظر ما سبق ، ص

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٣٥٨ .



الصلبيين (١) . ولما كانت سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٥ م عاد قطب الدين مودود الى حلب مرة اخرى لمساعدة نورالدين محمود وقد استطاعا فعلا اجتياح الكثير من بلاد الصليبيين ، عاد بعدها قطب الدين مودود الى الموصل وعرج قبل عودته اليها على الرقة واخذها بعد ان تنازل له نورالدين محمود عنها (٢) .

وهكذا ظلت العلاقات حسنة بين نورالدين محمود واخيه قطب الدين مودود حتى وفاة الاخيرة سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٨ م مما صرف نورالدين محمود عن التفكير في امر الموصل والمسير اليها للاستيلاء عليها ، لان قطب الدين مودود على حد قول ابن الاثير " كان حسن الاتفاق مع اخيه الملك العادل نورالدين ، كثير المساعدة له والانجاد بنفسه وعسكره وامواله . وكان يخطب له في بلاده باختيار من غير خوف " (٣) . وكان قطب الدين مودود قد اوصى بالملك من بعده لابنه الاكبر عماد الدين ، ولكنه عدل عن ذلك - تحت ضغط فخرالدين بن عبد المسيح ووالدة سيف الدين غازي ابن قطب الدين مودود - الى ابنه الاصغر سيف الدين غازي ، لان عماد الدين بن قطب الدين مودود كان طوع عمه نورالدين محمود ، وكسان نورالدين محمود يكره فخرالدين بن عبد المسيح فما كان من عماد الدين

---

(١) انظر ماسبق ، ص

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، ابوشامة ، الروضتين ،

ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٣ ، عصام عبدالرؤف ، بلاد الجزيرة ، ص ١٧٨ .

(٣) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٩ ، انظر ابن الاثير ، الكامل

ج ١١ ، ص ٣٦٣ - ٣٦٤ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ،

ص ٤٧٢ - ٤٧٥ .

الا ان رحل الى عمه نورالدين مستنصرا به لاخذ الملك لنفسه ، فصار نورالدين محمود في المحرم من سنة ٥٦٦ هـ / ١١٦٩ م وعبر الفرات واستعاد فـسـى طريقه الرقة والخابور ونصيبين ، وحاصر سنجار وملكها وسلمها الى عمادالدين ابن قطب الدين مودود . وعبر دجلة الى الجانب الشرقى ونزل على حصن نينوى فارسل فخرالدين عبدال المسيح الى نورالدين محمود بشأن تسليم بلد الموصل اليه على أن يقره بيد سيف الدين غازي ، وان يمنحه نورالدين محمود الامان له ولاهله ، فأجابته نورالدين محمود الى ذلك ، واشترط نورالدين على فخرالدين عبدال المسيح ان يسير معه الى بلاد الشام ، فوافق وتسلم نورالدين محمود الموصل ، ودخل القلعة وامر بعمارة الجامع النورى وسلمها الى سيف الدين غازي على أن يكون سعد الدين كمشتكين نائبا عنه في الموصل ، وأمر سيف الدين غازي بعدم التفرد بالامر عن سعد الدين كمشتكين ، عاد بعدها نورالدين محمود الى حلب بعد مضي اكثر من عشرين يوما وبرفقته فخرالدين عبدال المسيح (١) .

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٥٥، ٣٦٢ - ٣٦٥، ابن الاثير، التاريخ الباهر، ص ١٤٦، ابوشامة، الروضتين، ج ١، ق ٢، ص ٤٧٢ - ٤٧٥، ابن العديم، زبدة الحلب، ج ٢، ص ٣٢١ - ٣٢٣، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١، ص ١٨٨ - ١٩٦، البنداري، البرق الشامي، ج ١، ص ٩٣ - ٩٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٢٨٢ .

نينوى : كانت قرية من قرى الموصل ، انظر ياقوت ، معجم البلدان .

هكذا استطاع نورالدين الاستيلاء على الموصل في الوقت المناسب دون اراقة دماء المسلمين . ولم يقف عند هذا الحد بل جعل من بها منن الامراء طوعا اختياره ، فأصبحت أملاك نورالدين محمود تمتد من الجزيرة فبلاد الشام الى مصر . وما يدل على خضوع الموصل لنورالدين محمود انه في سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م عزم على غزو الصليبيين في بلاد الشام والمسير الى مصر لتأديب صلاح الدين الايوبي ، فأرسل الى ابن أخيه في الموصل وطلب منه القدوم الى حلب لمساعدته ، فط كان منه الا الموافقة على ذلك وخرج على رأس عساكر الموصل وبصحبه سعد الدين كمشتكين ، الا أن خبر وفاة نورالدين محمود في تلك السنة قد بلغه فعاد من طريقه الى الموصل (١) .

أما عن موقف الخلافة العباسية من جهود نورالدين محمود في سبيل توحيد القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة ومصر ، وجهاد الصليبيين فقد حرص نورالدين منذ البداية على أن تكون علاقته بالخلافة علاقة طيبة ، وكانه في حاجة ماسة الى مساندة الخلافة العباسية له . وتجنب سياسة والده عماد الدين زنكي في استعلاء الخليفة العباسي من أجل استرضاء السلاطين السلاجقة . ويمكن القول ان تجنب نورالدين محمود لسياسة والده عماد الدين زنكي تجاه الخلافة العباسية يرجع ايضا الى ضعف السلطنة السلجوقية وانتعاش الخلافة العباسية فرغب نورالدين محمود .

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٧٥ ، ابن الوردي ، تنمة المختصر ،

استرضاء جانب الخلافة لاضفاء روح الشرعية على اعطاله العسكرية في الشام والجزيرة (١) .

ولما كان نورالدين محمود قد رسم لنفسه سياسة تجاه الخلافة العباسية فلا يستبعد ان يكون قد ادرك ان الخلافة العباسية قد بدأت عهدا جديدا وخصوصا في عهد الخليفة العباس المقتضى لامرالله (٥٣١ - ٥٥٥ هـ / ١١٣٦ - ١١٦٠ م) الذي وصفه السيوطي بانه كان مبدأ صلاح الدولة العباسية حيث بدأت تهتم بشكل واضح بامر الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين بالاضافة الى انها املت في نورالدين محمود ما يحقق رغبتها في الاطاحة بخلافة الفاطميين التي انتابها الضعف والتدهور في منتصف القرن السادس الهجري بعد ان كانت قد نازعت الخلافة العباسية سياسيا ومذهبيا فترة زمنية طويلة (٢) .

وهكذا وافقت رغبة الخليفة العباس المقتضى لامرالله اهداف نورالدين محمود في توحيد الجبهة الاسلامية في الشام والجزيرة ومواجهة الصليبيين ولذلك فقد تقرب نورالدين محمود من الخليفة العباس ، فبعد ان هزم الصليبيين في بخراس سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ارسل الى الخليفة العباس جملة من الغنائم والاسرى التي حصل عليها . ولم يكتف بهذا ، بل أرسل في السنة التالية ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م جمجمة وذراع ريموند صاحب انطاكية بعد ان سقط

---

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٨ ، سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ، بحوث ودراسات في تاريخ المصـور الوسطى ، ص ٦٤-٦٥ .

(٢) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٨-٤٣٩ ، سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية في الحركة الصليبية ، في كتاب بحوث ودراسات في تاريخ المصـور الوسطى ، ص ٦٤ .

### صريحاً في معركة أنب (١) .

وعلى الرغم من اتفاق رغبة الخلافة العباسية مع اهداف نورالدين محمود ، فان سياسة الخلافة العباسية تجاه نورالدين محمود في الشام كانت تتصف بنوع من الحذر خوفاً من السلطان مسعود بن محمد ، ولكن وفاة الاخير سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م كان ايذاناً باضمحلال امر السلاجقة وبدأ الخليفة العباسي المقتفي الأمر الله ربيدي اهتمامه بامر الشام ومصر حتى ان السيوطي قد ذكر بان سبب استيلاء نورالدين محمود على دمشق سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م كان بأمر من الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله (٢) . وأرسل الخليفة المقتفي الى نورالدين محمود عقب استيلائه على دمشق عهداً ببلاد الساحل ومصر واعمالها ، وأمره بالمسير الى مصر ولقبه بالملك العادل نورالدين (٣) .

لم يستطع نورالدين محمود تحقيق ماطلبه منه الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله بالتوجه الى مصر بعد استيلائه على دمشق لانشغاله بأمور الصليبيين ، واستكمال توحيد القوى الاسلامية في الشام والجزيرة ، بينما ظلت العلاقات بين نورالدين محمود والخلافة العباسية طيبة لم تشبها اية شائبة ، حتى أن نورالدين محمود لم يتحرج في ان يطلب من الخليفة

(١) انظر ما سبق ، ص

(٢) السيوطي ، حسين المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٣ ، انظر ابوالصالح النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٠٣ ، عبد النعيم حسنين ، دولة السلاجقة ص ١٠٩ ، حسين انهن ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ١٢٥

(٣) فتاوى الدين الاصفهاني ، دولة آل سلجوق ص ٢١٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٠١ ، سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية في الحركة للصليبية ، ص ٦٦ .

المستنجد بالله النفقات والاسلحة لسد الثلمة ودفع الطمة على اثر الزلازل التي اجتاحت بلاد الشام سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م (١) .

وظلت علاقة نورالدين محمود بالخلافة العباسية على مايرام في عهد الخليفة العباسي المستنجد بالله الذي خلفاياه المقتضى في خلافة بغداد سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م واستمر في الخلافة حتى وفاته سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م ولما توفي الخليفة العباسي المستنجد بالله سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م سعى نورالدين محمود الى توطيد علاقته بخليفته المستنضىء بامر الله وحاول كسب من الخليفة المستنضىء ونورالدين محمود الاستفادة من الجانب الاخرى فالخليفة العباسي استغل وصول نورالدين محمود سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م الى الموصل ، فارسل اليه رسالة يعرفه فيها بخلافته ويطلب منه المبايعـة فرحب نورالدين بهذا وارسل من جانبه احد رجاله ليكون عند الخليفة العباسي نائبا عنه في الخدمة الشريفة العزيزة (٢) . ويبدو ان ترحيب نورالدين محمود برسل الخليفة العباسي وموافقته على المبايعـة للخليفة العباسي المستنضىء بامر الله بهذه السرعة كان مرده الخوف من ان الخليفة العباسي سيعارض مشاريع نورالدين محمود التوسعية في الموصل عقب وفاة اخيه قطب الدين مودود سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م . وقد تحققت مخاوف نورالدين محمود هذه عند ما شدد حصاره على الموصل سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م

- 
- (١) ابن الاثير، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٥٤-٣٥٥ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ق ١ ص ٩٦-٩٧ ، محمد طاهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية في عهد الفاطميين والأتابكية والايوية ص ٢١٢ .  
(٢) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٨٢ ، ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٨٦ .

فقد بلغه ان الخليفة المستضىء بامر الله قد عزم السير الى الموصل نجدة لسيف الدين غازى ، فطكان من نورالدين محمود الا ان بعث برسالة الى الخليفة يعرفه فيها ان سبب قدومه الى الموصل هو لاقرار الاوضاع بهما باعتباره كبير العائلة الزنكية الحاكمة فى الموصل وطلب . فلما تأكد للخليفة العباسى حسن نية نورالدين محمود فى القضاء على الفوضى التى حصلت بالموصل عدل عن عزمه على السير اليها بل رغب فى ان يتقرب من نورالدين محمود وارسل اليه وهو يحاصر الموصل خلعة تكريما له واعترافا بقدره فلبسها نورالدين محمود ولكنه خلعها على ابن اخيه سيف الدين غازى بعد ان سلم اليه الموصل (١) . ولا شك ان الحاح نورالدين محمود على صلاح الدين بالاسراع فى الاطاحة بالخلافة الفاطمية فى مصر سنة ٥٦٧ هـ / ١١٢١ م واعلانها باسم الخليفة كان استجابة لرغبة الخلفاء العباسيين السنيين (٢) . ولم تنقطع علاقة نورالدين محمود بالخلافة العباسية بعد تحقيق ما كان يرغب فيه خلفاء بنى العباس فى الاطاحة بالفاطميين ، بل ظل وفيا للخلافة العباسية ببغداد ، ففى سنة ٥٦٨ هـ / ١١٢٢ م ارسل الى الخليفة العباسى جملة من الهدايا والاسرى التى حصل عليها من البيزنطيين والاصليبيين فى شطال الشام مع رسالة يبشر فيها الخليفة العباسى المستضىء بامر الله بما حققه من انتصارات على الصليبيين والبيزنطيين فى شطال الشام

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٤ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٤ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٧٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، سعيد عاشور ، ظل الخلافة العباسية فى الحركة الصليبية ، فى كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ص ٦٦ .

( ٢ ) انظر مايلى ، ص

وما حققه قائده صلاح الدين من فتوحات في بلاد النوبة بجنوب مصر (١) .

وهكذا يمكن القول بأن نورالدين محمود بهذه العلاقات الطيبة مع الخلافة العباسية وماسعى اليه في تحقيق رغبتها قد ساعده في تحقيق توحيد القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة دون اية معارضة بل انه استطاع ان يضفي على أعماله العسكرية صبغة شرعية مكنته من مواصلة انتصاراته ضد خصومه سواء من الصليبيين او القوى الاسلامية المعارضة له . ولا شك فسي أن الخلافة العباسية كانت وراء استكمال نورالدين محمود لتوحيد الجبهة الاسلامية في مصر والشام والجزيرة ، بحيث استطاع في النهاية وضج الصليبيين بين شقي الرعي بما كانت تشعذ به نورالدين محمود من قوة محنوية في الاطاحة بالدولة الفاطمية الشيعية في مصر .

استيلاء نورالدين محمود على مصر ووضع الصليبيين بين شقي الرعي :

سبق ان استعرضنا في الفصل الثاني مظاهر واسباب ضعف الفاطميين في مصر وبلاد الشام فيما بين سنتي ٤٩٢-٥٢١ هـ / ١٠٩٨-١١٢٧ م عند الحديث عن القوى الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة قبل قيام الاسرة الزنكية ، الا ان الدولة الفاطمية سارت الى الهاوية من سىء الى أسوأ في منتصف القرن السادس الهجرى . وقد تعطلت مظاهر ضعف الفاطميين

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٨٧-٣٨٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤٧-٥٤٨ ، ابن العديم ، زبدة الحطب ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ ، محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والادارية في العهد الفاطمي ، والاتابكية الايومية ، ص ٢١٣-٢١٤ .



فى العداء المستحكم بين الخلفاء ووزرائهم ، بسبب تسلط الوزراء على الخلفاء بطريق العنف ، مع اهمال الوزراء شؤون النص فى الامامة ، ولم يراعوا التحالف الاسماعيلية فى تولية الخلفاء ، بل اصبح اختيار الخليفة فى يد الوزير ، ولم يكف بعض الوزراء بهذا بل عطوا على احياء المذهب السنى (١) وعلى سبيل المثال فالوزير رضوان بن الوخشى وزير الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمى كان سنيا حسن الاعتقاد استبد بالوزارة وتحكم فى أمـور الخليفة مما دعا الحافظ الى التخلص منه سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م بعد حروب طاحنة ذهب ضحيتها الكثير من الرعايا المصريين (٢) .

ولم يتوقف تسلط الوزراء واستبدادهم عند هذا الحد ، فبعد وفاة الخليفة الحافظ سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م تولى الخلافة الفاطمية ابنه الظاهر بأمر الله بوصية منه (٣) . وفى خلافة الظاهر التى لم تدم اكثر من اربع سنوات وسبعة اشهر تعاقب على منصب الوزارة ثلاثة وزراء كان اولهم نجم الدين بن مصال الذى لم تدم وزارته اكثر من اربعين يوما ، ان ظهر له منافس اخر هو على بن السار من اصل كردى ، اتى الى القاهرة من الاسكندرية ومعه ابن لزوجته يدعى عباس ابن ابى الفتوح الصنهاجى . وقد استطاع اخراج ابن مصال من مصر فهرب الى صعيد مصر فى شعبان

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٨ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ، الازدى ، الدول المتقطعة ، ص ٩٩ ، محمد حمدى المناوى ، الوزارة والوزراء ، ص ١٤١ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٨-٤٩ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٢ ، ابن ظافر الازدى ، الدول المنقطعة ، ص ١٠٢ .

سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م وتولى ابن السلار وزارة الظافر وتلقب بالملك المعادل شرب الاسلام (١) ، وكان الخليفة الظافر كما يقول ابن الاثير " منحرف عنه كاره له مضمرا له الشر " وهذا مادعا الى محاولة التخلص منه في سنة ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م بسبب استبداده بالامور وانه بالاضافة الى اعتناقه للمذهب السنى وتشجيع أهله (٢) . ولما لم يستطع الخليفة الظافر التخلص من ابن السلار فانه لم يعدل عن تدبير المؤامرات ضده حتى استطاع فى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م تدبير مؤامرة ادت الى الفتك بابن السلار بمساعدة عباس الصنهاجى ربيب بن السلار الذى كان بدوره يتحين الفرص لتولى الوزارة الفاطمية ، وفعلما تقلدها بعد قتل ابن السلار ، وتلقب بلقب المظفر ركن الاسلام (٣) . ويبدو أن اقدام الخليفة الفاطمى على هذه الخطوة وهى التآمر على ابن السلار وتولية الوزارة لربييه عباس انما كان بهدف اصطناع رجل يمكن ان يكون طوع اختياره ولكن عباس لم يكن عند توليه الوزارة باحسن من سابقه - فقد استبد بالامور عن الخليفة ، وفى عهده سقطت عسقلان بيد الصليبيين سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م وسقط طرابلس لم يبق للفاطميين ببلاد الشام اية ممتلكات ذات اهمية ولم يعد للفاطميين اى خطر على الصليبيين ، بعد ان اصبحوا فى درجة من الضعف والانحلال .

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٢-١٤٣ ، الازدى ، الدول المتقطعة ، قسم الفاطميين ص ١٠٦-١٠٧ . ابن خلكان ، وفيات

الاعيان ج ٣ ، ص ٤١٦-٤١٧ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٢ .

( ٣ ) ابن القلانسي ، ص ٣٢٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٤٢ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٨-١٩ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، ص ٢٠١ .

وحرم الفاطميون من القاعدة البحرية في عسقلان التي ظلوا يمتسكون بها على الرغم من الضعف الذي انتابهم ، الامر الذي جعل الخليفة الظافر يتذمر منه ويسعى الى تدبير مؤامرة للإطاحة به (١) . ولكن عباس اطلع على المؤامرة التي كان الخليفة الظافر يديرها ضده مع ابنه نصر بن عباس فأسرع هو وفتك بالخليفة في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م . ولم يقف الوزير عباس عند هذا الحد بل اقدم على قتل اثنين من اخوة الخليفة هما يوسف وجبريل متهما اياهما بقتل الخليفة الظافر . واحضر عباس ابنا للظافر صغير السن له من العمر خمس سنوات اسمه عيسى ولقبه الفاضل بنصر الله ودعا له ومكنه من الخلافة (٢) .

أما الوزير عباس وابنه نصر اللذان اذميا قلوب اهل القصر فانه قد فسد ما بينهما وبين الاسرة الفاطمية مما شجع بعض نساء القصر الفاطمي والمتعاطفين معهم من المصريين الى استدعاء طلائع بن رزيك والى الاشمونين في صعيد مصر فسارع بن رزيك الى نجدتهم . وشعر عباس وابنه نصر بحوققهما الحرج ازاء غضب المصريين عامة وانه لا قبل لهما بالوقوف في وجه طلائع ابن رزيك ولم يجد لهما وسيلة للنجاة غير الهرب من القاهرة . فتأهبوا وخرجوا من القاهرة الى بلاد الشام وصحبتهما اسامة بن منقذ مؤلف كتاب الاعتبار بقصد الاستنجاد بنور الدين محمود ولكنهم وقعوا في كمين نصبه لهم الصليبيون

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٧-١٠ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ص ٢٠١ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٩١-١٩٢ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٩-٢٨ ، الازدي ، الدول المنقطعة ص ١٠٥-١٠٦ ، ابوالفدا ، المختصر ج ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، عبد الله سعيد الغامدي ، استرداد بيت المقدس في عصر صلاح الدين ، رسالة ماجستير لم تطبع ص ٢٦ .

الذين القوا القبض على عباس وابنه نصر وقتلوا الوزير عباس وعثوا بابنه نصر الى القاهرة حيث قتل بايدي نساء القصر الفاطمي سنة ٥٥٠هـ / ١١٥٥م (١) .

أما طلائع بن رزيك فانه بمجرد خروج عباس وابنه نصر من مصر ، سارع الى دخول القاهرة فخلع عليه الخليفة خلعة الوزارة وتلقب بلقب الملك الصالح فارس المسلمين . ولم يكن باعلى همة ممن سبقه في ان يترفع عمن التنكيل برعايا الفاطميين ، فقد اقدم على قتل وابادة كبار قادة الفاطميين وذوي الرأي فيهم . ولم يقف ابن رزيك عند هذا الحد ، فقد كان على غير مذهب العلويين الفاطميين ، فلم يزع النظم والتقاليد المتبعة في اختيار الخليفة عند الفاطميين ، فعند وفاة الخليفة الفائز سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ، احضر العاضد لدين الله هيايعه بالخلافة ولم يكن عمره يتجاوز الحادية عشرة . (٢) .

لم يكتف طلائع بن رزيك باستبداده بالامر والاحتقار الذي كان يعامل به افراد القصر خاصة والمصريين عامة - حيث قال عندما سمع ضجة الناس وفرحتهم بتولية العاضد " وما علموا انني كنت من ساعة استعرضهم استعراض الخنم " على حد قول ابن الاثير . (٣) وسمى الى احكام قبضته على الخليفة فزوجه من ابنته فاصبح وزيره وصهره (٤) . وكان طلائع ابن رزيك يهتدف

- 
- ( ١ ) ابن القلانسي ، ص ٣٣٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ ، اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٢٣-٢٤ ، المقرئ ، اتماظ الحنفاء ، ج ٣ ، ص ٢٢٠-٢٢١ ، الازدي ، الدول المنقطعة ، ص ١٠٩ . ابوالمحاسن النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٣ ، ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٢٨ . ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ١٩٣ ، ٢٥٥ ، ٢٧٤-٢٧٥ ، الازدي ، الدول المنقطعة ، ص ١١١-١١٢ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٨-٣٣٩ . ( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٧٥ . ( ٤ ) ابوالفدا ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

من وراء هذا الزواج على ما يبدو وان تنجب ابنته ابنا من الخليفة العاضد  
يكون بعده خليفة فتجتمع لبنى رزك الخلافة مع الملك (١) .

ظل طلائع بن رزك في الوزارة على هذا الاستبداد والتسلط حتى ظهر  
له بعض الامراء الذين ضجروا مما هم فيه من القهر والتسلط واستطاعوا قتله  
في سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م . وتقلد ابنه رزك منصب الوزارة فخلع عليه العاضد  
ولقبه بالملك العادل مجد الاسلام في نفس السنة ولكن وزارته لم تدم طويلا  
حيث ثار عليه ابو شجاع شاذلي بن مجير السعدي الذي كان واليا على  
الصعيد . وكان سبب ثورة شاذلي على رزك ان الاخير حاول عزله عن ولاية  
الصعيد مخالفا بذلك وصية والده بعدم التعرض لشاذلي خوفا منه (٢) .

وجد شاذلي الفرصة صالحة لتحقيق طموحاته فسار على راس قوة من  
رجال صوب القاهرة ، وما ان علم بها بن رزك حتى شعر بالفشل وخيبة  
الامل فلم يجد له بدا من الهرب خارج القاهرة . ودخل شاذلي القاهرة  
بعد فشل رجال رزك في صدّه . وحضر بين يدي الخليفة العاضد ،  
فخلع عليه الوزارة ولقبه بلقب امير الجيوش في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م ، وأمر  
رجال بمطاردة الوزير رزك بن طلائع بن رزك فاحضره وقتله بالقاهرة (٣) .

- ( ١ ) جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢٦٦ .  
( ٢ ) ابن واصل ، التاريخ الصالح ، ورقة ١١ ب ، ابن الاثير ، الكامل ،  
ج ١١ ص ٢٧٤-٢٧٥ ، ٢٩٠ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،  
ج ٢ ، ص ٤٣٩-٤٤٣ .  
( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٠ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١  
ق ٢ ، ص ٣٣١ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، المقرئ ،  
اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٥٤-٢٥٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم  
الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٨ .

لم يكن شاور هذا احسن حالا من غيره ، فقد أساء السيرة وهاصل الخليفة باعمال قبيحة وتسلط على كبار الامراء واضطهدهم خوفا من منافستهم له . ولم تقف سوء سيرته عند حد تسلطه على الخليفة والامراء الفاطميين بل تعدتها حتى أخذ امر مصر في وزارته في الادبار على حد قول المقرئ (١) . وهذا مادعا بعض الولاة الفاطميين - وعلى رأسهم ابوالاشبال ضرغام بن عامر المنذرى - الى التآمر على شاور وابعاده عن الوزارة . وقد استطاع ضرغام بعن انضم حوله من الجند الكارهين لشاور اخراجه من القاهرة في شهر رمضان سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م . ولكن شاور لم يخرج من القاهرة الى احدى الولايات المصرية لطلب النجدة ضد ضرغام بل خرج من مصر الى بلاد الشام لطلب النجدة من نورالدين محمود ، الذى كان يسعى الى توحيد الجبهة الاسلامية في بلاد الشام للوقوف في وجه الصليبيين . ولذلك فقد وجد نورالدين محمود الفرصة مواتية للتدخل في شئون مصر وضمها الى الجبهة الاسلامية ، فسارع الى تلبية طلب شاور ووعدته بالمساعدة على ضرغام خصوصا وان نورالدين محمود ادرك مدى ما وصلت اليه الدولة الفاطمية في مصر من تفكك وانحلال (٢) . اما ابوالاشبال ضرغام فانه لم يكن باحسن حال من شاور ، فانه ما ان تولى الوزارة الفاطمية حتى استبند بالامر وقتل عددا من الامراء المصريين في وليمة اعد لها لهم ليخلو له الجو من منافس ومنازع " فضعفت الدولة " بهذا السبب حتى خرجت البلاد عمن ايديهم " (٣) .

(١) المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩١ ، المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ،

ص ١٢ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٨ ، ابوشامة ، الروشتين ، ج ١ ، ق ٢ ،

ص ٣٣٢ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٦٢-٢٦٣ .

هكذا أدى ضعف الخلافة واستبداد الوزراء وتعاقبهم ولجؤ شاور الى نورالدين محمود بالشام الى تدخل نورالدين محمود والصليبيين فسيئون مصر الداخلية فكان الاقدار يسرت لنورالدين محمود التدخل في شئون مصر لتحقيق وحدة اسلامية بين الشام ومصر ووضع الصليبيين بين شقي الرحى كما سنرى فيط بعد .

ولم يقتصر ضعف الفاطميين في مصر على استبداد الوزراء وضمهم للخلفاء وتسلط هؤلاء الوزراء عليهم بل كانت هناك اسباب اخرى أدت الى ضعف الدولة الفاطمية ، فالازمات الاقتصادية التي كانت تحدث بين حين وآخر أدت الى اثاره الفوضى والشغب داخل البلاد والتي كانت تحدث من جراء انخفاض ماء النيل ومايضا جها من غلاء فاحش كما حدث في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (١) . وعلى اية حال فان الازمات والكوارث التي كانت تحل بمصر لا تكاد تنفك حتى تمود ، فما كاد تمصر تخرج من المجاعة التي حصلت في عهد الخليفة الحافظ حتى وقعت مرة اخرى في ازمة اقتصادية اخرى في عهد الخليفة الفائز حيث ارتفعت الاسعار وقلبت السلع فلحق الناس من جراء هذه الازمة شدة عظيمة (٢) .

ومما لا شك فيه ان هذه الازمات والمجاعات لم تقتصر على عامة الناس ولم يقتصر اثرها على ما يصيب المصريين من جرائها من اغرار كبيرة بل كانت

---

( ١ ) المقرئى ، اغاثة الامة ، ص ٢٦-٢٧ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ،

ج ٣ ص ١٦٨ ، ١٧٦-١٧٧ .

( ٢ ) ابن القلانسى ص ٣٣٦ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ ،

المقرئى ، السلوك ، ج ١ ، ص ٥٨ .

تؤدي الى تزايد اطماع القوى المجاورة لمصر كالصليبيين في بيت المقدس ،  
ونورالدين محمود في دمشق (١) . ولم تتوقف اسباب ضعف الفاطميين عند  
حد ما ذكر بل ان فرق الجيش التي كان الخلفاء الفاطميون ووزراؤهم  
ينشئونها لا تفتأ ان تقوم بينها الحروب والفتن . وقد وصف اسامة بن منقذ  
في كتابه الاعتبار - عند قدمه الى مصر سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م - ما كان هناك  
من فتن وحروب بين فرق الجيش كالجيوشية نسبة الى بدر الجمالي ،  
والريحانية التي تنسب الى الخليفة الحافظ دون ان يكون للخليفة قدرة على  
حسم الموقف او حتى التدخل بين هذه الفرق لانها النزاع بينها (٢) .

ولم يفتن القائمون على السلطة في مصر وقتذاك ما وصلت اليه بلادهم  
من الضعف والتدهور ولم يضعفوا في الحساب ما حل بمعاقلهم في بلاد  
الشام من دمار ادى الى خروجها من ايديهم الى الصليبيين . ولم يدرك  
الخلفاء ولا حتى الوزراء الذين عرفوا بالاستبداد وحجب التسلط اهداف  
نورالدين محمود الذي كان يدرك ما لمصر من اهمية في استكمال توحيد  
الجمهورية الاسلامية حتى اصبحت الامور تسير في مصر الى الهاوية (٣) .

وفي الحقيقة فان ضعف الفاطميين في مصر لم يكن السبب الوحيد  
الذي حرك عند نورالدين محمود الرغبة في غزوها بل كان يراقب عن كثب  
مطامع الصليبيين في الاستيلاء عليها بعد ان رأى امرهم اى الفاطميين ،  
في بلاد الشام قد أخذ في الانحسار . ولذلك فقد كان حريصا على ان يكون

( ١ ) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٤٩ .

( ٢ ) اسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ٧٠٦ .

( ٣ ) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٧ .



له حق السبق في المسير اليها وقطع حبل الامل على الصليبيين خصوصاً  
وانه كان قد تلقى من الخليفة العباس سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م عهداً له  
ببلاد الشام ومصر (١) . فمن هنا اخذ نورالدين محمود يتطلع جدياً الى  
الاستيلاء عليها لاتمام توحيد الجبهة الاسلامية من ناحية ومن ناحية اخرى ،  
الى احكام السيطرة على الصليبيين في بيت المقدس وساحل بلاد الشام حيث  
قال : " وما قصدنا بفتحها الا فتح الساحل وقلع الكفار منه " (٢) . وبالإضافة  
الى ذلك فان من الاسباب التي دفعت نورالدين محمود الى الرغبة في  
غزو مصر ، العامل المذهبي فكما هو معلوم ان نورالدين محمود كان مذهباً  
مذهب الخلافة العباسية التي كانت تدعى بالمذهب السني ، في حين أن  
الخلافة الفاطمية كانت شيعية ، وهذا بلا شك كفيلاً بدفع نورالدين محمود  
الى التفكير في غزو مصر والقضاء على هذه الخلافة الشيعية لازالة الفرقة التي  
كانت تنشأ عن هذا الاختلاف المذهبي من ناحية ، والتقرب الى الخلافة  
العباسية السنية التي كانت قد منحت الحق في ارض مصر سنة ٥٤٩ هـ /  
١١٥٤ م (٣) من ناحية أخرى .

وفي هذه الظروف التي كان نورالدين محمود يتطلع فيها الى غزو  
مصر ، وصل اليه بدمشق سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٣ م الوزير الفاطمي شاور بن  
مجير السعدي طالبا النجدة من نورالدين محمود على من سلب منه منصبه

( ١ ) حسن حبشي ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ١٠٢-١٠٣ .

( ٢ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ص ٣٣٦ .

( ٣ ) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، ص ١٣ ، سعيد

عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

قهرًا . وزعمه مقابل مساعدته له ثلث دخل بيت المال الفاطمي سنويا بمقدار دفع رواتب الجند . وان يكون نائبا عن نورالدين بمصر اذا لمساعدته ففى التغلب على ضرغام (١) . ولم يكن نورالدين محمود بالرجل المتسرع المتهور الذى ينساق وراء الامانى والطموحات الزائفة ، بل كان عنده من الحنكة وحيد النظر ما جعله يترث قليلا " يقدم الى هذا الفرض رجلا ويؤخر اخرى " حتى استخار الله فى الامر على ما هناك من اخطار جسيمة مثلة فى الصليبيين فى الساحل وميت المقدس بالاضافة الى شكه فى اخلاص شاور . (٢)

وعلى أية حال فقد جهز نورالدين محمود لهذا الفرض قائده أسد الدين شيركوه وامره بالمسير الى مصر بقصد نجدة شاور واعادته الى منصبه والتعرف على مصر وحوالها فسار شيركوه وشاور على راس الجيش فى جمادى الاولى سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م وسار معهم نورالدين محمود الى اطراف بلادهم ما يلى الصليبيين بقصد اشغالهم عن التعرض لجيشه الذاهب الى مصر على الرغم من ان نورالدين محمود كان قد انهك الصليبيين فى بلاد الشام حتى لم يعد لهم مطامع هناك غير حفظ ما بأيديهم من البلاد (٣) . أما الوزير

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٢٩٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،

ج ١ ص ١٣٨ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٣٢ ،

ابوالمحسن ، النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٤٦ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٢٩٨ .

(٣) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٢١ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية

ص ٣٦ ، ابوشامة ، الروضتين ، ٣٣٢-٣٣٣ ، ابن واصل ، مفرج

الكروب ، ج ١ ص ١٣٨ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ،

ص ١٠٤-١٠٥ ، العرينى ، الشرق الاوسط والعروب الصليبية ، ج ١ ،

ص ٦٦٧ .

الفاطمى ضرغام الذى وصلته انها الحشود التى حشدها نورالدين محمود لاعادة شاور الى الوزارة فقد عرف غجزه عن دفع شيركوه وشاور فلجأ الى عمورى ملك بيت المقدس وطلب منه المساعدة لصد شيركوه وشاور عن مصر. واعلن ضرغام لعمورى عن استعداد به بابقاء رهائن من قبله فى بيت المقدس فى مقابل الوفاء بما تعهد به من الاموال للصليبيين . ولكن الملك الصليبي عمورى لم ينهض لنجدة ضرغام بسبب ما تعرضت له بلاده من هجمات عنيفة من نورالدين محمود . ولذلك فقد عاد الى القاهرة صفرالدين لم يحصل على ما كان يرغب فيه ، فى الوقت الذى فيه شيركوه وشاور مسيرهما الى مصر حتى وصلا بلبليس . وهناك لقيهم ناصر الدين اخو ضرغام على راس جيش كبير من المصريين . ودارت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار شيركوه ، سار بعدها الى القاهرة فدخلها فى جمادى الآخرة من السنة نفسها

( ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ) بعد مغادرة ضرغام لها (١) .

وهكذا تمكن اسد الدين شيركوه وشاور من القضاء على الوزير الفاطمى ضرغام ودخول القاهرة . ودخل شاور القاهرة منتصرا تولى الوزارة فى رجب سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م فى الوقت الذى اقام فيه شيركوه بظاهر القاهرة طالبا ما كان شاور قد تعهد به على نفسه لنورالدين محمود . ولكن شاور ما ان تمكن من الوزارة حتى تنكر لعهد وطلب من اسد الدين شيركوه مغادرة مصر ،

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٩٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٣٣٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٣٨ - ١٣٩ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ - ٢٧٠ .  
وليبس : مدين بمصر على طريق الشام بينها وبين القسطنطينية عشرة فراسخ ، انظر ياقوت . معجم البلدان .

ولم يكتف بهذا بل هدد شيركوه بالصليبيين . ولكن شيركوه لم يجبه الى ذلك وكرر مطالبته بالاموال التى تعهد بها لنورالدين محمود ، فسعى الوقت الذى ارسل فرقة من جيشه الى بلبيس للاستيلاء عليها لتكون ورقة رابحة يستطيع بها مساومة شاور على دفع ما كان قد تعهد به لنورالدين محمود ولما علم شاور بذلك ادرك انه لن يستطيع اخراج شيركوه وابن اخيه صلاح الدين الايوى اللذين اتخذا من بلبيس قاعدة انطلاق للهجوم على مصر ، لجأ الى الصليبيين فى بيت المقدس وطلب منهم النجدة ضد شيركوه ، كما فعل ضرغام ، ووعد الصليبيين باكثر مما كان ضرغام قد وعدهم به . ولم يكتف شاور بما طلبه من نجدة عسكرية ضد شيركوه بل انه خوف الصليبيين من نورالدين محمود وحذرهم من امتلاكه مصر فسارعوا الى اجابته . وكان الصليبيون قد خافوا حينما وصلتهم انباء وصول قوات نورالدين محمود الى مصر " وايقنوا بالهـلاك ان تم ملكه لها " على حد تعبير ابن الاثير . (١)

فرح الصليبيون بالطلب الذى وصلهم من شاور ، واعتبروه بمثابة دعوة للاستيلاء على مصر ، تلك التى كانوا قد اكتشفوا ضعفها فسارعوا الى تلبية شاور وطمحوا فيها بعد وقوع الاتفاق بينهم وبين شاور على مال كثير يحمله اليهم ، ان اخرجوا نورالدين وعساكره عن مصر (٢) . ولما تم الاتفاق بين شاور والصليبيين على ما تعهد به شاور ، تجهز عمورى الاول ملك بيت المقدس مستعينا بما وصله من الحجاج المسيحيين الى بيت المقدس وسار هو بقواته الى مصر ، ولم يشتمهم ما قام به نورالدين محمود من غارات على

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٢٩٩ .

( ٢ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٣٣٥ ، العرينى ، الشرق الاوسط

والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٦٦٩ .

اطراف بلادهم " لعلمهم ان الخطر في مقامهم اذا ملك اسد الدين مصر " واتجهوا صوب بلبيس وضرهوا عليها حصارا استمر ثلاثا شهر عجزوا بعدها عن الاستيلاء عليها من اسد الدين شيركوه " ن وهو ممنوع بها مع أن سورها قصير جدا وليس لها خندق يحميها وهويها ويهم القتال هراوهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيئا " كما يقول ابن الاثير (١) . وفي الوقت نفسه بلغ عموري الاول والصليبيين انتصارات نورالدين محمود في حارم وانياس " فحينئذ سقط في ايديهم وارادوا العودة الى بلادهم ليحفظوها " فراسلوا اسد الدين شيركوه في الصلح ، وتسليم ما بيده لشارور ومفارقة مصر ، فاجابهم الى ذلك لانه على ما يبدو لم يكن يعلم ما فعله نورالدين محمود بالصليبيين في بلاد الشام بالاضافة الى نقص الذخائر والاقوات عنده وضعف التحصينات في بلبيس . وخرج من بلبيس في ذي الحجة سنة ٥٥٩هـ / ١١٦٤م وعساده الى بلاد الشام لما في نفسه وعسكره رغم ما تعرض له من اخطار جسيمة سوءا من الصليبيين او الفاطميين وتبعه عموري عائدا الى بلاد الشام بايام قليلة (٢) .

أما شارور الذي تقلد وزارة المعاضد فانه لم يكن بالرجل الحصيف الذي يدرك ان خروج جيش شيركوه والصليبيين من مصر لم يكن محض ارادته وانما كان بسبب خوف كل منهما من الاخر . ولم يعمل على رتق ما انفتق في مصر ، بل سعى الى الظلم وسفك الدماء . وكان كما وصفه ابوالمحاسن " خبيثا سفاكا للدماء " . بالاضافة الى استبداده بالسلطة حتى انه لم يبق للمعاضد معه امر ولا نهى مما اضطر المعاضد الى الاستعانة ضده بنورالدين

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٠٠ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٠٠ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ص ١٢٢ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٣٦ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ ، ابن واصل ، فوج الكروب ج ١ ، ص ١٤٠ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م<sup>(١)</sup> . ولذلك فإن النجد قالتى طلبها العاضد من نورالدين محمود قد لقيت صدى فى نفسه لادراك نورالدين محمود ان ثروة مصر ربطا يفيد منها الصليبيون خصوصا وانهم قد كشفوا مصر وعرفوها من حيث عرفها نورالدين محمود من ناحية الضعف والتفكك بالاضافة الى ان نورالدين محمود كانت فى قلبه من شاور حزارة لكونه غدر باسد الدين شيركوه واستنجد عليه بالصليبيين<sup>(٢)</sup> .

وهكذا توفر لنورالدين محمود واسد الدين شيركوه ما اطمعهم فى العودة اليها مرة اخرى ، فرغبة شيركوه الاكيدة فى العودة الى مصر والاستيلاء عليها اتفقت مع هدف نورالدين محمود فى القضاء على الخلافة الشيعية فى مصر التى طالما كان نورالدين محمود يلقي التأييد على ذلك من الخلافة العباسية السنية فى بغداد وذلك لتطويق الصليبيين فى بلاد الشام<sup>(٣)</sup> .

وعلى الرغم من توفر العوامل المساعدة على تسيير حملة جديدة الى مصر ، فان نورالدين محمود كان كارها لذلك ، خوفا من حادث يتجدد على المسلمين فيضعف الاسلام . الا ان اصرار اسد الدين شيركوه على السير الى مصر قد حرك همم نورالدين فى اعداد حملة جديدة بلغ عدد رجالها ألفى فارس مع مدد من الامراء كان فى مقدمتهم صلاح الدين الايوبي . وغادرت الحملة

( ١ ) ابوالمحاسن ، التجوّم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٧-٣٤٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٣٤ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١ ، ص ٣٦٣ ، ابن واصل ، مغرّج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ابن قاضى شهبه ، الكواكب الدرية ، ص ١٦٩ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٤ ، انظر سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، ص ٢٠٧ .

دمشق في ربيع الاول من سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م بقيادة اسد الدين شيركوه (١) . ولما كان اسد الدين شيركوه يخشى لقاء الصليبيين فقد سلك الطريق البرى وترك بلاد الصليبيين عن يمينه على الرغم من المتاعب التى تعرض لها . ودخل ارض مصر ولكنه لم يهاجم شاور بالقاهرة - لعلمه بمقدم الصليبيين - ولذلك فقد واصل سيوره حتى وصل اطفيج ثم عبر النيل ونزل بالجيزة مقابل القسطنطينية وعسكر بها (٢) .

أما شاور فانه لما علم بمقدم اسد الدين شيركوه الى مصر ، ارسل الى ملك بيت المقدس عمورى الاول يطلب منه النجدة ضد اسد الدين شيركوه فلم يتردد عمورى الاول فى اجابة شاور حيث اتى به جموعه من الصليبيين الى مصر على الصعب والذلول . فلما وصلوا الى مصر لقيهم شاور وانزلهم بالقاهرة ، وعلى الرغم من ان الصليبيين كانوا يطمعون فى السيطرة على مصر وابعد نورالدين محمود عنها ، فان عمورى الاول لم يكن متحمسا بدرجة كبيرة الى نجدة شاور بقدر ما كان يرغب فى الحصول على تمويزات مالية لتغطية خسارته فى هذه الحملة ، خصوصا وانه قد اوجس خيفة من شاور ، ولذلك فقد طلب عمورى من شاور الاتفاق على ما سيدفعه شاور لهم من المال قبل القيام باية عملية عسكرية ضد شيركوه ، فوافق شاور على ابرام اتفاق تمت

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ص ٣٢٤ ، ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٣٦٢ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ص ٢ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٥٠ .

( ٢ ) ابن المديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٣٢٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٥٠ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٣٧ .  
واطفيج : بلد بالصعيد الادنى من ارض مصر على شاطئ النيل الشرقى .  
انظر يا قوت . معجم البلدان .

بموجب ه الموافقة على اعطاء الصليبيين اربعمائة الف دينار يدفع النصف منها مقدما وما تبقى يؤدى فى موعد يجرى تحديده فيما بعد (١) .

أما اسد الدين شيركوه فقد مكث بالجيزة ما يقرب من خمسين يوما ينتظر ما عسى أن يقوم به الصليبيون وشاوره فلما علم ماتم عليه الاتفاق بين الصليبيين وشاور وما هم عليه من النثرة ، اختبر نوايا اصحابه لمعرفة ما يمكن ان يقدره موه اذا اشتبك مع الفاطميين والصليبيين . فعرف ان اكثر رجاله لا يرغبون فى اللقاء فى الوقت الذى اظهر فيه بعض رجاله ما يوافق هواه بالالتحام مع الصليبيين والفاطميين لا طمعا فى هزيمة العدو والاستيلاء على مصر ، وانما خوفهم من نور الدين محمود ان يجردهم من اقطاعاتهم فى بلاد الشام (٢) .

من هنا اختار اسد الدين شيركوه طريقا وسطا ، فلم يوافق الذين لا يرغبون فى اللقاء ويترغبون فى العودة الى الشام ولم يوافق القلة الذين يرغبون فى اللقاء خوفا على اقطاعاتهم فى بلاد الشام وسار بجيشه متجها الى الصعيد حتى وصل الى مكان يعرف بالبابين وفى اثره شاور والصليبيون ولحقوا به هناك فى جمادى الاخرة من سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م . ودارت بين الطرفين معركة عنيفة اسفرت عن هزيمة شاور والصليبيين ووقع عدد من الصليبيين فى الاسر ،

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٤ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٩-١٥٠ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٠٢-٦٠٣ ، الصرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٧٨-٦٧٩ .
- ( ٢ ) ابن العديم ، زبد القلح ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٤-٣٦٥ .



على الرغم من قلقه ساكر شيركوه وكثرة عدوه ، حتى قال ابن الاثير في هذا  
الصدر " وكان اعجب ما يؤرخ به ان ألفى فارس يهزم عسكر مصر وفرنسج  
الساحل " (١) .

لم يحاول اسد الدين شيركوه أن يفتنم هذه الفرصة ليعود الى  
القاهرة لمطاردة قلول الصليبيين والفاطمين ، بل اتجه شمالا صوب  
الاسكندرية التي وصفت بانها كانت مركز المعارضة للحكم الفاطمي لكثرة  
أنصار المذهب السنن بين سكانها . فما ان وصلها اسد الدين شيركوه  
حتى سلمها اهلها اليه " ليعلمهم الى مذهب السنة وكرهتهم لراى المصريين " ،  
فاستتاب بها ابن اخيه صلاح الدين الايوبي بينما عاد هو الى الصعيد  
بجزء من جيشه (٢) . ويبدو ان أسد الدين خاف من قيام الصليبيين  
وشاور بهجوم مباغت له ، ولذلك راى الا يحصر نفسه فى مكان ضيق ، يمكن  
معه القضاء عليه فى يسر وسهولة ، ورأى ان موارد الاسكندرية يمكن ان تنقطع  
فى حالة قيام الصليبيين وشاور بحصارها ، وهذا ما حصل فعلا . فبعد  
عودة الصليبيين وشاور الى القاهرة عقب وقعة البابين زحفوا نحو الاسكندرية ،  
وحاصروها برا ، فى الوقت الذى كان فيه الاسطول الصليبي قد شرع فى  
حصارها بحرا ، الامر الذى أجبر صلاح الدين الايوبي على طلب النجدة  
من عمه اسد الدين شيركوه ، فما كان من الاخير الا ان ترك الصعيد وعاد  
على وجه السرعة الى الاسكندرية نجدة لابن اخيه صلاح الدين الذى كان

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٣ .

( ٢ ) ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٥١ ، انظر رنسيان ، تاريخ

الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود

والصليبيون ، ص ١١٥ .

قد ظهر منه واهل الاسكندرية الصبر والمثابرة في حمايتها من السقوط بيد شاور والصليبيين (١) .

واخيرا استجاب كل من شيركوه والصليبيين لظروفه الخاصة ، فشيركوه الذى تفرقت عساكره بين الشمال والجنوب ، بالاضافة الى ما تعرض له رجاله في الاسكندرية من قلة الاقوات نتيجة للحصار الذى فرض عليهم اكثر من اربعة شهور ، قد استجاب لعقد الصلح حين عرض عليه من قبل الصليبيين الذين كانوا هم الاخرين قد منوا بخسائر فادحة في وقعة البابين . اما شروط الصلح التى اتفق عليها فتتضمن على : اولا رفع الحصار عن الاسكندرية واعادتها الى الفاطميين . ثانيا : يدفع شاور لاسد الدين شيركوه مبلغ خمسين الف دينار مضافا الى ما اخذه من البلاد التى استولى عليها . ثالثا : الا يقيم الصليبيون في البلاد المصرية ولا يملكوا فيها قرية واحدة . ولما تمت موافقة الطرفين على شروط الصلح عاد اسد الدين شيركوه وصالح الدين الى بلاد الشام فوصلها في ذى القعدة من سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م (٢) .

ولما كانت ميول شاور مع الصليبيين فانه بعد ان غادر شيركوه ارض مصر اتفق شاور معهم على ان يبقى لهم بالقاهرة شحنة او مندوبا ، وان تبقى لهم حامية صليبية في القاهرة لحراستها من نورالدين محمود ، وان يقدم شاور

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٦ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٧٠ ،

ابن العديم ، زبدة الحطب ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ ، ابن واصل ، مفسر الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١-١٥٢ ، العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٨١ ، جمال الدين سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٢٨ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٢٦-٣٢٧ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٦٦-٣٧٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١-١٥٢ ، حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ١١٦ .

للمصليين مبلغا وقدره مائة وستون ألف دينار كتعويض عن خسائريهم . هذا والخليفة المعاضد لا يعلم شيئا من الامور ، لان شاور قد حجب عليه ومنعه من الامور كلها (١) .

ومرة اخرى يمكن القول ان خروج اسد الدين شيركوه والمصليين من مصر جاء نتيجة خوف كل منهما من الاخر ، بالاضافة الى ان كلا منهما قد خرج من مصر بفكرة واحدة وهى ضعف مصر والرغبة فى الاستيلاء عليها . وما شجع المصليين على العودة الى مصر انهم حصلوا قبل عودتهم الى الشام سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م على امتيازات جعلت من مصر شبه محمية لهم . الا أن هذا دفع نورالدين محمود واسد الدين شيركوه معا الى التفكير جديا فى الاستيلاء عليها وفى ذلك يقول ابوشامة " وقد انضم الى قوة الطمع فى البلاد ، شدة الخوف عليها من الفرنج " (٢) .

وعلى ما يبدو فان شدة خوف نورالدين محمود على الديار المصرية من المصليين هو علمه بوجود حامية لهم بمصر ، تلك الحامية التى كانت قد ارسلت الى الملك عمورى الاول تستدعيه لدخول مصر . ولكن الملك عمورى الاول الذى وصفه ابن الاثير " بانه لم يكن ملك الفرنج منذ خرجوا الى الشام مثله شجاعة ومكرا ودهاء " ، رفض فى بادى الامر تلبية طلب

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٥٢ ، ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ١ ، ق ٤ ، ص ١٩ ، السيوطى ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٤ ، سعيد عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة المصليية ، ص ٢١٠ .

( ٢ ) ابوشامة ، الروشتين ، ج ١ ، ق ٢ ص ٣٦٧ .

الحامية الموجودة بمصر (١) . ولكن عموري عاد الى اجابة طلبهم حيث قالوا : " ان مصر لا مانع لها ولا حافظ والى ان يصل الخبر الى نورالدين محمود ويجهز الحساكر ويسيرهم اليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها ، وحينئذ يتمنى نورالدين من السلامة فلا يقدر عليها ، وكانوا قد عرفوا البلاد وانكشف لهم امرها فاجابهم الى ذلك على كره شديد " (٢) . ومما تجدر ملاحظته ان الطك عموري الاول رفض تلبية الدعوة في الدخول الى ارض مصر في بادئ الامر لانه كان قد تلقى من الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين في سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٢ م ما ينم عن رغبة الاخير في تقديم المساعدة للصليبيين والحصول على موضع قدم في ارض مصر . فمما كان من عموري الاول الا ان رد على الامبراطور البيزنطي يخبره عن رغبته في الحصول على مساعدات عسكرية والموافقة على اقتسام ارض مصر (٣) . ولكن الطك عموري الاول الذي وقع تحت ضغط كثير من رجاله لم ينتظر وصول نجدة الامبراطور البيزنطي ، بل تعجل بالمسير الى مصر حيث سار اليها على راس جيش كبير فنزل بلبيس واستولى عليها في صفر من سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ثم سار منها الى القاهرة طمعا منه في الاستيلاء عليها ، الا ان الصليبيين قد واجهوا موقفا صلبا اعجزهم عن الاستيلاء عليها ، وكان اهلها قد استسلموا في الدفاع عنها خوفا من

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٧ .

( ٢ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٧ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ،

ج ١١ ص ٣٣٥ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ق ٢ ص ٣٩٠ ، ابن

واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

( ٣ ) رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٢-٦١٣ ، سمييد

عاشور ، شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية ، ص ٢١١ .

التعرض للمصير الذى تعرض له اهل بلبيس (١) . وعلى أية حال فإن  
 سير الملك عمورى الى مصر دون انتظار لما كان قد وعد به من مساعدات  
 عسكرية من الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين ، كان فى صالح نورالدين  
 محمود ، اولاً لانه لن يسكت على مسيرهم الى مصر ، لما كان يعقده عليها  
 من امال فى تحقيق توحيد القوى الاسلامية فى الشام ومصر . ثانياً فبدلاً من  
 أنه كان سيواجه على ارض مصر الصليبيين والبيزنطيين فانه بعد هذه الخطوة  
 من جانب الصليبيين فلن يواجه سوى الصليبيين فقط (٢) .

أما شاور الذى لم يكن على علم بمقدم الصليبيين حتى وصلوا ارض مصر ،  
 فقد وقع فى موقف حرج امام رعاياه المصريين ، بسبب عدم قدرته على صد  
 العدوان ، ولذلك فقد امر باشعال النار فى الفسطاط بعد ان نقل أهلها  
 الى القاهرة (٣) . وعلى ما يبدو فقد كان شاور يهدف من وراء هذه  
 الخطوة الى حرمان الصليبيين من اموال وغنائم اهل الفسطاط بالاضافة  
 الى رغبته فى وقف اهل الفسطاط الى جانب سكان القاهرة للدفاع عنها ،  
 وقد فت ذلك فى عضد الصليبيين عن مواصلة السير قدماً (٤) .

وعلى الرغم من الخطوة التى اتخذها شاور فى صد الصليبيين عن  
 الفسطاط الا ان موقفه قد وصل حدامن الضعف والخوف ، فلجأ الى اعمال  
 الحيلة فى الامر ، وارسل الى الملك الصليبي عمورى ، وذكره بالمودة التى

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٧-١٣٨ ، ابن العديم ، زبدة  
 الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٧ ،  
 ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٠-٢١ ، سبط ابن  
 الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٧٥ .

( ٢ ) حسن هيشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ١٢٠ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٦ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
 ق ٢ ، ص ٣٩١ .

( ٤ ) انظر ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٠ ، ابن الفرات ،  
 تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٤ .

كانت بينهما ، وأوضح شاور انه على الرغم مما ارتكبه الصليبيون في بلبس فانه لا يزال على محبته له ، ولولا خوفه من نورالدين محمود والمصريين لسلم البلاد اليه . ولم يكتف شاور بهذا ، بل اقترح على نفسه بذل مائة الف دينار لعموري الاول وان يعقد بينهما صلحا ، فوافق عموري الاول على ذلك ، وطلب من شاور تعجيل بعض المال الذي تعهد بدفعه ، ففعل شاور واستقرت بينهما القاعدة على ذلك . وقال الصليبيون : " تأخذ المال فتقوى به وتعاود البلاد بقوة لانها لم يبق معها بنورالدين محمود " (١) .

شعر الخليفة العاضد - الذي لم يبق له من الخلافة سوى الاسم والخطبة على قول أبي المحاسن - بالمسئولية حين رأى ما تتعرض له مصر من حصار شديد من الصليبيين ، ومقام به شاور من احراق البلاد وارهاق الناس بلا طاقة لهم بدفعه من اجل ما تعهد به للصليبيين<sup>(٢)</sup> ، فارسل الى نورالدين محمود يستعين به ويصرفه ضعف المسلمين عن مقاومة الصليبيين . ولم يكتف العاضد بهذه الاستغاثة ، بل وعد نورالدين محمود بثلاث دخل بيت مال مصر ، وان يسمح لاسد الدين شيركوه بان يقيم نائباً عنه في مصر خلاف ما يستوجب لاسد الدين شيركوه وعساكره يكون خارجا عن الثلث المقرر لنورالدين محمود . ولم يتردد نورالدين محمود في تجهيز قوة عسكرية كبيرة بقيادة لاسد الدين شيركوه ، وابن اخيه صلاح الدين الايوبي . وزود الحملة

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٧ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٣٩١ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ١ ، ص ٤ ، ص ٢٥ .

( ٢ ) ابوالمحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ٣٥٠ .

بكل ما تحتاجه من الطل والثياب والدواب والاسلحة . ولما تكامل تجهيز الحملة في حلب بكل ما تحتاجه خرج بها نورالدين محمود الى دمشق فوصلت في نهاية شهر صفر من السنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م . وفي دمشق خرج نورالدين محمود لتوديع اسد الدين شيركوه الذي واصل مسيره الى القاهرة ، فوصلها في ربيع لثاني حيث رحب به المصريون والتفوا حوله ، مما اضطر شاير الى التنكر لما كان قد شرطه على نفسه للصليبيين من اموال . فلما لم يجد عموري ملك بيت المقدس ما كان يتوقعه من حلفائه الفاطميين ، أدرك فشله فعاد الى الشام يجران يال الخيبة (١) .

وهكذا نجح اسد الدين شيركوه في الوصول الى مصر التي فرح به اهله ، واجريت عليه الجرايات العظيمة والاقامات الوافرة ، واستطاع الاجتماع بالخليفة العاضد ، الذي خلع عليه خدعة الوزارة ولقبه بالملك المنصور في ربيع الاخر سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م مما زاد من هيئته في نظر اعدائه . (٢)

وعندما سمع نورالدين محمود بعودة الصليبيين الى بلاد الشام بدمشق امر بضرب البشائر في البلاد وحث رسله في الافاق ، بمشربين بخروج الصليبيين من مصر التي اعتبر نورالدين محمود فتحها فتحاً

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٨ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٣٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٣٩١-٣٩٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٢٩٩-٣٠٠ ، ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٨-٣٠ .

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٣٩٦-٣٩٧ .

جديدا وحفظا لسائر بلاد الشام وغيرها (١) .

أما شاور فقد كتم ما في نفسه من غيظ لاسد الدين شيركوه وحاول  
الايقاع بينه وبين الصليبيين ، حيث طلب منه اللحاق بهم قبل وصولهم الى  
بلاد الشام ، لاخاف ان انتقام من الصليبيين وانما بقصد ضرب الصليبيين  
بأسد الدين شيركوه ورجاله لضعافهما معا . غير ان اسد الدين شيركوه  
رفض هذه الفكرة وعدها نوعا من الجنون . وما زاد حنق شاور وغيظه  
لاسد الدين شيركوه ما علمه من ان هوى العاضد قد مال عنه الى شيركوه  
ولكنه لم يتجاسر على اظهار ما في نفسه من الغيظ ، لعلمه بعجزه عن مقاومة  
اسد الدين شيركوه ولذلك فقد اخذ يماطل فيما كان قد تقرر وذل لنورالدين  
محمود وعساكره وما كان قد وعد به الجند من اقطاعات . واخذ يتردد على  
اسد الدين شيركوه كل يوم وقد عزم على ان يقيم وليمة يدعو اليها شيركوه  
والامراء الذين معه ومن ثم يقبض عليهم ، غير ان ابنه الكامل بن شاور قد  
نهاه عن ذلك وقال : " والله لئن عزمت على هذا الامر لاعرفن شيركوه " فترك  
ما كان عزم عليه (٢) .

ولما لم يجد شاور سبيلا للنيل من اسد الدين شيركوه ارسل الى  
الصليبيين يستدعيهم مرة اخرى لمساعدته ولكن محاولته هذه باءت بالفشل  
فعاد يحمل على تدبير المؤامرات للقضاء على شيركوه وكبار رجاله . ولكن

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، ابن العديم ، زبدة  
الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦١ .



شيركوه عرف طبعته له شاور من خيانة وامر رجاله الذين صموا على قتله من  
الاقدام على هذه الخطوة . ولعل السبب في ذلك خوف شيركوه من قيام  
فتنة في مصر قد تؤدي الى اضعاف جهوده (١) . غير ان رجال شيركوه الذين  
أصبحوا على قناعة من ان شاور هو سبب فساد الديار المصرية ، القوا القبض  
عليه ، واحضروه الى شيركوه حيا ، فلما علم العاضد بالامر طلب من شيركوه  
قتله ، فقتله وانفذ راسه الى قصر الخليفة العاضد في ربيع الاخر سنة  
٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م (٢) . ومقتله انتهت حياة آخر وزير من الوزراء ، لفاطمييين  
الذين جلبوا على مصر الكثير من المتاعب ، ولم يعد للصليبيين في مصر من  
يناصرهم . ودخل شيركوه القاهرة في موكب عظيم بعد مقتل شاور وسمع منشور  
الوزارة الذي اعلنه العاضد ، ففرح به شيركوه غاية لفرح ، ومضى الى دار الخلافة  
ولكن وزارة شيركوه للعاضد الخليفة الفاطمي لم تستمر سوى شهرين وخمسة ايام ،  
حيث توفي في شهر جمادى الاخر سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م ، وخلفه ابن اخيه  
صلاح الدين الايوبي . (٣)

- 
- (١) ابن الاثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٣٩ - ٣٤٠، ابن واصل، مفرج  
الكروب، ج ١، ص ١٦١، سعيد عاشور، الحركة الصليبية،  
ج ٣، ص ٦٩٩-٧٠٠.
- (٢) ابن الاثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٤٠، ابن واصل، مفرج الكروب، ج ١،  
ص ١٦١-١٦٢.
- (٣) ابن الاثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٤٠، ابوشامة، الروضتين، ج ١،  
ق ٢، ص ٤٣٦، ٤٣٨، المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٣٠٥،  
ابن اييك، كنز الدرر، ج ٧، ص ٣٦، العريفي، الشرق الاوسط  
والحروب الصليبية، ج ١، ص ٧٠٥، وقد اورد ابوالمحاسن، النجوم  
الزاهرة، ج ٥، ص ٣٥٣، نصا لمنشور الوزارة الذي تلى على  
شيركوه .

ومما هو جدير بالملاحظة في وزارة شيركوه للخليفة الفاطمي العاضد ، ان نورالدين محمود الذي كان قد فرح فرحا شديدا بخروج الصليبيين من مصر ودخول اسد الدين شيركوه اليها ، قد كره تولي شيركوه لهذا المنصب ولم يستطع ان يخفى ذلك على اصحابه حيث ظهر على صفحات وجهه — وفلتات لسانه . وقد برر ذلك ابوشامة ، حيث يقول : " وانما اقلقته ذلك كون اسد الدين وزير للعاضد فخاف من ميله الى القوم والى مذهبهم ، وان يفسد جنده عليه بذلك السبب " (١) .

اما عن وزارة صلاح الدين الايوبي للخليفة العاضد ، فقد تولاها — عقب وفاة عمه اسد الدين شيركوه سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م على غير رغبة — من الامراء النورية الذين كانوا مع اسد الدين شيركوه في مصر ، بينما مالت الامراء الاسديون الى صلاح الدين ، الا ان رغبة وموافقة الخليفة العاضد على تولية صلاح الدين الايوبي ، قد حسمت الموقف حين احضر صلاح الدين وقلده الوزارة ولقبه بالطك الناصر في الخامس والعشرين من شهر جمادى الاخرة سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م ، ظنا من الخليفة العاضد الفاطمي ان صلاح الدين سيكون تحت سيطرته . لكن صلاح الدين لم يكد يتولى الوزارة ، حتى خيب آمال الخليفة العاضد ، والامراء الذين كانوا يكرهونه (٢) .

( ١ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٣٧ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٤٤٣ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، البنداري ، سناء البرق الشامى ، ج ١ ، ص ٨١ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٤٣ .

وعلى أية حال فان صلاح الدين قد تقلد وزارة العاضد كئائب عن نور الدين محمود في مصر ، وصارت الخطبة في مصر للخليفة العاضد ، ومن بعده نور الدين فصلاح الدين . ولم ينظر نور الدين محمود الى صلاح الدين على انه اعلى مرتبة من الامراء النورية الذين كانوا بمصر ، حتى أن نور الدين محمود لم يفرد في أى مكتبة من المكاتب التي كان يبعث بها اليه بمصر ، بل كان يكتب اليه بمصر مع جملة من الامراء . (١)

ولما كان كثير من الامراء النورية قد غادروا ارض مصر ضل بنفوسهم عن خدمة صلاح الدين الايوبي ، فقد استغل هو الآخر شعور المصريين الذين احبوه فامر بالغاء المكوس الفاطمية التي كانت مفروضة عليهم . ولعل ما زاد الناس حبا له وتعلقا به ، ما قام به من تأسيس المدارس وتحصين المدن والموانى (٢) . على الرغم من هذا فقد كانت هناك بعض العناصر التي استاءت من سياسة صلاح الدين الايوبي وما يقوم به في ارض مصر ، فقام الطواشي المعروف باسم مؤتمن الخلافة بالاتصال بالصليبيين ، وطلب منهم مهاجمة مصر ، الا ان صلاح الدين استطاع ان يكتشف هذه المؤامرة قبل تدبيرها في اواخر سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م وقبض على زعيم هذه المؤامرة وعلى أتباعه من السودان بحيث لم يبق منهم الا القليل (٣) .

- 
- (١) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٣ .  
 (٢) ابن الاثير ، الكامل ، ص ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤٤٣ ، ٤٥٦ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص ٤١ - ٤٣ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢٧٩ .  
 (٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٧٦ - ١٧٨ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، رنسيطان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٢١ ، ومؤتمن الخلافة كان احد خصي القصر الفاطمي ومن المتحكمين فيه ، قيل ان اسمه جوهر ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤٥٠ .

أما عن موقف صلاح الدين الايوبي - نائب نورالدين محمود في مصر - من الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين فانه لم يتهاون في أمره - على الرغم من انه وزير لخليفة مصر ، وما يتطلبه هذا المنصب من مداراة الاعداء المحدثين به - لأنه يعتبر نفسه قائدا لجيوش نورالدين محمود في مصر ، ذلك البطل الذي أخذ على عاتقه مهمة الجهاد الاسلامي واخراج الصليبيين من مصر . ولما كان الصليبيون قد عجزوا عن الحصول على موطي\* قدم بمصر ، فقد شعروا بالخطر المحدث بهم من الشمال والجنوب وعزفوا عجزهم عن اخراج جيش نورالدين محمود من مصر ، مما اضطرهم الى ارسال سفارات الى ملوك اوربا والامبراطور البيزنطي لطلب المعونة العسكرية لاجراج جيش نورالدين محمود من مصر (١) .

لم يستطع ملوك اوربا تقديم اية مساعدة لعموري الاول ملك بيت المقدس نظرا للخلافات والمنازعات التي كانت قائمة بينهم (٢) . اما الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، فقد اغتنم فرصة استنجد الملك عموري به قلبسى الدعوة بهدف تحقيق ما كان يصبوا اليه من رغبة في الحصول على جزء من ارض مصر . خصوصا وانه عرف ان عموري الاول ملك بيت المقدس لم يفقد الامل في استرداد مصر . فأمد الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين الصليبيين في الشام بالمساعدات الكثيرة سواء من المال والرجال والعتاد ، وهذا على ما يبدو ما عناه ابن الاثير حين قال : " فأمدوهم بالمال والرجال والسلاح " (٣) .

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٥١ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٣ ، المقرئى ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣١٥ ، رنسيما ، تاريخ الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٢٠-٦٢١ .

(٢) انظر حسن حبشى ، نورالدين محمود والصليبيون ، ص ١٣٥ .

(٣) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٣ .

ولم يكتف الا امبراطور البيزنطى بما ارسله من المساعدات ، بل وجد الفرصة سانحة لتحقيق اطماعه فى مصر والشام والنيل من نورالدين محمود وجهوشه فى مصر التى وضعت الصليبيين بين شقى الرمح ، فاعد حملة بحرية وصلت الى صور فى اواخر سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م حيث قابل رجالها ملك بيت المقدس عمورى الاول وجرى بينهم الاتفاق على المسير الى مصر حيث يقول ابن الاثير : " واتعدوا للنزول على دمياط ظنا منهم انهم يملكونها ويتخذونها ظهرا يملكون به ديار مصر " (١) .

ولما تم الاتفاق بين الصليبيين والبيزنطيين ، سار الالهطول البيزنطى من صور الى عكا فى اواخر سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م ومنها واصل مسيره الى دمياط فوصلها فى صفر سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م . فى الوقت الذى سار فيه عمورى ملك بيت المقدس عن طريق الساحل حتى بلغ الفرما ومنها واصل سيره الى دمياط بواسطة السفن البيزنطية . وكان الصليبيون والبيزنطيون قد اختاروا النزول على دمياط لسهولة وصول القاصد اليها من البر والبحر ، ولعلمهم انه اذا تم لهم الاستيلاء عليها حصل لهم مفرس قدم ياؤون اليه (٢) .

---

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٣ .

ودمياط : مدينة قد يمتدح بين تنيس ومصر بين البحر المتوسط ونهر النيل وصفها ياقوت بانها شجر من ثغور الاسلام . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٥١ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٣ ، ابوشامة ، الروشتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٥٢ ، ابن واصل ، مفرج الكرب ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، رنسيان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٢٣ . والفرما : مدينة على ساحل البحر المتوسط من ناحية مصر بها حصن على ضفة البحر . انظر ياقوت ، معجم البلدان .

أما صلاح الدين الأيوبي فلم يقف مكتوف الأيدي تجاه ما يجري فـسـى  
دمياط من الصليبيين والبيزنطيين . ولذلك فقد جهز حملة عسكرية كبيرة ،  
بقيادة قطب الدين خسروالهنداني ، وكان مقداما مقدما في جيش صلاح  
الدين الأيوبي وأمره بالمسير إلى دمياط بعد أن زوده بالمال والسلاح  
والرجال مع ما كان قبله من قوات عسكرية بقيادة ابن أخيه تقي الدين عمر ،  
وخاله شهاب الدين محمود الحارثي (١) . أما صلاح الدين فلم يخرج إلى  
دمياط بل ظل في القاهرة ولعل سبب عدم خروجه إلى دمياط خوفا من  
انقلاب يقوم به بعض خصومه الكارهين له ، ولذلك أرسل إلى نورالدين  
محمود يقول : " إن تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج ، وإن سرت إليها  
خلفني المصريون في أهلها وأموالها بالشر ، وخرجوا عن طاعتك وساروا في أثرى ،  
والفرنج من أمانى ، فلا يبقى لنا باقية ، فسير نورالدين المعسكر إليه أرسلالا  
يتلو بعضها بعضا ، ثم سار هو بنفسه إلى بلاد الفرنج الشامية فنهبها وأغار  
عليها ، واستباحها ، فوصلت الغارات إلى ما لم تكن تبغله من قبل " (٢) . ونتيجة  
لتضافر جهود نورالدين - تلك الجهود التي تمثلت في المساعدات والامدادات  
التي أرسلها لصلاح الدين ، وما قام به من غزو الصليبيين في بلاد الشام  
ونزوله على الكرك محاصرا له - مع ما قام به صلاح الدين الأيوبي من امدادات  
عسكرية متواصلة ، أجبرت الصليبيين والبيزنطيين على التراجع عن دمياط (٣) .

(١) أبوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤٥٩ .  
(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ ، انظر أبوشامة ، الروضتين

ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤٤٩ .  
(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٤٤ ، أبوشامة ، الروضتين ، ج ١ ،  
ص ٢ ، ص ٤٥٨ ، ص ٤٦٠ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣١٦ .  
والكرك : قلعة حصينة في طرف بلاد الشام على جبل عال بين ايلة والبحر  
الأحمر هيت المقدس . انظر يا قوت . معجم البلدان .

وقد احسن ابن الاثير الوصف حين وصف الصليبيين والبيزنطيين بالنعامة التي خرجت تطلب قرنهم فعادت بلا أنين (١) .

سر نور الدين محمود والمسلمون بهذا النصر الذي منحهم الله اياه على الصليبيين والبيزنطيين في مصر وارسل الى الخليفة العاضد يهنئه برحيل الصليبيين والبيزنطيين عن مـــــــــــــر ، ويثنى على الاتراك ، الذين كان العاضد قد شك اليه شدة وطأتهم بالقاهرة ، ويعلمه " انه لما ارسلهم واعتمد عليهم الا لعلمه بان قنطاريات الفرنج ليس لها الا سهام الاتراك وان الفرنج لا يرغبون الا منهم ولولا هم ل زاد طمعهم في الديار المصرية وتحصلوا منها على الامنية " (٢) .

الواقع ان عودة الصليبيين والبيزنطيين سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م خائبين في الامر الذي قصدوا ، لم يقتصر على ما لحق بهم من اضرار جسيمة في الاموال والارواح ، بل تعدى ذلك الى انه وضع الصليبيين حقيقة بين شقى الرعى وقطع الامل عليهم في العودة الى مصر زمنا طويلا . فصلاح الدين الايوبي

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٥٢ .

( ٢ ) ابوشامة ، الروشتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٠ ، والقنطاريات : جمع قنطارية ، وهو نوع من السلاح على شكل رمح ، يصنع من الخشب . ويعرف باليونانية باسم Kontariou انظر ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، حاشية رقم ٢ .

J

لم تشغله الاوضاع الجديدة في مصر عن سد الثلثة التي اشغلت نورالدين  
محمود سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م في الموصل عن مواصلة الجهاد ، تلك  
السنة ، فقد خرج صلاح الدين الايوبي على رأس قوة عسكرية كبيرة ، هاجم  
بها الطرف الجنوبي لمملكة بيت المقدس . فأغار على عسقلان والرملة ، وحصن  
الداروم ، المواقع في أقصى الجنوب على ساحل البحر المتوسط ، وهجم  
على ريش غزة ونهبه . وهناك صافى الملك الصليبي عموري الاول الذي  
سار الى هذه البلاد بقصد طرد صلاح الدين ، ونشبت بينهما معركة اشرف  
فيها عموري على ان يقع اسيرا في يد صلاح الدين ، الا ان كلا منهما عاد  
الى بلاده . ولم يكف صلاح الدين الايوبي بهذه الخطوة الجريئة فسـ  
التوغل في ارض الصليبيين ، بل امر بعد عودته الى مصر بعمـل  
مراكب بحرية حطها على الجبال في البر حتى وصل بها الى أيلة ،  
فجمع قطع المراكب والقايا في البحر ، وحصر ايلة برا وبحرا حتى فتحها  
في ربيع الاخر سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠م " واستباح اهلها وما فيها وعاد  
الى مصر " في السادس والعشرين من جمادى الاولى من تلك السنة (١) .

محمد أن أتم نور الدين محمود استكمال توحيد القوى الإسلامية  
في الشام والجزيرة بالاستيلاء على الموصل سنة ٥٦٦هـ / ١١٢٠م عقب

(١) ابن الاثير، الكامل، ج ١١، ص ٣٦٥، انظر ابن واصل، مفرج  
الكروب، ج ١، ص ١٩٩، ابوشامة، الروضتين، ج ١، ق ٢، ص  
٤٨٦، المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٣٢٠، رنسيان،  
تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٦٣١.



وفاة أخيه قطب الدين مودود شرع في ضم مصر الى حظيرة الخلافة العباسية وذلك بسبب الحاج الخليفة العباسي المستنجد بالله سنة ٥٦٥هـ / ١١٦٩م بالاسراع في اعلان الخطبة العباسية بمصر . ولذلك فقد ارسل نورالدين محمود الى صلاح الدين بمصر يخبره برغبته في الاطاحة بالخلافة الفاطمية الشيعية . وقد عبر عن سبب رغبته هذه بقوله : " وهذا امر تجب المبادرة اليه لنحظى بهذه الفضيلة الجليلة والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحشور الفوت ، لاسيما وامام الوقت متطلع الى ذلك بكلية وهو عنده من اهم امنيته " (١) . ولكن صلاح الدين الذي لم يكن اقل تحمسا من سيده نورالدين تردد في الاسراع بخلع العاغد خوفا من ان يصادف ذلك مقاومة داخلية في مصر ، ولذلك فقد سار بخطى بطيئة في الاطاحة بالخليفة العاغد واعادة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية . فبدأ بتكوين جيش خاص يعتمد عليه لافى جهاد الصليبيين فحسب ، بل وفي القضاء على الفتن الداخلية ، كما سعى الى عزل قضاة مصر الشيعة ، وعين مكانهم قضاة شافعية (٢) . كما سعى الى نقى ما كان بيد الفاطميين من الاقطاعات ومنحها لمساكره الشافعيين ، ليزيد من ولائهم له في المستقبل (٣) . كما سعى الى ابطال المكوس والمظالم التي كانت تؤخذ من الناس وما كان يفرض على الحجاج من الضرائب ، كما غير بعض الدورات التي كانت سجوننا الى مدارس لاشافعية والمالكية وقطع من الاذان " حتى على غير العمل " وشرع

( ١ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٤٦٥-٤٦٦ .

( ٢ ) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، حوادث سنة ٥٦٥ هـ ، المقرئى ، الخطوط ، ج ١ ، ص ٣٥٨ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٦ .

فى تمهيد اسباب الخطبة لبنى العباس ، فاندرس بذلك مذهب الاسماعيليه بالكليه من الديار المصرية ، ولم يبق احد من اهل البلاد يمكنه التظاهر به (١) . ومع ذلك فان صلاح الدين لم يستجب لامر نورالدين محمود وظل متخوفا من الاقدام على اسقاط الخلافة الفاطمية فى مصر ، معتذرا لنورالدين محمود فى ذلك بخوفه من ان يثور عليه الفاطميون الذين يميلون الى المذهب العلوى . ولكن يبدو ان سبب تخوف صلاح الدين من الاقدام على هذه الخطوة الكبيرة هو حرصه على ابقاء الخلافة الفاطمية فى صورتها الشكلية لاحساس صلاح الدين بتغير شعور نورالدين محمود نحوه فاراد ان يكون العاضد الى جانبه حتى اذا قصد نورالدين محمود امتنع عنه بالعاضد وماهل مصر (٢) . الا ان نورالدين محمود لم يصغ الى اعدار صلاح الدين بل شدد عليه فى سرعة الاطاحة بالفاطميين " والزمه الزاما لافسحة فيه " ولا موجب لمخالفته (٣) .

واخيرا تجمع عند صلاح الدين الايوس من الاسباب ما جعله يوافق على اعلان الخطبة فى القاهرة باسم المستنصر ، بأمر الله ، وبعد ان خلعت مصر من معاند ومناذب . فلما كانت اول جمعة من المحرم سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م

- 
- ( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، انظر ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٨٦ ، ابن واصل ، مفج الكروب ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ ، ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٣١-٣٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، سعييد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٩٧ .
- ( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .
- ( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٦٨-٣٦٩ ، انظر ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ ، ابن العبري ، مختصر الدول ، ص ٢١٥ .

دعى للمستضى بأمر الله على منابر القاهرة . ولما كانت الجمعة الثانية  
أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة المعاضد وإقامة الخطبة  
للمستضى بأمر الله العباسي ففعلوا ذلك " ولم ينتظح فيها عنزان " (١) .  
هذا في الوقت الذي كان فيه الخليفة المعاضد قد اشتد به مرضه ، ولم يخبره  
أحد من أهله بما فعله صلاح الدين الأيوبي وقالوا : " ان عوفى فهو يعلم ،  
وان توفي فلا ينبغى ان نجعله بمثل هذه الحادثة " . فمات بعد ثلاثة  
ايام من اعلان الخطبة العباسية في القاهرة في العاشر من المحرم سنة  
٥٦٧ هـ / ١١٧١ م . وصوت المعاضد انقرضت الدولة الفاطمية بمصر بعد  
قرنين من الزمان (٢) .

ولما تم لصلاح الدين تنفيذ مطالب نورالدين محمود في الاطاحنة  
بالفاطمين سير المبشرين الى بلاد الشام لاجبار نورالدين محمود . فلما  
وردت البشائر على نورالدين محمود بد شق سر بذلك سرورا عظيما وكتب  
الى سائر الاطراف بالبشارة ، وندب القاضي شهاب الدين بن ابي عصرون  
بهذه البشيرة العظيمة الى بغداد فوصل اليها في اواخر شهر المحرم  
من السنة نفسها ، فظهر في بغداد من الفرح والسرور ما لا حد له ، فرد  
الخليفة العباسي المستضى بأمر الله من جانبه بارسال الخليفة

---

( ١ ) ابن الاثير ، الباهر ، ص ١٥٦ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ،  
ص ٣٦٩ ، ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٩٣ ، المقرئ ،  
السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٤ ، العريني ، الشرق الاوسط  
والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٢٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ،  
ج ٢ ، ص ٦٩٩ .

( ٢ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٣٦٩ ، انظر ابن الاثير ، التاريخ  
الباهر ، ص ١٥٦ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، ابن  
كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢٦٤-٢٦٥ ، ابن ظهير ،  
الفضائل الباهرة ، ص ٤٢ .

والتشريفات والاعلام السود الى نورالدين محمود وصلاح الدين الايوبي ،  
وللخطباء بالديار المصرية (١) .

وفي الحقيقة فان عودة مصر الى حظيرة الخلافة العباسية أعادت  
للعالم الاسلامي وحدته المذهبية ، وغدت خلافة بغداد السنية هي  
السلطة الوحيدة التي يدين لها المسلمون بالولاء المذهبي ، وعادت  
للمسلمين وحدتهم بعد ان طال الشقاق بينهم زمنا طويلا ، وصاروا يدا  
واحدة لمواجهة الصليبيين (٢) .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الصليبيين الذين كانوا يظنون انه لابقاء  
لهم بالشام بعد ان عادت للعالم الاسلامي وحدته المذهبية ، اصبحوا  
في منأى عن الخطر الذي كانوا يتوقعونه من نورالدين وصلاح الدين ، وذلك  
بسبب تجدد الخلاف السياسي بينهما وهو ما عبر عنه المؤرخون كابن الاثير  
وابن واصل بالوحشة بين نورالدين وصلاح الدين (٣) . ويبدو ان اسباب  
هذه الوحشة هي اختلاف وجهات النظر بين نورالدين وصلاح الدين ،  
فنورالدين محمود اعتبر ان بلاد الشام الموضع الاساسي الذي يجب ان تجرى

---

( ١ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٧١ ، ابن الاثير ، التاريخ الباهر ،  
ص ١٥٦ ، البنداري ، سنا البرق الشامي ، ج ١ ، ص ١١٥-١١٦ ،  
المقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٤٧ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء  
ص ٤٥٥ .

( ٢ ) انظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ ، سعيد عاشور ،  
مصر والشام زمن الايوبيين والمماليك ، ص ٢٨-٢٩ ، ارنست باركر ،  
الحروب الصليبية ، ص ٧٩ .

( ٣ ) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٧٢-٣٧١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ،  
ج ١ ، ص ٢٢١ .

على ارضه منازل الصليبيين ، وان مصر يجب ان تكون مصدر الدخل الذى يسد نفقات الجهاد فى الوقت الذى يرى فيه صلاح الدين باطنا انه لابد من تكوين قوة عسكرية فى مصر لتكون مركز الانطلاق الثانى فى مواجهة الصليبيين (١) .

وكان مبدأ الوحشة بينهما سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، وفى تلك السنة ارسل نورالدين محمود الى صلاح الدين يأمره باعداد حملة عسكرية والمسير بها الى الصليبيين فى بلاد الشام ، وقد حدد نورالدين محمود لصلاح الدين المكان الذى يجب محاصرته وهو حصن الكرك ، واخبر نورالدين محمود صلاح الدين بانه سيعمد حملة عسكرية من قبله بقصد الاجتماع هناك على حرب الصليبيين والاستيلاء على بلادهم (٢) . ولما لم يقتطع صلاح الدين رفض ماطلبه منه نورالدين محمود ، فقد برز فى العشرين من محرم سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ، واخبر نورالدين محمود بذلك . فلما اتى الخبر الى نورالدين وهو بدمشق رحل عنها الى الكرك ، واقام هناك ينتظر صلاح الدين . وبينما هو على هذه الحال أتاه كتاب صلاح الدين يعتذر فيه عن الوصول اليه بسبب اختلاف الاوضاع الداخلية بمصر " وانه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد اليها " (٣) . ولكن نورالدين محمود لم يقبل عذر صلاح الدين هذا وعده من باب الاهمال فى جهاد الصليبيين ، وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين منها . فلما بلغ صلاح الدين الايوس ما عزم عليه نورالدين محمود

( ١ ) العرينى ، الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٢٧-٧٢٨ .

( ٢ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥١٨ .

( ٣ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٨ .

جمع اهله وكبار رجاله واستشارهم في الامر ، فمنهم من اشار عليه بالوقوف في وجه نورالدين محمود اذا قدم الى مصر ، ومنهم من اشار عليه بضده ، والتقرب الى نورالدين محمود ، ومنهم والده نجم الدين ايوب وخاله شهاب الدين الحارثي ، حيث قالوا له : " فاذا سمع نورالدين انك عازم على منعه عن البلاد جعلك اهم اموره واولاها بالقصد " ، وطلبنا من صلاح الدين أن يكتب الى نورالدين محمود ففعل ما اشارا به عليه " فلما رأى نورالدين الامر هكذا عدل عن قصده " (١) .

وعلى اية حال فان صلاح الدين قد وعد نورالدين محمود على لسان مندوبه الذي ارسله الى دمشق سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م بغزو الصليبيين — " فاستقرت القاعدة بينهما ان صلاح الدين يخرج من مصر ويسير نورالدين محمود من دمشق " . فلما استقرت بينهما القاعدة خرج صلاح الدين فسي شوال من سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م وقصد بلاد الصليبيين فوصل الى الكرك وحاصره . وعند ما سمع صلاح الدين بان نورالدين وصل الى قريب من الكرك ساورتها الشكوك منه وخافه هو وجميع اهله ، واتفق رأيهم على العودة الى مصر وترك الاجتماع بنورالدين خوفا منه . فلما عاد صلاح الدين الى مصر ، أرسل الى نورالدين يوضح له عن سبب رحيله عن الكرك وعودته الى مصر — بانه كان قد استخلف اباها على البلاد ، وانه مريض ويخاف ان يحدث على والده حادث الموت ، فتخرج البلاد عن ايديهم . ولكن نورالدين محمود عظم عليه ذلك ، وعلم المراد من العود ، الا انه لم يظهر لرسول صلاح الدين

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ١٥٩ ، انظر ابوشامة ، الروشتين ،

ج ١ ، ص ٥١٨ - ٥١٩ .

( ٢ ) المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

تأثره بل قال له : " حفظ مصر أهم عندنا من غيرها " (١) .

هكذا أدت عودة صلاح الدين للمرة الثانية عن الكرك دون الاجتماع بنورالدين اوعلى الاقل حصار الصليبيين حسب الاتفاق الذى كان قد تم بينه وبين نورالدين محمود الى بعد الشقة بين الطرفين . فلما كانت سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م عزم نورالدين محمود على السير الى مصر لانتزاعها من يد صلاح الدين ، فأرسل الى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر ليرتكبها مع ابن اخيه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود فى بلاد الشام لحمايتها من الصليبيين ، ويسير هو الى مصر . الا ان نورالدين محمود قد توفى قبل مسيره الى مصر تلك السنة ٥٦٩ هـ / مايو ١١٧٤ م وبذلك صار الميدان خاليا لصلاح الدين (٢) .

وكان على صلاح الدين أن يسير قدما على طريق عماد الدين زنكى ونورالدين محمود فى توحيد الجبهة الاسلامية والجهاد ضد الصليبيين وقد اصاب المؤرخ ابوشامة عندما قال : " ولو علم نورالدين ما ادخره الله تعالى للاسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده ، لقرت عينه فانه بنى على ما أسسه نورالدين محمود من جهاد المشركين ، وقام بذلك على اكمل الوجوه واتمها " (٣) .

...

( ١ ) ابن الاثير والكامل ، ج ١١ ، ص ٣٩٢-٣٩٣ .

( ٢ ) ابن الاثير والتاريخ الباهر ، ص ١٦١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب

ج ٢ ، ص ٣٤٠ ، المقرئ ، السلوك ، ج ١ ق ١ ، ص ٥٥ ، سعيد

عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧١١ ، سعيد عاشور ، مصر

والشام ، زمن الايوبيين والمماليك ، ص ٢٩ .

( ٣ ) ابوشامة ، الروضتين ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ٥٥٩ .

الحياة



## (( الخاتمة ))

بفضل من الله وتوفيقه انتهى موضوع الرسالة التي قامت بدراسة حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة في عصر الاسرة الزنكية . وقد توصلت الدراسة الى كثير من الحقائق التاريخية ، يأتي في مقدمتها ان من اسباب نجاح الصليبيين في تأسيس اماراتهم الاربع في بلاد الشام والجزيرة هو عدم فهم المسلمين في تلك البلاد لطبيعة الحركة الصليبية في مبدأ أمرها وان مما ساعد على سوء هذا انشغال السلاجقة - بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م - بالفتن والمؤامرات والتنافس على النفوذ في بلاد الشام والجزيرة ، اضافة الى انهيار نفوذ القبائل العربية التي كانت تشكل معظم القوة الضاربة في بلاد الشام ، تلك القبائل التي لم تعد تهتم في مبدأ وصول الصليبيين الى بلاد الشام باى غزو جديد طالما وقد فقدت نفوذها السياسى في الشام والجزيرة لحساب الاتراك السلاجقة . ويضاف الى ذلك ان النزاع المذهبى بين السنة والشيعة في بلاد الشام كان من المواقف التي أعمت زعماء السلاجقة والفاطميين عن الوقوف صفا واحدا في وجه الغزو الصليبي .

كما برهنت الدراسة على أن طائفة الاسماعيلية أو الباطنية كانت عائقا قويا امام حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين بما اقدمت عليه هذه الطائفة المارقة من قتل واغتيال زعماء المسلمين الذين اخذوا على عاتقهم بعث فكرة الجهاد الاسلامي وحمل راية لوائه ضد الصليبيين ، أمثال شرف الدولة مودود صاحب الموصل سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م وأقسنقر

البرسقى صاحب الموصل سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م .

وأوضحت الدراسة أن الخلافة العباسية التي كانت تمثل رمز وحدة المسلمين السنيين في ذلك الوقت كانت محط انظار المسلمين في الشام والجزيرة ، بدليل الاستفاثات التي انطلقت تباعا من بلاد الشام الى بغداد مطالبة باسترداد بيت المقدس من براثن الصليبيين وحماية لمسلمين الذين تعرضوا لمذابحهم . غير أن الخلافة رغم ذلك ، ورغم مكانتها الروحية لم تكن تملك من الامكانيات المادية والطاقات البشرية والعسكرية ما يجعلها تبادر الى نجدة المسلمين وتحرير مقدساتهم . لذلك كانت الخلافة تحيل تلك الاستفاثات الى سلاطين السلاجقة ، ذوي القدرات العسكرية . وتجدر الاشارة هنا الى أن الخليفة العباسي المسترشد بالله بذل جهودا كبيرة للنهوض بالخلافة العباسية واعادتها الى مكانتها اللائقة بها في نفوس المسلمين ، غير انه ذهب ضحية محاولاته على يد السلاجقة ومن يدور في فلكهم .

ومن الحقائق التاريخية التي توصلت اليها الدراسة ان الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر وعلى راسها الوزير الافضل بن بدر الجمالي لم تفهم طبيعة الحركة الصليبية شأنها في ذلك شأن بقية القوى الاسلامية ، مما دعى هذا الوزير الى الاتصال بالصليبيين في محاولة منه على اقتسام بلاد الشام مع الصليبيين ولم تشعر الخلافة الفاطمية بخطر الصليبيين وحقيقة أهدافهم الا بعد فوات الاوان ، الامر الذي أدى الى فشل جميع المحاولات التي بذلها الافضل في سبيل وقف الزحف الصليبي على بلاد الشام . وفقدت

الخلافة الفاطمية جميع معاقلها ومدنها وموانئها في سواحل بلاد الشام لحساب الصليبيين . كما ان الانقسام المذهبي بين الفاطميين وبقية القوى الاسلامية في بلاد الشام والعراق حال كما سبق ذكره دون قيام تحالف اسلامي بين الجانبين للوقوف في وجه الصليبيين صفا واحدا .

وأوضحت الدراسة والدلائل التاريخية ان فكرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين قد انبثقت لأول مرة من منطقة الجزيرة دون سواها من بلدان الشرق الاسلامي ، لأسباب كثيرة منها ان التركمان اصبحوا في تلك الفترة يشكلون السواد الاعظم لجيوش الامراء المسلمين في منطقة الجزيرة مع ما عرف عنهم من البراعة والفروسية والحساس الديني . بالاضافة الى أن منطقة الجزيرة تعرضت قبل غيرها للخطر الصليبي عندما تأسست بها اولى الامارات الصليبية وهي امارة الرها الصليبية وما اشتهرت به الجزيرة من موارد اقتصادية ضخمة ساعدت على مد المجاهدين بكل متطلبات القتال .

وأثبتت الدراسة ان اطماع الصليبيين في بلاد الشام لم تقتصر عند حد تأسيس اماراتهم الصليبية في الرها وانطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس ، بل امتدت اطماعهم الى التوسع في بلاد المسلمين . وما يدل على ذلك محاولتهم الفاشلة في الاستيلاء على حران سنة ٤٩٢هـ / ١١٠٣ م ، بهدف السيطرة على كل منطقة الجزيرة والعراق . ومحاولاتهم المتكررة للاستيلاء على حلب ودمشق . وقد أدت تلك الاطماع التوسعية للصليبيين الى بحث حركة الجهاد الاسلامي بعد ان شعر المسلمون بمدى الخطر الذي شكله الوجود الصليبي في بلاد الشام والجزيرة .

وأوضحت الدراسة ايضا انه قد ظهر قبل عماد الدين زنكى العديد من القادة الذين عملوا على احياء فريضة الجهاد الاسلامى فى نفوس المسلمين وعلى رأس اولئك القادة جكرمش صاحب الموصل ، وسقمان بن أرتق ، اللذان استطاعا احباط اطماع الصليبيين عند حران سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٣م عندما حاولوا التوسع فى منطقة الجزيرة .

كما برهنت الدراسة على ان القائد التركمانى شرف الدولة مودود بن التونتكين كان على ما يبدوا اول زعيم ادرك اهمية توحيد القوى الاسلامية فى الجزيرة والشام ضد الصليبيين . ومن اجل ذلك عمل جاهدا على تحقيق ذلك الهدف وحاول الاستيلاء على الرها فى سنة ٥١٠هـ / ١١٠٦م ومقارعة الصليبيين فى وسط بلاد الشام سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م . كما عمل نجم الدين ايلغازى فى سبيل توحيد القوى الاسلامية بالاستيلاء على حلب واتخاذها اياها مركزا انطلاقا ضد الصليبيين .

وبرهنت الدراسة على ان عماد الدين زنكى نشأ وترى فى مجتمع عسكرى اخذت فيه فكرة الجهاد ضد الصليبيين تنمو بفضل ملازمته اولئك القادة امثال جكرمش ، ومودود وغيرهما ، بالاضافة الى انه وجد فى بلاد الشام والعراق والجزيرة فى عهده شعورا اسلاميا ينادى بضرورة اقامة جبهة اسلامية موحدة لاستخلاص المقدسات الاسلامية وحماية البلاد من خطر الصليبيين . وساعد ذلك عماد الدين زنكى على تحقيق طموحاته ورفع راية الجهاد ضد الصليبيين . وما اوضحته الدراسة أن نشأة عماد الدين زنكى فى كنف العديد من زعماء قادة بعث فكرة الجهاد الاسلامى امثال كربوتا ، وأقسنقر البرسقى وملازمته لهم قد افادت سواء من خبراتهم أو أخطائهم

مما أدى الى نجاحه فيما أخفق في تحقيقه الزعماء السابقون ، وعلى سبيل المثال لم يدخل عماد الدين - كما فعل غيره من قادة الموصل - في نزاع مباشر مع الصليبيين قبل تقوية جيوشه وتوطيد نفوذه في منطقة الجزيرة ، فقد هادن عماد الدين زنكي الصليبيين في بادئ الامر ووجه جهودهم لتنظيم دولته هناك جيوشه وتوسيع رقعة مملكته . كما انه عمل على اضعاف طابع الشرعية على فتوحاته في بلاد الشام والجزيرة بما حصل عليه من تفويض وتقليد رسمى من السلطنة السلجوقية والخلافة العباسية قبل استيلائه على حلب سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م والبلاد التابعة لها .

ومن النتائج التي توصل اليها البحث معرفة مدى ما كان يتمتع به عماد الدين زنكي من دهاء وحكمة سياسية لافي اختيار الرجال الصالحين لادارة دولته فقط بل وفي معاملة خصومه من المسلمين . فمثلا عندما عجز عن اخضاع الاراتقة في ماردین وحصن كيفا لجأ الى تفريق كلمتهم وتفتيت صفوفهم ، فدخلوا في نزاع مع بعضهم البعض ، واصبح كل فريق يتقرب الى عماد الدين ، فأمن شرهم واستعان بهم لمحاربة الصليبيين . كما أن تقرب عماد الدين زنكي الى كثير من الاسر ذات النفوذ في بلاد الشام والجزيرة عن طريق المصاهرة ، ساعده على التدخل في شئون هذه الاسر في محاولة منه للقضاء عليها وضمها تحت لوائه .

ومن النتائج التي توصل اليها البحث ان عماد الدين زنكي عمل على توفير جميع الشروط اللازمة لتحقيق النصر على الصليبيين واسترداد الرها . فبالاضافة الى اختياره الوقت المناسب الذي كان فيه صاحب الرها جوسلين

الثانى بعيدا عنها مع كثير من اشهر رجاله البارزين فقد ارسل عماد الدين الجواسيس لمعرفة ادق التفاصيل عن الصليبيين فى الرها ، مثل معرفة تحركاتهم وعدد قواتهم واسلحتهم ومؤنهم وغير ذلك . كما حشد الكثير من التركمان ذوى الخبرة فى فنون الفروسية فضلا عن استخدام الخرسانيين والحلبيين لخبرتهم فى معرفة مواضع النقوب فى القلاع وحفر الخنادق واضرام النيران فى تحصينات العدو .

واخيرا استرد عماد الدين زنكى مدينة الرها وقضى على تلك الامارة الصليبية مما أعاد للمسلمين ثقتهم بانفسهم وزرع فيها الامل باسترداد بقية بلاد الشام من براثن الصليبيين .

ومن النتائج التى توصل اليها البحث انه على الرغم من انقسام ملكية عماد الدين زنكى عقب وفاته سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م بين ولدين نورالدين محمود فى حلب وسيف الدين غازى فى الموصل ، فان ذلك الانقسام لم يؤد الى نشوب النزاع بينهما كما حصل بين رضوان ودقاق ابنى تتش سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م بل خدم فى نهاية الامر قضية الجهاد ضد الصليبيين ، فتفرغ سيف الدين غازى لمشاكل الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية والاراتقية فى ماردن وحصن كيفا ، بينما ركز نورالدين محمود كل جهوده فى حمل راية الجهاد ضد الصليبيين ، بالاضافة الى جهوده فى سبيل توحيد الجبهة الاسلامية .

وبرهنت الدراسة على ان فشل الحملة للصليبية الثانية يعود بالدرجة الاولى الى تضيير زعماء هذه الحملة لمسارها الذى خرجت من اجله وهو استرداد

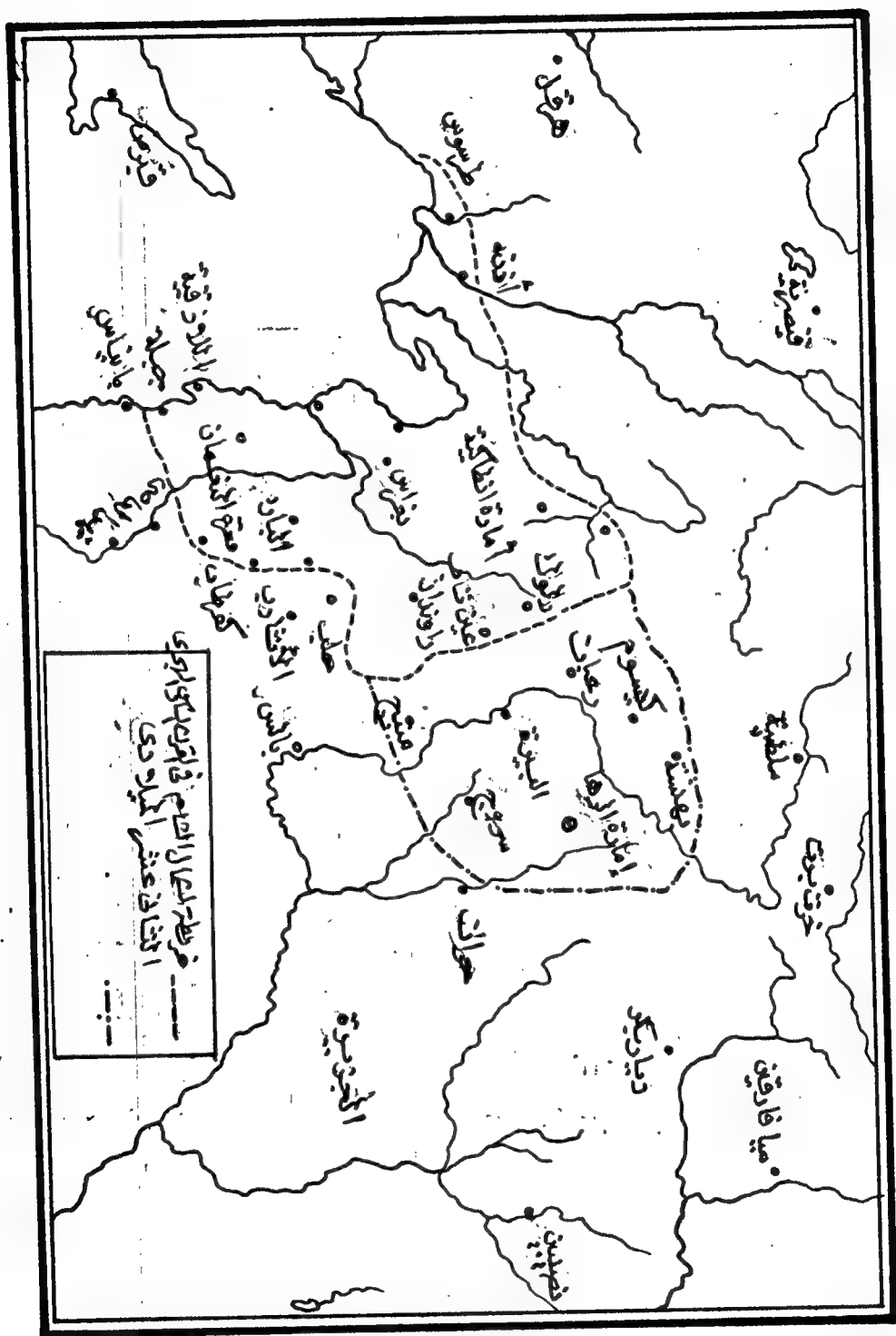
الرها والقضاء على نورالدين محمود ، اذ اتجهت الحملة الصليبية للاستيلاء على دمشق من خلفاء طغتكين الذين كانوا في تحالف مع الصليبيين بسدلا من الاتجاه الى حلب مركز الجهاد الاسلامي في بلاد الشام ، ولم يقتصر فشل الحملة الصليبية الثانية على عودة زعمائها الى اوروبا يجرون أذيال الخيبة بل نبه نورالدين محمود الى أهمية الاستيلاء على دمشق وضمها الى مملكته وتمكن نورالدين محمود بن زنكي من اقامة جبهة قوية ضد الصليبيين في بلاد الشام بعد استيلائه على دمشق سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٣م ، واعادة توحيد القوى الاسلامية في بلاد الشام مع الجزيرة بعد انقسام دام فترة من الزمن . وترتب ايضا على استيلاء نورالدين محمود على دمشق سيطرته على جميع الحصون والقلاع الواقعة شرق نهر العاصي التي كانت خاضعة للصليبيين ، وتكوين جبهة اسلامية قوية في بلاد الشام والجزيرة .

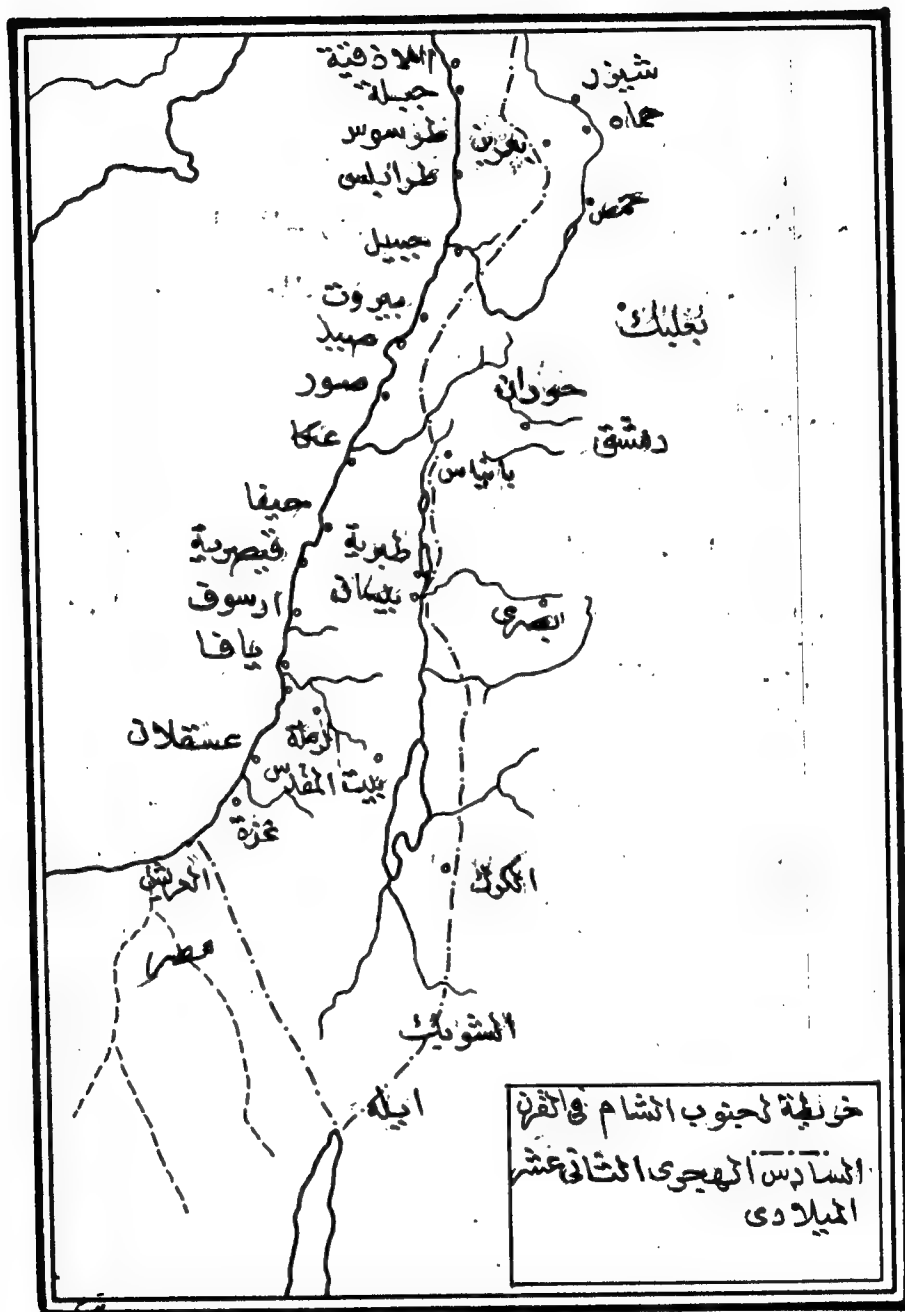
واخيرا فقد اتضح من الدراسة ادراك نورالدين محمود من البدايات لاهمية موقع مصر ، وما تمثله من قوة بشرية واقتصادية سوف تكون عاملا حاسما في مستقبل الجهاد ضد الصليبيين . لذلك بادرنورالدين محمود باحباط خطط الصليبيين للاستيلاء على مصر بارسال أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين في حملات حربية متتابعة حتى تم لهما الاستيلاء عليها والقضاء على الخلافة الفاطمية الشيعية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م واعادة الوحدة المذهبية للمسلمين ووضوح الصليبيين بين شقي الركن .

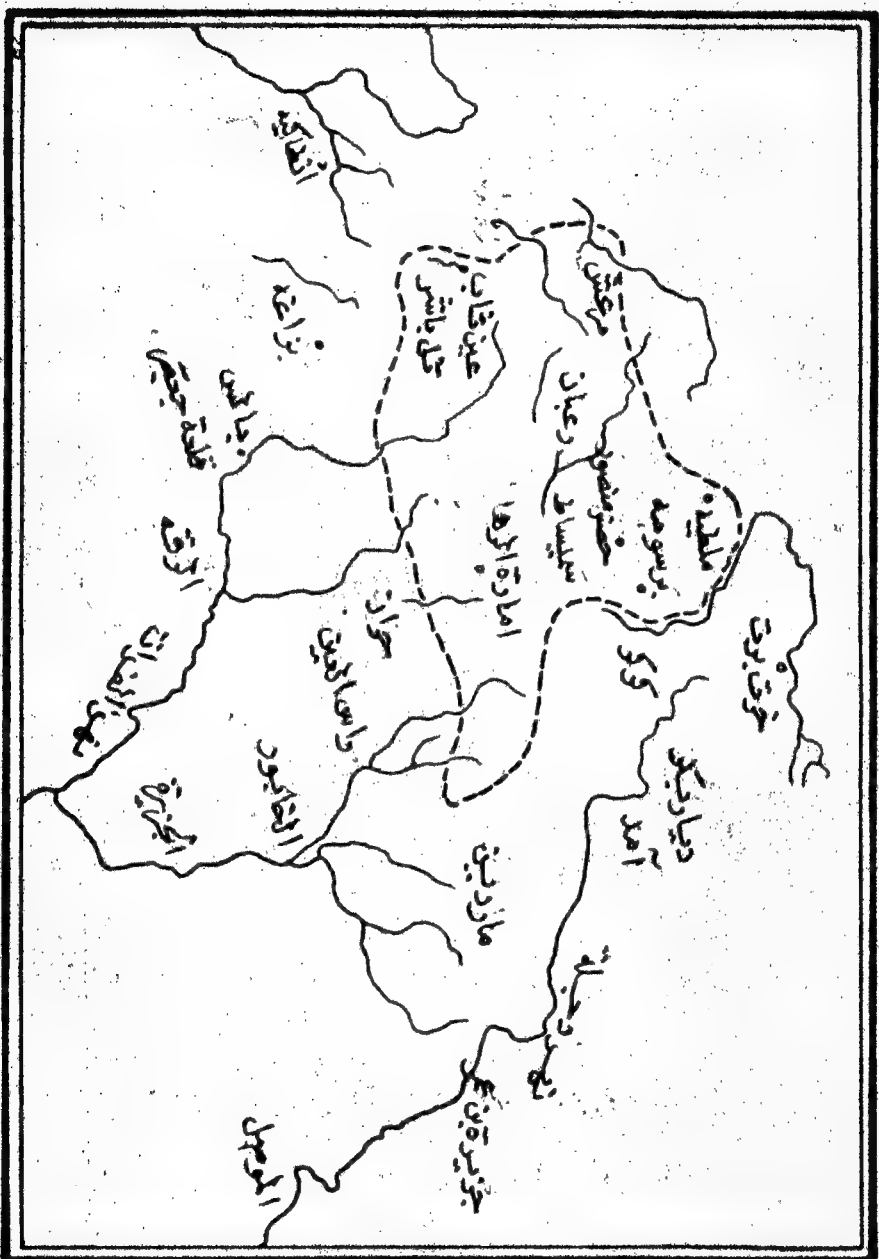
ومن النتائج التي توصلت اليها الدراسة ان استيلاء نورالدين  
محمود على مصر لم يتوقف عند حد القضاء على الخلافة الشيعية بها  
وقطع الامل على الصليبيين في العودة اليها بل كان ذلك بمثابة القاعدة  
التي انطلق منها صلاح الدين الايوبي لتصفية الوجود الصليبي في بلاد  
الشام .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .









إمارة أبله أقصى أشاعها ١ عن كتابي عليا لجنن وري ٢ إمارة أبله الصليبية  
 طبعة ١٩٧٥ م

( الطحق الاول )(١) ترجمة عماد الدين زنكى

( ٤٨٠ - ٥٤١ هـ / ١٠٨٧ - ١١٤٦ م )

زنكى بن أقي سنقرايا والمظفر التركى زى ، وقيل أقي سنقر بن القرغان من قبيلة "سابايو" وقيل ان أقي سنقر كان مملوكا للسلطان ملكشاه .

ويعرف زنكى "بأتابك بن قسيم الدولة" لانه كان عنده ولدان للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، بالموصل يربيهما وكان مولده بحلب فى أيام ولاية أبيه سنة ٤٨٠ هـ ، فرى بها ، وكان فى أول أمره مضافا الى أقي سنقر البرسقى ، والبرسقى شحنة بغداد ، وولاه البصرة ، فلما عزل البرسقى عن شحنة بغداد فارق البصرة وقصد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، فأكرمه ، وأقطعاه البصرة ، وأعاده اليها فى سنة ٥١٨ هـ ثم ترقته به الحال الى أن ملك الموصل فى سنة احدى وعشرين وخمسمائة .

وكان ختلف أبه بحلب وأساء السيرة مع أهلها فحصره وبالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق ، فأجمع رأى ختلف أبه وسليمان على أن يسيرا الى أتابك زنكى ويحكماه فيما يفعل ، فلم يوقع لواحد منهما بحلب ، وتوجه اليها فقدما . وكان له أتراب بحلب ، من الحلبيين قد تربى بينهم فكانوا يميلون اليه لذلك ، فسلموا الى نائبه حلب فى شهر رمضان سنة احدى وعشرين وخمسمائة وتوجه اليها فتسلمها فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فى جمادى الآخرة . وتوجه بعد ذلك الى السلطان محمود وعاد فى سنة

---

( ١ ) ابن العديم ، بغية الطلب فى تاريخ حلب ، التراجم الخاصة بالسلاجقة ، نشر وتحقيق على سويم ، ص ٢٥١ - ٢٧٢ ، انظر ايضا ابن العديم ، بغية الطلب ، ج ٦ ، ورقة ٢٠٦ أ - ٢١٥ أ .

ثلاث وعشرين ، ومعه توقيع مجدد بولايته الجزيرتين ، والشام ، وحلب ،  
والشط ، وطك حمص وحماه ، وحلبك ، والرقه ، ودارا ، وحران ، ورأس عين ،  
واشتغل بمحاربة الفرنج ، ففتح من أيديهم معرة النعمان ، وكفرطاب ، ويارين ،  
والاعراب ، وزردنا ، وتل اغدى ، وزاغا ، وسروج ، والرها ، وكان له أثر  
عظيم فى نصره الاسلام . وكف عاديه الفرنج ، وسهد لمن بعده فتح البلاد ،  
بعد أن كان الفرنج قد ضايقوا مدينة حلب واستولوا على حصونها وأخذوا  
المناصفة من المسلمين الى بابها فأغاثهم الله بزنى ، وولده من بعده .

وكان زنى ملكا عظيما شجاعا جبارا ، كثير العظمة ، والتجبر ، وهو مع  
ذلك يراعى أحوال الشرع وينقاد اليه ويكرم أهل العلم . ولغنى ( اى العظمى )  
أنه كان اذا قيل له : " أما تخاف الله ؟ " خاف من ذلك ويتصاغر فى نفسه  
فأظهر الله تعالى سره المحمود فى ولده محمود .

...

( الطحق الثاني )استيلاء عماد الدين زنكى على حصن بعرين (١)

( ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م )

وفى شعبان منها ورد الخبر بأن عماد الدين أتابك بن آقسنقر توجه فسي  
 عسكره من ناحية الموصل ، وقطع الفرات فى العشر الاول منه ، ووصل الى حمص ،  
 وكان تقدّمه اليها صلاح الدين ( الياغيسيانى ) فى أوائل العسكر ، ونزلا  
 عليها وضايقاها ، وفيها الامر معين الدين أنر واليها ، فراسله فى تسليمها  
 فاحتج عليه بأنها للأمير شهاب الدين ، وأنه نائبه فيها ، فنصب الحرب عليها  
 والمضايقة لها أياما ، ولم يحظ منها بطائل فرحل عنها فى العشرين من شوال  
 من السنة ، ونزل على الحصن المعروف ببعرين لينتزعه من أيدي الافرنج . فلما  
 عرفوا ذلك تجمعوا ونزلوا قريبا لحمايته ومعونة من فيه منهم ، فحين عرف عماد الدين  
 خبرها كمن لهم كميناً والتقى الجمعان ، فانهزم فريق من الاتراك بين أيدي  
 الافرنج ، وقتلوا منهم جماعة وافرة عند عودتهم الى منزل مخيمهم ، وظهر عليهم  
 عماد الدين فى من كمن لهم من الكمناء ، وواقع الرجالة وملك الاثقال والسواد ،  
 وحين قربوا من المخيم وشاهدوا ما نزل عليهم وحل بهم انخذلوا وفشلوا ، وحمل  
 عليهم عسكر عماد الدين فكسروهم ومحقهم قتلا وأسرا ، وحصل لهم من الفنائم  
 الشيء الكثير من الكراع والسواد والاثاث ، وعاد عماد الدين الى حصن بعرين .  
 وقد انهزم اليه ملكهم كندايا جور ومن يجامعه من مقدمى الافرنج وهم على غاية  
 من الضعف والخوف ، فنزل عليهم وحصرهم فى الحصن المذكور ، ولم يزالوا على  
 هذه الحال فى المضايقة والمহারبة الى أن نفذ ما عندهم من القوت فأكلوا خيلهم .

وتجمع من بقى من الافرنج فى بلادهم ومعاقلهم وانضموا الى ابن جوسلين ،  
 وصاحب أنطاكية ، واحتشدوا وساروا طالبين نصره المخدولين المحصورين فاستقروا  
 حصن بعمرين وتخلصهم ما هم فيه من الشدة والخوف والهلاك ، فحين قربوا مسن  
 عسكرياً بك وصح الخبر عنده بذاك اقتضت الحال أن أمنهم وعاهدتهم على  
 ما اقترحه عليهم من طاعته ، وقرر عليهم خمسين ألف دينار يحطونها اليه ،  
 وأطلقهم وتسلم الحصن منهم ، وعاد من كان اجتمع لنصرتهم .

...

( الطحق الثالث )استيلاء عماد الدين زنكى على أمانة الرها الصليبية (١)

( ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م )

فى جمادى الاخر من سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فتح الشهيد رضى الله عنه مدينة الرها من الفرنج ، وكانت لجوسلين (٢) عاتيتهم وشيطانهم ، والمقدم على رجالتهم وفرسانهم ، وكلهم قد أذعن له بالنهاية فى الشجاعة ، فهم يخضعون له ببذل الطاعة . وكان مدة حصارها ثمانية وعشرين يوما ، وأعادها الى حكم الاسلام ، ونفذت فيها أحكام أهل الايمان ، وهذه الرها هى من أشرف المدن عند النصارى ، وأعظمها محلا ، وهى احدى الكراسى عندهم ، فأشرفها البيت المقدس ، ثم أنطاكية ، ثم رومية والقسطنطينية ، والرها ، وكان هذا فتح الفتوح حقا وأشبهها ببدر حقا ، من شهبه فقد تمسك من الجهاد بأوثق سبب ، ولو عاصره الطائى (٣) لعلم أنه أولى بقوله : السيف أصدق أنباء من الكتب ، لان ضرر من بهذه المدينة من الفرنج على المسلمين لقربها عظيم ، وشرهم اليها جسيم . ان كانت من الديار الجزرية عينها ، ومن البلاد الاسلامية حصنها ، وانضاف اليها عدة من البلاد فاتسعت مملكتهم ، واشتدت على أهلها وطأتهم ، فملكوا من نواحى ماردين الى الفرات - على طريق شبختان - عدة حصون ، كسروج ، والبيرة ، وجملين ، والموزر ، والقراوى ، وسن بن عطير وغير ذلك . وكانت غاراتهم تبلغ مدينة آمد من ديار بكر ، وماردين ، ونصيبين ، ورأس عين ، والرقعة . أما حران فكانت معهم فى الخزي ، كل يوم قد صبحوها بالفارة ، فلما رأى الشهيد

( ١ ) ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٦٦ - ٧٠ .

( ٢ ) هو جوسلين الثانى ابن جوسلين الاول .

( ٣ ) هو الشاعر ابو تمام الطائى ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٦٧ ،

حاشية رقم ٣ .



الحال هكذا ، أنف لدولته أن يترك من بالرها من الكفار يجوسون من ملكة الاسلام خلال الديار ، وكان يعلم أنه لا ينال منها غرضا ، ولا يمكنه أن يميل جوهر الكفار بها عرضا ، مادام بها جوسلين ، وفرسانه ، وجنوده وأعوانه ، وأنه متى قصدها محاصرا لها اجتمعت الفرنج لحفظها منه ، فعدل الى أعمال الحيل والخداع ، ان كان أنجح في هذه الحادثة من المصاع ، والرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهى المحل الثانى . فعدل عن قصدها الى ما جاورها من ديار بكر التى بيد المسلمين ، كحانى ، وجبل جور ، وآمد على ما تقدم ذكره ، فكان يقاتل من بها قتالا فيه ابقاء وهو يسرحسوا في ارتقاء ، فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ، ويطلبها وسواها يروم ، ووكل بها من يخبره بخلوعرينها من آساده وفراغ حصنها من أنصاره وأجناده فلما رأى جوسلين اشتغال الشهيد بحرب أهل ديار بكر ، ظن أنه لا فراغ له اليه ، وأنه لا يمكنه الاقدام عليه ، ففارق الرها الى بلاده الشامية ليلاحظ أعماله ، ويتعهد ذخائره وأمواله فأتت الشهيد عيونه فأخبرته بمسيره مع عساكره وذويه ، وخلو البلد عن حافظة وحاميه فحينئذ أمر بالنداء في العساكر بالتجهيز والتشمير والجد في السير ، ويهدد لمن عن صحبته تأخر ، وأعلمهم أنه لا يقبل عذر من اعتذر ، وأقبل مسرعا كالسهم الصادر عن وتره والسيل الصائر الى مستقره ، وتبعته العساكر يتلو بعضها بعضا ، عازمين على أن يؤدوا من الجهاد سنة وفرضا ، وأقبلوا زمرا مجددين كقطع السحاب تحتها الجناث ، وقد استعانوا على السرعة بركوب الجناث ، فلما علم من بها من العدو واقباله ، سرى الرعب في أحشائهم ، واختلط الخوف بدماهم وسقط في أيديهم ، ورأوا انهم قد ضلوا وقالوا : (( لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين )) (١) ، فأبى الله الا أن ينتقم منهم بسيف الشهيد ،

ويجمع في جهنم بين الفائب منهم والشهيد ، جزاءً بغيرهم الشنيع ، وقتلهم  
 الفذليخ ، فضبه الله عليهم عذاباً ، وساقه اليهم عقاباً ، فضاقت عليهم الارض بما  
 رحبت ، وضاقت عليهم نفوسهم ، ونكست لشدة هيئته رؤسهم ، ووافى البلد  
 في حده وحديده ، وعده وعديده ، ومواكبه المنصورة وجموعه المحشورة ، وينوده  
 المنشورة ..... وزحف بهم نحو البلد يقدمه ، والشجاعة تقدمه ، فكادت  
 الارض تزلزل والنهار بسواد الليل يسرل ، وصار الفرنج مع علمهم بأنهم  
 صائرون الى البوار ، يتهافتون الى القتال تهافت الفراش في النار ، أخذوا  
 بقول من يقول :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حياة مثل أن أتقدما

فلما رأى الشهيد البلد ، رأى بلداً جمع بين الحصانة والحسن ، فراسل  
 أهله يبذل لهم الامان ، والامن ، ليسلموه سليماً من اخاب أسواره ، واخلاء  
 دياره ، ضنا منه على مثله ان يصبح غاويًا على عرشه ، وان يلتحق سماؤه بفرشه  
 فأبوا قبول الامان ، وامتنعوا عن الازعان ، فاستخار الله تعالى في قتاله ، وقدم  
 الشجعان لنزاله ، ونصب المجانيق ، وقدم النقبان ، وألح على من به  
 القتال ، خوفاً أن يجتمع الفرنج فيزهزحونه عنه ويستنقذونه منه . وبلغ الخبر  
 الى الفرنج فقاموا وقعدوا ، وأبرقوا وأرعدوا ، وجمعوا فارسهم وراجلهم ، وشابهم  
 وكهلهم ، وحرصوا على السرعة خوف الفوات ، وعاد جوسلين عند سماعه الخبر  
 الى شرق الفرات ، لعله يجد فرصة ليدخل اليها ، او يرسل نجدة يحافظ  
 عليها ، فحيل بينه وبين ذلك ، وأتى يكون ما يريد وخصمه الشهيد أتابك . ولم  
 يزل الشهيد يزحف الى البلد مرثداً اخرى حتى وصل النقبان الى سورها ، فنقبوه  
 فألقوا النار فيه فأحرقوه ، وطك البلد عنوة وقهرا ، وأوسع كل من فيه نكالا وشرا ،  
 فلما ملكها استباحها ، وأذل لقاها ، ونكس صلبانها ، وأباد قسوسها ورفبانها ،  
 وقتل شجعانها وفرسانها ، فهممعه قتيل وأسير ، وجريح وكسير ، وملا الناس  
 أيديهم من النهب والسبي من كل مال نفيس وغلام رائق ، وكر كالطلي عاتق ،

وأصابهم من النكال ما هولهم عتيد = ( ) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى  
وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد = (١) . ثم انه دخل البلد فراقه منظرة  
وشاقة مخبره ، فأسف لمثله من الخراب ، وان يستولى عليه فى ملكه البسوار  
والثياب ، ورأى ان أخريه وأخلاه من أهله غير مستحسن من مثله ، فأمر باعادة  
ما أخذ منه من أثاث ومال وسبى ورجال وجوار وأطفال ، فردوا عن آخرهم  
لم يفقد منهم الا الشان النادر ، فعاد البلد عامرا بعد ان كان داثرا ،  
وأهلا وآمنا بعد أن كان للذئاب والخامع (٢) مسكنا ، ورتب فيه من المساكر  
من يحفظه ، وسار عنه فاستولى على ما كان بيد الفرنج من هذه الناحية من  
المدن والحصون والقرايا ، كمروج وغيرها وأخذ الديار الجزرية من معصرة  
الفرنج وشهرهم وأراح أهلها من كيدهم ، وحزهم ، وأصبح أهلها بعد الخوف  
آمنين ، وعلى مهاد الأمن وأدعين ، وأجفل الكفر وحزبه بين يدي الايمان  
وأهله ، وهم على آثارهم يكسعون أديارهم ، ويوحشون منهم ديارهم ، والكفرة  
يجدون فى الهرب خوف العطب ، وكلهم من الرعب لاه زاهل ، ومنادى  
التوحيد ينادى : جاء الحق وزهق الباطل . وألقى الاسلام بهذه البلاد  
جرائته هت فيها أنصاره وأعوانه ، وصدق وعد الله فى قوله = وعد الله الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض (٣) . فهى لهم الى يوم العرض .  
وكان فتحا عظيما لم ينتفع المسلمون بمثله ، وطار فى الافاق ذكره ، وطاب بها  
نشره ، وسارت به الرفاق ، وامتلات به المحافل فى الافاق ، وشهدته خلق  
كثير من الصالحين والاولياء ، واستبشر به الابرار والاصفياء . حكى لى جماعة  
أعرف صلاحهم انهم رأوا يوم فتح الرها الشيخ ابا عبد الله بن على بن مهران  
الفقيه الشافعى ، وكان من العلماء العاطلين ، والزاهدين فى الدنيا المنقطعين  
عنها ، وله الكرامات الظاهرة ، ذكروا عنه أنه غاب عنهم فى زاويته يوم ذلك ، ثم

( ١ ) سورة هود ، آية ١٠٢ .

( ٢ ) الخامع هو الضبع ، انظر ابن الاثير ، التاريخ الباهر ، ص ٦٩ ، حاشيه رقم (٥) .

( ٣ ) سورة النور ، آية رقم ٥٥ .

خرج عليهم مستبشر سرور عنده من الارتياح ما لم يروه أبدا ، فلما قعد معهم قال لهم : حدثني بعض اخواننا ، أن أتابك زنكي فتح مدينة الرها ، وأنه شهد معها فتحها يومنا هذا ، ثم قال : ما يضرك يا زنكي ما فعلت بعد اليوم ، وفقى يردد هذا القول مرارا ، فضبطوا ذلك اليوم فكان يوم الفتح ، ثم ان نفرا من الاجناد حضروا عند هذا الشيخ وقالوا له : منذ رأيك على السور تكبر أيقنا بالفتح وهو ينكر حضوره ، وهم يقسمون أنهم رأوه عيانا ، وحقى لى أيضا بعض العلماء بالاخبار والانساب - وهو أعلم من رأييت بها - قال : كان ملك جزيرة صقلية من الفرنج لما فتحت الرها وكان بها بعض العلماء الصالحين من المخاربة من المسلمين ذكر اسمه وأنسيته ، وكان الملك يحضره ويكرمه ويرجع الى قوله ، ويقدمه على من عنده من الرهبان والقسيسين ، فلما كان الوقت الذى فتحت فيه الرها قد سير هذا ملك الفرنج جيشا فى البحر الى أفريقية ، فنهبوا وأغاروا وأسروا ، وجاءت الاخبار الى الملك وهو جالس ، وعنده هذا العالم المغربي ، وقد نعس وهو شبه النائم فأيقظه الملك ، وقال له : يا فقيه قد فعل أصحابنا بالمسلمين كيت وكيت ، أين كان محمد عن نصرهم . فقال : كان قد حضر فتح الرها ، فتضاحك من عنده من الفرنج . فقال لهم الملك : لا تضحكوا ، فوالله ما قال عن غير علم ، واشتد هذا على الملك . فلم يحض غير قليل ، حتى أتاهم الخبر بفتحها على المسلمين ، فأنسا هم شدة هذا الوهن ، رجاء ذلك الخبر ، لملو منزلة الرها عند النصرانية . وحقى أيضا غير واحد ممن أثق به أن رجلا من الصالحين قال : رأييت الشهيد بعد مقتله فى المنام فى أحسن حال ، فقلت له : ما فعل الله بك . فقال : غفر لى فقلت : بطاذا ؟ . فقال : بفتح الرها .

الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨م (١)

وأولها يوم الجمعة الحادى والعشرين من أيار ، والشمس فى الجزاء . وفى  
أوائلها تواترت الاخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الافرنج المقدم ذكرهم  
الى ساحل البحر ، وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية ، صور وعكا وجماعهم  
مع من كان بها من الافرنج ، ويقال انهم بعد ما فنى منهم بالقتل والممرض  
والجوع تقدير مائة الف عنان . وقصدوا بيت المقدس وقضوا مفروض حجهم ، وعاد  
بعد ذلك من عاد الى بلادهم فى البحر . وقد هلك منهم بالموت والمرضى الخلق  
العظيم ، وهلك من ملوكهم من هلك ، وقى المان أكبر ملوكهم ومن هو دونه ،  
واختلفت الاراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية ، والاعمال  
الشامية الى أن استقرت الحال بينهم على منزلة مدينة دمشق ، وحدثتهم  
نفوسهم الخبيثة بملكيتها وتبايعوا ضياعها وجهاتها . وتواصلت الاخبار بذلك  
وشرع متولى امرها معين الدين أنرفى التأهب والاستعداد لحربهم ، ورفع  
شرهم وتحصين ما يخشى من الجهات وترتيب الرجال فى المسالك والمنافذ  
وقطع مجارى الميرة الى منازلهم وطم الآبار وعفى المناهل ، وصرفوا أعتهم  
الى ناحية دمشق فى حشدهم وحديدتهم فى الخلق الكثير على ما يقال  
تقدير الخمسين من الخيل والرجال ومعهم من السواد والجمال والابقار  
ما كثروا به العدد الكثير ، ودنوا من البلد ، وقصدوا المنزل المعروف بمنازل  
العساكر فصادفوا الماء معدوما فيه مقطوعا عنه ، فقصدوا ناحية المزة فخيما  
عليها لقربها من الماء ، وزحفوا اليه بخيلهم ورجلهم . ووقف المسلمون بأزائهم  
فى يوم السبت السادس من شهر ربيع الاول سنة ٤٣٠ هـ ونشبت الحرب بين الفريقين ،  
 واجتمع عليهم من الأجناد والأتراك القتال واحداث البلد والمطوعة ، والغزاة  
الجم الغفير ، واشتجر القتل بينهم واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الاعداد  
والعدد وغلبوا على الماء وانتشروا فى البساتين وخيما فيها وقربوا من البلد

وحصلوا منه بمكان لم يتمكن احد من العساكر قديما ولا حديثا منه . واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الفندلاوى الطالكي رحمه الله قريب الرسوة على الماء لوقوفه في وجوههم ، وترك الرجوع عنهم اتباعا لا وامر الله تعالى فسى كتابه الكريم ، وكذلك عبدالرحمن الحلولى الزاهد رحمه الله جرى أمره هذا المجرى .

وشرعوا في قطع الاشجار والتحسين بها وهدم القناطر ماتوا تلك الليلة على هذه الحال ، وقد لحق الناس من الارتياح لهول ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما ضعفت به القلوب وخرجت معه الصدور ، واکروا الظهور اليهم في غد ذلك اليوم وهو يوم الاحد تاليه ، وزحفوا اليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم ، واكثروا القتل والجراح فيهم . وأبلى الامير معين الدين أنر في حربهم بلاءا حسنا ، وظهر من شجاعته وصبره ومسالته ما لم يشاهد في غيره ، بحيث لا يني في ذياتهم ولا يفش عن جهادهم ، ولم تنزل رحى الحرب دائرة بينهم ، وخيل الكفار محجمة عن الحملة المعروفة لهم الى أن تنهيا الفرصة لهم الى أن مالت الشمس الى الغروب ، وأقبل الليل وطلبست النفوس الراحة وعاد كل منهم الى مكانه ، ومات الجند بازائهم وأهل البلد على اسوارهم للحرب والاحتياط وهم يشاهدون أعداءهم بالقرب منهم .

وكانت المكاتبات قد نفذت الى ولاية الاطراف بالاستصراخ والاستنجاد ، وحصلت خيل التركمان تتواصل ورجالها الاطراف تتتابع . واکروهم المسلمون وقد قويت نفوسهم وزال روهم . وثبتوا بازائهم ، وأطلقوا فيهم السهام ونبل الجراح ، بحيث تتبع في مخيمهم في راجل أو فارس أو فرس أو جمل .

ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها رجالة كثيرة من الرماة ، فزادت بهم العدة وتضاعفت العدة ، وانفصل كل فريق الى مستقره هذا اليوم واکروهم من غدة يوم الثلاثاء كالبراة الى تماقيب الجبل والشواهين الى قطار الحجل وأحاطوا بهم في مخيمهم وحول مجثمهم ، وقد تحصنوا بأشجار البساتين وأفسدوها

رشقا بالنشاب وحذفا بالأحجار . وقد أحجموا عن البروز وخافوا وفشلوا ، ولم يظهر منهم أحد وظن بهم أنهم يعملون مكيدة ويدبرون حيلة ، ولم يظهر منهم الا نفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المكاردة والمناوشة خوفا من المهاجنة الى أن يجدوا لحملتهم مجالا أو يجدون لفرهم احتيالا ، وليس يدنو منهم أحد الا صرع برشقة أو طعنة ، وطمع فيهم نفر كثير من رجاله الاحداث والضياح ، وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد انشأوا ، فيقتلون من ظفروا به ويحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عنها ، وحصل من رؤوسهم العدد الكثير .

وتواترت اليهم أخبار العساكر الاسلامية بالخوف الى جهادهم والمسارة الى استئصالهم فأيقنوا بالهلاك والبوار وحلول الدمار واعلموا الاراء بينهم ، فلم يجدوا لنفوسهم خلاصا من الشبكة التي حصلوا فيها والهوة التي القوا بنفوسهم اليها غير الرحيل سحرا يوم الاربعاء التالي مجفلين ، والهرب مخذولين مغلولين ، وحين عرف المسلمون ذلك ماتت لهم آثارهم في الرحيل برؤسهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا نحوهم في آثارهم بالسهام ، بحيث قتلوا في أعقابهم من الرجال والخيول والدواب العدد الكثير ، ووجد في آثار منازلهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم وفاخر خيولهم ما لا عدد له ولا حصر يلحقه ، بحيث لها أرائح من جيفهم تكاد تصرع الطيور في الجو ، وكانوا قد أحرقوا الربوة والقبة المدودة في تلك الليلة ، واستبشر الناس بهذه النعمة التي أسبغها الله عليهم ، وأكثروا من الشكر له تعالى ما أولاهم من اجابة دعائهم الذي وصلوه في أيام هذه الشدة فله على ذلك الحمد والشكر .

واتفق عقيب هذه الرحمة اجتماع معين الدين مع نورالدين صاحب حلب عند قرية من دمشق للانجاد لها في أواخر شهر ربيع الآخر من السنة ، وأنهما قصدا الحصن المجاور لطرابلس المعروف . . . (١) وفيه ولد الطك الفنش أحمد ملوك الافرنج المقدم ذكرهم . كان هلك بناحية عكا ومعه والدته وجماعة وافرة من

( ١ ) وفي الكامل لابن الاثير : حصن عريمة . انظر ابن القلانسي ، ص ٣٠٠ ، حاشية رقم ( ٢ ) .

خواصه و أبطاله ووجه رجاله ، فأحاطوا به وهجموا عليه ، وقد كان وصل الى  
العسكرين النورى والمعينى فريقة تناهز الالف فارس من عسكر سيف الدين غازى  
ابن أتابك ، ونشبت الحرب بينهم ، فقتل أكثر من كان فيه وأسر وأخذ ~~وليد~~  
الملك المذكور وأمه ونهب ما فيه من العدد والخيول والاثاث ، وهاد عسكر  
سيف الدين غازى الى مخيمه بحمص ونور الدين عائد الى حلب ومعه ~~وليد~~  
الملك وأمه ، ومن أسر معهما وانكأ معين الدين الى دمشق .

...



## ( الملحق الخامس )

من سيرة نور الدين محمود بن زنكى (١)

( ٥١١ - ٥٦٩ هـ / ١١١٢ - ١١٧٣ م )

قد طالعت تواريخ الطوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه الى يومنا هذا ، فلم أربها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز ، ملكا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، ولا أكثر تحريا للعدل والانصاف منه ، وقد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره وجهاد يتجهز له ، ومظلمة يزيلها ، وعبادة يقوم بها واحسان يوليه ، وانعام يسديه . وقد تقدم من أحواله في ملكته ما يستدل به على ما ذكرناه . ونحن نذكر ههنا ما تعلم به محله في أمر دنياه وأخراه ، فلو كان في أمة لا فتخرت به ، فكيف في بيت واحد .

فأما زهده وعبادته وعلمه ، فانه كان مع سعة ملكه وكثرة ذخائر بلاده وأموالها ، لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف فيما يخصه ، الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الاموال المرسدة لمصالح المسلمين . أحضر الفقهاء واستفتاهم في أخذ ما يحل له من ذلك ، فأخذ ما أفوته بحله ولم يتعمده الى غيره البتة . ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير أو ذهب أو فضة . ومنع شرب الخمر ويبيعها في جميع بلاده ، ومن ادخلها الى بلد ما ، وكان يحد شاربها الحد الشرعي ، وكل الناس عنده فيه سواء .

حدثني صديق لنا بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين أنر ، زوجة نور الدين ووزيرها . قال : كان نور الدين اذا جاء اليها يجلس ففى المكان المختص به ، وتقوم في خدمته لا تتقدم اليه الا أن يأذن لها في أخذ ثيابه عنه ، ثم تعتزل عنه الى المكان الذى يختص بها ، وينفرد هوارة يطالعه

رقاع أصحاب الاشغال ، مطالعة كتاب آتاه ويحيب عنه . وكان يصلّى فيطيل الصلاة ، وله أرواد في النهار ، فإذا جاء الليل رطلى العشاء نام ، ثم يستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضوء والصلاة والدعاء الى بكرة ، ثم يظهر للركوب ويشغل بمهام الدولة .

قال : وانها قلت عليها النفقة ، ولم يكفها ما كان قد قرره لها ، فأرسلتني اليه اطلب منه زيادة في وظيفتها فلما قلت له ذلك تنكر واحمر وجهه ، ثم قال : من أين أعطيها ، أما يكفيها مالها والله لا أخوض نار جهنم في هواها ، ان كانت تظن ان الذى بيدي من الاموال هي لي فيئس الظن ، انما هي أموال المسلمين ومرصدة لمصالحهم ، وصعدة لفتق ان كان من عد والاسلام ، وأنا خازنهم عليها فلا أخونهم فيها . ثم قال : لي بمدينة حمص ثلاث دكاكين ملكا قسدت وهبتها اياها فلتأخذها . قال : وكان يحصل منها قدر قليل .

وكان رحمه الله لا يفعل فعلا الا بنية حسنة . كان رجل بالجزيرة ممن الصالحين كثير العبادة والورع ، شديد الانقطاع عن الناس ، وكان نور الدين يكاثره ويراسله ويرجع الى قوله ويعتقد فيه اعتقادا حسنا ، فبلغه ان نور الدين يد من اللعب بالكرة ، فكتب اليه يقول له : ما كنت أظن انك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فائدة دينية . فكتب اليه نور الدين بخط يده يقول له : والله ما حطنت على اللعب بالكرة ، والله هو البطر ، انما نحن في شغل والعد وقريب منا ، وبينما نحن جلوس ان يقع الصوت فنركب في الطلب ولا يمكننا ايضا ملازمة الجهاد ليلا ونهارا ، شتاء وصيفا ، ان لا بد من الراحة للجند ، ومتى تركنا الخيل على مراتبها صارت جماما لا قدرة لها على اداء السير في الطلب ، ولا معرفة لها ايضا بسرعة الانعطاف في الكر والفر في المعركة ، فنحن نركبها ونروضها بهذا اللعب ، فيذهب جماعها وتتعود سرعة الانعطاف والطاعة لراكبيها في الحرب ، فهذا والله هو الذى يبعثنى على اللعب بالكرة . فانظر

الى هذا الملك المعدوم النظير ، الذى يقل فى اصحاب الزوايا المنقطعين الى العبادة مثله ، فان من يجىء الى اللعب ويفعله بنية صالحة ، حتى يصير ممن أعظم العبادات وأكثر القربات ، يقل فى العالم مثله ، وفيه دليل على انه كان لا يفعل شيئا الا بنية صالحة ، وهى افعال العلماء الصالحين العالمين .

وحكى لى عنه ، أنه حمل اليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت اليها بينما هم معه فى حديثها و اذا قد جاءه رجل صوفى فأمر بها له ، فقيل له انها لا تصلح لهذا الرجل ، ولو اعطى غيرها لكان انفع له . فقال : اعطوها له ، فانى أرجوان اعوض عنها فى الآخرة ، فسلمت اليه ، فسار بها الى بغداد فباعها بستمائة دينار أميرى او سبع مائة دينار ، أنا أشك انها كانت تساوى أكثر .

وحكى لنا الامير بهاء الدين على بن الشكرى رحمه الله تعالى - وكان خصيصا لخدمته قد صعبه من الصبا وأنس به وله معه انيساط - قال : كنت معه يوما فى الميدان بالرها نسير والشمس فى ظهورنا ، فكلما سرنا تقدمنا ظلنا ، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا ، فأجرى فرسه وهو يلتفت وراءه فقال لى : اتدرى لائى شئ أجرى فرسى والتفت ورائى قلت : لا . قال قد شبهت مانحن فيه بالدنيا ، تهرب ممن طلبها وتطلب من هرب منها . وكان رحمه الله يصلح كثيرا من الليل ، ويدعو ويستغفر ويقرأ ولا يزال كذلك الى أن يركب .

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب فى المحراب

وكان عارفا بالقصة على مذهب الامام أبى حنيفة ، ليس عنده فيه تعصب ، بسمل الانصاف سجيته فى كل شئ . وسمع الحديث وأسمعه طلبا للاجر . وعلى الحقيقة فهو الذى جدد للملوك اتباع سنة العدل والانصاف ، وترك المحرمات من المأكول والمشرب والملبس وغير ذلك ، فانهم كانوا قبله كالجاهلية ، هممة أحد هم بطنه وفرجه ، لا يعرف معروفه ولا ينكر منكرا ، حتى جاء الله بدولته فوقف مع امر الشرع ونواهيه ، وألزم بذلك أتباعه وذويه ، فاقتدى به غيره منهم ،

واستعيبوا أن يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه . " ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة " فان قال قائل : كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحة وتجيب اليه الاموال الكثيرة ، فليذكر نبى الله سليمان بن داود عليه السلام مع اتساع ملكه وهوسيد الزاهدين فى زمانه ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضر موت ، واليمن ، والحجاز ، وجزيرة العرب جميعها من حدود الشام الى العراق ، وهو على الحقيقة سيد الزاهدين . وانما الزهد خلوا القلب من محبة الدنيا لا خلوا اليد عنها .

وأما عدله فانه كان من أحسن الطوك سيرة ، وأعدلهم حكما . فمن عدله أنه لم يترك فى بلد من بلاد ه ضريبة لا مكسا ولا عسرا ، بل أطلقها جميعها فى بلاد الشام والجزيرة جميعا ، والموصل وأعمالها ، وديار مصر وغيرها مما حكم عليه . وكان المكس فى مصر يؤخذ من كل مائة دينار خمسة وأربعون دينارا ، فأطلقها ، وهذا لم تتسع له نفس غيره . وكان يتحرى العدل ، وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان ، القوى والضعيف عنده فى الحق سواء ، فكان يسمع شكوى المظلوم ، ويتولى كشف حاله بنفسه ، ولا يكل ذلك الى حاجب ولا أمير ، فلا جرم أن سار ذكره فى شرق الأرض وغربها .

المصنف وزير المجمع

المصادر والمراجعأولاً : المصادر المخطوطة والمطبوعة

- ابن أبي الدم الحموى ( ابواسحاق ابراهيم بن عبدالله ، ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م )  
التاريخ المظفرى . مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات  
العربية بالقاهرة تحت الرقم ٩٦٦ تاريخ .
- ابن أبي الهيثجاء ( ت ٥٨٩ / ١١٩٣م )  
تاريخ ابن أبي الهيثجاء ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات  
العربية بالقاهرة تحت الرقم ٩٤٥ .
- ابن الاثير الجزرى ( ابوالحسن بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيبانى الطقب  
بمصر الدين ، ت ٣٠هـ / ١٢٣٢م )  
١- الكامل فى التاريخ ، ط ليدن ١٨٥١-١٨٧٦م .  
٢- التاريخ الباهر فى الدولة الاتاكية . تحقيق عبدالقادر طليط ،  
ط . القاهرة ١٩٦٣م .
- ابن حوقل ( ابوالقاسم محمد بن على ، ت ق ٤هـ / ١٠م )  
صورة الارض ، ط ليدن ، ١٩٣٩م .
- ابن ابيك الداودارى ( ابي بكر عبدالله بن ابيك ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م )  
١- كنز الدرر وجامع الفرر ، الجزء السادس وعنوانه الدرر المضيئة فى اخبار  
الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط . القاهرة ١٣٨٠هـ /  
١٩٦١م .  
٢- درر التيجان وفرر تواريخ الزمان ، مخطوط بالمكتبة السلطانية ،  
باستامبول ، برقم ٩١٣ .
- ابن تغرى بردى ( جمال الدين ابوالحسن يوسف بن تغرى بردى الاتاكي ،  
ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م )  
١- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الاجزاء ٦ ، ٥ ، ط القاهرة ،  
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .  
٢- المنهل الصافى والمستوفى بعمد الوافى ، مخطوط مصور على ميكروفيلم  
بمركز البحث العلمى بجامعة ام القرى بمكة المكرمة .

- ابن جبير ( أبو الحسن بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى البلسى ،  
ت ٦١٤هـ ) .  
رحلة ابن جبير ، ط بيروت ١٩٦٤م .
- ابن الجوزى ( أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على ، ت ٥٩٧هـ /  
١٠٢١م ) .  
المنتظم فى تاريخ الطوك والائم ، الأجزاء ٩ ، ١٠ ، ط حيدرآباد  
١٣٥٩هـ .
- ابن حيوس ( أبو الفتىان محمد بن سلطان بن محمد ، ت ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م ) .  
ديوان ابن حيوس ، جزآن ، تحقيق ونشر خليل مردم بك ، ط دمشق  
١٣٧١هـ / ١٩٥١م ) .
- ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ) .  
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الخامس ، ط بيروت ١٩٥٧م .  
١٩٥٨م ) .
- ابن خلكان ( أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ، ت ٦٨١هـ /  
١٢٨٤م ) .  
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ أجزاء .  
تحقيق احسان عباس ، ط بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ابن شاکر الکلبى ( محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن ، ت ٧٦٤هـ / ٣٦٣م )  
عيون التواريخ ، ج ١٣ ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات  
العربية بالقاهرة ، تحت الرقم ١٨٤٠ تاريخ .
- ابن الشحنة ( ابوالوليد محب الدين محمد بن محمد الحلبي ، ت ٨١٥هـ / ١٤١٤م )  
روض المناظر فى علم الاوائل والاواخر ، مخطوط بمكتبة السلطانية فى استامبول  
تحت الرقم ٨٧٠ .

- ابن شداد ( بهاء الدين يوسف بن رافع ، ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م ) .  
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ،  
ط القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ابن شداد ( عزالدين بن أبى عبد الله محمد بن على بن ابراهيم الحلبي ،  
ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ) .  
الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج ٣ خاص بتاريخ  
لبنان والأردن وفلسطين ، تحقيق سامى دهان ، ط دمشق ،  
١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
- ابن الهيرفى ( أبو القاسم على بن منجب بن سليمان ، ت ٥٥٠ هـ / ١١٦٠ م ) .  
الإشارة الى من نال الوزارة ،  
تحقيق عبد الله مخلص ، ط القاهرة ١٩٢٤ م .
- ابن طباطبا ( محمد بن على المعروف بابن الطقطقا ، ت ٧٠٩ هـ ) .  
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ط بيروت  
١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .
- ابن ظافر الأزدى ( جمال الدين على بن ظافر ، ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ) .  
أخبار الدول المنقطعة ، القسم الخاص بالفاطميين ، تحقيق أندريه  
فريه ، ط القاهرة ١٩٧٢ م .
- ابن ظهيره ( أبو السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن  
ظهيره المخزومي ، ت ٨٦١ هـ / ١٤٥٦ م ) .  
القضايا الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا ،  
وكامل المهندس ، ط القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .



- ابن العبري ( غريغوريوس أبو الفرج بن هرون المعروف بابن العبري ،  
ت ٦٦٠هـ / ١٢٨٦م ) .  
تاريخ مختصر الدول ، ط بيروت ١٨٩٠م .
- ابن العديم ( كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ، ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م )  
١- بيغية الطلب في تاريخ حلب ، ٨ أجزاء ، مخطوط في مكتبة  
أحمد الثالث باستامبول تحت الرقم ٢٩٢٥ وهناك التراجم الخاصة  
بالسلاجقة مطبوع نشر وتحقيق على سهيم ، ج ١ ط . انقرة ١٩٦٩م .  
٢- زبدة الطلب في تاريخ حلب جزآن ، تحقيق سامي دهان ، ط  
دمشق ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .
- ابن عساكر ( أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي  
ت ٥٧١هـ ) .  
تاريخ مدينة دمشق أو التاريخ الكبير ، الأجزاء ٢ ، ٣ ، ٥ تهذيب  
وترتيب عبد القادر بدران ، ط دمشق ١٩٧٩م .
- ابن العماد الحنبلي ( أبو الفرج عبد الحى بن على بن محمد ، ت ١٠٨٩هـ /  
١٦٧٨م ) .  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الأجزاء ٣ ، ٤ ، ط بيروت  
بدون تاريخ .
- ابن الصرائي ( محمد بن على بن محمد ، ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م ) .  
الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السمرائي ، ط ليدن ،  
١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ابن الفرات ( ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م ) .  
تاريخ ابن الفرات ، المجلد الرابع في جزئين ، تحقيق حسن محمد  
الشماع ، ط البصرة ١٩٦٧-١٩٦٩م .

- ابن فضل الله العمري ( شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ، ت  
٥٧٤٩هـ / ١٣٤٨م ) .  
مسالك الابصار فى الممالك والامصار ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث  
باستامبول تحت الرقم ٢٧٩٧ .
- ابن قاضى شهبه ( بدرالدين محمد بن ابى بكر ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ) .  
الكواكب الدرية فى السيرة النورية تحقيق محمود زايد ،  
ط بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
- ابن القلانسى ( أبويعلى حمزه بن القلانسى ، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ) .  
ذيل تاريخ دمشق ، ط بيروت ، ١٩٠٨م .
- ابن كثير ( عمادالدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م )  
البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ط بيروت ، ١٩٧٧م .
- ابن ميسر ( محمد بن على بن يوسف ، ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م ) .  
أخبار مصر ، ج ٢ ، تصحيح هنرى ماسيه ، طو القاهرة ،  
١٩١٩م .
- ابن واصل ( جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م ) .  
١ - التاريخ الصالحى ، مخطوط بمكتبة فاتح تحت الرقم ٤٢٢٤  
والمكتبة السلطانية باستامبول .  
٢ - مفرج الكروب فى اخباربنى أيوب الأجزاء الاول ، الثانى ،  
تحقيق جمال الدين الشيال ، ط القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٧م  
وهناك الجزء الرابع تحقيق حسنين محمد ربيع ، ط  
القاهرة ١٩٧٢م .

- ابن الوردى ( زين الدين عمر بن المظفر بن ابى الفوارس ، ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م )  
 ( تاريخ ابن الوردى ) تنمة المختصر فى اخبار البشر ، تحقيق  
 احمد رفعت البدر اوى ، ط . بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .
- ابوشامة ( شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى ، ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م )  
 الروضتين فى اخبار الدولتين ج ١ فى قسمين ، تحقيق محمد حلمى احمد ،  
 ط القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- ابوالفدا ( الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م )  
 ١- المختصر فى اخبار البشر ، ج ٢ ، ٣ ط . بيروت ، بدون تاريخ .  
 ٢- تقويم البلدان ، ط . باريس ، ١٨٤٠ م .
- الاربلى ( عبد الرحمن بن سنبل بن قنيتو الاربلى ، ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م )  
 خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكى السيد  
 جاسم ، ط . بغداد ، ١٩٦٤ م .
- أسامة بن منقذ ، ( أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ ، ت ٥٨٤ هـ /  
 ١١٩٢ م ) .  
 الاعتبار ، تحقيق فيليب متى ، ط . برنستون ، ١٩٣٠ م .
- الاصطخرى ( ابواسحاق محمد بن ابراهيم الفارسى ، ت ٣٤٦ هـ ) .  
 المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد المال الحسينى ، مراجعة  
 محمد شفيق غريال ، ط القاهرة ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- الاصفهاني ( عماد الدين محمد بن محمد بن حامد المشهور بالعماد الكاتب ،  
 ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ) .  
 ١- تاريخ دول آل سلجوق ، اختصار الفتح بن على بن محمد البندارى ،  
 ط . بيروت ، ١٩٧٨ م .  
 ٢- خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء الشام ، تحقيق شكرى  
 فيصل ، جزآن ، ط . دمشق ، ١٣٧٥ هـ / ١٣٧٨ م .

- الأصفهاني ( عماد الدين القاضي محمد بن محمد ، ت بعد سنة ٥٩٣هـ / ١١٩٧م  
البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، مخطوط بمكتبة  
أحمد الثالث باستا مول تحت الرقم ٢٩٥٩ .
- البنداري ( قوام الدين الفتح بن علي البنداري ، ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م )  
سنة البرق الشامي ، القسم الاول ، تحقيق رمضان ششن ،  
ط بيروت ، ١٩٧٠م .
- الحسيني ( أبو الحسن بن علي بن أبي الفوارس ناصر بن علي )  
اخبار الدولة السلاجوقية ، نشر محمد اقبال ، ط لا هور ، ١٩٣٣م
- الحمون ( شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ) .  
١ - معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، ط بيروت ، ١٣٩٧هـ /  
١٩٧٧م .  
٢ - معجم الأدباء ، تصحيح د . س مرجليوت ، ط القاهرة ،  
١٩٢٤م .
- الحنبلي ( مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليبي ، ت ٩٢٨هـ /  
١٥٢٢م ) .  
الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ط بيروت ، ١٩٧٣م .
- الذهبي ( شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز ، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م )  
١ - دول الاسلام ، ج ٢ ، تحقيق فهم شلتوت ومصطفى ابراهيم  
ط القاهرة ، ١٩٧٤م .  
٢ - العبر في خبر من عبر أربعة أجزاء .  
الأجزاء الاول والرابع تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط الكويت  
١٩٦٠م ، ١٩٦٣م .  
والأجزاء الثاني والثالث تحقيق فؤاد السيد ، ط الكويت ، ١٩٦١م  
٣ - تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مخطوط بمكتبة احمد  
الثالث باستا مول تحت الرقم ٢٩١٧ .

- الراوندى ( محمد بن على بن سليمان ، ت ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م )  
راحة الصدور وآية السرور ، ترجمة عبد النعيم حسنين وآخرون ،  
ط القاهرة ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .
- سبط ابن الجوزى ( أبو الظفر يوسف بن قزاو على ، ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م )  
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج ١٢ ، ١٣ ، مخطوط بمكتبة  
أحمد الثالث باستانبول تحت الرقم ٢٩٠٧ ، والجزء الثامن  
من هذا الكتاب مطبوع ، ط حيدر أباد سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .
- السبكى ( عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ، ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م ) .  
طبقات الشافعية الكبرى الأجزاء السادس والثامن ، تحقيق  
عبد الفتاح محمد الحلوم ومحمود محمد الطناحى ، ط القاهرة  
بدون تاريخ .
- السخاوى ( شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٢م )  
النوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ٢ ، ط القاهرة ، ١٩٣٦م .
- السيوطى ( جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م )  
١ - تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد ،  
ط القاهرة ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .  
٢ - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، ج ٢ ، تحقيق  
محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط القاهرة ، ١٩٦٨م .
- الشهرستانى ( أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ) .  
الملل والنحل ، تقديم واعداد عبد اللطيف محمد العبد ، ط  
القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- صالح بن يحيى (صالح بن يحيى بن الحسن ، ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٩م) .  
تاريخ بيروت ، ط بيروت ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- الصفدى ( صلاح الدين خليل ) أيبك ، ت ٨٦٤هـ / ١٣٦٣م )  
١ - تحفة زوى الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك  
والأمراء والنواب ، مخطوط فى المكتبة التيمورية تحت الرقم  
٢١٠٢ تاريخ ، ويوجد نسخة مصورة على ميكروفيلم . بمعهد  
المخطوطات العربية بالقاهرة ، تحت الرقم ١٥٢ تاريخ .  
٢ - أمراء دمشق فى الاسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط  
دمشق ، ١٩٥٥م .  
٣ - الوافى بالوفيات ، ط قبادزى المانيا ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- الطباخ الحلبى ( محمد راغب بن محمود بن هاشم )  
أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ج ١ ، ط حلب ١٩٢٣م
- العصامى المكي ( عبد الملك بن حسين ، ت ١١١١هـ )  
سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، ج ٣ ، ط بغداد  
بدون تاريخ .
- العظمى ( محمد بن على بن محمد ، ت بعد سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م )  
تاريخ العظمى ، نشر كلود كا هن C.Cahen فى :  
Journal Asiatique, (1938)p.p.353-448.
- المعينى ( بدر الدين أبو محمد بن أحمد بن موسى ، ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م )  
١ - السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ، تحقيق فهم شلتوت  
ط القاهرة ، ١٩٦٦م .  
٢ - عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ج ١١ ، مخطوط على  
ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت الرقم  
٠٢ / ٣٣٤

- الفلوقى ( أحمد بن يوسف بن على بن الأزرق ، ت ٥٩٠هـ / ١٠٩٤م ) .  
تاريخ الفارقى ، أولدولة المروانية بتحقيق بدوى عبد اللطيف  
ط بيروت ، ١٩٧٤م .
- القرطابى ( أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ، ت ١١٠٩هـ / ١٦١٠م )  
أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ط بغداد ، ١٢٨٢هـ /  
١٨٦٥م .
- القزوينى ( زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م )  
آثار البلاد وأخبار العباد ، ط بيروت ، ١٩٦٠م .
- القلقشندى ( أبو العباس أحمد بن على ، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م )  
١- صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، ط القاهرة ،  
١٩١٩ - ١٩٢٢م .  
٢- مآثر الأنافة فى معالم الخلافة ، ج ١ ، تحقيق عبدالستار  
أحمد فرج ، ط الكويت ، ١٩٦٤م .  
٣- نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم  
الابيارى ، ط القاهرة ١٩٥٩م .  
٤- قلائد الجمان فى التعريف بعرب الزمان ، تحقيق ابراهيم  
الابيارى ، ط القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- المقرئى ( تقى الدين أحمد بن على بن عبدالقادر ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م )  
١- اتعاط الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، ثلاثة  
اجزاء ، الجزء الاول تحقيق جمال الدين الشيال ، ط  
القاهرة سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .  
. الاجزاء الثانى والثالث تحقيق محمد حلمى أحمد ، ط  
القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م .  
٢- اغاثة الامة بكشف النعمة ، ط القاهرة ، ١٩٥٦م .

٣ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة

ج ١ ، ق ١ ، ط القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٤ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزآن ، ط القاهرة

١٢٧٠ هـ .

٥ - البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق

عبد المجيد عابدين ، ط القاهرة ، ١٩٦١ م .

— مؤلف مجهول ،

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى ،

ط القاهرة ، ١٩٥٨ م .

— المؤيد فى الدين ( هبة الله بن موسى بن داود الشيرازى ، ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٨ م )

سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، تحقيق محمد كامل حسين ،

ط القاهرة ، ١٩٤٩ م .

— ناصر خسرو ( أبو معين الدين القباديانى المروزى ، ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٧ م )

سفرنامه ، رحلة ناصر خسرو ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ،

ط بيروت ، ١٩٧٠ م .

— النويرى ( شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م )

نهاية الارب فى فنون الاثب ، ج ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ مخطوط بمكتبة أحمد

الثالث باستامبول تحت الرقم ١٣٦٩

— اليافعى ( أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان ، ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م )

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٣ ، ط بيروت ، ١٩٧٠ م .



ثانيا : المراجع العربية والمترجمة

- ابراهيم خليل ، كريبوقا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الخامس ، ١٩٧٤م ، ص ٩٥-١١١ .
- أحمد أحمد بدوى :  
الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ط القاهرة ١٩٧٢م .
- أحمد رمضان محمد :  
المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ط القاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- أحمد السعيد سليمان :  
تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ، جزآن ، ط القاهرة ١٩٧٢م .
- أحمد كمال الدين حلمى :  
السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، ط الكويت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- أحمد مختار المبادى :  
التاريخ العباسى والفاطى ، ط بيروت ، ١٩٧١م .
- باركر ( آرنست ) :  
الحروب الصليبية ، ترجمة السيد حياز العرينى ، ط بسيروت ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

— بدوي محمد فهد :

تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ط بغداد ، ١٣٩٣هـ /

٠م١٩٧٣

— حامد غنيم أبو سعيد :

الجهبة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية ، ج ١ ، ط القاهرة ،

٠م١٩٧١

— حسن ابراهيم حسن :

تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٤ ، ط القاهرة ، ١٩٦٧م .

— حسن الباشا — :

الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ط القاهرة ،

٠م١٩٧٨ / ١٣٩٨هـ

— حسن حبشي :

١ - الحرب الصليبية الأولى ، ط القاهرة ، ١٩٥٨م .

٢ - نور الدين محمود والصليبيون ، ط بغداد ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

— حسين أمين :

تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ط . بغداد ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .

— خاشع المعاضدي :

الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ( ٣٥٩ -

٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١٩٧١م ) ، ط بغداد ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

— رايس ( تامارا ثاليوت ) :

السلاجقة ، تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخولى ، وابراهيم

الداقوقي ، ط بغداد ، ١٩٦٨م .

— رنسيطان ( ستيفن ) :

تاريخ الحروب الصليبية ، ٣ أجزاء ، ترجمة السيد هياز العرويني  
ط بيروت ، ١٩٦٨ م .

— سعيد عبدالفتاح عاشور :

- ١ - الحركة الصليبية جزآن ، ط ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- ٢ - مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ط بيروت ، ١٩٧٢ م .
- ٣ - بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ط بيروت ،

٤ - ( مصنفات ) سيد ( المصنف ) ، ط بيروت ، ١٩٧٧ م .

— سهيل زكار :

مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، ط بيروت ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

— السيد هياز العرويني :

- ١ - الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ط القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- ٢ - مؤرخو الحروب الصليبية ، ط القاهرة ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
- السيد عبدالعزیز سالم :  
طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، ط الاسكندرية ، ١٩٦٧ م .
- شاكراًحمد ابوزيد :  
الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، ط بيروت بدون تاريخ .

— شاكراًمصطفى :

التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفته  
رجالها في الاسلام ، جزآن ، ط بيروت ، ١٩٧٩ - ١٩٨٠ م .

— صابر محمد دياب :

سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط من أوائل القرن  
الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي ، ط القاهرة ، ١٩٧٣ م .

— صلاح الدين البحيري :  
الاعداد المعنوي للحروب الصليبية المضادة ، المجلة التاريخية،  
المصرية ، العدد ٢١ ( ١٩٧٤م ) ص ١١٧-١٣٤٠

— صلاح الدين المنجد :  
ولاية دمشق في العهد السلجوقي ( نصوص مستخرجة من تاريخ  
مدينة دمشق الكبير لمؤلفه ابن عساكر ، ط بيروت ، ١٩٧٥م )

— عبدالله سميد الفاضل :  
استرداد بيت المقدس زمن صلاح الدين ، رسالة ماجستير لم تطبع  
جامعة ام القرى بمكة المكرمة ، بإشراف الدكتور حسنين محمد ربيع  
١٤٠٢/١٩٨٢م

— عبدالمنعم ماجد :  
١ - العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط بيروت  
١٩٦٦م  
٢ - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ط الاسكندرية ،  
١٩٦٨م

— عبدالنعم حسنين :  
١ - سلاجقة ايران والعراق ، ط القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .  
٢ - دولة السلاجقة ، ط القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

— عصام الدين عبدالرؤوف :  
بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، ط القاهرة ، ١٩٧٥م .

- على محمد الفامدى :
- بلاد الشام قبل الغزو الصليبي ، (٤٦٣-٤٩١هـ / ١٠٧٠-١٠٩٨م)  
رسالة ماجستير لم تطبع ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، بإشراف  
الدكتور حسنين محمد ربيع ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- الفزى كامل حسين محمد مصطفى الحلبي :  
نهر الذهب في تاريخ حلب ، ج ٣ ، ط ١ ، حلب ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م .
- فاضل مهدي بيارى :  
السياسة السلجوقية في العراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد  
الثامن عشر ( ١٩٨١م ) ص ٩٧-١٠١ .
- فيليب حتى :
- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ، ترجمة كمال اليازجي ،  
ط بيروت ، ١٩٥٩م .
- كارل بروكلمان :
- تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين ، ط بيروت ، ١٩٧٧م .
- كلود كاهن :
- تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة بد الدين القاسم ،  
ط بيروت ، ١٩٧٧م .
- لين بول ( ستانلى ) :
- الدول الاسلامية ، ترجمة محمد صبحى ، ط دمشق بدون تاريخ .
- محمد جمال الدين سرور :
- ١- النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع  
والخامس الهجرى ، ط القاهرة ، ١٩٦٤م .  
٢- سياسة الفاطميين الخارجية ، ط القاهرة ، ١٩٦٤م .  
٣- الدولة الفاطمية فى مصر ، ط القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .



ثالث : قائمة المراجع الاجنبية

- The Cambridge History of Islame, Vol.1A London,1970.
- The Cambridge Medievel History, Vdl.4, (The Byzantine Empire) London, 1964.
- Dozy. (R.) Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2Toms, Paris, 1967.
- The Encyclopaedia of Islam, (New Edtion), London, 1960.
- Gibb, H.A.R. , The Damascus Chtonicle of the Crusades, London, 1967.
- Lavoix, (Henre)  
Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Beblioth  
Nationale , Vol.III, (Egypte Et Syrie), Paris 189
- Vasiliev (A.A)  
History of the Byzantine Empire , Vol,2, Madison, 1929.
- Zakkar, (Suhayl).  
The Emirate of Aleppo (1004 - 1094), Beirut 1971.
- William of Tyre:  
A History of Deed's Done Beyond the Sea, 2vols.,  
Translated and Annotated by Emily Babcock , and A.  
Krey, New York, 1943.